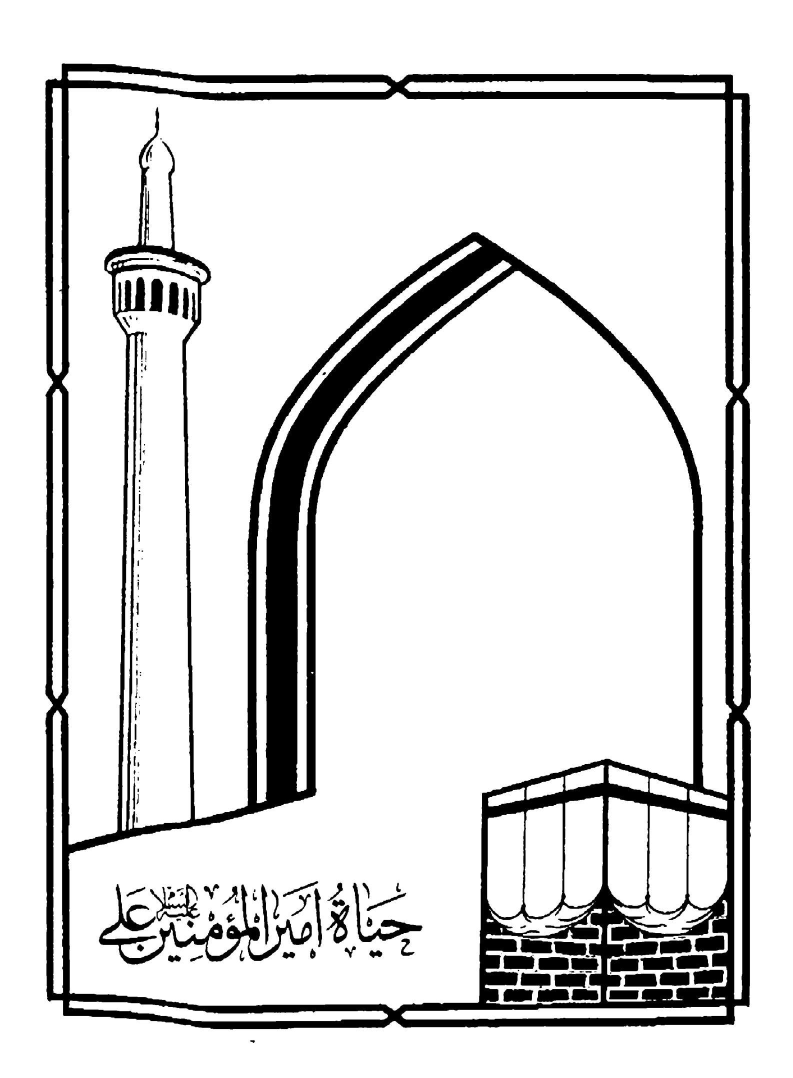




بحوث في سيرته وفضائله وحكومته
من طرق أهل السنة

لمؤلفه:
السيد اصغر ناظم زاده القمي


حياة امير المؤمنين علي عليه السلام



بحوث في سيرته وفضائله وحكومته

من طرق أهل السنة

لمؤلفه:

السيد اصغر ناظم زاده القمي

فهرست نویسی پیش از انتشار: مرکز انتشارات دفتر تبلیغات اسلامی

ناظم زاده قمی، سید اصغر، ۱۳۲۳ -

حیاة امیرالمؤمنین علی (ع) بحوث فی سیرته و فضائله و حکومته من طرق اهل السنة / سید اصغر ناظم زاده قمی. - قم: کوثر ولایت، ۱۳۷۷.

ISBN: 964-92045-0-4 ۱۶۰۰۰ ریال. - شابک ۹۶۴-۹۲۰۴۵-۰-۴

۵۰۹ ص. -

کتابنامه: ص [۱۸۱] - ۱۹۲، همچنین به صورت زیرنویس

۱. علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - سرگذشتنامه. ۲. شیعه - دفاعیه ها و ردیه ها. ۳. علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. - اثبات ولایت. الف. کوثر ولایت. ب. دفتر تبلیغات اسلامی حوزه علمیه قم، مرکز انتشارات، همکار نشر. ج. عنوان.

BP ۳۷/۵ / ۹ ح ۲ ن ۲۹۷/۹۵۱



حياة امير المؤمنين علي (ع)

المؤلف: السيد اصغر ناظم زاده قمي

الناشر: كوثر ولايت

مساعد الفني للنشر: مركز انتشارات دفتر تبليغات اسلامى

(مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي)

المطبعة: مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي

الطبعة: الأولى / ۱٤۱۹ق، ۱۳۷۷ش

الكمية: ۱۵۰۰

السعر: ۱۶۰۰ تومان

عنوان: قم، شارع شهداء (صفائیه)، مرکز انتشارات دفتر تبلیغات اسلامی،

ص ب ۹۱۷، هاتف ۷-۷٤۲۱۵۵، فاکس ۷٤۲۱۵٤، توزیع ۷۱۳٤۲۶

شبکه اینترنت BUSTAN@APADANA.COM

شبکه شارح: BUSTAN (تلفن ۴- ۷۴۴۱۵۳)

Printed in the Islamic Republic of Iran

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

﴿و أنّ هذا صِراطی مُستَقیماً فاتَّبِعُوهُ و لا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِکُم عَن سَبِیلِهِ ذٰلِکُم وَصّاکُم بِهِ لَعَلَّکُمْ تَتَّقُونَ﴾.(۱)

الحمد للّه ربّ العالمين و أفضل الصلاة و أتمّ التسليم على خير الأنام أبي القاسم محمد و آله الطاهرين أعلام الهدى و أئمة المسلمين.

و بعد، فانّ الامامة أصلٌ من أُصول الدين الاسلامي الحنيف، و أمرها من تمام الدين و كمال النعمة، و هي رئاسة و ولاية عامة في أُمور الدين و الدنيا نيابة عن الرسول الخاتم ﷺ. فكلّ ما دلّ على وجوب النبوة و على ضرورتها دلّ في المقابل على وجوب الامامة و ضرورتها، لأنّها فرع من النبوة و خلافة عنها و قائمة مقامها، و لا تختلف عنها إلاّ بتلقيّ الوحي بلاواسطة.

و لأجل أن يحصل الوثوق بقول الامام، فلا بدّ أن يكون معصوماً كالنبيّ عن الزلل و الخطأ، مسدّداً لفعل الخير و الصلاح، و ذلك ليتحقّق الغرض المرجوّ من الامامة بكونها لطفاً واجباً على الحقّ تعالى، من أجل تقريب العبد من فعل الطاعات، و إبعاده عن ارتكاب الخطيئات.

---

۱. الأنعام، ۱۵۳.

إذن لابدّ أن يكون الامام أفضل أهل زمانه في جميع مكارم الأخلاق ومحامدها و في الصفات الكريمة و السجايا الحميدة، ككمال العقل و الذكاء و الفطنة و قوة الرأي و عدم السهو و الغفلة، و شرف النسب، و عدم الغلظة و الفضاضة و الظلم و السجود للأصنام و كلّ ما يقدح في تعظيمة و تكريمة. قال تعالى: ﴿و إذ ابتلى إبراهيم رَبُّهُ بكَلِماتٍ فَأتَمَّهُنّ قَالَ إنّي جَاعِلُكَ لِلنّاسِ إماماً قالَ وَ مِن ذُرّيّتي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدي الظّالِمينَ﴾.(١)

و لا بدّ أن يكون الامام أفضل الرعية مطلقاً، لاحتياج الكلّ إليه، و لو كان من هو أفضل منه في الرعية، للزم تقديم المفضول على الفاضل، و هو قبيح عقلاً.

لقد أجمعت كلّ فرق المسلمين و علمائهم إلاّ من شذّ منهم على وجوب الامامة كما أنّ شريعة الاسلام الغرّاء نصّت على الجزئيات غير المهمّة، فكيف يمكن للرسول الأعظم ﷺ أن يترك الأمّةَ هملاً دون أن ينصّ على إمام لولاية المسلمين، و ليكون خليفته على هذه الأمّة؟

لقد نصّ الرسول الأكرم و في مناسبات عدّة على خليفته و وصيّه من بعده، و قد حفلت كتب الحديث و التاريخ و السيرة بهذه النصوص، و نقلتها بشكل متواتر و بطرق صحيحة لا تقبل الجدل و الخلاف و التأويل، و فيما يلي نذكر بعضاً منها:

١ ـ قال ﷺ: «من كنت مولاه، فعليّ مولاه، اللهمّ و الِ من و الاه، و عادِ من عاداه».(٢)

٢ ـ و قال ﷺ «إنّ علياً منّي و أنا منه، و هو وليّ كلّ مؤمن بعدي».(٣)

٣ ـ و قال ﷺ مشيراً إلى عليّ ﷺ «إنّ هذا أخي و وَصيّي و خَليفَتي فيكم، فاسمَعُوا

---

١. البقرة، ١٢٤.

٢. مسند أحمد، ج ١، ص ٨٤ و ٨٨؛ سنن الترمذي، ج ٥، ح ٣٧١٣؛ سنن ابن ماجه، ج ١، ح ١١٦ و ١٢١؛ المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ١٠٩ ـ ١١٠.

٣. مسند أحمد، ج ٤، ص ٤٣٧؛ سنن الترمذي، ج ٥، ح ٣٧١٢؛ المصنف لابن أبي شيبة، ج ٧، ح ٥٨.

له و أطيعوا».(١)

٤ ـ و قال ﷺ لأمير المؤمنين علي ﷺ «أنتَ مِنّي بِمَنْزِلَةِ هارونَ مِنْ مُوسى، إلاّ أنّه لانَبِيّ بعدي».(٢)

هذا فضلاً عن الآيات النازلة في خصوص هذه المسألة التي هي من ضروريات الدين و الحياة، و كذلك النصوص و الأحاديث الأخرى المنقولة بأسانيد صحيحة لا نزاع فيها، و التي سنذكرها في كتابنا هذا إن شاء اللّه.

لقد تمثّلت الامامة و الخلافة الحقّة من بعد النبي الأكرم ﷺ في أميرالمؤمنين و إمام المتّقين و قائد الغرّ المحجلين و سيّد الوصيين سيف اللّه الغالب علي بن أبي طالب (صلوات اللّه عليه) و في الائمة الأحد عشر من ولده ﷺ، قال رسول اللّه ﷺ: «الخلفاء بعدي اثنا عشر، كلّهم من قريش»(٣) و قال ﷺ: «من سرّه أن يحيا حياتي، و يموت مماتي، و يسكن جنّة عدن غرسها ربّي، فليوالِ علياً من بعدي، و ليوالِ وليّه، و ليقتد بأهل بيتي من بعدي، فانّهم عترتي، خُلقوا من طينتي، و رزقوا فهمي و علمي، فويل للمكذّبين بفضلهم من أمّتي، القاطعين فيهم صلتي، لا أنالَهم اللّه شفاعتي».(٤)

هذا فضلاً عن الأحاديث المتواترة لدينا و التي تنصّ على خصوص

---

١. الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٦٢ الى ٦٤؛ السيرة الحلبية، ج ١، ص ٤٦١؛ تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢١٧؛ شرح ابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢١٠.

٢. مسند أحمد، ج ١، ص ١٧٣ و ١٧٥؛ صحيح البخاري ـ كتاب الفضائل، ح ٣٥٠٣؛ صحيح مسلم كتاب الفضائل، ح ٤٤٠٤؛ المصنف لابن أبي شيبة، ج ٧، ح ١١ الى ١٥.

٣. صحيح البخاري ـ كتاب الأحكام، ح ٧٩؛ صحيح مسلم ـ كتاب الامارة، ح ١٨٢١؛ سنن الترمذي، ج ٤، ص ٥٠١، ح ٢٢٢٣.

٤. حلية الأولياء، ج ١، ص ٨٦؛ كنزالعمال، ح ١٢، ص ١٠٣، ح ٢٤١٩٨ وغيرهما.

أسمائهمﷺ. و قد ألّف علماؤنا كتباً خاصة في هذا المجال.[١] ناهيك عن عصمتهم و ظهور كراماتهم و معاجزهم و استجابة دعائهم و شجاعتهم و كونهم أفضل أهل زمانهم علماً و تقوىً و عبادة و سخاءً و زهداً و حلماً. و بما أنّ كتابنا هذا مكرّس لذكر فضائل أميرالمؤمنين عليّ ﷺ. فاننا نعترف بالقصور في هذا المجال. فممّا لاشكّ فيه أنه ليس من الميسور على الباحث أن يلمّ بكلّ جوانب شخصيته ﷺ. و لا أن يتعمّق في وصف فضائله و مناقبه و مكارم أخلاقه و مقامه الأسنى، مهما جدّ و اجتهد و بذل ما في وسعه و طاقته. ذلك لأنه يقف أمام شخصية هي فوق الشموخ، عالية في سماء العظمة و علياء المجد. تترفّع عن أيدي المتناولين، و تسمو عن نعت الناعتين ووصف الواصفين وثناء المادحين. يصعب عرفانها والوصول إلى حقيقة كنهها.

فهو أعظم أعاظم العالم، و وحيد الزمان الذي عقم أن يلد مثله. و لم يُرَ له نظير في مشرق الدنيا و مغربها، في غابر الزمان و حاضره، إلاّ رسول اللّه ﷺ. و هو كنفس رسول اللّه ﷺ بنصّ التنزيل العزيز، في قوله تعالى: ﴿تَعَالَوا نَدْعُ أَبْنَاءَنا و أبْنَاءَكم و نِساءَنا و نِسَاءَكُم و أنْفُسَنا و أنْفُسَكم﴾[٢] قال البغوي و غيره من المفسّرين: ﴿أبناءنا﴾ الحسن و الحسين ﴿و نساءنا﴾ فاطمة ﴿و أنفسنا﴾ يعني نفسه و علياً.[٣]

و قال ﷺ لوفد بني طيعة ـ أو لبني ثقيف ـ : «لتسلمنّ أو لأبعثنّ عليكم رجلاً منّي ـ أو قال مثل نفسي ـ ليضربنّ أعناقكم، و ليسبينّ ذراريكم، و ليأخذنّ أموالكم». قال عمر: فما تمنّيتُ الامارة إلاّ يومئذٍ، فجعلت أنصب صدري رجاء أن

---

١. منها مقتضب الأثر لابن عياش، و كفاية الأثر للخزاز، و إثبات الهداة للحر العاملي و غيرها كثير.

٢. آل عمران، ٦١.

٣. معالم التنزيل، ج ١، ص، ٤٨٠.

يقول: هو هذا، فالتفت إلى عليّ، فأخذ بيده، و قال: «هو هذا، هو هذا».[١]

و هو ﷺ سيّد الأوصياء، و إمام الأتقياء، و باب علم مدينة الرسول ﷺ، و هما من شجرة واحدة، لحمه كلحمه، و دمه كدمه، و حربه كحربه، فقد أخرج الطبراني بسند صحيح عن أمّ سلمة، عن رسول اللّه ﷺ: «من أحبّ علياً فقد أحبّني، و من أحبّني فقد أحبّ اللّه، و من أبغض علياً فقد أبغضني، و من أبغضني فقد أبغض اللّه».[٢] و قال ﷺ: «من آذى علياً فقد آذاني».[٣] و قال ﷺ: «من سبّ علياً فقد سبّني».[٤] و قال ﷺ له و لفاطمة و الحسن و الحسين ﷺ: «أنا حربٌ لمن حاربتم، و سلمٌ لمن سالمتم».[٥] و قال ﷺ: «عليّ منّي و أنا من عليّ»[٦] و قال ﷺ: «الناس من شجر شتّى، و أنا و عليّ من شجرة واحدة».[٧]

و حبّ عليّ ﷺ ثابت في قلوب المؤمنين، و عنوان صحيفة المؤمن، فعن أنس بن مالك، قال: و اللّه الذي لا إله إلاّ هو، لسمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «عنوان صحيفة المؤمن حبّ علي بن أبي طالب».[٨]

---

١. سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٣٤، ح ٣٧١٥؛ فضائل الصحابة، ج ٢، ص ٥٧١، ح ٩٦٦؛ الاستيعاب، ج ٣، ص ٤٦؛ اسد الغابة، ج ٤، ص ٢٦.

٢. تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٣٧.

٣. مسند أحمد، ج ٣، ص ٤٨٣؛ تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٣٧.

٤. مسند أحمد، ج ٦، ص ٣٢٣؛ مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٢١ و ١٢٢؛ تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٣٧.

٥. سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٩٩، ح ٣٨٧٠؛ مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٤٩؛ سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٥٢، ح ١٤٥؛ مسند أحمد، ج ٢، ص ٤٤٢.

٦. تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٣٤.

٧. الصواعق المحرقة، ص ١٢٣؛ تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٣٦.

٨. تاريخ بغداد، ج ٤، ص ٤١٠.

و ولاية علي ﷺ قربى إلى اللّه تعالى، من تمسك بها فاز بـالنعيم في الآخـرة، و من تخلّى عنها فهو الخسران المبين، و قد قال حبر الأُمة ابن عـباس، و هـو عـلى فراش الموت، يودّع الدنيا و يستقبل الآخرة: «اللهمّ إنّي أتقرّب إليك بولاية عـليّ بن أبي طالب».[١]

و قال محمد بن إدريس الشافعي المتوفى ٢٠٤هـق:

قـالوا تـرفّضت قـلت كـلا	ما الرفض ديني و لا اعـتقادي
لكـن تـولّيت غـير شكّ	خـير إمـام و خـير هـادي
إن كـان حبّ الولي رفـضاً	فـانّ رفـضي إلى العـبادِ[٢]

أجل، ليس بمقدوري و لامقدور أيكاتب أن يبحث بعمق و يستنتج ويفصّل في مكارم أخلاق ذلك الامام الهمام و مناقبه و فضائله التي تسطع كضوء النهار الباهر و القمر الزاهر الذي لا يخـفى على الناظر، و لذا فانني سوف أُشير إلى طـرفٍ مـن أقوال محقق أهل السنة الذين أظهروها عن تيقّن من ذلك دون تعصّب أو انحـياز، مبدين ما تكنّه قلوبهم من احترام لمولى الموحّدين و وصي خـاتم المرسلين عـلي أميرالمؤمنين ﷺ:

١ـ قال ابن حجر: روي عن أحمد بن حنبل أنّه قال: لم يُروَ لأحدٍ من الصحابة من الفضائل ما روي لعلي ﷺ، و كذا قال النسائي و غير واحد.[٣]

٢ـ و عن اسماعيل بن إسحاق القـاضي و أبي عـلي النـيشابوري: لم يُـروَ في فضائل أحدٍ من الصحابة بالأسانيد الحسان ما روي في فضائل علي بن أبي طالب

١. فضائل الصحابة، ج ٢، ص ٦٦٢، ح ١١٣٩؛ رياض الأبرار، ج ٣، ص ١٣٠.

٢. ديوان الشافعي، ص ٣٥.

٣. تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٨٩.

عليه السلام.(١)

٣ـ و قال أخطب خوارزم: ذكر فضائل أميرالمؤمنين أبي الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام، بل ذكر شيءٍ منها، أو ذكر جميعها، يقصر عنه باع الاحصاء، بل ذكر أكثرها يضيق عنه نطاق الاستقصاء.(٢)

٤ـ و قال ابن أبي الحديد المعتزلي: فأمّا فضائله عليه السلام فانّها قد بلغت من العظم و الجلالة و الانتشار و الاشتهار مبلغاً يسمج معه التعرّض لذكرها، و التصدي لتفصيلها، إلى أن قال: و ما أقول في رجلٍ أقرّ له أعداؤه و خصومه بالفضل، و لم يمكنهم جحد مناقبه و لا كتمان فضائله؟ فقد علمت أنّه استولى بنو أُميّة على سلطان الاسلام في شرق الأرض و غربها، و اجتهدوا بكلّ حيلةٍ في إطفاء نوره و التحريض عليه و وضع المعايب و المثالب له، و لعنوه على جميع المنابر، و توعّدوا مادحيه، بل حبسوهم و قتلوهم، و منعوا من رواية حديثٍ يتضمّن له فضيلةً، أو يرفع له ذكراً، حتى حظروا أن يسمّى أحد باسمه، فما زاده ذلك إلاّ رفعه و سمواً، و كان كالمسك كلّما سُتر انتشر عرفه، و كلّما كتم تضوّع نشره، و كالشمس لا تستر بالراح، و كضوء النهار إن حجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة.

و ما أقول في رجلٍ تُعزى إليه كلّ فضيلة، و تنتهي إليه كلّ فرقة، و تتجاذبه كلّ طائفة؟ فهو رئيس الفضائل و ينبوعها و أبو عذرها و سابق مضمارها و مجلّي حلبتها، كلّ من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، و له اقتفى، و على مثاله احتذى.(٣)

و من هنا اهتمّ علماء الاسلام و غيرهم بالتأليف في حياة أميرالمؤمنين عليه السلام و

---

١. مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٠٧؛ ترجمة عليّ عليه السلام من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٦٣.

٢. المناقب للخوارزمي، ص ١.

٣. شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٧.

إمامته و تاريخه و فضائله، و لأنه كان يمتلك شخصية فذّة فيها من المؤهلات و مكارم الأخلاق و الصفات ممّا لا يتوفّر في غيره، و ممّا يجعلها شخصيةً خالدة حيّة على طول التاريخ الانساني، هذا فضلاً عن الثواب المترتّب على ذكر فضائله، فقد روي عن رسول اللّه ﷺ أنّه قال: «إنّ اللّه جعل لأخي عليّ فضائل لا تحصى كثرةً ألا فمن ذكر فضيلةً من فضائله مقرّاً بها، غفر اللّه له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخّر، و من كتب فضيلةً من فضائله لم تزل الملائكة تستغفرله ما بقي لذلك المكتوب رسم، و من استمع إلى فضيلة من فضائله غفراللّه له ذنوبه الّتي اكتسبها بالاستماع، و من نظر إلى كتاب في فضائله غفراللّه ذنوبه التي اكتسبها بالنظر.[١]

و لقد كان لنا شرف المساهمة في الكتابة عن تاريخ أميرالمؤمنين ﷺ و مناقبه في كتابنا (الفصول المائة في حياة أبي الائمة علي بن أبي طالب ﷺ) و الذي يعكس صفحات فذّة من حياة أميرالمؤمنين ﷺ في جوانبها المختلفة، و بمزيد من البحث و التفصيل، من طرق الشيعة و أهل السنّة. و بعد أن نفدت منه طبعتان، اقترح عليّ بعض الأفاضل و القراء الكرام الكتابة في تاريخ أميرالمؤمنين ﷺ بشكل أكثر اختصاراً. فلبّيت الطلب بعد التوكّل على اللّه تعالى و استخارته و استلهام العون و المدد من حضرة جدّنا أميرالمؤمنين ﷺ، فاقتصرت في النقل على طرق أهل السنة، في الغالب ليكون أبلغ في الحجة، و أسطع في البرهان، للاخوة المسلمين من غير الشيعة، و هو يشتمل على معظم مراحل حياته الشريفة من الولادة و مبادي الدعوة فالهجرة و الغزوات و الحروب و الحكومة حتى ارتحاله إلى الرفيق الأعلى، متناولاً سيرته و مكارم أخلاقه و مناقبه، في فصول شتى مرتّبة وفقاً لما يلي:

---

١. المناقب للخوارزمي، ص ٢؛ كفاية الطالب، ص ٢٥٣؛ فرائد السمطين، ج ١، ص ١٩.

الفصل الأول: ملامح من شخصيته عليه السلام.

الفصل الثاني: موضع علي عليه السلام في الغزوات.

الفصل الثالث: علي عليه السلام في القرآن و السنة.

الفصل الرابع: مناقبه و مكارم أخلاقه عليه السلام.

الفصل الخامس: معجزاته و إخباره بالمغيبات.

الفصل السادس: علي عليه السلام و الامامة و الحكومة.

الفصل السابع: مظلوميته و شهادته عليه السلام

الفصل الثامن: نبذة من أقواله و حكمه.

راجياً من الاخوة المحققين و القراء الافاضل أن يغضّوا عمّا يجدوا فيه من نواقص و اشكالات، و أن يجودوا علينا باقتراحاتهم و ارشاداتهم، للنظر بها في الطبعات اللاحقة إن شاء اللّه.

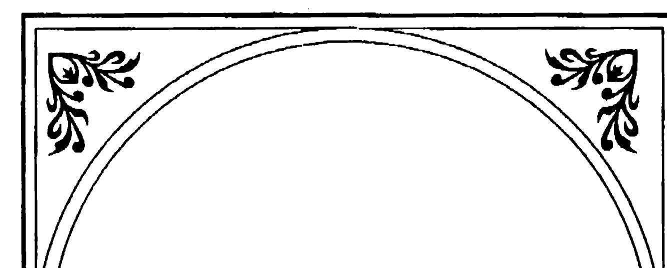
أخيراً اقدّم وافر الشكر و الامتنان للاخ الفاضل علي موسىٰ الكعبي علىٰ جهوده المخلصة التي بذلها في مراجعة الكتاب و تصحيحه، فللّه درّه و عليه أجره.

اللهمّ إني أسألك العون و السداد و استلهمك التوفيق و الرشاد.

السيد اصغر ناظم زاده القمي

في العشرين من رمضان، سنة ١٤١٨ هـ ق.

الموافق ٢٩ / ١٠ / ١٣٧٦ هـ ش.



الفصل الأوّل

ملامح من شخصيته عليه السلام

عناوين الفصل

علي ﷺ وليد الكعبة

قال الكنجي الشافعي: ولد أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ بمكة في بيت الله الحرام ليلة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من رجب سنة ثلاثين من عام الفيل، و لم يولد قبله و لا بعده مولود في بيت الله الحرام سواه إكراماً له بذلك، و إجلالاً له لمحلّه في التعظيم.[١]

و قال ابن الصباغ المالكي: ولد علي بمكة المشرفة بداخل البيت الحرام... و لم يولد في بيت الله الحرام قبله أحد سواه، و هي فضيلة خصّه الله تعالى بها إجلالاً له، و إعلاءً لمرتبته، و إظهاراً لكرامته.[٢]

و قال الحاكم النيشابوري: و قد تواترت الأخبار أنّ فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ في جوف الكعبة.[٣]

و قال عباس محمود العقاد المصري: ولد عليّ ﷺ في داخل الكعبة، و كرّم الله وجهه عن السجود لأصنامها، فكأنّما كان ميلاده ثمّة إيذاناً بعهد جديد للكعبة و للعبادة فيها، و كاد عليّ أن يولد مسلماً، بل لقد ولد مسلماً على التحقيق، إذا نحن نظرنا إلى ميلاد العقيدة و الروح كأنّه فتح عينيه على الإسلام و لم يعرف قطّ عبادة الأصنام.[٤]

و قال العلامة أحمد بن الفضل بن محمد باكثير الحضرمي الشافعي: «كانت

---

١. كفاية الطالب، ص ٤٠٧.

٢. الفصول المهمه، ص ٣٠.

٣. المستدرك، ج ٣، ص ٤٨٣.

٤. عبقرية الامام علي ﷺ، ص ٤٣.

ولادته بالكعبة المشرّفة و هو أوّل من وُلد بها، بل و لم يُعلم أنّ غيره وُلد بها».[١]

و إليك نصّ الحديث في هذا المجال

١ـروى الحافظ الكنجي الشافعي، عن جابر بن عبدالله، قال: سألت رسول الله ﷺ عن ميلاد عليّ بن أبي طالب. فقال: لقد سألتني عن خير مولود ولد في شبه المسيح ﷺ، إنّ الله تبارك و تعالى خلق عليّاً من نوري، و خلقني من نوره، و كِلانا من نور واحد، ثُمّ إنّ الله عزّوجلّ نقلنا من صلب آدم في أصلاب طاهرة إلى أرحام زكيّة، فما نقلت من صلب إلاّ و نقل عليّ معي، فلم نزل كذلك حتّى استودعني خير رحم و هي آمنة، و استودع عليّاً خير رحم و هي فاطمة بنت أسد.

فلمّا كانت الليلة الّتي ولد فيها عليّ أشرقت الأرض، فخرجَ أبوطالب و هو يقول: أيّها النّاس ولد في الكعبة وليّ الله عزّوجلّ.[٢]

٢ـو روى ابن المغازلي الشافعي و غيره بالاسناد عن زيدة بنت قريبة العجلان، عن أُمّها أمّ عمارة بنت عبادة بن نضلة الساعدي قالت: إنّها كانت ذات يوم في نساء من العرب، إذ أقبل أبوطالب كئيباً حزيناً، فقلت له: ما شأنك يا أباطالب؟ قال: إنّ فاطمة بنت أسد تشتكي المخاض، ثمّ وضع يده على وجهه.

فبينا هو كذلك إذ أقبل محمّد ﷺ فقال له: «ما شأنك يا عمّ؟» فقال: إنّ فاطمة بنت أسد تشتكي المخاض، فأخذ بيده و جاء و هي معه، فجاء بها إلى الكعبة فأجلسها في الكعبة، ثمّ قال: اجلسي على اسم الله. قال: فطلقت طلقةً فولدت غلاماً مسروراً نظيفاً منظّفاً لم أر كحسن وجهه، فسمّاه أبوطالب عليّاً، و حمله النبي ﷺ حتّى أدّاه إلى منزلها، الحديث.[٣]

---

١. وسيلة المآل، ص ٢٨٢، مخطوط.

٢. كفاية الطالب، ص ٤٠٥، الباب السابع.

٣. المناقب، ص ٦، ح ٣؛ الفصول المهمة، ص ٣٠ إلى ٣١.

نسبه وكنيته و ألقابه

هو علي بن أبي طالب بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القرشي الهاشمي.[1]

قال ابن الجوزي الحنفي: فأمّا كنيته فأبو الحسن و الحسين، و أبـوالقـاسم، و أبوتراب، و أبومحمد.[2]

قال الشيخ علاء الدين السكتواري في كنيته عليه السلام بأبي تراب: أول من كُنّي بابي تراب علي بن أبي طالب عليه السلام كنّاه به رسول الله صلى الله عليه وآله حين وجده راقداً و على جنبه التراب، فقال له ملاطفاً: قم يا أبا تراب، فكان أحبّ ألقابه.[3]

قال ابن الصباغ المالكي: و أمّا ألقابه فالمرتضى، و حيدر، و أميرالمـؤمنين، و الأنزع البطين.[4]

قال ابن أبي الحديد: و من ألقابه يعسوب الدين، و يعسوب المؤمنين، هذه كلمة قالها رسول الله صلى الله عليه وآله، بلفظين مختلفين: تارة: أنت يعسوب الدين، و أخـرى: أنت يعسوب المؤمنين، و الكلّ راجع إلى معنى واحد، كأنّه جعله عليه السلام رئيس المؤمنين و سيّدهم، أو جعل الدين يتبعه و يقفو أثره حيث سلك كما يتبع النحل اليعسوب، و هذا نحو قوله صلى الله عليه وآله: «و أدر الحق معه كيف دار».[5]

---

١. انظر الاستيعاب لابن عبد البر المالكي بهامش الاصابة، ج ٣، ص ٢٦.

٢. تذكرة الخواص، ص ١٥.

٣. محاضرة الأوائل، ص ١١٣.

٤. الفصول المهمة، ص ١٣٠.

٥. شرح ابن أبي الحديد، ج ١٩، ص ٢٢٤.

و من ألقابه الأنزع البطين و...

عن ابن المغازلي الشافعي: قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عليّ، إنّ الله عزّوجلّ قد غفر لك و لأهلك و لشيعتك و لِمُحبّي شيعتك، فأبشر فإنّك الأنزع البطين، المنزوع من الشرك، البطين من العلم».[١]

قال سبط ابن الجوزي: و يسمّى [عليّ ﷺ] البطين لأنّه كان بطيناً من العلم، و كان يقول ﷺ: لو «ثنيت لي الوساده لذكرت في تفسير (بسم الله الرّحمن الرّحيم) حِمل بعير» و يسمّى الأنزع لأنّه أنزع من الشرك.[٢]

و قال أيضاً: و يسمّى أسد الله و أسد رسوله، و يسمّى الولي، و الوصي، و التقي، و قاتل الناكثين و القاسطين، و شبيه هارون، و صاحب اللوى، و خاصف النعل، و كاشف الكرب، و أبوالريحانتين، و بيضة البلد، في ألقاب كثيرة.[٣]

و من ألقابه أمير المؤمنين

اعلم أنّ هناك روايات و أخبار كثيرة عن النبيّ ﷺ و الائمّة المعصومين ﷺ بلغت حدّ التواتر المعنويّ على أنّ الإمام عليّ بن أبي طالب ﷺ قد سمّي بأميرالمؤمنين في عهد النبيّ ﷺ، بل يفهم من بعضها أنّه سمّي بذلك اللقب قبل خلق آدم من قبل الله تعالى.

و تسميته ﷺ بذلك قد جاءت من قبل الله تعالى، و أبلغ النبيّ ﷺ بذلك، و لم يكن هذا اللقب قد عُرِف به أيّام خلافته، و لا كان من شخص الرّسول ﷺ، لأنّه ﷺ صهره و ابن عمّه، بل إنّ هذا اللقب كان من عند الله تعالى، أبلغه رسول الله ﷺ، و يعدّ من فضائله ﷺ و مناقبه، و ممّا يدلّ على ذلك:

---

١. المناقب لابن المغازلي، ص ٤٠٠، ح ٤٥٥.

٢. تذكرة الخواص، ص ١٦.

٣. نفس المصدر

١ـروى الموفّق بن أحمد في المناقب و غيره، بالاسناد عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا أنس، اسكب لي وضوءاً» ثمّ قام فصلّى ركعتين، ثمّ قال: «يا أنس، أول من يدخل عليك من هذا الباب أميرالمؤمنين، و سيد المسلمين، و قائد الغرّ المحجلين، و خاتم الوصيين».

قال: قلت: اللهمّ اجعله رجلاً من الأنصار ؛ وكتمته، إذ جاء علي عليه السلام، فقال: «من هذا يا أنس»؟ فقلت: علي. فقام مستبشراً فاعتنقه... .[1]

٢ـو روى أيضاً بالاسناد عن ابن عباس، قال: كان رسول الله ﷺ في بيته، فغدا عليه علي بن أبي طالب عليه السلام بالغداة، و كان يحبّ أن لا يسبقه إليه أحد، فدخل فاذا النبيّ ﷺ في صحن البيت، و إذا رأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبي، فقال: السلام عليك، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ قال: بخير يا أخا رسول الله.

فقال علي عليه السلام: جزاك الله عنا خيراً أهل البيت.

فقال له دحية: إنّي لأُحبك، و إنّ لك عندي مدحةً أزُفّها إليك: أنت أميرالمؤمنين، و قائد الغرّ المحجّلين، و أنت سيد ولد آدم يوم القيامة ماخلا النبيين و المرسلين، لواء الحمد بيدك يوم القيامة، تزفّ أنت و شيعتك يوم القيامة مع محمد و حزبه إلى الجنان زفّاً زفّاً، قد أفلح من تولّاك، و خسر من عاداك، محبّو محمد ﷺ محبّوك، و مبغضوك لن تنالهم شفاعة محمد ﷺ، ادنُ منّي صفوة الله.

فأخذ رأس النبي ﷺ فوضعه في حجره، و ذهب، فرفع رسول الله ﷺ رأسه، فقال النبيّ ﷺ: «ما هذه الهمهمة؟».[2]

فقال علي عليه السلام بما جرى، فقال ﷺ: يا عليّ، لم يكن دحية، و لكن كان جبرئيل، سمّاك باسمٍ سمّاك الله به، فهو الذي ألقى محبّتك في صدور المؤمنين، و رهبتك في

---

١. المناقب للخوارزمي، ص ٤٢؛ فرائد السمطين، ج ١، ص ١٤٥، ح ١٠٩.

٢. أي الكلام الخفيّ.

صدور الكافرين.[١]

٣ـو روى بالاسناد عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: هذا علي بن أبي طالب، لحمه لحمي، و دمه دمي، و هو منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنه لانبيّ بعدي.

و قال: يا أُمّ سلمة، اشهدي و اعلمي و اسمعي، هذا علي بن أبي طالب، أميرالمؤمنين، و سيد المسلمين، و عيبة علمي،[٢] وبابي الذي أُوتى منه، أخي في الدين، و خدني[٣] في الآخرة، و معي في السَّنام الأعلى.[٤]

٤ـو روى الديلمي عن حذيفة بن اليمان، قال: لو علم الناس متى سُمّي عليٌّ أميرالمؤمنين ما أنكروا فضله، سُمّي أميرالمؤمنين و آدم بين الروح و الجسد، قال الله عزّوجل: ﴿و إذ أخذ ربُّك مِن بَني آدم مِن ظُـهورهم ذُرّيَّـتهم و أشهَـدَهُم عـلى أنـفُسِهم ألستُ بربّكم﴾[٥] قالت الملائكة: بلى، قال تبارك وتعالى: أنا ربُّكم، ومحمدٌ نبيُّكم، وعليٌّ أميركم.[٦]

و من كناه أبو تراب

لقد وقعت هذه التكنية لأمير المؤمنين ﷺ مراراً لا مرّة واحدة، كما سيأتي بيانه في بعض الأحاديث، و لا يخفى أنّ أعداءه من بني أُمّية و أتباعهم لا يطلقون عليه غير أبي تراب، و كأنّهم يعيّرونه ﷺ بها مع أنّها كانت موضع فخره و اعتزازه، و دعوا خطباءهم إلى أن يسبّوه بها على المنابر، و جعلوها نقيصةً له، فكأنّما كسوه بها

---

١. المناقب للخوارزمي، ص ٢٣١.

٢. العيبة : وعاء من أدم و نحوه، يكون فيه المتاع، و العيبة من الرجل: موضع سرّه.

٣. الخِدن : الصاحب و الرفيق و الحبيب.

٤. المناقب للخوارزمي، ص ٨٦؛ نحوه في فرائد السمطين، ج ١، ص ١٤٩.

٥. الأعراف، ١٧٢.

٦. الفردوس، ج ٣، ص ٣٥٤، ح ٥٠٦٦.

الحلّي و الحلل، كما أنّهم كانوا لا يطلقون على شيعته و أتباعه إلاّ التّرابي و الترابية حتّى صار لقباً لهم، قال الكميت:

و قالوا ترابيٌّ هواه و دينه بذلك أُدعى بينهم و أُلقب

و قال الحاكم النيشابوري: كان بنو أُميّه تنقص عليّاً عليه السلام بهذا الاسم الّذي سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله، و يلعنوه على المنبر بعد الخطبة مدّة ولايتهم، و كانوا يستهزؤون به، و إنما استهزؤوا بالّذي سمّاه به، و قد قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَبِاللهِ وَ آيَاتِهِ وَ رَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ* لاَ تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بعد إيمانِكم﴾ الآية.[١]

و قال سبط ابن الجوزي: و الّذي ذكره الحاكم صحيح، فإنّهم ما كانوا يتحاشون من ذلك بدليل ما روى مسلم، عن سعد بن أبي وقاص: أنّه دخل على معاوية، فقال: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟ الحديث.[٢]

قال ابن أبي الحديد في شرحه ما ملخصه: هو أبو الحسن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، الغالب عليه من كنيته عليه السلام أبوالحسن، وكان ابنه الحسن يدعوه في حياة رسول الله صلى الله عليه وآله أبا الحسين، و يدعوه الحسين عليه السلام أبا الحسن، و يدعوان رسول الله صلى الله عليه وآله أباهما.

فلمّا توُفّي النبيّ صلى الله عليه وآله دعواه بأبيهما، و كنّاه رسول الله صلى الله عليه وآله أبا تراب، وجده نائماً في تراب، قد سقط عنه رداؤه، و أصاب التراب جسده، فجاء حتّى جلس عند رأسه و أيقظه، و جعل يمسح التّراب عن ظهره، و يقول له: «اجلس، إنّما أنت أبو تراب» فكانت من أحبّ كناه إليه عليه السلام، و كان يفرح اذا دُعي بها، و كان بنو أُميّة يرغّبون خطباءهم أن يسبّوه بها على المنابر، و جعلوها نقيصة له عليه السلام و وصمة[٣] عليه، فكأنّما كسوه بها الحلي و الحلل كما قال الحسن البصري.[٤]

---

١. التوبة، ٦٥ و ٦٦.

٢. تذكرة الخواص، ص ١٦.

٣. الوصمة: العيب و العار.

٤. شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ١١.

قال ابن الجوزي: و أستمر، الحال إلى زمن عمر بن عبد العزيز، فجعل مكان ذلك السّب ﴿إنَّ الله يأمُرُ بِالعَدلِ وَ الإحْسان﴾ فلمّا ولي بعده يزيد بن عبدالملك لم يتعرّض لسبّه، فقيل له في ذلك؟ فقال: ما لنا و لهذا، و استمرّ الحال. و قيل: إنّ الوليد بن يزيد أعاد السبّ. و قيل: إن بعض بني أُميّة كان يقول: اللّهمّ صلّ على معاوية وحده، لقد لقينا من عليّ جهده.[1]

في سبب هذه التكنية

١ـ في صحيح البخاري، بالاسناد عن عبدالعزيز بن أبي حازم، عن أبيه: أنّ رجلاً جاء إلى سهل بن سعد، فقال: هذا فلان، لأمير المدينة، يدعو علياً عند المنبر. قال: فيقول ماذا؟ قال: يقول له أبو تراب. فضحك، قال: و الله ما سمّاه إلاّ النبيّ ﷺ، و ما كان له اسم أحبّ إليه منه، فاستطعمت الحديث سهلاً، و قلت له: كيف؟

قال: دخل عليٌّ على فاطمة، ثم خرج فاضطجع في المسجد، فقال النبي ﷺ: «أين ابن عمك؟» قالت: في المسجد. فخرج إليه فوجد رداءه قد سقط عن ظهره، و خلص التراب إلى ظهره، فجعل يمسح التراب عن ظهره، فيقول: «اجلس يا أبا تراب» مرّتين.[2]

٢ـ و روى ابن المغازلي الشافعي، بسنده عن عمار بن ياسر، قال: كنت أنا و عليّ بن أبي طالب ﷺ رفيقين في غزوة العشيرة، فلمّا نزلها رسول الله ﷺ و أقام بها، إذ هناك ناس من بني مُدلج يعملون في عين لهم في نخيل، فقال عليّ: «يا أبا اليقظان، هل لك في أن نأتي هؤلاء فننظر كيف يعملون؟». قال: قلت: إن شئت.

قال: فجئناهم فنظرنا إلى عملهم ساعة، ثمّ غشينا النوم، فانطلقت أنا و عليّ ﷺ

---

١. تذكرة الخواص، ص ١٧.

٢. صحيح البخاري، ج ٥، ص ٨٨، ح ١٩٩.

حتّى اضطجعنا في صور[1] من النخل و في دقعائها. فوالله ما أهبّنا إلاّ رسول الله ﷺ يحرّكنا برجله، و قد تترّبنا من تلك الدقعاء[2] الّتي نمنا فيها. فيومئذٍ قال رسول الله ﷺ لعليّ ؑ: «مالك، يا أبا تراب؟» لما يرى عليه من التراب، ثمّ قال: «ألا أحدّثكم بأشقى النّاس رجلين؟». قلنا: بلى، يا رسول الله.

قال: «أُحيمر ثمود الّذي عقر الناقة، و الّذي يضربك يا عليّ على هذه» و وضع يده على قرنه «حتّى تبتل منه هذه» و أخذ بلحيته.[3]

٣ـ و روي الطبراني وغيره، عن ابن عبّاس، قال: لمّا آخى النبيّ ﷺ بين أصحابه من المهاجرين و الأنصار، فلم يؤاخِ بين عليّ بن أبي طالب ؑ و بين أحد منهم، خرج عليّ ؑ مغضباً حتّى أتى جدولاً فتوسّد ذراعه، فسفت عليه الرّيح، فطلبه النبيّ ﷺ حتّى وجده، فوكزه برجله، فقال له: «قم، فما صلحت أن تكون إلاّ أبا تراب، أغضبت عليّ حين آخيتُ بين المهاجرين و الأنصار، و لم أُؤاخِ بينك و بين أحد منهم؟! أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه ليس بعدي نبيّ؟! ألا من أحبّك حُفَّ بالأمن و الإيمان، و من أبغضك أماته الله ميتةً جاهليةً، و حوسب بعمله في الإسلام».[4]

٤ـ و روي الجويني و ابن عساكر الشافعي، بإسنادهما عن حفص بن جميع: قال حدّثني سمّاك بن حرب، قال: قلت لجابر: إنّ هؤلاء القوم يَدعونني إلى شتم عليّ!!

قال: و ما عسيت أن تشتمه به؟

قال: أكنيه بأبي تراب.

---

١ صور النخل: صغاره.

٢. الدقعاء: التُّراب.

٣. المناقب لابن المغازلي، ص ٨، ح ٥؛ مسند أحمد، ص ٢٦٣؛ فرائد السمطين، ج ١، ص ٣١٦/٣٨٤.

٤. المعجم الكبير للطبراني، ج ١١، ص ٦٢، ح ١١٠٩٢؛ مناقب الخوارزمي، ص ٧

قال: (فوالله ما كانت لعليّ ﷺ كنية أحبّ إليه من أبي تراب)[١]، إنّ النبيّ آخى بين النّاس و لم يؤاخِ بينه و بين أحد، فخرج مغضباً حتّى أتى كثيباً من رمل، فنام عليه، فأتاه النبيّ ﷺ فقال: «قم يا أبا تراب» و جعل ينفض التراب عن ظهره و بردته، و يقول: «قم يا أبا تراب، أغضبت أن آخيتُ بين النّاس و لم أُؤاخ بينك و بين أحد؟». قال: «نعم». قال: «أنت أخي، و أنا أخوك».[٢]

١. ما بين القوسين قد سقط من فرائد السمطين و موجود في تاريخ دمشق.

٢. فرائد السمطين، ج ١، ص ١١٧؛ ترجمة الإمام عليّ من تاريخ دمشق، ج ١، ص ٢٣، ح ٣٣.

أبوه أبوطالب

قال ابن الصباغ المالكي: و اسم أبي طالب عبد مناف، و كنيته أبوطالب، و يلقب شيخ البطحاء، و كان ولد أبوطالب طالباً و لا عقب له، و عقيلاً و جعفراً، و علياً عليه السلام، و كل واحد أسنّ من الآخر بعشر سنين. و أمّ هاني، و اسمها فاختة، و أُمّهم جميعاً فاطمه بنت أسد.[1]

و تُوفّي أبوطالب قبل الهجرة بثلاث سنين، و بعد خروجهم من الشعب، و عمره بضع و ثمانون سنة، فعظمت المصيبة على رسول الله ﷺ بوفاته و وفاة خديجة. فقال رسول الله ﷺ: «ما نالت قريش منّي شيئاً أكرهه حتى مات أبوطالب» و ذلك أن قريشاً وصلوا من أذاه بعد موت أبي طالب إلى ما لم يكونوا يصلون إليه في حياته حتى إن بعضهم نثر التراب على رأسه، و بعضهم طرح عليه رحم الشاة و هو يصلي، و كان رسول الله ﷺ يخرج ذلك على العود و يقول: أيّ جوار هذا يا بني عبد مناف! ثمّ يلقيه بالطريق.[2]

و كان للنبيّ ﷺ تعلّق شديد بأبي طالب، فقد عاش في كنفه(٤٣) عاماً منذ الثامنة من عمره حينما توفي عبدالمطلّب، و قد نشأ في حجر أبي طالب و كبر في بيته.

و كان أبوطالب موحّداً مؤمناً بالله و معتقداً بالإسلام أرسخ الاعتقاد، و يدلّ على إيمانه أشعاره التي قالها في مدح الرسول ﷺ و إثبات عقيدة التوحيد و الدفاع عن مبادىء الإسلام، فضلاً عن ذبّه و كفاحه من أجل إعلاء كلمة الاسلام و حماية

---

١. الفصول المهمة، ص ٣٠.

٢. الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٠٧؛ تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٨٠؛ السيرة النبويّة لابن هشام، ج ٢، ص ٥٧؛ البداية و النهاية، ج ٣، ص ١٢٠؛ السيرة الحلبية، ج ١، ص ١٨٤.

رسوله ﷺ و قد بقي على حاله هذه حتّى وافاه الأجل، و إنّما أخفى إيمانه ليتمكّن أن يكون له شأن و اتصال مع كفّار مكّه، و ليطلع على مكائدهم و مؤامراتهم، فكان يعيش حالة التقيّة، و كان مثله كأصحاب الكهف في قومهم و كمؤمن آل فرعون، و هو ممّن آتاهم الله أجرهم مرّتين: لايمانه و تقيّته.

و ممّا يدل على إسلامه و إيمانه جملة أُمور نذكر بعضاً منها:

١ـ منها أشعاره

و من تلك الأشعار على نحو الاختصار قوله:

نصرت الرسول رسول المليك ... ببيضٍ تلألأ كلمع البروق

أذبُّ و أحمي رسولَ الإله ... حماية حامٍ عليه شفيق[1]

ما الفرق بين الكلام المنثور و المنظوم إذا تضمّنا الاقرار بالاسلام؟ و شعره هذا يتضمّن الإقرار بنبوة محمد ﷺ.

و من أشعاره في نصرة رسول الله ﷺ لمّا أخافته قريش:

و الله لن يصلوا إليك بجمعهم ... حتى أُوسَّدَ في التراب دفينا

و عرضت ديناً قد علمت بأنّه ... من خير أديان البرية دينا[2]

و ممّا أنشده أبوطالب، و كان كثيراً ما يخاف على رسول الله ﷺ البيات إذا عُرِف مضجعه، فكان يُقيمه ليلاً من منامه، و يُضجع ابنه علياً مكانه. فقال له عليّ ليلةً: إنّي مقتول، فقال أبوطالب:

اصبرن يابُنيّ فالصبر أحجى ... كلّ حيٍّ مصيره لشعوب[3]

قدّر الله و البلاء شديد ... لفداءِ الحبيب و ابن الحبيبِ

---

١. ديوان أبي طالب، ص ٥١؛ شرح ابن أبي الحديد، ج ١٤، ص ٧٤.

٢. ديوان أبي طالب، ص ٣٥؛ شرح ابن أبي الحديد، ج ١٤، ص ٥٥.

٣. الشّعوب: المنيّة.

فأجاب علي عليه السلام قائلاً له:

أتــامرني بـــالصبر في نــصر أحــمد / و و الله ما قــلت الذي قــلت جــازعا

سأســعى لوجــه الله في نــصر أحــمد / نبيّ الهدى المحــمود طــفلاً و يــافعا(١)

و من شعره المشهور:

أنت النـــــبيّ محــــمدُ / قــــرمٌ أعـــــزّ مســــوّدُ

لمســـــــوّدين أكـــــارم / طــابوا و طــاب المــولدُ(٢)

٢ـ و منها إقراره بالشهادتين عند الموت

قال ابن أبي الحديد: و الخبر مشهور أن أباطالب عند الموت قال كلاماً خفياً، فأصغى إليه أخوه العباس، ثمّ رفع رأسه إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يابن أخي، و الله لقد قالها عمّك، و لكنه ضعف عن أن يبلغك صوته.(٣)

و روى ابن هشام و الحلبي: أنّه لمّـا تقارب من أبي طالب الموت، نظر العباس إليه يحرّك شفتيه، قال فأصغى إليه بأذنه قال: فقال: يابن أخي، و الله لقد قــال أخــي الكلمة التي أمرته أن يقولها، قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لم أسمع».(٤)

فعدم سماعه صلى الله عليه وآله كان لضعف صوته عن أن يبلغ النبي صلى الله عليه وآله كما في الخبر المتقدّم عن ابن أبي الحديد.

و روي عن علي عليه السلام أنّه قال: «ما مات أبوطالب حتى أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله من نفسه الرضا».(٥)

---

١. مستدرك ديوان أبي طالب، ص ٧٤؛ شرح ابن أبي الحديد، ج ١٤، ص ٦٤.

٢. مستدرك ديوان أبي طالب، ٧٥؛ شرح ابن أبي الحديد، ج ١٤، ص ٧٧.

٣. شرح ابن أبي الحديد، ج ١٤، ص ٧١.

٤. السيرة النبوية لابن هشام، ج ٢، ص ٥٩؛ السيرة الحلبيّة، ج ٢، ص ٤٦.

٥. شرح ابن أبي الحديد، ج ١٤، ص ٧١.

و من أشعاره الدالة على إقراره بالشهادتين قوله:

يـا شـاهد الله عـليَّ فـاشهد أني عـلى ديـن النـبي أحـمد

من ضلّ في الدين فاني مهتد[١]

٣ـ و منها أنّه غسّله اميرالمؤمنين ﷺ بأمر النبي ﷺ

روى الحلبي عن البيهقي: أنّ علياً ﷺ غسّل أبا طالب بأمر النبي ﷺ له بذلك.[٢]

و عنه أيضاً: عن عليّ ﷺ: لمّا أخبرتُ النبي ﷺ بموت أبي طالب بكى و قال: اذهب فغسّله و كفّنه و واره، غفر الله له و رحمه.[٣]

و لا ريب أنّه لا يجوز للمسلم أن يتولّى غسل الكافر، و لا يجوز للنبي ﷺ أن يأمر بغسل كافر، و لا أن يرقّ لكافر، و إنما كان ذلك دليلاً على أن أباطالب مات مسلماً رحمه الله و أسكنه فسيح جنانه.

و خلاصة القول في عدم إظهار أبي طالب لايمانه و المجاهرة به، أنّه لو أظهر أيمانه لم يتهيّأ له من نُصرة النبي ﷺ ماتهيّأ له، و كان كواحدٍ من المسلمين الّذين اتّبعوه، و لم يتمكّن من نصرته و القيام دونه حينئذٍ، و إنّما تمكّن أبو طالب من المحاماة عنه بالثبات في الظاهر على دين قريش و إن أبطن الإسلام، فكان مثله كمثل مؤمن آل فرعون يكتم إيمانه، رضي الله عنه و أرضاه.

١. مستدرك ديوان أبي طالب، ص ٨٩؛ شرح ابن أبي الحديد، ج ١٤، ص ٧٨.

٢. السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٤٧.

٣. نفس المصدر.

أمّه فاطمة بنت أسد

قال ابن عبدالبر المالكي: و أم علي بن أبي طالب، فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، و هي أول هاشمية ولدت لهاشمي. توفّيت مسلمة قبل الهجرة، و قيل: إنها هاجرت.[1]

قال ابن الجوزي الحنفي: أنّ فاطمة أسلمت و هاجرت إلى المدينة، و توفّيت بها سنة أربع من الهجرة، و شهد رسول الله ﷺ جنازتها، و صلّى عليها و دعا لها، و دفع لها قميصه فألبسها إيّاه عند تكفينها.[2]

و عنه أيضاً عن ابن عبّاس قال: و فيها نزلت ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ﴾[3] الآية، قال: و هي أوّل امرأة هاجرت من مكّة إلى المدينة ماشيةً حافيةً، و هي أوّل امرأة بايعت محمّداً رسول الله ﷺ بمكّة بعد خديجة.[4]

قال ابن الصبّاغ المالكي: أمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، تجتمع هي و أبوطالب في هاشم، أسلمت و هاجرت مع النبيّ ﷺ، و كانت من السابقات إلى الإيمان بمنزلة الأمّ من النبيّ، فلمّا ماتت كفّنها النبيّ ﷺ بقميصه، و أمر أسامة بن زيد و أبا أيّوب الأنصاري و عمر بن الخطّاب و غلاماً أسود فحفروا قبرها، فلمّا

---

١. الاستيعاب بهامش الاصابة لابن حجر، ج ٣، ص ٢٦.

٢. تذكرة الخواص لابن الجوزي، ص ٢٠.

٣. الممتحنة: ١٢.

٤. تذكرة الخواص، ص ٢٠.

بلغوا لحدها حفره رسول الله ﷺ بيديه و أخرج ترابه، فلمّا اضطجع فيه، قال:

«الله الّذي يحيي و يميت و هو حيٌّ لا يموت، اللّهمّ اغفر لأُمّي فاطمة بنت أسد و لقّنها حجّتها، و وسّع عليها مدخلها بحقّ نبيّك محمّد و الأنبياء الّذين من قبلي، فإنّك أرحم الراحمين».

فقيل: يا رسول الله، رأيناك وضعت شيئاً لم تكن وضعته بأحد قبلها؟

فقال: «ألبستها قميصي لتلبس من ثياب الجنّة، و اضطجعت في قبرها ليخفّف عنها من ضغطة القبر، إنّها كانت من أحسن خلق الله صنعاً إليّ بعد أبي طالب».[1]

---

١. الفصول المهمة، ص ٣١.

زواجه من فاطمة عليها السلام

يدور بحثنا هنا حول زواج فاطمة عليها السلام من علي بن أبي طالب عليه السلام و بعض فضائل فاطمة عليها السلام اختصاراً:

عمرها الشريف

اختلفت العامّة و الخاصّة في تاريخ ولادتها و وفاتها، و في عمرها الشريف.

و المشهور بين علماء الخاصّة أنّ ولادتها كانت في جمادى الآخرة يوم العشرين منه، سنة خمس و أربعين من مولد النبيّ صلى الله عليه وآله ـ يعني سنة خمس من المبعث ـ فأقامت فاطمة مع أبيها بمكّة ثمانية سنين، و هاجرت إلى المدينة مع رسول الله صلى الله عليه وآله، و عاشت في المدينة عشر سنين، و بعد أبيها أربعين أو خمسة و سبعين أو تسعين يوماً، و كان عمرها الشريف ثمان عشرة سنة و أياماً.

قال ابن الصبّاغ المالكي، عن الشيخ كمال الدين بن طلحة: ولدت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله قبل النبوّة و البعث بخمس سنين، و قريش تبني البيت، و تزوجّها عليّ بن أبي طالب عليه السلام في شهر رمضان من السنة الثانية من الهجرة، و دخل بها في ذي الحجّة من السنة المذكورة.[1]

فضائلها

١ ـ روى البخاري في باب مناقب فاطمة عليها السلام عن النبي صلى الله عليه وآله أنّه قال: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة».[2]

---

١. الفصول المهمة، ص ١٤٤.

٢. صحيح البخاري، ج ٥، ص ٩٦.

٢ـو فيه أيضاً عن المسور بن مخرمة أنه قال: أن رسول الله ﷺ قال: «فاطمة بضعة منّي، فمن أغضبها أغضبني».[١]

٣ـو في صحيح مسلم و حلية الأولياء، بسندهما عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إنّما فاطمة ابنتي، بضعة منّي، يُريبني ما أرابها، و يؤذيني ما آذاها».[٢]

٤ـو روى ابن المغازلي الشافعي، باسناده عن عليّ ﷺ أنه قال: «أنّ فاطمة بنت رسول الله ﷺ استأذن عليها أعمى فحجبته، فقال لها النبيّ ﷺ لم حجبتيه، و هو لا يراك؟ فقالت: يا رسول الله، إن لم يكن يراني فأنا أراه، و هو يشمّ الريح. فقال النبيّ ﷺ: أشهد أنّك بضعة منّي».[٣]

٥ـو روى ابن الصباغ المالكي عن مجاهد، قال: خرج النبيّ ﷺ و هو آخذ بيد فاطمة ﷺ فقال: «من عرف هذه فقد عرفها، و من لم يعرفها فهي فاطمة بنت محمّد، و هي بضعة منّي، و هي قلبي و روحي الّتي بين جنبي، فمن آذاها فقد آذاني، و من آذاني فقد آذى الله».[٤]

٦ـو رواه أيضاً، عن أبي أيّوب، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة جمع الله الأوّلين والآخرين في صعيدٍ واحدٍ، ثمّ ينادي منادٍ من بطنان العرش: إنّ الجليل جلّ جلاله، يقول: نكّسوا و غضّوا أبصاركم، فإنّ هذه فاطمة بنت رسول الله تريد أن تمرّ على الصراط».[٥]

كلمة في زواجها ﷺ

١ـقال ابن عبدالبرّ المالكي: و زوّجه رسول الله ﷺ في سنة ثنتين من الهجرة

---

١. نفس المصدر، ج ٥، ص ٩٦.

٢. صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٩٠٣، ح ٩٤؛ حلية الأولياء، ج ٢، ص ٤٠.

٣. المناقب، ص ٣٨١، ح ٤٢٨.

٤. الفصول المهمة، ص ١٤٦.

٥. نفس المصدر، ص ١٤٧.

ابنته فاطمة سيّدة نساء أهل الجنّة ما خلا مريم، و قال لها: «زوّجتك سيّداً في الدنيا و الآخرة، و إنّه لأوّل أصحابي إسلاماً، و أكثرهم علماً، و أعظمهم حلماً».

قالت أسماء بنت عميس: فرمقت رسول الله ﷺ حين اجتمعا، جعل يدعو لهما، و لا يشرك في دعائهما أحداً غيرهما، و جعل يدعو له كما دعا لها.[١]

٢ــو روى الحافظ أبونعيم الاصفهاني و الخطيب البغدادي، بسندهما عن عبد الله بن مسعود، قال: أصابت فاطمة صبيحة يوم العرس رعدةٌ، فقال لها النبيّ ﷺ: «يا فاطمة، زوّجتكِ سيداً في الدنيا، و إنّه في الآخرة لمن الصالحين.

يا فاطمة، لما أراد الله تعالى أن أملككِ بعليّ أمر الله جبريل فقام في السماء الرابعة فصفّ الملائكة صفوفاً ثمّ خطب عليهم، فزوّجتك من علي، ثمّ أمر الله شجر الجنان فحملت الحلي والحلل، ثمّ أمرها فنشرته على الملائكة، فمن أخذ منهم شيئاً يومئذٍ أكثر مما أخذ غيره، افتخر به إلى يوم القيامة».

قالت أمّ سلمة: لقد كانت تفتخر على النساء، لأنّ أول من خطب عليها جبريل عليه السلام.[٢]

١. الاستيعاب بهامش الاصابة، ج ٣، ص ٣٦.

٢. حلية الأولياء، ج ٥، ص ٥٩؛ تاريخ بغداد، ج ٤، ص ١٢٩.

إخوانه وأخواته عليه السلام

جملة إخوته ثلاثة، و هم طالب و هو أكبر ولد أبي طالب و به كان يكنى، و عقيل، و جعفر الطيار.

وكان علي عليه السلام أصغرهم سنّاً، وكان جعفر أسنّ منه بعشر سنين، و عقيل أسنّ من جعفر بعشر سنين، وطالب أسنّ من عقيل بعشر سنين. ذكر ذلك ابن قتيبة وغيره.[1]

قال ابن الجوزي: و كنية طالب أبو يزيد، و كان عالماً بأنساب قريش، أخرجه المشركون يوم بدر لقتال رسول الله صلى الله عليه وآله كُرهاً. فلمّا انهزم المشركون يوم بدر، لم يوجد لا في القتلى و لا في الأسرى و لا رجع إلى مكة، و لا يُدرى ما حاله و ليس له عقب.

و عقيل أخرج في بدر مكرهاً و أسر يومئذ و لم يكن له مال، ففداه عمه العباس... ثم رجع الى مكة فأقام بها الى سنة ثمان من الهجرة. ثم خرج مهاجراً الى المدينة فشهد غزاة مؤته، و قال الواقدي: و عاش الى سنة خمسين من الهجرة و توفّي فيها بعد ماذهب بصره.

و اما جعفر، فانّه كان اكبر من علي عليه السلام بعشر سنين و أنّه أسلم قديماً و أقام بالحبشة مهاجراً حتى فتحت خيبر سنة سبع وقدم على رسول الله صلى الله عليه وآله فيها فقام اليه واعتنقه وقبّله بين عينيه وقال: «ماأدري بأيّهما أفرح بقدوم جعفر أم بفتح خيبر.»[2]

أما أخواته فاثنتان، و هما أمّ هاني و اسمها فاخته و قيل هند، أسلمت يوم الفتح، و هي التي صلى النبي صلى الله عليه وآله في بيتها عام الفتح. و الأُخرى جمانة. و تزوجها ابن عمها أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب و ولدت له.[3]

---

۱. ذخائر العقبى، ص ۲۰۷؛ المعارف، ص ۲۳۰.

۲. تذكرة الخواص، ص ۲۱ و ۱۶۹.

۳. ذخائر العقبى، ص ۲۰۷؛ المعارف، ص ۲۳۱.

أولاده عليه السلام

عدد أولاده ثمانية و عشرون.[1]

أسماؤهم: الحسن و الحسين و زينب الكبرى، و زينب الصغرى المكنّاة أمّ كلثوم عليهم السلام و السقط الذي سمّاه النبي صلى الله عليه وآله في حياته و هو حمل محسناً. هؤلاء جميعاً من فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

و محمد المكنّى أباالقاسم من خولة الحنفية، و عمر و رقية من أمّ حبيب، و العباس و جعفر و عثمان و عبدالله الشهداء في كربلاء مع الامام الحسين عليه السلام من أُمّ البنين. و محمد الأصغر المكنّى أبابكر. الشهيد مع أخيه الامام الحسين عليه السلام في كربلاء، و عبيد الله الذي قُتل يوم المَذار[2] و كان مع مصعب بن الزبير. أمّهما ليلى بنت مسعود. و يحيى و عون من أسماء بنت عميس. و أمّ الحسن و رملة من أمّ مسعود. و نفيسة و زينب الصغرى و أمّ هانيء و أُمّ الكرام و جُمانة المكنّاة بأُمّ جعفر و أُمامة و أُمّ سلمة و ميمونة و خديجة و فاطمه من أُمهات شتّى.[3]

---

١. و قيل غير ذلك. راجع صفة الصفوة. ج ١. ص ٣٠٩؛ الكامل في التاريخ. ج ٣. ص ٣٩٧.

٢. المذار. موضع قريب من ميسان. فيه مشهد عبيد الله بن علي عليه السلام

٣. التتمة في تواريخ الائمة. ص ٥٧؛ المعارف. ص ٢١٠

صفته ﷺ

كان ﷺ ربعة[1] من الرجال أدعج[2] العينين عظيمهما، حسن الوجه، كأنّه قمر ليلة البدر، عظيم البطن إلى السمن، عريض ما بين المنكبين، لمنكبه مشاش[3] كمشاش السبع الضاري[4]، لا يبين عضده، كأنّ عنقه إبريق فضّة، أصلع لمس في رأسه شعر إلاّ من خلفه، كثير شعر اللحية، و كان لا يخضب، و قد جاء عنه الخضاب، و المشهور أنّه كان أبيض اللحية.

و كان إذا مشى تكفّأ[5]، شديد الساعد و اليد، و إذا مشى إلى الحروب هرولَ، ثبت الجنان، قويّ، ما صارع أحداً إلاّ صرعه، شجاع، منصور عند من لاقاه.[6]

---

١. الربعة: لا طويل و لا قصير.

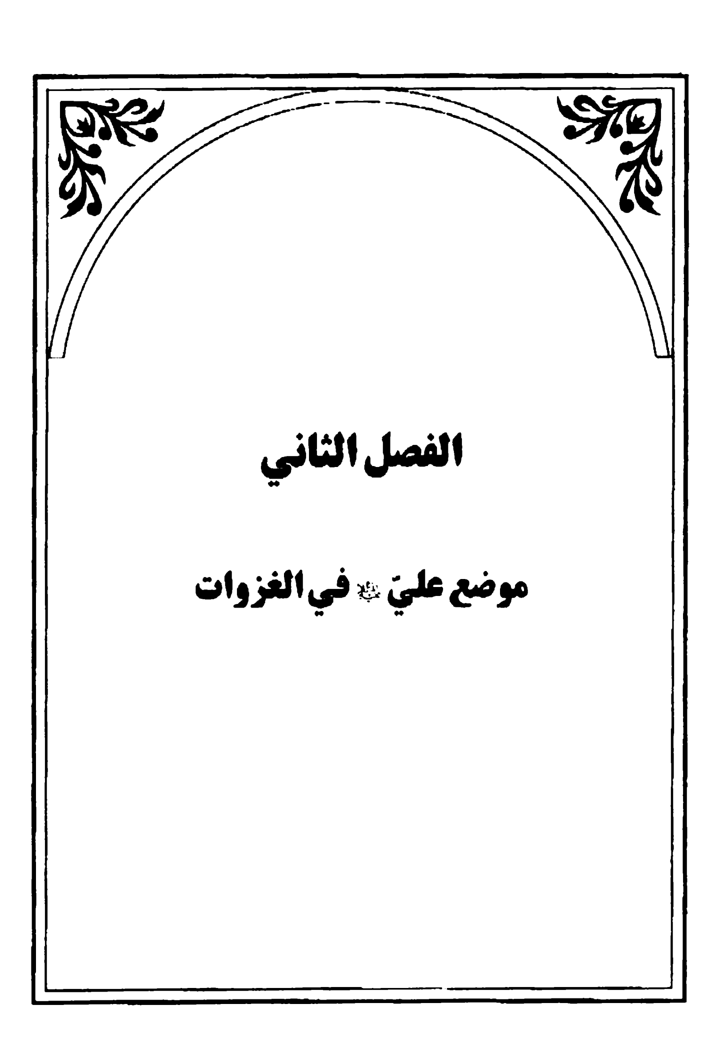
٢. الدعج: شدة سواد العين مع سعتها.

٣. المشاش: رؤوس العظام اللينة.

٤. الضاري: المعوّد للصيد.

٥. تكفّأ: تمايل في مشيته.

٦. ذخائر العقبى، ص ٥٧.



الفصل الثاني

موضع عليّ عليه السلام في الغزوات

عناوين الفصل

دور علي عليه السلام في قتال المشركين

قاتل أميرالمؤمنين علي عليه السلام المشركين مع رسول الله صلى الله عليه وآله على كلمة التوحيد، و تنزيل الكتاب الكريم، و تثبيت دعائم النبوة و مبادىء الاسلام العزيز. فكان لسيفه دور متميز، و لجهاده أثر واضح في أن تعمّ كلمة لا إله إلاّ الله محمد رسول الله الجزيرة العربيّة و ما والاها. و كان لثباته مع الرسول صلى الله عليه وآله في كثير من المعارك التي عزّ فيها الناصر و قلّ فيها الصديق و كثر فيها العدو، أثرٌ كبيرٌ في الانتصارات الكبرى التي عزّزت موقع الاسلام، و ثبّتت أركانه. و فيما يلي نورد دوره عليه السلام في الغزوات و المعارك على الاختصار:

بدر الكبرى

غزوة بدر الكبرى و يقال لها: بدر العظمى، وقعت في السنة الثانية من الهجرة في شهر رمضان، في السابع عشر، و قيل: في التاسع عشر. و كان يوم الجمعة.

و هذه الغزوة هي أوّل غزوات الرسول صلى الله عليه وآله المهمّة، و بها تمهّدت قواعد الدين، و أعزّ الله الإسلام، و أذلّ جبابرة قريش، و قتل فيها رؤساؤهم، و وقعت الهيبة للمسلمين في قلوب العرب و اليهود. و كما قال الله تعالى: ﴿و كفى الله المؤمنين القتال﴾[1] بالنبيّ صلى الله عليه وآله و أميرالمؤمنين عليه السلام و شركائه في نصرة الدين من خاصة آل الرسول و من أيّدهم به من الملائكة الكرام.

---

١ الأحزاب، ٢٥.

و قد أثبت أهل السير و التاريخ أنّ النبيّ ﷺ أعطى علياً رايته يوم بدر.

١ـروى الطبري بسنده عن ابن عباس، أنه قال: كان المهاجرون يوم بدر سبعة و سبعين رجلاً، و كان الأنصار مائتين و ستّة و ثلاثين رجلاً، و كان صاحب راية رسول الله عليّ بن أبي طالب، و صاحب راية الأنصار سعد بن عبادة.[١]

٢ـو قال ابن عبدالبر المالكي: و أجمعوا على أنّ عليّاً ﷺ صلّى القبلتين، و هاجر و شهد بدراً و الحديبية و سائر المشاهد، و أنّه أبلى ببدر و بأحد و بالخندق و بخيبر بلاءً عظيماً، و أنّه أغنى في تلك المشاهد، و قام فيها المقام الكريم، و كان لواء رسول‌الله ﷺ بيده في مواطن كثيرة، و كان يوم بدر بيده.[٢]

٣ـو عنه أيضاً، عن ابن عباس، قال: دفع رسول الله ﷺ الراية يوم بدر إلى عليّ و هو ابن عشرين سنة.[٣]

٤ـو روى ابن عساكر الشافعي، عن ابن عبّاس، قال: إنّ راية المهاجرين كانت مع عليّ ﷺ في المواقف كلّها يوم بدر و يوم أحد و يوم خيبر و يوم الأحزاب و يوم فتح مكّة، و لم تزل معه في المواقف كلّها.[٤]

وصف المعركة

روى أصحاب التواريخ عن أبي رافع مولى رسول الله و غيره، قالوا: لمّا أصبح النّاس يوم بدر اصطفّت قريش، أمامها عتبة بن ربيعة، و أخوه شيبة، و ابنه الوليد، فنادى عتبة رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد، أخرج إلينا أكفاءنا من قريش، فبدر إليهم ثلاثة من شبّان الأنصار، فقال لهم عتبة: من أنتم؟ فانتسبوا له، فقال لهم: لا

---

١. تاريخ الطبري، ج ٢، ص ١٣٨.

٢. الاستيعاب بهامش الاصابة، ج ٣، ص ٣٣.

٣. المصدر السابق

٤. ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ١، ص ١٤٢

حاجة بنا إلى مبارزتكم، إنّما طلبنا بني عمّنا. فقال رسول الله ﷺ للأنصار: «ارجعوا إلى مواقفكم» ثمّ قال: «قم يا عليّ، قم يا حمزة، قم يا عبيدة، قاتلوا على حقّكم الّذي بعث الله به نبيّكم. إذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله». فقاموا فصفّوا للقوم، و كان عليهم البيض، فلم يعرفوا.

فقال لهم عتبة: تكلّموا، فإن كنتم أكفاءنا قاتلناكم.

فقال حمزة: أنا حمزة بن عبد المطلّب أسد الله و أسد رسوله. فقال عتبة: كفوٌ كريم. و قال أميرالمؤمنين عليه السلام: أنا عليّ بن أبي طالب بن عبدالمطلب. و قال عبيدة: أنا عبيدة بن الحارث بن عبد المطلّب.

فقال عتبة لابنه الوليد: قم يا وليد، فبرز إليه أميرالمؤمنين و كانا إذ ذاك أصغر الجماعة سنّاً، فاختلفا ضربتين، أخطأت ضربة الوليد أميرالمؤمنين عليه السلام، و اتّقى بيده اليسرى ضربة أميرالمؤمنين فأبانتها، و قتل أميرالمؤمنين الوليد. ثمّ بارز عتبة حمزة عليه السلام فقتله حمزة، و مشى عبيدة ـ وكان أسنّ القوم ـ إلى شيبة، فاختلفا ضربتين، فأصاب ذباب سيف شيبة عضلة ساق عبيده فقطعها، و استنقذه أميرالمؤمنين و حمزة منه و قتلا شيبة، و حمل عبيدة من مكانه فمات بالصفراء.

و بالجملة، قد عدّ المؤرخون أسماء(٣٥) رجلاً من المشركين، كلهم قتلهم أمير المؤمنين عليه السلام في هذه المعركة.[١]

---

١. انظر السيرة النبوية، ج ٢، ص ٣٧١؛ المغازي للواقدي، ج ١، ص ١٥٢؛ الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٧٤.

أُحد

كانت وقعة أحد في شوال بعد بدر بسنة، و أعطى النبي ﷺ الراية ـ و هي العلم الأكبر ـ علي بن أبي طالب، و قُتل فيها حمزة سيد الشهداء أسد الله و أسد رسوله.

و قد ذكر المورخون: أنَّ قتلى أحد من المشركين جمهورهم قتلى علي بن أبي طالب عليه السلام، و كان الفتح له بمقامه يذبّ عن رسول الله ﷺ دون غيره، و توجّه العتاب من الله إلى كافتهم لهزيمتهم يومئذٍ سواه و من ثبت معه من رجال الأنصار، و فيما يلي بعض أقوال المورخين في وصف المعركة و دور أمير المؤمنين عليه السلام فيها:

١ ـ جاء في رواية الطبري: و قاتل مصعب بن عمير دون رسول الله ﷺ و معه لواؤه حتى قتل، و كان الذي أصابه ابن قمينة الليثي و هو يظنّ أنّه رسول الله، فرجع إلى قريش، فقال: قتلت محمّداً. فلمّا قتل مصعب بن عمير، أعطى رسول الله ﷺ اللواء عليّ بن أبي طالب، الحديث.[1]

٢ ـ و قال ابن الأثير: فلما فارق بعض الرماة مكانهم، رأى خالد بن الوليد قلّة من بقي من الرماة، فحمل عليهم فقتلهم، و حمل على أصحاب النبي ﷺ من خلفهم، فلما رأى المشركون خيلهم تقاتل، تبادروا فشدّوا على المسلمين، فهزموهم و قتلوهم، و قد كان المسلمون قتلوا أصحاب اللواء، فبقي مطروحاً لايدنو منه أحد، فأخذته عمرة بنت علقمه الحارثية فرفعته، فاجتمعت قريش حوله، و أخذه صوأب فقتل عليه، و كان الذي قتل أصحاب اللواء علي عليه السلام، قاله أبورافع.

قال: فلمّا قتلهم أبصر النبي ﷺ جماعة من المشركين فقال لعلي عليه السلام: احمل

---

١. تاريخ الطبري، ج ٢، ص ١٩٩.

عليهم، ففرّقهم و قتل فيهم، ثمّ أبصر جماعة أُخرى فقال له: احمل عليهم، فحمل عليهم و فرّقهم و قتل فيهم، فقال جبرائيل: يا رسول الله، هذه المؤاساة! فقال رسول الله: إنّه منّي و أنا منه، فقال جبرائيل: و أنا منكما، قال: فسمعوا صوتا:

لا سيف إلاّ ذوالفقار و لا فتى إلاّ علي

و كُسرت رباعية رسول الله السفلى، و شُقّت شفته، و كُلِم في وجنته و جبهته في أُصول شعره، و علاه ابن قميئة بالسيف، و كان هو الذي أصابه. إلى أن قال: و قاتل مصعب بن عمير و معه لواء المسلمين فقُتِل، قتله ابن قمئة الليثي، و هو يظن أنّه النبيّ ﷺ، فرجع إلى قريش و قال: قتلتُ محمداً، فجعل الناس يقولون: قُتِل محمد، قُتِل محمد، و لمّا قُتِل مصعب أعطى رسول الله ﷺ اللواء علي بن أبي طالب عليه السلام.[1]

لمّا انتشر قتل محمد ﷺ فرّ معظم الأصحاب حتى عمر بن خطاب و عثمان بن عفان من معركة القتال و بقى علي عليه السلام و ثلّة من أصحاب رسول الله ﷺ.

٣ـ و روى أكثر المورخين فيهم: ابن هشام و الطبري و ابن الأثير بأسانيدهم، عن أنس بن النضر ـ عم أنس بن مالك ـ أنه انتهى إلى عمر بن الخطاب و طلحة بن عبيدالله في رجال من المهاجرين و الأنصار، و قد أُلقوا ما بأيديهم، فقال: ما يجلسكم؟ قالوا: قُتل محمد رسول الله! قال: فما تصنعون بالحياة بعده، قوموا فموتوا على مامات عليه رسول الله، ثمّ استقبل القوم فقاتل حتى قُتِل، و به سمّى أنس بن مالك.[2]

٤ـ و عن ابن الأثير: قيل: إنّ أنس بن النضر سمع نفراً من المسلمين يقولون، لما سمعوا أنّ النبي ﷺ قتل: ليت لنا مَن يأتي عبدالله بن أُبيّ بن سلول ليأخذ لنا أماناً من أبي سفيان قبل أن يقتلونا، فقال لهم أنس: يا قوم، إن كان محمد قد قتل فانّ ربَّ

١. الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٥١

٢. السيرة النبوية لابن هشام، ج ٣، ص ٨٨؛ تاريخ الطبري، ج ٢، ص ١٩٩؛ الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٥٣.

محمد لم يُقتل، فقاتلوا على ما قاتل عليه محمدُ. اللهم إني أعتذر أليك مما يقول هؤلاء، و أبرأ إليك مما جاء به هؤلاء! ثمّ قاتل حتى قتل.[١]

٥ـ و عنه أيضاً قال: و انتهت الهزيمة بجماعة المسلمين، فيهم عثمان بن عفان و غيره إلى الأعوص، فأقاموا به ثلاثاً، ثمّ أتوا النبي ﷺ فقال لهم حين رآهم: لقد ذهبتم فيها عريضة.[٢]

٦ـ و قال الرازي في تفسيره: و من المنهزمين عمر، ... و منهم أيضاً عثمان، انهزم مع رجلين من الأنصار يقال لهما سعد و عقبة، انهزموا حتى بلغوا موضعاً بعيداً، ثمّ رجعوا بعد ثلاثة أيام، فقال لهم النبي ﷺ: لقد ذهبتم فيها عريضة.[٣]

٧ـ و قال ابن أبي الحديد المعتزلي في قتال علي ؏ بين يدي رسول الله ﷺ وحده: لمّا فرّ معظم أصحابه عنه يوم أُحد، كثرت عليه كتائب المشركين، و قصدته كتيبة من بني كنانة، فيها بنو سفيان بن عويف و هم خالد و أبو الشعثاء و أبو الحمراء و غراب، فقال: «يا عليّ أكفني هذه الكتيبة» فحمل عليها و إنّها لتقارب خمسين فارساً و هو ؏ راجل، فما زال يضرب فيها بالسيف حتّى تتفرّق عنه، ثمّ يجتمع عليه هكذا مراراً حتّى قتل بني سفيان بن عويف الأربعة و تمام العشرة منها ممّن لا يعرفون بأسمائهم.

ثمّ قال أيضاً: و لمّا انهزم النّاس عن النبيّ ﷺ في يوم أُحد و ثبت أمير المؤمنين ؏، قال له النّبي: «ما لك لا تذهب مع القوم؟»، قال أمير المؤمنين: «أذهب و أدعُكَ، يا رسول الله؟!!، و الله لا برحت حتّى أُقتل أو ينجز الله لك ما وعدك من النصرة» فقال له النبيّ ﷺ: «أبشر يا عليّ، فإنّ الله منجز وعده، و لن ينالوا منّا مثلها أبداً».

---

١. الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٥٣.

٢. نفس المصدر، ص ٥٥٤.

٣. تفسير الرازي، ج ٩، ص ٥٠.

ثمّ نظر إلى كتيبة قد أقبلت إليه فقال: «لو حملتَ على هذه يا علي» فحمل أميرالمؤمنين عليها، فقتل منها هشام بن أُمية المخزومي و انهزم القوم، ثم أقبلت كتيبة أُخرى، فقال له النبيّ ﷺ: «احمل على هذه» فحمل عليهم، فقتل منها عمرو بن عبد الله الجمحي، و انهزمت أيضاً.

ثمّ أقبلت كتيبة أُخرى، فقال له النبيّ ﷺ: «احمل على هذه» فحمل عليها، فقتل بشر بن مالك العامري، و انهزمت الكتيبة، و لم يعد بعدها منهم، و تراجع المنهزمون من المسلمين إلى النبيّ ﷺ.[١]

و بقى علي معه ﷺ في كلّ همومه و في كلّ مواقف الشدّة و العسرة.

٨ـ و قال ابن هشام: فلمّا انتهى رسول الله ﷺ إلى فم الشعب خرج علي بن أبي طالب ا حتى ملأ دَرَقته ماءً من المهراس، فجاء به إلى رسول الله ﷺ ليشرب منه، فوجد له ريحاً، فعافه، فلم يشرب منه، و غسل عن وجهه الدم، و صبّ على رأسه، و هو يقول: اشتدّ غضب الله على من دمّى وجه نبيّه.[٢]

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ١٤، ص ٢٥٠.

٢. سيرة ابن هشام، ج ٣، ص ٩٠.

الخندق (الأحزاب)

وقعت غزوة الخندق ـ و يقال لها غزوة الأحزاب ـ في شوال سنة خمس من الهجرة، و كانت قريش تبعث إلى اليهود و سائر القبائل من كنانة و تهامة و غيرهم، فتحرّضهم على قتال رسول الله ﷺ.

فلمّا سمع بهم رسول الله ﷺ و ما أجمعوا له من الأمر، ضرب الخندق على المدينة باشارة سلمان الفارسي قبل قدومهم بثلاثة أيام، و أقبلت قريش بقيادة أبي سفيان بن حرب في عشرة آلاف من أحابيشهم و من تبعهم حتى نزلوا إلى جنب أُحد، فلمّا نظروا إلى الخندق أنكروا ذلك، و قالوا: ما كانت العرب تعرفه قبل ذلك، و خرج رسول الله ﷺ في ثلاثة آلاف من المسلمين، و جعلوا ظهورهم إلى «سلع»[1] فضرب هنالك عسكره، و الخندق بينه و بين القوم.[2]

و فيما يلي بعض أخبار المعركة:

١ ـ روى أهل السير و التاريخ: أنّه بقي المشركون محاصرين المدينة قريباً من شهر، و لم يكن بينهم قتال إلاّ الرمي بالنبل و الحصى، ثمّ إنّ فوارس من قريش في هذه الأيام، منهم: عمرو بن عبدودّ و أربعة نفر من فرسان المشركين: عكرمة بن أبي جهل، و نوفل بن عبدالله بن المغيرة، و هبيرة بن أبي وهب، و ضرار بن الخطاب الفهري، خرجوا على خيولهم، و اجتازوا ببني كنانه، و قالوا: تجهّزوا للحرب،

---

١. جبل بالمدينه.

٢. انظر الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٦٩؛ تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٣٤؛ السيرة النبوية لابن هشام، ج ٣، ص ٢٣٠؛ تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٥٠؛ السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٢٣٤.

و ستعلمون مَن الفرسان، و كان عمرو بن عبدودّ قد شهد بدراً كافراً و قاتل حتى كثرت الجراح فيه. فلم يشهد أُحداً، و شهد الخندق مُعلِماً حتى يُعرف مكانه، و أقبل هو و أصحابه حتى وقفوا على الخندق، ثمّ تيمّموا مكاناً ضيقاً فاقتحموه، فجالت بهم خيولهم في السبخة بين الخندق و سلع.[1]

٢ـ و في السيرة للحلبي: و قال عمرو: من يبارز؟ فقام علي عليه السلام و قال: أنا له يا نبيّ الله. فقال صلى الله عليه وآله له: اجلس إنّه عمرو بن عبدودّ، ثمّ كرر عمرو النداء، و جعل يوبّخ المسلمين و يقول: أين جنّتكم التي تزعمون أنّه مَن قُتِل منكم دخلها: أفلا يبرّزنّ لي رجلاً! و أنشد أبياتا، فقام علي عليه السلام فقال: أنا له يا رسول الله، فقال صلى الله عليه وآله له: اجلس إنّه عمرو بن عبدودّ، ثمّ نادى الثالثة، فقام علي عليه السلام فقال: أناله يا رسول الله، فقال: إنه عمرو. فقال: و إن كان عمراً، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وآله، و أعطاه سيفه ذاالفقار، و ألبسه درعه الحديد، و عمّمه بعمامته، و قال: «اللهم أعنه عليه» و في لفظ قال: «اللهم هذا أخي و ابن عمي، فلا تذرني فرداً و أنت خير الوارثين».[2]

فمشى إليه علي عليه السلام فقال له: يا عمرو، إنك عاهدت أن لا يدعوك رجل من قريش إلى خصلتين إلاّ أخذت إحداهما؟ قال: أجل، قال له علي عليه السلام: فإنّي أدعوك إلى الله و الإسلام. قال: لا حاجة لي بذلك. قال: فانّي أدعوك إلى النّزال، قال: و الله، ما أُحبُّ أن أقتلك. قال علي عليه السلام: و لكنّي أُحبُّ أن أقتلك، فحمى عمرو عند ذلك، فنزل عن فرسه و عقره، ثمّ أقبل على علي عليه السلام فتجاولا، و قتله علي عليه السلام، و خرجت خيلهم منهزمة، و قُتل مع عمرو رجلان، قتل علي عليه السلام أحدهما و أصاب آخر سهم فمات منه بمكة.[3]

---

١. انظر الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٧٠ و المصادر السابقة.

٢. السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٦٤١.

٣. الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٧٠؛ تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٣٩؛ سيرة ابن هشام، ج ٣، ص ٢٣٦؛ السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٦٤٢.

٣ــو قال الحلبي في سيرته أيضاً: فاقتحم عمرو عن فرسه و سلّ سيفه كأنّه شعلة نار، فعقر فرسه، و ضرب وجهه، و أقبل على علي ﷺ فاستقبله عليّ بدرقته، فضربه عمرو فيها، فقدّها و أثبت فيها السيف، و أصاب رأسه فشجّه، فضربه علي ﷺ على حبل عاتقه فسقط، و كبّر المسلمون، فلمّا سمع رسول الله ﷺ التكبير عرف أنَّ علياً ﷺ قتل عمراً لعنه الله، و عند ذلك قال ﷺ: «قتل عليّ لعمرو بن عبدودّ أفضلُ مِن عبادة الثقلين».[1]

٤ــو فيه عن تفسير الفخر الرازي: أنّه ﷺ قال لعلي ﷺ بعد قتله لعمرو بن عبدودّ: «كيف وجدت نفسك معه يا علي؟ قال: وجدته لو كان أهل المدينة كلهم في جانب و أنا في جانب، لقدرت عليهم».[2]

٥ــو في شرح ابن أبي الحديد: قال رسول الله ﷺ حين برز علي ﷺ إلى حرب عمرو: «بَرز الايمانُ كلّهُ إلى الشركِ كلّه».[3]

٦ــو في مستدرك الحاكم، قال رسول الله ﷺ في شأنه ﷺ: «لمبارزه علي بن أبي طالب لعمرو بن عبدودّ يوم الخندق أفضل من أعمال أُمتي إلى يوم القيامة».[4]

و بالجملة أنَّ قتله ﷺ عمرو بن عبدودّ و من معه من الفرسان، كان قد أدّى إلى هزيمة المشركين مع ما أصابهم من الريح و البرد، و أدّى إلى خوفهم من أن يعودوا إلى التفكير في الغزو، فرجعوا إلى مكة منهزمين يجرّون أذيال الخيبة و الخسران.

---

١. السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٦٤٢.

٢. نفس المصدر، ص ٦٤٣.

٣. شرح ابن أبي الحديد، ج ١٩، ص ٦١.

٤. مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ٣٢.

الحديبية

الظاهر من الروايات أن نظام تدبير هذه الغزاة متعلّقاً بأميرالمؤمنين ﷺ، و كان ماجرى فيها من البيعة و صفّ الناس للحرب، ثمّ الهدنة و الكتاب كلّه لأمير المؤمنين ﷺ، وكان فيما هيّأه الله تعالى له من ذلك حقن الدماء و صلاح أمر الاسلام، و فيما يلي بعض الأخبار في ذلك:

١ـقال اليعقوبي ما ملخصه: خرج رسول الله ﷺ: في السادس من الهجرة و هو يريد العمرة، و معه ناس من أصحابه، و ساق من الهدي سبعين بدنه، و ساق أصحابه أيضاً، فصدّته قريش عن البيت، فقال ﷺ: ما خرجت أُريد قتالاً، و إنّما أردت زيارة هذا البيت، و قد كان رسول الله رأى في المنام أنّه دخل البيت و حلق رأسه و أخذ المفتاح، فبعثت قريش بعروة بن مسعود، فكلّم رسول الله ﷺ، فقال له: يا عروة، أفي الله أن يصدّ هذا الهدي عن هذا البيت؟ فانصرف إليهم عروة، فقال: تالله ما رأيت مثل محمد لما جاء له، فبعثوا إليه سهيل بن عمرو فكلّم رسول الله و أرفقه، و قال: نخلّيها لك من قابل ثلاثة أيام، فأجابهم رسول الله ﷺ، و كتبوا بينهم كتاب الصلح ثلاث سنين.

و تنازعوا بالكتاب، لمّا كتب «بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله» حتى كادوا أن يخرجوا إلى الحرب، قال سهيل بن عمرو و المشركون: لو علمنا أنّك رسول الله ما قاتلناك! و قال المسلمون: لا تمحها، فأمر رسول الله ﷺ أن يكفّوا و أمر عليّاً ﷺ فكتب «بسمك اللّهم: من محمد بن عبد الله» و قال: اسمي و اسم أبي لا يذهبان بنبوتي.[1]

---

١. تاريخ اليعقوبي، ج ١، ص ٥٤.

٢ـوروى الخطيب و غيره من مورخي أهل السنة، عن أبي كلثوم عن ربعي بن خراش، قال: سمعت علياً ﷺ يقول و هو بالمدائن: جاء سهيل بن عمرو إلى النبيّ ﷺ فقال: إنه قد خرج إليك ناس من أرقّائنا، فأرددهم علينا، فقال له أبوبكر و عمر: قد صدق يا رسول الله! فقال ﷺ: «لن تنتهوا يا معشر قريش حتى يبعث الله عليكم رجلاً امتحن الله قلبه بالايمان يضرب أعناقكم، و أنتم مجفلون عنه إجفال النعم». فقال أبوبكر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا، قال له عمر: أنا هو يا رسول الله؟ قال: لا، و لكنه خاصف النعل. قال: و في كفّ عليّ نعل يخصفها لرسول الله ﷺ.[١]

٣ـو ممّا جرى في هذه الغزوة ما أخرجه الحاكم في المستدرك، عن أبي سعيد ﷺ، قال: كنا مع رسول الله ﷺ فانقطعت نعله، فتخلّف عليّ يخصفها، فمشى قليلاً ثمّ قال: «إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله»، فاستشرف لها القوم، و فيهم أبوبكر و عمر، قال أبوبكر: أنا هو؟ قال: لا، قال عمر: أنا هو؟ قال: لا، و لكن خاصف النعل، يعني علياً، فأتيناه فبشّرناه، فلم يرفع به رأسه، كأنه قد كان سمعه من رسول الله ﷺ، قال: هذا حديث صحيح علي شرط الشيخين، و لم يخرجاه.[٢]

٤ـو في الكامل لابن الأثير: بعثت قريش سهيل بن عمرو إلى النبي ﷺ ليصالحه على أن يرجع عنهم عامه ذلك، فأقبل سهيل إلى النبي و أطال معه الكلام و تراجعا، ثمّ جرى بينهم الصلح، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب فقال: اكتب باسم الله الرحمن الرحيم، فقال سهيل: لا نعرف هذا، و لكن اكتب باسمك اللهم، فكتبها، ثمّ قال: اكتب: هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ـ فقال

---

١. تاريخ بغداد، ج ١، ص ١٣٣؛ باختلاف يسير، كفاية الطالب، ص ٩٦؛ سنن الترمذي، ج ٥، ص ٢٩٧؛ شرح ابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٢٠٦

٢. المستدرك، ج ٣، ص ١٢٢؛ مسند أبي يعلى الموصلي، ج ٢، ص ٣٤١؛ مسند أحمد، ج ٣، ص ٨٢.

سهيل: لو نعلم أنّك رسول الله لم نقاتلك، و لكن اكتب اسمك و اسم أبيك. فقال لعليّ: امحُ رسول الله. فقال: لا أمحوك أبداً. فأخذه رسول‌الله و ليس يحسن يكتب، فكتب موضع رسول الله: محمد بن عبد الله، و قال لعليّ: لَتبلِّينَّ بمثلها ـ اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، و أنّه من أتى منهم رسول‌الله ﷺ بغير إذن وليّه ردّه إليهم، و من جاء قريشاً ممن مع رسول الله ﷺ لم يردّوه عليه، و من أحبّ أن يدخل في عهد رسول الله ﷺ دخل، و من أحبّ أن يدخل في عهد قريش دخل، فدخلت خزاعة في عهد رسول الله ﷺ، و دخلت بنوبكر في عهد قريش، و أن يرجع رسول الله عنهم عامه ذلك، فإذا كان عام قابل خرجنا عنك، فدخلتها بأصحابك، فأقمت بها ثلاثاً، و سلاح الراكب السيوف في القرب.

إلى أن قال: فما فتح في الاسلام قبله فتح كان أعظم منه، حيث أمن الناس كلهم، فدخل في الاسلام تينك السنتين مثل ما دخل فيه قبل ذلك و أكثر.[1]

١. الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٨٥، تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٢٨١؛ وراجع السيرة النبوية، ج ٣، ص ٣٣١.

خيبر

وقعت غزوة خيبر في أول سنة سبع من الهجرة ففتحت حصونهم، و هي ستة، و فيها عشرون ألف مقاتل، و كان المسلمون ألفاً و أربعمائة، و كانت الراية في يوم الفتح لأمير المؤمنين عليه السلام و وقع الفتح على يديه، و فيما يلي بعض أخبارها:

١ـ روى أكثر المورخين من العامة و الخاصه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أبابكر برايته ـ و كانت بيضاء ـ إلى بعض حصون خيبر، فقاتل فرجع، و لم يك فتح و قد جهد؛ ثمّ بعث الغد عمربن الخطاب فقاتل ثمّ رجع، و لم يك فتح، و قد جهد؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لأعطينّ الرايةَ غداً رجلاً يُحبُّ الله و رسولَه، يَفتح الله على يديه، ليس بفرّار» فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام و هو أرمد، فتفل في عينه. ثمّ قال: خذ هذه الراية، فامض بها حتى يفتح الله عليك.

قال ابن إسحاق: يقول سلمة بن عمرو: فخرج علي عليه السلام و الله بها يأنح[1]، يُهرولُ هرولة، و إنّا لَخلفه نتبع أثره، حتى ركز رايته في رضم[2] من حجارة تحت الحِصن، فاطلع إليه يهودي من رأس الحِصن، فقال: مَن أنت؟ قال: أنا علي بن أبي طالب. قال: يقول اليهودي: علوتم و ما أُنزل على موسى، أو كما قال، قال: فما رجع حتى فتح الله على يديه.[3]

---

١. أي به نفس شديد من الاعياء في العدو.

٢. الرضم: الحجارة المجتمعة.

٣. السيرة لابن هشام، ج ٣، ص ٣٤٩؛ السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٧٣٦. راجع مع تفاوت يسير: الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٩٦؛ تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٠٠؛ طبقات ابن سعد، ج ٢، ص ١١٠؛ تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٥٦؛ صحيح البخاري بشرح الكرماني، ج ١٦، ص ٩٨؛ ح ٣٩٣٥؛ المناقب، ص ١٧٩؛ ح ٢١٧.

٢ـ و عن الطبري و ابن الأثير: أن علياً عليه السلام بعدما أخذ الراية فأتى خيبر، خرج مرحب صاحب الحِصن و عليه مِغفر معصفر يمان و حجرٌ قد ثقبه مثل البيضة على رأسه و هو يرتجز:

قد علمت خيبر أنّي مرحبُ شاكي السلاح بطل مجرّب

فقال علي عليه السلام:

أنـا الذي سمّتني أمّي حيدره أكيلكم بالسيف كيل السندره

ليث بغابات شديدٌ قسوره

فاختلفا ضربتين، فبدره علي عليه السلام فضربه فقدّ الحجر و المِغفر و رأسه حتى وقع في الأضراس، و أخذ المدينة.[١]

٣ـ و عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه و آله، قال: خرجنا مع علي بن أبي طالب عليه السلام حين بعثه رسول الله صلى الله عليه و آله برايته، فلما دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه رجل من اليهود، فطرح ترسه من يده، فتناول علي عليه السلام باباً كان عند الحصن، فترّس به عن نفسه، فلم يزل في يده و هو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثمّ ألقاه من يده حين فرغ. فلقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم نجهد على أن نَقْلِبَ ذلك الباب فما نقلبه.[٢]

٤ـ و في السيرة للحلبي بعد نقل الحديث قال: و قيل: و لم يقدر على حمله أربعون رجلاً، و قيل: سبعون.[٣]

٥ـ و فيه أيضاً قال: و فتح الله ذلك الحصن الذي هو حصن ناعم، و هو روى حصن فتح من حصون النطاة على يد علي عليه السلام.[٤]

---

١. تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٠٠؛ الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥٩٧؛ راجع السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٧٣٧.

٢. السيرة النبوية لابن هشام، ج ٣، ص ٣٤٩؛ تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٠١ و غيره.

٣. السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٧٣٧.

٤. نفس المصدر، ص ٧٤٠.

كرامة و منقبة عظمى

١ـقال سبط ابن الجوزي: أخرج البخاري و مسلم في الصحيحين، و اتفقا عليه، من حديث سهيل بن سعد، قال: قال رسول الله ﷺ يوم خيبر: «لأُعطينّ الراية ـ أو هذه الراية ـ غداً رجلاً يحبّ الله و رسوله، و يحبّه الله و سوله، يفتح الله على يديه».

فبات الناس يَدُوكون[١] أيّهم يُعطاها، فلمّا أصبحوا غدوا على رسول الله ﷺ يرجو كلّ أن يعطاها، فقال ﷺ: «أين علي بن أبي‌طالب؟» فقيل: يا رسول الله، هو أرمد أو يشتكي عينيه، قال: «فأرسولوا إليه» فجاء فبصق في عينيه، و دعا له فبرأ كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية.

فقال: «يا رسول الله، على ما أُقاتلهم؟» فقال: «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثمّ ادعهم إلى الاسلام، و أخبرهم بما يجب عليهم من حقّ الله تعالى فيه، فو الذي نفسي بيده، لأن يهتدي بهداك ـ أو لأن يهدي الله بهداك ـ رجلاً واحداً خير من أن يكون لك حُمُرُ النَّعم».

و في رواية: فجاء عليّ ؏ و هو أرمد لا يبصر موضع قدميه، قال عليّ ؏: «فما رمدتْ عيني بعد ذلك اليوم، و ما وجدت ألم البرد و لا شدّة الحرّ منذ دعا لي رسول الله ﷺ» و كان يلبس ثياب الصيف في الشتاء، و ثياب الشتاء في الصيف.[٢]

٢ـو روى الجويني، عن عبدالرحمن بن أبي ليلى، كان عليّ ؏ يلبس ثياب الشتاء في الصيف، و ثياب الصيف في الشتاء، فقيل لابن أبي ليلى: لو سألته عن هذا، فسأله فقال: «إنَّ النبيّ ﷺ بعث إليّ و كنت أرمد يوم خيبر، فقلت: يا رسول الله، إنّي أرمد العين، فتفل في عيني، و قال: اللّهم أذهب عنه الحرّ و البرد، فما وجدتُ حرّاً و لا برداً منذ يومئذ»، و قال النبيّ ﷺ: «لأُعطينّ الرّاية غداً رجلاً يحبّه الله و

---

١. أي يخوضون و يموجون.

٢. تذكرة الخواص، ص ٣٢.

رسولُه، و يحبّ الله و رسوله، ليس بفرّار»، فتشرف لها النّاس، قال: فبعث إلى عليّ عليه السلام فأعطاه الرّاية.[١]

٣ـ و عنه أيضاً، بسنده عن سويد بن غفلة، قال: لقينا عليّ بن أبي طالب عليه السلام و هو في ثوبين في شدّة الشتاء، فقلنا: لا تغترّ بأرضنا هذه، فإنّها أرض مقرة،[٢] و ليست مثل أرضك، فقال: «أما إنّي قد كنت مقروراً، فلمّا بعثني النبيّ صلى الله عليه و آله إلى خيبر، قلت: إنّي كما ترى لا تدفعها لي، و إنّي لأرمد، فتفل في عيني، و دعا لي، فما وجدتُ برداً بعدُ و لا رمدتْ عيناي».[٣]

---

١. فرائد السمطين، ج ١، ص ٢٦٤؛ ح ٢٠٥.

٢. أي باردة.

٣. نفس المصدر، ح ٢٠٦.

فتح مكة

كان فتح مكة في شهر رمضان سنة ثمان من الهجرة، و سبب ذلك أنّ قريشاً نقضت عهدها في الحديبية مع رسول الله ﷺ، حيث كانت خزاعة في عقد رسول الله ﷺ، و كنانة في عقد قريش، فأعانت قريش كنانة، فأرسلوا مواليهم، فوثبوا على خزاعه فقتلوا فيهم، فجاءت خزاعة إلى رسول الله، فشكوا إليه ذلك، فأحلّ الله لنبيّه ﷺ قطع المدة التي بينه و بينهم، و عزم على غزو مكة، و أمر ﷺ بأن يخفي الأمر على قريش.

و خرج رسول الله ﷺ يوم الجمعة حين صلى العصر لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة ثمان، و قيل: لعشر مضين من رمضان، و استخلف على المدينه أبا رُهم وقيل: ابن أُمّ مكتوم، وكان ﷺ في عشرة آلاف، و قيل: في اثني عشر ألفاً ، و تلقّاه العباس في بعض الطريق ، فلما صار بمرّ الظهران خرج أبوسفيان يتجسّس الأخبار و معه حكيم بن حزام وبُديل بن ورقاء، و هو يقول لحكيم: ما هذه النيران؟ فقال: خزاعة، أحمشتها الحرب، فقال: خزاعة أقلّ و أذل. و سمع صوته العباس فناداه: يا أبا حنظلة؟ فأجابه، فقال له: يا أبا الفضل، ما هذا الجمع؟ قال: هذا رسول الله، فأردفه على بغلته، و جاء عند رسول الله ﷺ و أسلم، ثمّ سأل العباس رسول الله أن يجعل له شرفاً، وقال: إنّه يحبّ الشرف. فقال ﷺ : من دخل دارك يا أباسفيان فهو آمن.

و أوقفه العباس حتى رأى جند الله، فقال له: يا أبا الفضل، لقد أُوتي ابن أخيك ملكاً عظيماً، فقال: إنه ليس بملك إنّما هي النبوّة، و مضى أبوسفيان مسرعاً حتى دخل مكة، فأخبرهم الخبر و قال: من دخل داري فهو آمن، و من أغلق بابه فهو

آمن، و من دخل المسجد فهو آمن، و فتح الله على نبيّه، و كفاه القتال.[١]

فضائله ﷺ في هذا الفتح

١ ـ منها أخذ كتاب الحاطب من سارة

أنّ حاطب بن أبي بلتعة كتب إلى قريش بخبر رسول الله ﷺ و ما اعتزم عليه، و أعطاه سارة، و جعل لها جُعلا، فنزل جبرئيل على رسول الله ﷺ فأخبره الخبر، فوجّه بعلي بن أبي طالب و الزبير و قال: خذا الكتاب منها. فلحقاها و كانت تنكّبت الطريق، فوجدا الكتاب في شعرها، فأتيا به إلى رسول الله ﷺ.[٢]

و روى الطبري و ابن الأثير: أنّ علياً و الزبير بعثهما رسول الله إلى سارة، فخرجا حتى أدركاها بالحُليفة فاستنزلاها، فالتمسا الكتاب في رحلها، فلم يجدا شيئاً، فقال لها علي ﷺ: إنّي أحلف ما كذب رسول الله و لاكذبنا، و لَتُخرجنّ إليّ هذا الكتاب أولَنكشفنّك، فلمّا رأت الجدّ منه قالت: أعرض عنّي، فأعرض عنها فحلّت قرون رأسها، فاستخرجت الكتاب منها، فدفعته اليه، فجاء به إلى رسول الله ﷺ فدعا حاطباً فقال: ما حملك على هذا؟ فقال: أما و الله إنّي لَمؤمن بالله و رسوله ما غيّرت و لا بدّلت، و لكنّي كنت امرءاً ليس لي في القوم أصلٌ و لا عشيرة، و كان لي بين أظهرهم أهل و ولد، فصانعتهم عليهم، فأنزل الله في حاطب: ﴿يا أيّها الذين آمَنُوا لا تَتّخِذُوا عَدوّي وعَدوّكم أولياء...﴾.[٣] فعفاه رسول الله ﷺ.[٤]

٢ ـ و منها أخذ الراية يوم فتح مكّة من سعد

روى أهل السير و التاريخ: أنّ النبيّ ﷺ أعطى الراية في يوم الفتح سعد بن

---

١. انظر تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٥٨ الى ٥٩؛ السيرة النبوية لابن هشام، ج ٤، ص ٣٨ وغيرها.

٢. نفس المصادر.

٣. الممتحنة، ١.

٤. تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٢٧؛ الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٦١١.

عبادة، و أمره أن يدخل بها مكة أمامه. فأخذها سعد و غلظ على القوم، و أظهر ما في نفسه من الحنق عليهم، و دخل و هو يقول:

اليــوم يــوم الملحمه اليوم تُستحل الحـرمه

فسمعها العباس فقال للنبيّ: أما تسمع ما يقول سعد؟ فقال ﷺ لأمير المؤمنين: أدرك يا علي سعداً، فخذ الراية منه، و كن أنت الذي تدخل بها.[1]

و يتّضح من ذلك أنّ رسول الله ﷺ لم ير أحداً من المهاجرين و الأنصار يصلح لأخذ الراية من سيّد الأنصار سوى عليّ بن أبي طالب ﷺ. و علم أنه لو رام غيره لامتنع سعد عليه، و على هذا لم يشركه فيه أحد في هذا الفضل، و لا ساواه في نظير له من مساو.

٣ـ و منها قتله بعض المشركين بأمر رسول الله ﷺ

من فضائل علي بن أبي طالب إطاعته لرسول الله ﷺ في كل موطن، و لذا قبل دخوله ﷺ قد أمر بقتل بعض الرجال و النساء الذين آذوه و عادوه و أنفقوا على محاربته أو ارتدّوا مشركين بعد أن أسلموا. فمن الرجال: «عكرمة بن أبي جهل»، و «عبدالله بن سعد بن أبي سرح» و «عبدالله بن خطل، و مقيس بن صبابة»، و «الحويرث بن نقيذ»، و «عبدالله بن الزبعرى»، و «وحشي بن حرب» قاتل حمزه.

و من النساء: «هند بنت عتبه» أُمّ معاويه، و «سارة» و هي التي حملت كتاب حاطب، و قينتا عبد الله بن خطل. قتل علي ﷺ بعضاً منهم و أفلت بعض آخر منهم أو عفي.[2]

---

١. الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٦١٤؛ تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٣٤؛ المصادر السابقة.

٢. انظر الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٦١٥ إلى ٦١٨؛ تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٣٥؛ السيرة النبوية لابن هشام، ج ٤، ص ٥٣؛ طبقات ابن سعد، ج ٢، ص ١٣٦.

٤ـ و منها إلقاء الصنم من فوق الكعبة

لمّا دخل رسول الله المسجد وجد فيه ثلاثمائة و ستين صنماً، بعضها مشدود إلى بعض بالرصاص، فأمر النبيّ ﷺ علياً أن ينهض على منكبيه و يلقي الصنم الذي فوق الكعبة.

روى الحلبي عن علي ؑ: لمّا ألقى رسول الله ﷺ الأصنام لم يبق إلاّ صنم خزاعة موتّداً بأوتاد من الحديد. فقال ﷺ لي: عالجه، فعالجته و هو يقول: إيه إيه ﴿جاءَ الحقُّ و زهقَ الباطلُ إنّ الباطلَ كانَ زَهُوقاً﴾ فلم أزل أُعالجه حتى استمكنت منه، فقذفته فتكسّر.[1]

---

١. السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٢٩.

حنين

بلغ رسول الله ﷺ بعد فتح مكة أنّ هوازن و ثقيفاً قد جمعت بحنين جمعاً كثيراً، و رئيسهم مالك بن عوف النضري، و معهم دُريد بن الصمة و هو شيخ كبير يتبرّكون برأيه، و ساق مالك مع هوازن أموالهم و نساءهم، فخرج إليهم رسول الله ﷺ في اثني عشر ألفاً: عشرة آلاف أصحابه، و ألفان من أهل مكة ممن أسلم طوعاً و كُرهاً، و خروجه كان في آخر شهر رمضان أو شوال في سنة ثمان من الهجرة، فلما قربوا من محلّ العدو صفّهم و وضع الألوية و الرايات مع المهاجرين و الأنصار، فلواء المهاجرين أعطاه علياً،[1] فأعجبت المسلمين كثرتُهم، و قال بعضهم[2]: مانُؤتى من قلّة، فكره رسول الله ذلك من قولهم.

و كانت هوازن قد كمنت في الوادي و خرجوا على المسلمين، و كان يوماً عظيم الخطب، و انهزم المسلمون عن رسول الله ﷺ حتى بقي في عشرة من بني هاشم و قيل تسعة : و هم علي بن أبي طالب، و العباس بن عبد المطلب، و أبوسفيان بن الحارث و.. ثمّ أنزل الله سكينته على رسوله و على المؤمنين، و أنزل جنوداً لم تروها، و مضى علي بن أبي طالب إلى أبي جرول صاحب راية هوازن فقتله، و كانت الهزيمة. و قُتل مِن هوازن خلق عظيم، و سبي منها سبايا كثيرة، و بلغت عدّتهم ألف فارس، و بلغت الغنائم اثني عشر ألف ناقة سوى الأسلاب.[3]

---

١. انظر السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٦٣.

٢. قيل : هو رجل من بكر. الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٦٢٥. و قيل هو أبوبكر. السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٦٢.

٣. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٦٢

و اتفق المورخون أنّ علياً عليه السلام ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وآله عند انهزام كافّة الناس إلاّ النفر الذين كان ثبوتهم بثبوته، و قتل الأبطال، و لولاه كانت الجناية على الدين لا تتلافى، و أنّ صبره مع النبيّ صلى الله عليه وآله كان سبباً في رجوع المسلمين إلى الحرب، و تشجّعهم في لقاء العدوّ، و قتله عليه السلام أبا جرول متقدم المشركين، و قتله من هوازن كثيراً منهم، كان سبب الوهن على المشركين، و ظفر المسلمين بهم.[1]

---

١. انظر الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٦٢٤ الى ٦٢٨؛ تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٤٤ الى ٣٦٢؛ السيرة النبوية لابن هشام، ج ٤، ص ٨٠ الى ١٢٠؛ السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٦٢ الى ٧٥.

تبوك

خرج رسول الله ﷺ غرّة رجب السنة التاسعة من الهجرة و استخلف علياً على المدينة، و خرج النساء و الصبيان يودّعونه ﷺ عند الثنيّة. فسمّاها ثنية الوداع.[1]

و لمّا ارتحل رسول الله ﷺ عن ثنيّة الوداع متوجّهاً إلى تبوك عقد الألويـة و الرايات، و دفع ﷺ لكلّ بطن من الأنصار و من قبائل العرب لواء و راية، و كان قد اجتمع جمع من المنافقين في بيت سويلم اليهودي، فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جِلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً، و الله لكأنّ الصحابة غداً مُقرّنون في الحبال؛ يقولون ذلك إرجافاً و ترهيباً للمؤمنين، فقال رسول الله ﷺ ـ عند ذلك ـ لعمّار بن ياسر رضي الله عنه: «أدرك القوم فإنّهم قد احترقوا. فاسألهم عمّا قالوا: فإن أنكروا فقل: بل قلتم كذا و كذا»، فانطلق إليهم عمّار، فقال ذلك لهم، فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه، و قالوا: إنّما كنّا نخوض و نلعب، فأنزل الله تعالى: ﴿وَ لَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَ نَلْعَبُ﴾.[2]

تخلّف المنافقين و اعتذارهم بأمور واهية

قال بعضهم لبعض: لا تنفروا في الحرّ، فأنزل الله تعالى: ﴿قُلْ نارُ جهنّم أَشَدُّ حرّاً لو كانُوا يَفْقَهُون﴾ ﴿وَ جَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأعراب﴾ وهم الضعفاء والمقلّون من الأعراب، ﴿لِيُؤذَنَ لَهُمْ﴾[3] في التخلّف، فأذن لهم و كانوا اثنين و ثمانين رجلاً، و قعد آخرون من

---

١. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٦٧.

٢. السيرة الحلبية، ج ٣، ص ١٠٣، و الآيه من التوبة، ٧٥.

٣. التوبة، ٨١ و ٩٠.

المنافقين بغير عذر و إظهار علّة، جرأة على الله و رسوله، و قد عناهم الله تعالى بقوله: ﴿وَ قَعَدَ الَّذِيْنَ كَذَبُوا الله وَ رَسُولَهُ﴾[1] وتخلّف جمع من المسلمين منهم: كعب بن مالك، وهلال بن أُميّة، ومرارة بن الربيع من غير عذر، وكانوا ممّن لا يتّهم في إسلامه.

و لمّا خلّف رسول الله ﷺ عليّاً أرجف به المنافقون، و قالوا: ما خلّفه إلاّ استثقالاً له! و حين قيل فيه ذلك أخذ عليّ ﵇ سلاحه ثمّ خرج حتّى لحق برسول الله و هو نازل بالجرف، فقال: «يا نبيّ الله، زعم المنافقون أنّك ما خلّفتني إلاّ لأنّك استثقلتني و تخفّفت منّي» فقال: «كذبوا، و لكنّي خلّفتك لما تركت و رائي، فارجع فاخلفني في أهلي و أهلك، أفلا ترضى يا عليّ أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي» فرجع علي ﵇ إلى المدينة و مضى رسول الله ﷺ على سفره.[2]

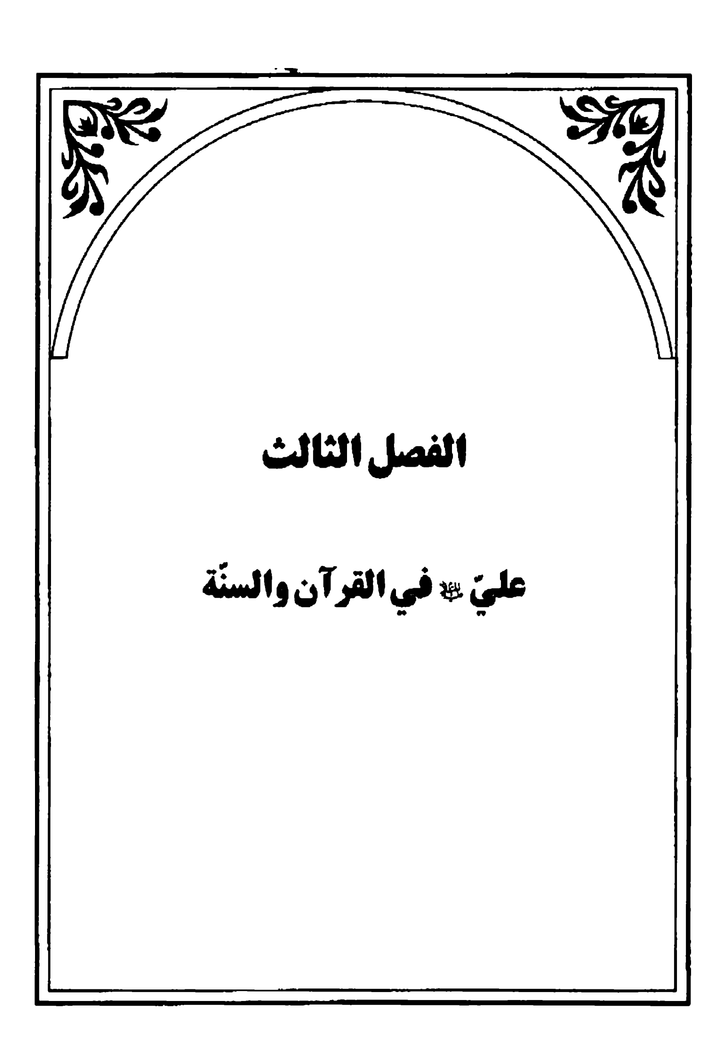
لقد تضمّن هذا القول من رسول الله ﷺ نصّه على عليّ ﵇ بالإمامة، و إبانته من الكافّة بالخلافة، و دلّ به على فضل لم يشركه فيه أحد سواه، و أوجب له به جميع منازل هارون من موسى إلاّ ما خصّه العرف من الأُخوّة، و استثناه هو من النبوّة. ألا ترى أنّه ﷺ جعل له ﵇ كافّة منازل هارون من موسى ﵇ إلاّ المستثنى منها لفظاً و عقلاً.

و هذه فضيلة لم يشرك فيها أحد من الخلق أمير المؤمنين ﵇، و لا ساواه في معناها، و لا قاربه فيها على حال، و لو علم الله عزّوجلّ أنّ لنبيّه ﷺ في هذه الغزاة حاجة إلى الحرب و الأنصار، لما أذن له في تخليف أمير المؤمنين عنه، بل علم أنّ المصلحة في استخلافه، و أنّ إقامته في دار هجرته مقامه أفضل الأعمال، فدبّر الخلق و الدين بما قضاه في ذلك و أمضاه.

---

١. التوبة، ٩٠.

٢. انظر السيرة الحلبية، ج ٣، ص ١٠٣؛ تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٦٧؛ السيرة النبوية، ج ٤، ص ١٦٢.



الفصل الثالث

عليّ عليه السلام في القرآن والسنّة

عناوين الفصل

شأن عليّ عليه السلام في الآيات و الأحاديث

لم ينزل في القرآن الكريم في شخصٍ ما نزل في أمير المؤمنين عليّ عليه السلام سيّما في باب الإمامة و الخلافة و الفضائل و المناقب، كما لم يرد من السنّة المباركة في صحابيّ أو تابعيّ ما ورد فيه عليه السلام، و هذا يحكي لنا كونه عليه السلام القدوة و الأُسوة بعد الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله و لا يدانيه أحد في هذا المضمار.

و إذا لم يُصرّح باسمه المبارك في الآيات القرآنية النازلة بحقّه عليه السلام لمصالح ما، فإنّ الروايات و الأخبار المتواترة الواردة عن رسول الله صلى الله عليه وآله و عن صحابته المتّقين تكشف عن هذه الحقيقة بشكل جليّ، و هي كثيرة جداً رغم تعرّض مناقبه عليه السلام للطمس و التحريف و التغيير.

روى الخطيب البغدادي و غيره بسنده، عن ابن عبّاس، قال: نزلت في عليّ عليه السلام ثلاثمائة آية.[1]

و روى الشبلنجي و الحسكاني و غيرهما عن ابن عبّاس، قال: ليست آية في كتاب الله تعالى: ﴿يا أيّها الّذينَ آمَنُوا﴾ إلاّ و عليّ عليه السلام أوّلها و أميرها و شريفها.[2]

و روى الشبلنجي أيضاً عن ابن عبّاس، قال: ما نزل في أحد من كتاب الله تعالى ما نزل في عليّ عليه السلام.[3]

و قد ألّف القدامى كالطبراني و أبي نعيم و محمّد بن مؤمن الشيرازي و غيرهم

---

١. تاريخ بغداد، ج ٦، ص ٢٢١؛ الصواعق المحرقة، ص ٧٦

٢. نور الأبصار، ص ٨٧ إلى ٩٠؛ شواهد التنزيل، ص ٤٨ إلى ٥٤؛ مناقب الخوارزمي، ص ١٨٨، فصل ١٧؛ كفاية الطالب، ص ١٣٩، الباب ٣١.

٣. نور الأبصار، ص ٩٠.

رسائل خاصّة أفردوها لهذا الباب باسم (ما نزل من القرآن في عليّ ﷺ) أو (النازل في القرآن في عليّ ﷺ) أو نحوهما.

أمّا الايات:

آية التطهير

دلت الروايات الصحيحة دلالة قاطعة و حاسمة علي أنّ آية التطهير، و هي قوله تعالى: ﴿إنّما يُريدُ الله لِيُذهِبَ عنكمُ الرِّجسَ أهلَ البَيت و يُطَهِّرَكم تَطهيراً﴾[1] قد نزلت في الخمسة أهل الكساء ﷺ، و هم رسول الله ﷺ و علي و فاطمة و الحسن و الحسين ﷺ.

و نزولها في شأنهم ﷺ فضيلة اختصّوا بها من دون سائر الناس، إذ لم يأذن رسول الله ﷺ بدخول غيرهم معهم، و قد بلغ في اختصاص الآية بالخمسة الطيبين بأنّه كان رسول الله ﷺ بعد نزول الآية كلّما خرج إلى الفجر يمرّ ببيت علي وفاطمة ﷺ و يقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت و يطهركم تطهيراً﴾ و قد استمرّ على هذا المنوال ستة أشهر، و في رواية: سبعة أشهر، و في أُخرى: ثمانية أشهر. و فيما يلي بعض هذه الروايات التي ذكرت هذه الفضيلة العظمى!

١ــ أخرج مسلم في صحيحه من حديث عائشة، قال: خرج النبيّ ﷺ غداةً و عليه مِرط مُرحّل[2] من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً﴾.[3]

---

١. الأحزاب، ٣٣.

٢. المرط: كساء من صوف أو خزّ، و المرحّل: المنقوش عليه صور الرجال، أو فيه علَم.

٣. صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٨٨٣/٢٤٢٤.

٢ـ و روى الزمخشري هـذا الحـديث فـي تـفسيره، و رواه الرازي أيـضاً، و قال الرازي: اعلم أنّ هذه الرواية كـالمتفق عـلى صـحتها بـين أهـل التـفسير و الحديث.[١]

٣ـ و أخرج الترمذي عن أبي سلمة ربيب النبيّ ﷺ، قال: نزلت هذه الآية على النبيّ ﷺ ﴿إنَّما يُريد الله لِيذهبَ عَنكم الرِّجس أهلَ البيت و يُطهِّركُم تَطهيراً﴾ في بيت أُمّ سلمة، فدعا النبيّ ﷺ فاطمة و حسناً و حسيناً فَجَلَّلهم بكساءٍ، و عليٌّ خلف ظهره، فجلّله بكساءٍ، ثم قال: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرِّجس و طهِّرهم تطهيراً.» قالت أُمّ سلمة: و أنا معهم، يا نبيّ الله؟ فقال: «أنت على مكانك، و على خير».[٢]

و بهذا يصحّ القول إن أصحاب الكساء الخمسة هم المشار إليهم في آية التطهير، فعن سعد بن أبي وقاص قال: لما نزلت هذه الآية ﴿قُل تَعالوا نَدعُ أبناءَنا و أبناءَكم﴾ دعا رسول الله ﷺ علياً و فاطمة و حسناً و حسيناً فقال: اللهمّ هؤلاء أهلي.[٣]

و قال الواحدي: إنّ هذه الآية نزلت في خمسة: النبي ﷺ و علي، و فاطمة، و الحسن، و الحسين.[٤]

و أفرد المحبّ الطبري باباً أسماه: باب في بيان أنّ فاطمة و علياً و الحسن و الحسين هم أهل البيت المشار إليهم في قوله تعالى: ﴿انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً﴾.[٥]

---

١. تفسير الرازي، ج ٨، ص ٨٠، عند تفسير الآية، ٦١ من آل عمران.

٢. سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٢٠٥/٣٥١ و ص ٣٧٧٨/٦٦٣.

٣. صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٨٧١/ ٣٢ـ ٢٤٠٤؛ سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٧٢٤/٦٣٨؛ مصابيح السنة، ج ٤، ص ٤٧٩٥/١٨٣؛ جامع الاصول، ج ٩، ص ٤٧٠.

٤. أسباب النزول، ص ٢٠٠.

٥. ذخائر العقبى، ص ٢١ إلى ٢٤.

مجييء النبيّ ﷺ وقت الصلاة إلى باب علي و فاطمة...

١ـ أخرج الترمذي عن أنس بن مالك: أنّ رسول الله ﷺ كان يمرّ بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: الصلاة يا أهل البيت ﴿انما يريد الله﴾ الآية.[١]

٢ـ و أخرج الطبري في تفسيره، عن أبي الحمراء، قال: ...سبعة أشهر رأيت النبي ﷺ اذا طلع الفجر جاء إلى باب علي و فاطمة فقال: الصلاة، الصلاة ﴿انما يريد الله﴾ الآية.[٢]

٣ـ و روى ابن عساكر، عن أبي سعيد الخدري: كان نبيّ الله ﷺ يجيىء إلى باب علي ﷺ صلاة الغداة ثمانية أشهر و يقول: «الصلاة رحمكم الله ﴿انما يريد الله﴾ الآية.[٣]

٤ـ و في تفسير الدر المنثور و تاريخ دمشق، عن ابن عباس، قال: شهدنا رسول الله ﷺ تسعة أشهر يأتي كلّ يوم باب علي بن ابي طالب ﷺ عند وقت كل صلاة فيقول: «السلام عليكم و رحمة الله و بركاته أهل البيت ﴿انما يريد الله﴾ الآية، الصلاة رحمكم الله» كل يومٍ خمس مرّات.[٤]

---

١. سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٢٠٦/٣٥٢.

٢. تفسير جامع البيان للطبري، ج ٢٢، ص ٥.

٣. ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ١، ص ٢٥٠، ح ٣٢٠؛ تفسير الدر المنثور، ج ٥، ص ١٩٩.

٤. المصادر السابقة.

آية المباهلة

حين جاء وفد نصارى نجران يجادلون رسول الله ﷺ في أمر عيسى بن مريم عليه السلام و نزلت الآيات المباركة من سورة آل عمران ٥٩ ـ ٦٠ ﴿إنّ مثلَ عيسى عندَالله كَمثلِ آدم خَلَقه مِن تُراب ثم قال له كُن فَيكون الحقُّ مِن ربِّك فلا تَكُن مِن المُمترين فَمَن حاجَّك فيه مِن بعدِ ما جاءك مِن العلم فقل تَعالوا نَدعو أبناءَنا و أبناءَكم و نساءَنا و نساءَكم و أنفسَنا و أنفسَكم ثم نَبتَهل فنَجعلْ لَعنَت الله على الكاذبين﴾بعد نزول هذه الآيات، أخذ رسول الله ﷺ بيد فاطمة و علي و الحسن و الحسين عليهم السلام و دعاهم إلى المباهلة، فلم يباهلوا، و تصالحوا على دفع الجزية... و انصرفوا.

إنّ المباهلة سجّلت حدثاً هو من أظهر معجزات سيد الأنبياء و المرسلين ﷺ أولاً، و هي منقبة عظمى لرسول الله ﷺ و أهل بيته الكرام البررة ثانياً.

فمن الذين اجتباهم الله جل و عزّ لتلك المنازل العظمى؟ من هم الذين يعدّون مصداقاً لهذه الآية الكريمة، إنّهم علي و فاطمة و الحسن و الحسين و لا أحد سواهم.[1]

قال الرازي: هذه الآية دالة على أنّ الحسن و الحسين عليهما السلام كانا ابني رسول الله ﷺ، وَعَد أن يدعو أبناءه، فدعا الحسن والحسين، فوجب أن يكونا ابنيه.[2]

---

١. انظر صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٤٠٤/١٤٧١؛ سنن الترمذي، ج ٥، ص ٢٩٩٩/٢٢٥؛ مصابيح السنة، ج ٤، ص ٤٧٩٥/١٨٣؛ الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢٩٣؛ أسباب النزول، ص ٦٠؛ تفسير الرازي، ج ٨، ص ٨١؛ تفسير القرطبي، ج ٤، ص ١٠٤؛ تفسير أبي السعود، ج ٢، ص ٤٦؛ فتح القدير للشوكاني، ج ١، ص ٣٤٧ و ٣٤٨؛ معالم التنزيل للبغوي، ج ١، ص ٤٨٠؛ جامع الأصول، ج ٩، ص ٦٤٧٩/٤٧٠؛ تفسير الآلوسي، ج ٣، ص ١٨٨ و ١٨٩.

٢. تفسير الرازي، ج ٨، ص ٨١.

و قال البغوي:(ابناءنا) أراد الحسن و الحسين (و نساءنا) فاطمة (و أنفسنا) عنى نفسه و علياً ﷺ.[١]

و الملاحظ أنه ليس ثمّة أنفس إلاّ نفسه ﷺ و علي ﷺ. فجعل علياً ﷺ بمثابة نفسه، كما هو مصرّح في كثير من الأحاديث المروية عن الرسول الأكرم ﷺ: «لأبعثنّ رجلاً كنفسي» يريد به علياً ﷺ. و هي منزله عظيمة خصّها الله تعالى لأمير المؤمنين ﷺ دون سائر البشر.

توضيح

لايخفى أنّ تخصيص النبي ﷺ علياً و فاطمة و الحسن و الحسين ﷺ من بين جميع أقاربه للمباهلة، دون عقيل و جعفر و غيرهم، لا يكون إلاّ لأحد أمرين: إمّا لكونهم أقرب الخلق إلى الله بعده، حيث استعان بهم في الدعاء على العدوّ دون غيرهم، و إمّا لكونهم أعزّ الخلق عليه، حيث عرّضهم للمباهلة إظهاراً لوثوقه على حقيته حيث لم يبال بأن يدعو الخصم عليهم مع شدّة حبّه لهم.

و ظاهرٌ أنّ حبّه لم يكن من جهة البشرية و الأمور الدنيوية، بل لم يكن يحبّ إلاّ من يحبّه الله، و لم يكن حبّه إلاّ خالصاً لله تعالى، كيف لا، و قد ذمّ الله تعالى و رسوله ذلك في كثير من الآيات و الأخبار، وكل من يدّعي درجة نازلة من الولاية و المحبّة يتبرأ من حبّ الأولاد و النساء و الأقارب لمحض القربة، أو للأغراض الفاسدة، و قد نرى كثيراً من الناس يذمّهم العقلاء بأنّهم يحبّون بعض أولادهم مع أنّ غيرهم أعلم و أصلح و أتقى و أورع منهم، و معلوم من سيرته ﷺ أيضاً أنّه كان يعادي كثيراً من عشائره لكونهم أعداء الله و يقاتلهم، و كان يحبّ و يقرّب الأباعد و من ليس له نسبٌ و لا حسبٌ لكونهم أولياء الله. فإذا ثبت ذلك، فيرجع هذا أيضاً إلى كونهم أقرب الخلق و أحبّهم إلى الله، فيكونون أفضل من غيرهم، فيقبح عقلاً تقديم غيرهم عليهم.

---

١. معالم التنزيل، ج ١، ص ٤٨٠.

آية المودّة

عند ما استقر النظام الاسلامي في المدينة، جاء جمع من الأنصار إلى رسول الله ﷺ و قالوا: يا رسول الله، لقد آويناكم و نصرناكم، و نحن نضع أموالنا بين أيديكم، و الذي يبدو من ظاهر كلامهم أنّهم إنّما كانوا يريدون إعلاء دين الله و اعانة الرسول ﷺ، و ربما كانوا يقصدون تعويض الرسول ﷺ عن أتعابه و ما تحمّل من المشقّة في سبيل دين الله تعالى. لذلك نزلت هذه الآية جواباً لهم: ﴿قل لا أسئَلكُم عليه أجراً إلّا المَودّة في القُربى﴾[1] فجعل الله عزوجل مودّة أهل البيت عليهم السلام الأجر الوحيد على هذه الرسالة السمحاء، و أهل البيت هم علي و فاطمة و ابناهما.

قال الزمخشري: روي أنها لما نزلت قيل: يا رسول الله، من هم قرابتك الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال ﷺ: علي و فاطمة و ابناهما.[2]

و رواه عنه الرازي، و أضاف: فثبت أنّ هؤلاء الأربعة أقارب النبيّ ﷺ، و إذا ثبت هذا، وجب أن يكونوا مخصوصين بمزيدٍ من التعظيم، و يدلّ عليه وجوه:

الأول: قوله تعالى (الا المودة في القربى).

الثاني: لاشكّ أن النبي ﷺ يُحبّ فاطمة عليها السلام، قال ﷺ: «فاطمة بضعة منّي يؤذيني ما يؤذيها» و ثبت بالنقل المتواتر عن رسول الله ﷺ أنّه كان يحب علياً و الحسن و الحسين، و إذا ثبت ذلك وجب على كلّ الأمّة مثله، لقوله تعالى: ﴿و اتّبعوه لعلّكم

---

١. الشورى، ٢٣

٢. الكشاف، ج ٤، ص ٢١٩. و انظر المناقب لابن المغازلي الشافعي، ص ٣٠٧، ح ٣٥٢؛ تفسير القرآن محيي الدين بن عربي، ج ٢، ص ١٣٢؛ تفسير الدر المنثور، ج ٦، ص ٧.

تهتدون﴾[١] و لقوله تعالى: ﴿فَلْيَحذَرِ الذينَ يُخالِفون عن أمْرِه﴾[٢].

الثالث: أنَّ الدعاء للآل منصب عظيم، و لذلك جُعل هذا الدعاء خاتمة التشهد في الصلاة، و هو قوله «اللهمّ صلّ على محمدٍ و على آل محمد» و هذا التعظيم لم يوجد في حق غير الآل، فكل ذلك يدل على أن حُبَّ محمدٍ و آل محمدٍ واجب.[٣]

و لا شكّ عندنا نحن الامامية أنّ مودّة أهل البيت هي المودّة في الدين، و هي أجر الرسالة المقصودة في القرآن الكريم، و ليست هذه المودّة هي مجرد محبّة عادية كالّتي بين الأصدقاء، بل هي تتناسب مع أجر الرسالة السمحاء. إذ تتطلب الايمان بإمامة المعصومين عليهم السلام و الاعتقاد بهم، و أنّ مودّتهم هي وسيلة لترسيخ مبادىء الرسالة. و في الحقيقة لم تكن المودّة هنا غير الدعوة الدينيّة من حيث بقائها و دوامها.

---

١. الأعراف، ١٥٨

٢. النور، ٦٣.

٣. تفسير الرازي ج ٢٧، ص ١٦٦.

آية الولاية

المراد بآية الولاية قوله تعالى: ﴿إنّما وليّكم الله و رسولُه و الّذين آمَنوا الذيـن يُـقيمونَ الصلاةَ و يُؤتونَ الزكاةَ و هُمْ رَاكِعون﴾[1]، و لقد أجمع غالبية أهل التفسير و الحديث على أنَّ هذه الآية نزلت في شأن علي بن أبي طالب عليه السلام حين تصدّق بخاتمه و هو راكع، و هي تدلّ بصريح العبارة على ولاية الأمر التي هي الامامة بعد الرسول صلى الله عليه وآله.

قال الآلوسي في (روح المعاني) ـ ذيل الآية ـ و غالب الأخباريين على أنها نزلت في علي (كرم الله وجهه)، فقد أخرج الحاكم و ابن مردويه و غـيرهما عـن ابـن عباس رضي الله عنه باسنادٍ متصلٍ، قال: أقبل ابن سلام و نفر من قومه آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله فقالوا: يا رسول الله، إنّ منازلنا بعيدة، و ليس لنا مجلس و لا متحدث دون هذا المجلس، و إن قومنا لما رأونا آمنا بالله تعالى و رسوله صلى الله عليه وآله و صدقناه رفضونا، و آلوا عـلى أنفسهم أن لا يجالسونا و لا يناكحونا و لا يكلّمونا، فشقّ ذلك علينا.

فقال لهم النبي صلى الله عليه وآله «إنّما وليُّكم الله و رسولُه» ثم إنه صلى الله عليه وآله خرج إلى المسجد، و الناس بين قائم و راكع، فبصر بسائل، فقال: هل أعطاك أحدٌ شيئاً؟ فقال: نعم، خاتم من فضّة. فقال: من أعطاكه؟ فقال: ذلك القائم؛ و أومأ إلى علي (كـرم الله تـعالى وجهه)، فقال النبي صلى الله عليه وآله: على أيّ حالٍ أعطاك؟ فقال: و هو راكع، فكبّر النبي صلى الله عليه وآله ثم تلاهذه الآية، فأنشأ حسان بن ثابت:

أبا حسن تفديك نفسي و مـهجتي ... و كل بطيءٍ في الهدى و مسارعِ

فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعاً ... زكاةً فدتك النفسُ ياخير راكـعِ

---

١. المائدة، ٥٥.

فأنزل فيك الله خيرُ ولاية و أثبتها أثنا كتاب الشرائعِ[1]

و قد روى الرازي في تفسيره، و الحاكم في الشواهد، و أحمد في الفضائل، و سبط ابن الجوزي في التذكرة، حديثاً عن أبي‌ذر هذا لفظه:

قال أبوذر: سمعت رسول الله ﷺ بهاتين و إلاّ صُمّتا، و رأيته بهاتين و إلاّ عميتا، يقول: «عليّ قائد البررة، و قاتل الكفرة، منصور من نصره، مخذول من خذله». أما إنّي صليت مع رسول الله ﷺ ذات يوم، فسأل سائل في المسجد، فلم يعطه أحد شيئاً، و كان عليٌّ راكعاً، فأومأ بخنصره إليه ـ و كان يتختّم بها ـ فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره.

فتضرّع النبي ﷺ إلى الله عزوجل يدعوه، فقال: «اللهمّ إن أخي موسى سألك فقال: (رَبِّ اشرح لي صدري، و يسّرلي أمري، و احلل عقدةً مِن لساني، يَفقهوا قولي، و اجعل لي وزيراً من أهلي، هارون أخي، أشدد به أزري، و أشركه في أمري، كي نُسبِّحك كثيراً، و نَذكُرَك كثيراً، إنك كنتَ بِنا بصيراً) فأوحيتَ إليه ﴿قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾[2] اللهمّ و إني عبدك و نبيك، فاشرح لي صدري، و يسّر لي أمري، و اجعل لي وزيراً من أهلي، علياً أخي اشدد به ظهري».

قال أبوذر: فوالله ما استتمّ رسول الله ﷺ الكلمة حتى هبط عليه الأمين جبرئيل بهذه الآية ﴿انما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا...﴾.[3]

و ممن روى نزول آية الولاية في علي بن أبي طالب ﷺ الشوكاني في (فتح القدير) ذيل الآية ٥٥ من المائدة، و قال: أخرج الخطيب في المتفق و المفترق عن

---

١. روح المعاني، ج ٦، ص ١٦٧. و الأبيات وردت أيضاً في تذكرة الخواص، ص ١٥ و ١٦؛ كفاية الطالب، ص ٢٢٨؛ مناقب الخوارزمي، ص ١٨٦.

٢. طه، ٣٦.

٣. تفسير الثعلبي؛ تفسير الرازي، ج ١٢، ص ٢٦؛ فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، ج ٢، ص ١١٥٨/٦٧٨؛ شواهد التنزيل الحديث، ص ٢٣٥؛ كنز العمال، ج ١١، ص ٣٢٩٠٩؛ تذكرة الخواص، ص ١٥.

ابن عباس نزولها في علي، و أخرج عبدالرزاق و عبد بن حميد و ابن جرير و أبو الشيخ و ابن مردويه عن ابن عباس، قال: نزلت في علي بن أبي طالب، و أخرج أبوالشيخ و ابن مردويه و ابن عساكر عن علي بن أبي طالب نحوه، و أخرج ابن مردويه عن عمار نحوه أيضاً.[1]

و منهم أيضاً أبوالسعود و الواحدي و السيوطي و الزمخشري و البغوي و الجزري[2] و سائر أصحاب المناقب و التفاسير.

شبهة و جوابها

قال الزمخشري: فإن قلت: كيف صحّ أن يكون لعلي ﷺ و اللفظ لفظ الجماعة؟

قلت: جيء به على لفظ الجمع و إن كان السبب فيه رجلاً واحداً، ليرغّب الناس في مثل فعله[3]. و ظاهر من لغة العرب أنهم يخاطبون الفرد بصيغة الجمع تعظيماً و تكريماً، و هو كثير و مشهور.

و الحقّ أنّ المراد به جميع الائمة الاثني عشر المعصومين ﷺ، فلا يخفى أنّ نزول الآيه لم يكن من أجل تصدّق علي بن أبي طالب ﷺ في حالة الركوع ليظنّ البعض بأنه إذا تصدّق بخاتم تنزل الآية فيه، كلاّ بل إنّ الشخصية الذاتية لعلي ﷺ و امتلاكه الخصوصيات المعنوية هي التي أدّت إلى نزول الآية، إذ لابدّ لنزول الآية من سبب، و كان التصدّق في الركوع سبباً لنزول الآية، و لذلك فإنّ علياً ﷺ حتى لو لم يتصدّق بخاتمه في الصلاة، فإنّه وليّ الله تعالى بعد النبيّ ﷺ على كلّ حال، و لهذا أيضاً فإنّ الأئمة الآخرين لم يتصدّقوا بخاتم و هم في ركوعهم، لكنّهم داخلون في هذه الآية.

---

١. فتح القدير، ج ٢، ص ٥٣.

٢. تفسير أبي السعود، ج ٢، ص ٥٢؛ أسباب النزول، ص ١١٤؛ لباب النقول للسيوطي، ص ٩٣؛ الكشاف، ج ١، ص ٦٤٩؛ معالم التنزيل، ج ٢، ص ٢٧٢؛ جامع الاصول، ج ٩، ص ٦٥٠٣/٤٧٨.

٣. تفسير الكشاف، ج ١، ص ٦٤٩.

فان ضمائر الآية قد جاءت بصيغة الجمع (الذين، يقيمون، يؤتون، و هم، راكعون)، إذن يعلم من تلك الضمائر أنّ علياً لا ينفرد بالولاية، بل إنّ كلّ من يمتلك خصوصيّات علي ﷺ وكمالاته بعده فهو وليّ الناس. كما أنّ الله و رسوله ولّاهم، و على هذا فحتى لولم تكن بين أيدينا الروايات الدالّة على أنّ الأئمة المعصومين هم أولياء الأمر، فإنّ هذه الآية ترشدنا إلى هذه الحقيقة الالهية الاسلامية المهمة، و على هذا يستدل بهذه الآيه على أنّ علياً ﷺ خليفة رسول الله ﷺ مباشرة و من بعده الائمة المعصومين ﷺ.

آية السقاية

من الآيات الكريمة النازلة في شأن علي بن أبي طالب عليه السلام قوله تعالى﴿أجعلتم سِقايةَ الحاجّ و عمارةَ المسجد الحرام كمَن آمَنَ بالله و اليومِ الآخِرِ و جاهَدَ في سبيل الله لا يَستوون عندالله و الله لا يَهدى القومَ الظّالمين * الذينَ آمَنوا و هاجَروا و جاهَدوا في سبيلِ الله بِأموالِهم و أنفسِهم أعظم درجةً عندَ الله و أُولئك هُمُ الفائِزون﴾[1] حيث إن العباس و طلحة بن شيبة و علي بن أبي طالب عليه السلام تفاخروا، فذكر العباس سقاية الحاجّ، و طلحة عمارة المسجد و أنّ بيده مفتاح الكعبة، و علي بن أبي طالب عليه السلام الإيمان بالله قبل الناس بسنوات و الجهاد في سبيل الله، فانطلقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فأخبر كلّ واحدٍ منهم بفخره، فما أجابهم النبي صلى الله عليه وآله بشيءٍ، فنزل الوحي (اجعلتم سقاية الحاجّ) الآيه، فَدَلَّتِ الآية على أنّ علياً عليه السلام أولى و أفضل منهما.

قد أخرج كثير من الحفّاظ و العلماء مجملاً و مفصلاً أنّ الآية في شأن علي عليه السلام، منهم:

١ ـ السيوطي في الدر المنثور بسنده عن محمد بن كعب القرضي، قال: افتخر طلحة بن شيبة و العباس و علي بن أبي طالب عليه السلام فقال طلحة: أنا صاحب البيت معي مفتاحه، و قال العباس: أنا صاحب السقاية و القائم عليها فقال علي عليه السلام: ما أدرى ماتقولون! لقد صلّيت إلى القبلة قبل الناس، و أنا صاحب الجهاد، فأنزل الله تعالى ﴿أجعلكم سقاية الحاج﴾ الآية.[2]

٢ ـ و رواه الجويني بسنده عن أنس بن مالك، قال: قعد العباس بن عبدالمطلب و شيبة صاحب البيت يفتخران، فقال له العباس: أنا أشرف منك، أنا عمُّ رسول الله و

---

١. التوبة، ١٩ و ٢٠.

٢. تفسير الدر المنثور، ج ٣، ص ٢١٨.

وصيُّ أبيه و سقاية الحجيج لي، فقال له شيبة: أنا أشرف منك، أنا أمين الله على بيته و خازنه، أفلا ائتمنك كما ائتمنني؟ و هما في ذلك يشتاجران حتى أشرف عليهما علي بن أبي طالب ؛. فقال له العباس: أفترضى بحكمه؟ قال شيبة: نعم قد رضيت.

فلما جاءهما قال العباس: على رِسلك يابن أخي، فوقف علي؛ فقال له العباس: أنّ شيبة فاخرني، فزعم أنّه أشرف منيّ، فقال علي ؛: فماذا قلت أنت يا عمّاه؟ قال: قلت له: أنا عمّ رسول الله ؛ و وصيُّ أبيه و ساقي الحجيج، أنا أشرف منك، فقال لشيبة: ماذا قلت له أنت يا شيبة؟ قال: قلت له: بل أنا أشرف منك، أنا أمين الله و خازنه، أفلا ائتمنك كما ائتمنتني؟ قال: فقال لهما: إجعلا لي معكما فخراً. قالا: نعم، قال: فأنا أشرف منكما، أنا أولُ من آمن بالوعيد من ذكور هذه الأُمة و هاجر و جاهد.

فانطلقوا ثلاثتهم إلى رسول الله ؛ ، فجثوا بين يديه، فأخبر كلّ واحد منهم بفخره، فما أجابهم النبيّ ؛ بشيء، فنزل الوحي بعد أيّام، فأرسل إلى ثلاثتهم فأتوه، فقرأ عليهم النبيّ ؛ ﴿أجَعَلْتمِ سِقايةَ الحاجّ﴾الآية.[1]

٣ـو ممن روى أنّ نزول الآية في شأن علي بن أبي‌طالب ؛: الواحدي في أسباب النزول ص ١٨٢، عن الحسن و الشعبي، و القرظي، و القرطبي في التفسير، ج ٨، ص ٩٠ عن السدّي، و الرازي في تفسيره، ج ٤، ص ٤٢٢، و الخازن في تفسيره، ج ٢، ص ٢٢١، و أبوالبركات النسفي في تفسيره، ج ٢، ص ٢٢ و ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة، ص ١٢٣، من طريق واحد عن الحسن و الشعبي و القرظي، و الكنجي في الكفاية، ص ١١٣ من طريق ابن جرير، و ابن عساكر عن أنس، و ابن كثير الشامي في تفسيره و غيرهم من علماء أهل السنة، كما نظم غير واحد من شعراء السلف هذه المفاخرة كسيد الشعراء الحميري و الناشيء و البشنوي و نظرائهم.

---

١. فرائد السمطين، ج ١، ص ٢٠٣، ح ١٥٩.

سورة هل أتى (الدهر)

لقد توافق المسلمون على أنّ الآيات من سورة الدهر: ﴿إنّ الأبرار يشربون﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وكان سعيكم مشكوراً﴾ نزلت في علي و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام و جارية لهم تُسمّى فضّة، و ذلك في قصّة التصدّق على المسكين و اليتيم و الأسير. و هو المروي عن ابن عباس و مجاهد و أبي صالح و غيرهم، و ذكرها أغلب أهل التفسير و الحديث.

فقد روى الزمخشري في تفسيره عن ابن عباس: أنّ الحسن و الحسين عليهما السلام مرضا فعادهما رسول الله صلى الله عليه وآله في ناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن، لو نذرت على و لديك؟ فنذر علي و فاطمة و فضّة جارية لهما إن برئا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام، فشفيا و ما معهم شيءٌ، فاستقرض عليّ عليه السلام من شمعون الخيبري ثلاثة أصوع من شعير، فطحنت فاطمة صاعاً، و اختبزت خمسة أقراص على عددهم، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فآثروه و باتوا لم يذوقوا إلاّ الماء، و أصبحوا صياماً، فلمّا أمسوا و وضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه، و وقف عليهم أسيرٌ في الثالثة، ففعلوا مثل ذلك.

فلما أصبحوا أخذ علي عليه السلام بيد الحسن و الحسين، و أقبلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله، فلما أبصرهم و هم يرتعشون كالفراخ من شدّة الجوع، قال: «ما أشدّ ما يَسوؤني ما أرى بكم» و قام فانطلق معهم، فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطنها، و

غارت عيناها فساءه ذلك، فنزل جبرئيل و قال: خذها يا محمد، هنّأك الله في أهلّ بيتك، فأقرأه السورة يعني ﴿هل أتى علىَ الإنسانِ حينٌ مِن الدَّهر لم يَكُن شيئاً مذكوراً * إنّا خَلقنا الانسانَ من نطفةٍ أمشاجٍ نَبتَليه فجعلناهُ سميعاً بصيراً﴾ السورة.[1]

١. تفسير الكشاف، ج ٤، ص ٦٧٠، و انظر، تفسير الرازي، ج ٣٠، ص ٢٤٣؛ فتح القدير للشوكاني، ج ٥، ص ٣٤٩؛ روح المعاني، ج ٢٩، ص ١٥٧؛ معالم التنزيل للبغوي، ج ٥، ص ٤٩٨؛ تفسير أبي السعود، ج ٩، ص ٧٣؛ تفسير البيضاوي، ج ٢، ص ٥٥٢؛ تفسير النسفي، ج ٣، ص ٦٢٨؛ روح البيان للشيخ إسماعيل حقي، ج ١٠، ص ٢٦٨؛ تذكرة الخواص، ص ٢٨١؛ شواهد التنزيل، ج ٢، ص ٣٠٠؛ المناقب لابن المغازلي الشافعي، ص ٢٧٢، ح ٣٢٠.

آية الإنفاق

و من الآيات التي نزلت في فضيلة مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قوله تعالى: ﴿الذينَ يُنفقون أموالَهم بالليلِ و النهار سِرّاً و عَلانيةً فَلَهم أجرُهم عندَ رَبِّهم و لا خَوفٌ عليهم ولا هُم يَحزنُون﴾[1] حيث إنّه كانت عند عليّ أربعة دراهم من فِضّة، فتصدّق بواحد ليلاً، و بواحدٍ نهاراً، و بواحدٍ سرّاً، و بواحدٍ علانية، فنزلت الآية في شانه، و سُمّي كل درهم تصدّق به مالاً وفقاً للآية الشريفه، و إنّما تدلّ الآية على عناية الخالق الكريم جلّ ذكره بأمير المؤمنين عليه السلام بحيث يكون تصدّقه سبباً لنزول بعض آي القرآن، و من الطبيعي أنّ الإنفاق و التصدّق مشمول بعناية و اهتمام الخالق العزيز طالماً يكون مقروناً بالعمل الصالح و إرادة وجه الله تعالى به.

روى ابن المغازلي الشافعي بسنده عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿الذينَ يُنفِقُونَ أموالَهُم﴾ الآية، قال: هو علي بن أبي طالب عليه السلام، كان له أربعة دراهم، فأنفق درهماً سرّاً، ودرهماً علانيةً، و درهماً بالليل، و درهماً بالنهار.[2]

هذه الآية تدلّ بصراحة على فضله عليه السلام في السخاء الذي هو من أشرف مكارم الأخلاق، و أنّ الله قد قبل ذلك منه بأحسن القبول و أنزل آية فيه، و وصفه فيها بأنه من الآمنين يوم القيامة بحيث لا يعتريه شيءٌ من الخوف و الحزن عند أهوال ذلك اليوم، و هذه من صفات الأولياء و الأصفياء، فبذلك و أمثاله استحق التفضيل

---

١. البقرة، ٢٧٤.

٢. المناقب لابن المغازلي الشافعي، ص ٢٨٠، ح ٣٢٥؛ و انظر تفسير الكشاف، ج ١، ص ٣٩٨؛ شواهد التنزيل للحسكاني، ج ١، ص ١٠٩، ح ١٥٥؛ الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، ص ١٢٣؛ ترجمة الامام عليّ من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٤١٤، ح ٩١٢؛ فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٥٦.

على سائر الصحابة، و لو فرض اتصاف الصحابة ببعضها فلا شك في اختصاصهﷺ باستجماعها.

و أنشأ الحميري في ذلك:

و أنفق ماله ليلاً و صبحاً و إسراراً و جهر الجاهرينا
و صدق ماله لمّا أتاه الفقير بخاتم المتختّمينا[1]

١. المناقب لابن شهر آشوب، ج ٢، ص ٧١.

آية الإيثار

لم يكن أحدٌ أكمل و أعلا في الإنفاق و الإيثار من علي و فاطمه و الحسن و الحسين عليهم السلام بعد الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، و لعل ما يجلب النظر هو نزول أكثر من آية في شأنهم، منها: ﴿و يُؤثِرونَ عَلى أنفُسِهِم و لَو كَانَ بِهِم خَصاصة﴾.[1]

عن أبي هريرة: أنّ رجلاً جاء إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فشكا اليه الجوع، فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بيوت أزواجه فقلن: ما عندنا إلاّ الماء! فقال: من لهذا الليلة؟ فقال علي عليه السلام: أنا يا رسول الله، و أتى فاطمة فأعلمها، فقالت: ما عندنا إلّا قوت الصبية، لكنّا نؤثر به ضيفنا، فقال علي عليه السلام: يا بنت محمد، نوّمي الصبية، و أطفئي للضيف السراج، ففعلت وعشّى الضيف، فلمّا أصبح أنزل الله عليهم هذه الآية ﴿و يُؤثِرُونَ عَلى أنفسهم﴾ الآية.[2]

و عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿و يُؤثِرُونَ على أنفسهم﴾ الآية ،قال: نزلت في علي و فاطمة و الحسن و الحسين عليهم السلام.[3]

---

١. الحشر، ٩.

٢. شواهد التنزيل، ج ٢، ص ٢٤٦، ح ٢٧٠.

٣. نفس المصدر.

أمّا الأحاديث:

حديث الثقلين

إنّ من جملة الأحاديث المعتبرة التي رويت عن النبيّ الأكرم ﷺ في فضل علي عليه السلام و عترته الطاهرة هو حديث الثقلين الذي حدّث به النبيّ ﷺ في آخر سنة من سني عمره الشريف في مواضع عدّة، اجتمع فيها خلق كثير من الناس، و في مناسبات هامة تكتظّ بالناس عادة، فقد قاله في عرفة، و في مسجد الخيف بمنى، و في غدير خمّ، و في أواخر أيّام عمره المبارك، و في مرضه الّذي توفّي فيه، في كلّ هذه الموارد كان النبيّ ﷺ يلفت أنظار أصحابه و يوجّه اهتمامهم نحو جوهرتين ثمينتين هما: القرآن، و عترته المعصومين عليهم السلام.

و حتّى في آخر لحظات حياته المباركة حيث أو شك على مفارقة الدّنيا، و حيث يكون الناس عادة أكثر اهتماماً بما يقوله قائدهم و زعيمهم، و يصغون بكلّ أعماقهم لكلماته، فإنّه قال: «إنّي أو شك أن أُدعى فأُجيب، و إنّي تارك فيكم الثّقلين: كتاب الله، و عترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، و عترتي أهل بيتي، إنّ اللطيف الخبير أخبرني أنّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروني بما تخلفوني فيهما».[1]

لقد روي هذا الحديث مع تفاوت في لفظه عن النّبي ﷺ متواتراً من طرق الفريقين، و قد تعرّض له أرباب الصحاح و السنن و المسانيد.[2]

---

١. المناقب لابن المغازلي، ص ٢٣٥، ح ٢٨١

٢. راجع سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٧٨٦/٦٦٢؛ مصابيح السنة، ج ٤، ص ٤٨٠٠/١٨٥؛ مسند أحمد، ج ٣، ص ١٤؛ سنن الدارمي، ج ٢، ص ٤٣٢؛ فضائل الصحابة، ج ٢، ص ١٠٣٥/٦٠٣؛ الخصائص للنسائي، ص ٢١؛ السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٣٣٦؛ تفسير الرازي، ج ٨، ص ١٦٣؛ تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ١١٢؛ ...

ففي هذا الحديث جعل رسول الله التمسّك بأهل البيت و الالتزام بأقوالهم و اعتبارها حجّة في أُصول الدّين و فروعه، عدل الكتاب، فكما أنّ القرآن الكريم حجّة على الجميع و يجب التمسك به، فإنّ النبيّ ﷺ جعل العترة الطاهرة عِدل القرآن ليعلم الناس أنّ التمسك بأقوالهم و أفعالهم واجب عليهم.

ففي صحيح مسلم، في حديث الغدير، عن زيد بن أرقم، عن النبيّ ﷺ: «أيّها الناس، إنّما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربّي فأُجيب، و أنا تارك فيكم ثقلين: أوّلهما كتاب الله فيه الهدى و النور فخذوا بكتاب الله و استمسكوا به، فحثّ على كتاب الله و رغّب فيه، ثمّ قال ـ و أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي، أُذكّركم الله في أهل بيتي».[1]

و روى الحاكم النيشابوري عن زيد بن أرقم عن النبيّ ﷺ نحوه.[2] و واضح أنّ التمسّك بالكتاب هو الأخذ بما فيه، و التمسّك بالعترة هو الأخذ بأقوالهم و سنّتهم، فأقوالهم و سنّتهم حجة شرعية إلهية. فعلى الأُمة الإسلامية التمسك بالعترة الطاهرة في الأعمال و الأقوال، و لا أظنّ أنّ أحداً يجرؤ على القول بأنّ قول أئمة المذاهب الأربعة مقدّم على قول الأئمة الطاهرين الذين هم سفن نجاة الأمّة و باب حطّتها و أعلام هدايتها و باب علم النبيّ ﷺ. و لذلك قال النبيّ ﷺ في شأن الكتاب العزيز و العترة الطاهرة: «فلا تُقدّموها فتهلكوا، و لا تعلّموها فإنّها أعلم منكم».[3]

** تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ١٢٢؛ العقد الفريد، ج ٤، ص ١٢٦؛ تاريخ ابن عساكر، ج ٢، ص ٥٣٦/٣٦؛ مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٦٣ و ١٦٤؛ الجامع الصغير، ج ١، ص ١٦٠٨/٢٤٤؛ الصواعق المحرقة، باب ١١، فصل ١، ص ١٤٩؛ خصائص السيوطي، ج ٢، ص ٤٦٦؛ ذخائر العقبى، ص ١٦ و غيرها من المصادر.

١. صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٢٢.

٢. مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٠٩.

٣. تفسير الدّر المنثور، ج ٢، ص ٦٠.

حديث سدّ الأبواب

عندما هاجر الرّسول الأكرم ﷺ إلى المدينة، شرع في بناء المسجد فيها، و قد كانت هناك مجموعة من المهاجرين الّذين لا يمتلكون وسائل السكنى أو داراً للسكن يعرفون بأصحاب الصُفّة، و قد اتخذوا من مسجد رسول الله ﷺ مقرّاً، و داراً لهم، و لمّا كان المسجد يُشكِّل قاعدة الإسلام و المسلمين و ركيزتهم، فقد أمرهم الرّسول الأعظم ﷺ أن يتركوه، و بعد ذلك اتخذ المهاجرون و الأنصار بيوتاً قرب مسجد رسول‌الله، و جعلوا أبوابها تفتح إلى داخل المسجد، بحيث يستطيعون الذهاب و الإياب من هذه الأبواب، و أن يدخلوا المسجد للعبادة، و قد كان بيت رسول الله ﷺ و بيت عليّ عليه السلام قرب المسجد أيضاً، و يفتح بابهما إلى المسجد أيضاً، حتّى نزل جبرئيل عليه السلام على رسول الله ﷺ و أبلغه بسدّ كلّ الأبواب الّتي تفتح إلى المسجد، و أن يمنع الدخول و الخروج منها إلاّ باب الرّسول ﷺ و باب عليّ عليه السلام.

و من الطبيعي أنّ جماعة من الصّحابة قد سألوا عن السبب، و آخرين اعترضوا على الرّسول الأكرم ﷺ و تساءلوا ما الفرق بين علي عليه السلام و بين الآخرين؟.

و قد أجابهم رسول الله ﷺ ـ بعد أن حمد الله و أثنى عليه ـ: بأنّ هذا إنّما تمّ بأمر من الله تعالى، و إنّني لم أسدّ باباً و لم أفتح باباً إلاّ بأمره عزّوجلّ.

و من خصوصيات هذه الحادثة أنّه ليس لأحد حقّ المرور من المسجد جُنباً إلاّ رسول الله و عليّ و فاطمة و أولادهم المعصومون(صلوات الله عليهم)، و هذه من خصوصيّاتهم، و فيما يلي نذكر بعض الأحاديث الواردة في هذا الخصوص:

١ ـ روى الترمذي عن ابن عباس، قال: إنّ رسول الله ﷺ أمر بسدّ الأبواب إلاّ

باب علي ﷺ.[١]

٢ـ وأخرج الهيثمي بسنده عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: «أخذ رسول الله ﷺ بيدي فقال: إنّ موسى سأل ربّه أن يطهّر مسجده بهارون، وإنّي سألتُ ربّي أن يُطهّر مسجدي بك و بذريّتك، ثمّ أرسل إلى أبي بكر أن سدّ بابك، فاسترجع ثمّ قال: سمعاً و طاعة، فسدّ بابه، ثم أرسل إلى عمر، ثمّ أرسل إلى العبّاس بمثل ذلك، ثمّ قال رسول الله ﷺ: «ما أنا سددتُ أبوابكم و فتحت باب علي، و لكنّ الله فتح باب علي و سدّ أبوابكم».[٢]

٣ـ و في تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي، بسنده عن عوف الأعرابي، عن ميمون الكردي، قالا: كنّا عند ابن عبّاس، فقال رجل: ليته حدّثنا عن علي ﷺ، فسمعه ابن عبّاس، فقال: «أما لأحدّثنّك عنه حقّاً، أنّ رسول الله ﷺ أمر بالأبواب الشارعة في المسجد فسدّت، و ترك باب عليّ ﷺ، فقال: إنّهم وجدوا من ذلك، فأرسل إليهم أنّه بلغني أنّكم وجدتم من سدّي أبوابكم و تركي باب عليّ، و إنّي و الله ما سددتُ من قِبلَ نفسي، و لا تركتُ من قِبلَ نفسي، إن أنا إلاّ عبدٌ، و إنّي و الله أُمرتُ بشيء ففعلت، إن اتّبع إلاّ ما يوحى إليّ».[٣]

٤ـ و في المناقب لابن المغازلي الشافعي، بسنده عن البراء بن عازب، قال: كان لنفر من أصحاب رسول الله ﷺ أبواب شارعة في المسجد، و إنّ رسول الله ﷺ قال: «سدّوا الأبواب غير باب علي» قال: فتكلّم في ذلك أناس، قال: فقام رسول الله ﷺ فحمد الله و أثنى عليه، ثمّ قال: «أمّا بعد، فإنّي أُمرتُ بسدّ هذه الأبواب غير باب علي، فقال فيه قائلكم، و إنّي و الله ما سددت شيئاً، و لا فتحته، و لكنّي أُمرتُ

١. سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٧٣٢/٦٤١.

٢. مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١١٤.

٣. ترجمة الإمام عليّ من تاريخ دمشق، ج ١، ص ٢٥٣، ح ٣٢٣.

بشيء فاتّبعته».[١]

٥ـ و روى أحمد في المسند بسنده عن زيد بن أرقم، نحو مافي المناقب.[٢]

٦ـ و في المناقب للخوارزمي بإسناده عن أبي ذرّ، قال: لمّا كان أوّل يوم في البيعة لعثمان ليقضي اللّه أمراً كان مفعولاً ليهلك من هلك عن بيّنة و يحيى من حيّ عن بيّنة، فاجتمع المهاجرون و الأنصار في المسجد، و نظرت إلى عبدالرحمن بن عوف و قد اعتجر بريطة، و قد اختلفوا و كثرت المناجزة، إذ جاء أبوالحسن ﷺ ـ فحمد الله و أثنى عليه ثمّ ناشدهم بمفاخره و مناقبه إلى أن قال: ـ «هل تعلمون أنّ أحداً كان يدخل المسجد جُنباً غيري؟» قالوا: اللّهمّ لا. قال: «فأنشدكم هل تعلمون أنّ أبواب المسجد سدّها و ترك بابي بأمر الله؟» قالوا: اللّهمّ نعم.[٣]

٧ـ و في مستدرك الحاكم، عن أبي هريرة، قال: قال عمر بن الخطاب: لقد أُعطي علي بن أبي طالب ثلاث خصال، لئن تكون لي خصلة منها أحبّ إليّ من أن أُعطى حُمر النعم. قيل: و ما هنّ، يا أمير المؤمنين؟.

قال عمر: تزوّجه فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وسكناه المسجد مع رسول الله ﷺ يحلّ له فيه ما يحلّ له، و الراية يوم خيبر.[٤]

و لقد روي حديث سدّ الأبواب إلاّ باب عليّ ﷺ كثير من علماء أهل السنّة في كتبهم بطرق مختلفة فراجعها.[٥]

---

١. المناقب لابن المغازلي، ص ٢٥٧، ح ٣٠٥، و انظر نحوه في ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ١، ص ٢٥٧، ح ٣٢٩.

٢. مسند أحمد، ج ٤، ص ٣٦٩.

٣. المناقب لأخطب خوارزم، ص ٢١٣.

٤. مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٢٥.

٥. سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٧٢٧/٦٣٩؛ المستدرك على الصحيحين، ج ٣، ص ١٣٤؛ تاريخ بغداد، ج ٧، ص ٢٠٥؛ مجمع الزوائد، ج ٩، ص ٢٨٤؛ خصائص النسائي، ص ٤؛ حلية الأولياء، ج ٤، ص ١٥٣؛ فضائل الصحابة لأحمد، ج ٢، ص ٩٨٥/٥٨١.

الهدف الحاصل من واقعة سدّ الأبواب

لاشكّ أن هذه الفضيلة كانت من الفضائل الفريدة لأمير المؤمنين ﷺ، تميّز بها عن ساير الصحابة، و لعلّ السماح له ﷺ بالعبور من مسجد النبيّ ﷺ و هو في حال الجنابة، الأمر الذي يعتبر من خصوصيات النبيّ، لم يكن نتيجة القرب العائلي من الرّسول ﷺ لأن حمزة سيّد الشهداء و عمّ الرّسول أقرب منه إلى رسول الله ﷺ، لكنّه لم يكن من المعصومين ﷺ، فالظاهر من الرّوايات أنّ الإمام ﷺ قد اكتسب هذه الفضيلة للياقته لها و لقوّة نفسه و سمّو روحه، فهو قرين رسول الله ﷺ في مثل هذه الفضائل، بل و يتمثّل فيه كلّ خصوصيّات الرّسول إلاّ النبوّة.

و من هنا يتّضح لنا بشكل جليّ أنّ الهدف من سدّ الأبواب هو أنّ رسول الله ﷺ أراد أن يُفهم الآخرين بسموّ مقام أمير المؤمنين ﷺ و اقترانه معه في سائر الفضائل والمناقب التي اختصه الله تعالى بها دون مَن عداه من الأصحاب.

حديث الطير

من الأخبار الّتي تدلّ على أنّ عليّاً عليه السلام أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، و أنّه أحقّ بالخلافة و الامامة بعده صلى الله عليه وآله حديث الطّير المشويّ، ففي سنن الترمذي و غيره عن أنس بن مالك، قال: كان عند النبي صلى الله عليه وآله طير أُهدي إليه، فقال: «اللهمّ ائتني بأحبّ الخلق إليك، ليأكل معي هذا الطائر» فجاء عليّ عليه السلام فرددته، ثم جاء فرددته، فدخل في الثالثة، أو في الرابعة، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: ما حبسك عنّي؟ قال: و الذي بعثك بالحق نبياً إني لأضرب الباب ثلاث مرات و يردّني أنس.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: لِمَ رددته؟ قلت: كنت أُحبّ أن يكون رجلاً من الأنصار. قال صلى الله عليه وآله: لستَ بأوّل رجل أحبّ قومه.[1]

دلالة الحديث صريحة على أنّه عليه السلام أحبّ الخلق إلى الله و رسوله، و لا مجال للشّك و التردّد في أنّ مقام الولاية و الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله لمن كان له هذا الشأن العظيم، و لا يتحمّل العقل و المنطق أن يشغل منصب الخلافة من ليس له هذا الشأن، و لذا كان اعتقادنا نحن الإمامية على أنّ عليّاً عليه السلام هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله بعده صلى الله عليه وآله بلافصل، و أنّه إمام منصوب من قبل الله تعالى، و دليلنا لا ينحصر

---

١. سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٧٢١/٦٣٦؛ خصائص النسائي، ص ٥؛ فضائل الصحابة، ج ٢، ص ٩٤٥/٥٦٠؛ المستدرك على الصحيحين و صحّحه، ج ٣، ص ١٣٠، و قال: رواه عن أنس أكثر من ثلاثين نفساً. مصابيح السنه، ج ٤، ص ٤٧٧٠/١٧٣؛ اسد الغابة، ج ٤، ص ٣٠؛ البداية و النهاية، ج ٧، ص ٣٦٣؛ جامع الأُصول، ج ٩، ص ٤٧١، ترجمة الامام عليّ من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ١٠٦ الى ١٣٤، أخرجه من أربعة و أربعين طريقاً، الرياض النضرة، ج ٣، ص ١١٤، ذخائر العقبى، ص ٦١، و أحصى الكنجي في كفاية الطالب، ص ١٤٤ الى ١٥٦ ستة و ثمانين رجلاً كلهم رووه عن أنس، و قال الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام، ص ٤٦: أخرج ابن مردويه هذا الحديث بمائة و عشرين إسناداً.

بحديث الطّير، بل بأدلّة كثيرة ذكرناها في موارد متعددة من هذا الكتاب.

و يزيدنا في صحة صدور الحديث تصنيف علماء أهل السنة في حديث الطير كتباً و رسائل اختصاصية تبلغ ثمانية:

الأوّل: كتاب طرق حديث الطّير وألفاظه، لأبي جعفر ابن جرير الطّبري المفسّر صاحب التّاريخ، المتوفّى ٣١٠ هـ.

الثاني: كتاب حديث الطّير، لأبي العبّاس أحمد بن محمّد بن سعيد المعروف بابن عقدة، المتوفّى ٣٣٣ هـ.

الثالث: كتاب طرق حديث الطّائر، لأبي عبيدالله بن أحمد الأنباري، المتوفّى ٣٥٦ هـ

الرابع: كتاب جمع طرق حديث الطّير، لأبي عبدالله الحاكم النيشابوري ـ المعروف بابن البيّع ـ صاحب المستدرك، المتوفّى ٤٠٧ هـ.

الخامس: كتاب طرق حديث الطّير، لأبي بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصفهاني، المتوفّى ٤١٠ هـ.

السّادس: كتاب الطّير لأبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، المتوفّى ٤٣٠ هـ.

السّابع: كتاب طرق حديث الطّير، لأبي طاهر محمّد بن أحمد بن علي ـ المعروف بابن حمدان ـ كان حيّاً سنة ٤٤١ هـ.

الثامن: كتاب طرق حديث الطّير، لشمس الدّين محمّد بن أحمد الذهبي، المتوفّى ٧٤٨ هـ.

و قال الحافظ الذهبي في ترجمة الحاكم من كتاب تذكرة الحفاظ: و أمّا حديث الطّير فله طرق كثيرة جدّاً، قد أفردتها بمصنّف، و مجموعها هو يوجب أن يكون الحديث له أصل.[١]

---

١. تذكرة الحفّاظ، ج ٣، ص ١٠٤٢.

حديث المنزلة

من الأخبار الواردة من طرق العامّة و الخاصّة مستفيضة بل متواترة عن النبيّ ﷺ حديث المنزلة، و هو قوله ﷺ مخاطباً لعلي ﷺ: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبيّ بعدي».[1]

سند الحديث

لقد اعترف أكابر علماء المسلمين و ثقات الرواة من الفريقين بصحة سند هذا الحديث، بل لم يختلج في صحّة سنده ريب، و لا سنح في خاطر أحد أن يناقش في ثبوته، حتّى أنّ الذهبي ـ على تعنّته ـ صرّح في تلخيص المستدرك بصحّته، و ابن حجر الهيتمي ـ على محاربته بصواعقه ـ نقل القول بصحّته عن أئمّة الحديث الذين لا معول فيه إلاّ عليهم.

و في الاستيعاب روى قوله ﷺ لعلي ﷺ: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى» جماعة من الصحابة و هو من أثبت الآثار و أصحّها، ثم قال: رواه عن النبيّ ﷺ سعد بن أبي وقّاص، و طرق حديث سعد فيه كثيرة جدّاً، قد ذكرها ابن أبي خيثمة و غيره، و رواه ابن عبّاس، و كذا أبو سعيد الخدري، و أمّ سلمة، و أسماء بنت عميس، و جابر بن عبدالله الأنصاري، و جماعة يطول ذكرهم.[2]

---

١. صحيح البخاري، ج ٥، ص ٢٠٢/٨٩؛ صحيح مسلم، ج ٤، ص ٢٤٠٤/١٨٧؛ أخرجه من سنة طرق. سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٧٣٠، و مابعده، المستدرك، ج ٢، ص ٣٣٧؛ مسند أحمد، ج ١، ص ١٧٣، ١٧٥، ١٨٢، ١٨٤ و ٣٣١؛ مصابيح السنة، ج ٤، ص ٤٧٦٢/١٧١٠؛ جامع الأصول، ج ٩، ص ٦٤٧٧/٤٦٨.

٢. الاستيعاب لابن عبد البر المالكي بهامش الإصابة، ج ٣، ص ٣٤.

ولولا أنّ الحديث بمثابة من الثبوت ما أخرجه البخاري في كتابه، و لولا ثبوته لما اعترف معاوية الّذي كان إمام الفئة الباغية، الذي ناصب أمير المؤمنين ﷺ و حاربه و لعنه على منابر المسلمين، و أمرهم بلعنه، لكنّه ـ بالرغم من وقاحته في عداوته ـ لم يجحد حديث المنزلة، و لا كابر فيه سعد بن أبيوقاص حين قال له: ما منعك أن تسبّ أبا تراب؟

فقال: أمّا ما ذكرت ثلاثاً قالهنّ له النبيّ ﷺ فلن أسبّه، لأن تكون لي واحدة منهنّ أحبّ إليّ من حُمر النعم: سمعت رسول الله يقول له و قد خلّفه في بعض مغازيه، فقال له علّي: «يا رسول الله، خلّفتني مع النساء و الصبيان؟». فقال له النبيّ: «أما ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبوّة بعدي». فأبلس معاوية و كّف عن تكليف سعد.[1]

و أزيدك على هذا كلّه أنّ معاوية نفسه حدّث بحديث المنزلة:

قال ابن حجر في صواعقه: أخرج أحمد، أنّ رجلاً سأل معاوية عن مسألة. فقال سل عنها عليّاً، فهو أعلم. قال: جوابك فيها أحبّ إلّي من جواب عليّ، قال: بئس ما قلت: لقد كرهت رجلاً كان رسول الله ﷺ يغرّه بالعلم غرّاً، و لقد قال له: «أنت منّي بمنزبة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي» الحديث.[2]

و بالجملة فإنّ سند حديث المنزلة مما لاريب في ثبوته بإجماع المسلمين على اختلافهم في المذاهب و المشارب، حتّى أخرجه صاحب الجمع بين الصّحيحين من صحيح البخاري و صحيح مسلم، و سنن ابن ماجة، و مستدرك الحاكم، و أحمد بن حنبل في مسنده و غيرهم، حتّى انتهت طرق العامّة إلى مائة حديث، و الخاصة إلى سبعين حديثاً، و رواه في أكثر من ١٠٥ كتب أعاظم محدثي العامة، و هو من الأحاديث المسلّمة في كلّ خلف من هذه الأمّة.

---

١. صحيح مسلم، ج ٧، ص ١٢٠؛ الفصول المهمّة لابن الصبّاغ المالكي ص ١٢٦.

٢. الصواعق المقصد الخامس من الباب ١١، ص ١٠٧. كما في المناقب لابن المغازلي، ص ٣٤.

دلالة الحديث على إمامته بعد الرسول ﷺ

لقد تضمّن هذا القول من رسول الله ﷺ نصّه عليه بالامامة و إبانته من الكافة بالخلافة، و دلّ به على فضل لم يشركه فيه أحد سواه، و أوجب له به جميع منازل هارون من موسى إلّا ما خصّه العرف من الأُخوّة، و استثناه هو من النُّبوّة. ألاترى أنّه جعل له كافّة منازل هارون من موسى إلاّ المستثنى منها لفظاً و عقلاً. و قد علم كلّ من تامّل معاني القرآن و تصفّح الآيات و الأخبار أنّ هارون كان أخا موسى لأبيه و أمّه، و شريكه في أمره، و وزيره على نبوّته و تبليغه رسالات ربّه، و أنّ الله سبحانه شدّ به أرزه، و أنّه كان خليفتة على قومه، و كان له من الإمامة عليهم و فرض الطاعة كامامته و فرض طاعته. و أنّه أحبّ قومه إليه و أفضلهم لديه. و لو عاش بعد موسى لكان خليفةً له قطعاً لكنّه مات في حياته. فلمّا جعل رسول الله ﷺ علياً منه بمنزلة هارون من موسى، أوجب له بذلك جميع ماعددناه إلاّ ما خصّه العرف من الاخوّة، و استثناه من النبوة لفظاً. و هذه فضيلة لم يشرك فيها أحدُ من الخلق أمير المؤمنين ؈، و لا ساواه في معناه، و لا يقاربه فيها على حال.

قال ابن أبي الحديد: و الذي يدلّ على أنّ علياً وزير رسول الله ﷺ من نصّ الكتاب و السنّة قوله تعالى: ﴿وَ اجْعَل لِي وزيراً مِن أهلي * هارون أخي * أشدد به أزري * و أشرِكهُ في أمري﴾[1]. و قال النبيّ ﷺ في الخبر المجمع علي روايته من سائر فرق الاسلام: «أنت منّي بمنزلةِ هارون مِن موسى إلاّ أنّه لانبيّ بعدي» فأثبت له جميع مراتب هارون و منازله من موسى، فاذن هو وزير رسول الله ﷺ و شادّ أزره، و لولا أنّه خاتم النبيين لكان شريكاً له في أمره.[2]

١. طه، ٢٩ الى ٣٢.

٢. شرح ابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢١١.

حديث الغدير

لمّا قضى رسول الله ﷺ مناسكه في حجّة الوداع، رجع إلى المدينة، فوصل إلى الموضع المعروف بـ(غديرخم)[1] يوم الثامن عشر من ذي الحجّة سنة عشرين من الهجرة ـ و هو مكان قريب من الجحفة بناحية رابغ ـ و معه ﷺ على ما قيل: ما يزيد على مائة ألف، فنزل قوله تعالى: ﴿يا أيّها الرسولُ بَلّغ ما أُنزل إليك مِن ربّك﴾[2] فخطبهم، و قال في خطبته ـ و قد رفع علياً ﷺ للنّاس و أخذ بضبعيه فرفعهما حتّى بان للنّاس إبطيهما ـ: «ألستُ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟». قالوا: بلى. قال ﷺ: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللّهمّ و ال من والاه، و عاد من عاداه، و أحبّ من أحبّه، و أبغض من أبغضه، و انصر مَن نصره، و أعن من أعانه، و اخذُل من خذله، و أدر الحقّ معه حيث دار» ثمّ أفرده بخيمةٍ، و أمر النّاس ببيعته بإمرة المؤمنين حتّى النّساء و منهنّ نساؤه ﷺ، فنزل قوله تعالى في سورة المائدة ٣: ﴿اليوم أكملتُ لكُم دينَكُم و أتممتُ عليكُم نِعمَتي و رضِيتُ لكُم الإسلامَ دِيناً﴾ .

قال العلاّمة الحلبي الشافعي في السيرة الحلبية: و لمّا وصل رسول الله ﷺ إلى محلّ بين مكّة و المدينة يقال له غدير خمّ بقرب رابغ، جمع الصحابة و خطبهم خطبة، قال فيها ﷺ: «أيّها النّاس، إنّما أنا بشر مثلكم، يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأجيب». و في لفظ الطبراني، فقال، «أيّها الناس، إنّه قد نبأني اللطيف الخبير أنّه لم يعمّر نبي إلاّ نصف عمر الذي يليه من قبله، و إنّي لأظنّ أن يوشك أن أُدعى فأجيب، و إنّي مسؤول و إنّكم مسؤولون، فما أنتم قائلون؟» قالوا: نشهد أنّك قد

---

١. غدير خمّ في وادي الأراك على عشرة فراسخ من المدينة و على أربعة أميال من الجحفة .

٢. المائدة: ٦٧.

بلّغت و جهدت و نصحت، فجزاك الله خيراً، فقال صلى الله عليه وآله: «أليس تشهدون أن لا إله إلاّ الله، و أنّ محمّداً عبده و رسوله، و أنّ جنّته حقّ، و ناره حقّ، و أن الموت حقّ، و أنّ البعث حقّ بعد الموت، و أنّ الساعة آتية لا ريب فيها، و أنّ الله يبعث من في القبور؟». قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: «اللّهمّ اشهد» ثمّ حضّ على التمسّك بكتاب الله، و وصّى بأهل بيته، إلى أن قال: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، و عترتي أهل بيتي، و لن يتفرقا حتّى يردا عليّ الحوض».

و قال في حقّ عليّ عليه السلام لمّا كرّر عليهم «ألست أولى بكم من أنفسكم؟» ـ ثلاثاً ـ و هم يجيبونه صلى الله عليه وآله بالتّصديق و الاعتراف، و رفع يد عليّ عليه السلام، و قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللّهمّ و الِ من والاه، و عاد من عاداه، و أحبّ من أحبّه، و أبغض من أبغضه، و انصر من نصره، و أعن من أعانه، و اخذل من خذله، و أدر الحقّ معه حيث دار». ثمّ قال: و هذا حديث صحيح، ورد بأسانيد صحاح و حسان، و لا التفات لمن قدح في صحّته... .[١]

قد روى حديث الغدير أكثر من مائة و عشرة من أعاظم الصحابة الذين شهدوا واقعة الغدير، و رواه من علماء التابعين ما يربو على أربعة و ثمانين نفراً من علماء أهل السنة، و أفرد له بعضهم تأليفاً خاصاً في لفظه و طرقه و أسانيده، فبلغت مؤلفاته نحو اثني عشر مؤلّفاً[٢].

---

١. السيرة الحلبية، ج ٣، ص ٢٧٤.

٢. و من أهم المصادر التي أخرجت لفظ الحديث: سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٣٣. صحيح ابن حبان، ج ٩، ص٤٢؛ مسند أحمد، ج ١، ص ٨٤، ٨٨، ١١٩، ١٥٢، ٣٣١ وساير مجلداته؛ المستدرك، ج ٣، ص ١١٠؛ مصابيح السنة، ج ٤، ص ١٧٢، ح ٤٧٦٧. سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٤٥، ح ١٢١؛ تاريخ بغداد، ج ٥، ص ٤٧٤ و ساير مجلداته و غيرها.

ومن أهمّ المصادر التي أخرجت قصة حجة الوداع، و جاء فيها خطبة النبي صلى الله عليه وآله يوم غدير خم، و فيها لفظ الحديث أيضاً: البداية و النهاية، ٧: ٢٤٧؛ مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٧، ح ١٠٤ الى ١٠٨؛ ⇐

دلالة الحديث على الإمامة الكبرى لعلي ﷺ

حقيقة كلمة المولى: من يلي أمراً و يقوم به و يتقلّده، فمعنى قوله ﷺ: «من كنت مولاه فعلي مولاه» من كنت متقلّداً لأمره و قائماً به، فعليٌ متقلد أمره و قائم به، و هذا صريح في زعامة الأُمّة و إمامتها و ولايتها، فكأن رسول الله ﷺ قال: زعامة الأمة و ولايتهم و سلطنتهم و القيام بأمرهم لعلي ﷺ. فثبت لعلي ﷺ ما ثبت لرسول الله ﷺ من الولاية العامة و الزعامة التامّة.

و الشواهد علي دلالة الحديث على الإمامة الكبرى لعلي ﷺ أُمور:

منها: مخاطبة رسول الله ﷺ لجماهير الناس قبل إيراد هذا المقال بقوله: «ألست أولى بكم من أنفسكم؟» ثمّ فرّع عليه بقوله: «من كنت مولاه فعليٌ مولاه» فلا يكون كسب الإقرار من الناس إلاّ لأجل التمكّن منهم، و حملهم على أن لا يأبوا عمّا يريد أن يعقّبه بجعل عليٍّ الزعيم عليهم و المتصرّف في شؤونهم لا محالة، فتتعيّن إرادة ما هو متضمّن لمعنى التسلّط من معاني لفظ المولى دون غيره من معانيه.

و منها: دعاؤه ﷺ بعد إلقاء هذا المقال في حقّ عليّ ﷺ على النّاس بقوله: «اللّهمّ والِ من والاه، و عادِ مَن عاداه، و انصر من نصره...» المرويّ بطرق كثيرة، فإنّه يدلّ على أنّ الأمر الذي أتى به في عليّ ﷺ يحتاج في تثبّته إلى النصرة و الموالاة له، و يحترز عليه من المعاداة و الخذلان له.

مضافاً إلى دلالة هذا الدعاء في حق عليّ ﷺ على أنّه لا تجوز معاداة عليّ ﷺ، و خذلانه في شيء ممّا يريد، فهو يدلّ على تسلّطه على النّاس بكلّ ما يريد.

و منها: الأخبار الواردة بطرق كثيرة و المشيرة إلى نزول قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ في يوم الغدير، فتدلّ على أنّ المراد بالمولى ما

----

* مناقب الخوارزمي: ص ٨؛ إسعاف الراغبين، ص ١٦٦؛ شرح ابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٢٠٨؛ كفاية الطالب، ص ٦٢؛ تذكرة الخواص، ص ٢٨ الى ٣٣ و غيرها.

يرجع إلى الإمامة الكبرى، إذ ما يكون سبباً لكمال الدين و تمام النعمة على المسلمين ليس إلاّ ما كان من أُصول الدين. مضافاً إلى ما ورد في بعض طرق الحديث من أنّه ﷺ قال عقيب لفظ الحديث: «الله أكبر على إكمال الدين و إتمام النعمة و رضى الرّب برسالتي و الولاية لعليّ بن أبي طالب».

و منها: الأخبار المتقدّمة الدالة على نزول قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِن رَبِّكَ و إن لَم تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ في حقّ عليّ عليه السلام في غدير خمّ. فتدلّ الآية على أنّ ترك نصبه بالولاية مساوٍ لترك تبليغ الرسالة برأسها.

و منها: إلقاء هذا المقال الشريف عقيب أخذ الشهادة منهم بالواحدانية، و الشهادة بالنبوّة، و ذكر قوله: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» في سياقهما يدلّ على أنّ ما أفاده بهذا المقال أمر مهمّ يبتني عليه الإسلام.

و منها: أنّه ﷺ بعد تبليغ الولاية إلى الناس بمجمع من جماهير المسلمين قال: «فليبلّغ الحاضر الغائب» فيدلّ هذا الاهتمام الشديد بإيصال خطابه الشريف و كلامه المنيف إلى جميع المسلمين، على أنّ المراد من الحديث ليس معنىً معلوماً بالكتاب و السنّة يعلمه كلّ أحد كالنصرة و المحبة.

و منها: القرائن الحالية، و هي كثيرة واضحة الدلالة على المقصود، كنزوله ﷺ في حرّ الهجير و السماء صافية على الحصباء و الرمضاء التي كادت تتوقّد من إشراق الشمس، بحيث نقل النقلة من حفاظ الحديث و أئمّة التاريخ أنّه لشدّة الحرّ وضع بعض الناس ثوبه على رأسه، و بعضهم يلفّه برجله، و بعضهم استظلّ بمركوبه، و بعضهم استظلّ بالصخور و انحنائها.. و أمره ﷺ برجوع من تقدّم وتوقّف من تأخّر، و انحناؤه عن يمين الطريق إلى جنب مسجد الغدير، و انشاؤه تلك الخطبة الغرّاء.

و منها: فهم الحاضرين في غدير خمّ عند تلك الواقعة و المستمعين لكلامه، هذا معنى الإمامة الكبرى و الزعامة العظمى، و يشهد لذلك أيضاً أمور:

الأوّل: بيعة النّاس لعليّ عليه السلام ومصافقتهم معه وتهنئتهم للنبيّ ولعليّ (صلوات الله

عليهما) و أوّل من أقدم بالتهنئة والبخبخة أبوبكر ثمّ عمر بن الخطّاب ثمّ عثمان و...[١]

الثّاني: واقعة الحارث بن النعمان الفهري، حين سمع حديث الغدير من النبي ﷺ دعا على نفسه بنزول المطر من الحجارة، فأجابه الله دعوته، و رماه بحجر فسقط على هامته و خرج من دبره، فأنزل الله ﴿سألَ سائِلٌ بِعذابٍ واقِعٍ﴾.[٢]

الثّالث: استيذان حسّان بن ثابت من الرسول ﷺ في نظم أبيات في الواقعة فقال:

يُناديهم يَوم الغدير نَبيُّهم بخُمٍّ و أسمع بالرسولِ مُنادياً[٣]

الرابع: أنّ أمير المؤمنين ﷺ بعد اجتماع النّاس على نصبه بالخلافة و استقرار الأمر إليه لمّا نُوزِع في أمر الخلافة، حضر رحبة الكوفة بمجتمع من النّاس، و استنشدهم بهذا الحديث، ردّاً على مخالفيه في أمر الخلافة، فأجابوه: بنعم.[٤]

الخامس: احتجاجه ﷺ و غيره من الأئمّة و بعض الصحابة بحديث الغدير لأحقيّته ﷺ بالخلافة العظمى و الإمامة الكبرى.[٥]

و بالجملة فكلّ من بلغه هذا الحديث، فهم منه الإمامة و الزعامة الكبرى في ذلك العصر و الأعصار التالية عصراً بعد عصر من العلماء على اختلاف مشاربهم و فنونهم و الشعراء و أرباب الأدب، و من شاء الوقوف على تلك الأشعار، فليراجع الغدير للمرحوم الأميني (شكر الله سعيه و حشره مع مواليه.)

اللّهمّ إنا أتممنا الحجّة و أوضحنا المحجّة لإخواننا المسلمين، فهم مختارون كما قلت تباركت و تعاليت: ﴿إنّا هَدَيْناهُ السَّبيلَ إمّا شاكِراً وَ إمّا كَفُوراً﴾ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤمن وَ مَنْ شاءَ فَلْيَكفُر﴾ صدق الله العليّ العظيم، وصدق رسوله الكريم، و الحمدلله ربّ العالمين.

---

١. فرائد السمطين، ج ١، ص ٦٤، ح ٣٠؛ تذكرة الخواص، ص ٣٦.

٢. انظر تفسير المنار، ج ٦، ص ٤٦٤، ذيل الآية ١ من المعارج.

٣. فرائد السمطين، ج ١، ص ٧٣، ح ٣٩.

٤. تذكرة الخواص، ص ٣٥.

٥. انظر أسنى المطالب للجزري الشافعي، ص ٥٠.

حديث السفينة وباب حطّة

رُوي عن أبي ذرّ وابن عباس وأبي سعيد الخدري وسلمة بن الأكوع وأبي الطفيل و غيرهم بطرق صحيحة أنّ رسول الله ﷺ قال: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا، و من تخلّف عنها غرق».[1]

و قال ﷺ: «إنّما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة في بني إسرائيل، من دخله غُفِرله»[2].

و قال ﷺ أيضاً: «عليّ باب حطّة، من دخله فيه كان مؤمناً، و من خرج منه كان كافراً»[3].

في وجه التشبيه

قال ابن حجر: وجه تشبيههم بالسفينة أنّ من أحبّهم و عظّمهم شكراً لنعمة مشرّفهم ﷺ و أَخَذَ بهدي علمائهم، نجا من ظلمة المخالفات، و من تخلّف عن ذلك، غرق في بحر كفر النعم، و هلك في مفاوز الطغيان.

و في الخبر أن من حفظ حرمة الاسلام و حرمة رسوله ﷺ و حرمة رحمه،

---

١. المستدرك، ج ٢، ص ٣٤٣؛ و صححه على شرط مسلم، الخصائص الكبرى، ج ٢، ص ٤٤٦؛ الجامع الصغير، ج ٢، ص ٥٣٣: عيون الأخبار لابن قتيبة، ج ١، ص ٢١١؛ المعارف له أيضاً، ص ١٤٦٠ روح المعاني، ج ٢٥، ص ٣٢؛ تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ١٢٣: تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٩١٠ حلية الأولياء، ج ٤، ص ٣٠٦؛ الصواعق المحرقة، ص ٢٣٦؛ مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٦٨؛ البداية و النهاية، ج ٢، ص ٢٩٨؛ ذخائر العقبى، ص ٢٠؛ كفاية الطالب، ص ٣٧٨.

٢. الصواعق المحرقة، ص ١٥٢ و ٢٣٦.

٣. الجامع الصغير للسيوطي، ج ٢، ص ١٧٧؛ الصواعق المحرقة، ص ١٢٥.

حفظ الله دينه و دنياه، و من لا، لم يحفظ الله دنياه و لا آخرته. و ورد: يرد الحوض أهل بيتي و من أحبهم من أُمّتي كهاتين السبابتين، و يشهد له خبر: «المَرءُ مع مَن أحبّ».

و بباب حطّة ـ أي وجه التشبيه به ـ أنّ الله تعالى جعل دخول ذلك البـاب ـ الذي هو باب أريحاء، أو بيت المقدس ـ مع التواضع و الاستغفار سبباً للمغفرة، و جعل لهذه الأُمّة مودّة أهل البيت سبباً لها.[1]

و قال العلامة أبوبكر الحضرمي الشافعي: قال العلماء: وجه تمثيله ﷺ لهم بسفينة نوح ﷺ أنّ النّجاة من هول الطوفان ثابتة لمن ركب تلك السفينة، و أنّ من تمسّك من الأُمّة بأهل بيته ﷺ و أخذ بهديهم، نجا من ظلمات المخالفات، و اعتصم بأقوى سبب إلى ربّ البريّات، و من تخلّف عن ذلك و أخذ غير مأخذهم، و لم يعرف حقّهم، غرق في بحار الطغيان، و استوجب الحلول في النّيران، إذ من لمعلوم ممّا سبق و غير ذلك أنّ بغضهم منذر بحلولها، موجب لدخولها.[2]

فدلالة حديث السفينة و باب حطّة واضحة في وجوب التمسّك بهدي أهل بيت الرسول و عترته المعصومين ﷺ باعتبارهم عدل كتاب الله تعالى والمحافظين على سنّة جدّهم المصطفى ﷺ ومن تصفّح سيرتهم وتاريخهم ﷺ أدرك ذلك بشكل جليّ.

---

١. الصواعق المحرقة، باب ١١، فصل الأول، ص ١٥٢ و ١٥٣.

٢. رشفة الصادي، ص ٨٠.

حديث مدينة العلم

لقد وصل إلينا قول رسول الله ﷺ: «أنا مدينة العلم، و عليّ بابها» متواتراً عن طرق الأئمة المعصومين ﷺ و الصحابة الكرام ﷺ، و أخرجته كتب العامة و الخاصة، كما صرّح فقهاء أهل السنة بصحّة هذا الحديث سنداً و متناً[1].

و قد ألّف الحافظ أحمد بن محمد المغربي كتاباً في هذا الحديث تتبّع فيه أسانيده و أثبت صحّته في بحث نادرٍ في بابه، اسمه (فتح الملك العليّ بصحّة حديث باب مدينة العلم عليّ) و هو مطبوع في مصر. و على هذا فلا يوجد أدنى شكّ في صحّته سنداً و دلالةً، و إن كان الاختلاف في تعابير الحديث، اذ ورد بلفظ «أنا دار الحكمة، و عليّ بابها»[2]، و ورد بلفظ «أنا مدينة الفقه، و عليٌّ بابُها»[3] إلاّ أنّ مضمونه واحد، و هو أنّ الرّسول ﷺ مدينة العلم و الحكمة و عليّ بابها، فمن أراد أن ينهل من ذخائر وكنوز

---

١. المستدرك، ج ٣، ص ١٢٦ و ١٢٧ ؛ و صححه. جامع الأُصول، ج ٩، ص ٦٤٨٩/٤٧٣ ؛ أسد الغابة، ج ٤، ص ٢٢ ؛ البدايه و النهايه، ج ٧، ص ٣٧٢ ؛ ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٩٩١/٤٦٤ـ١٠٠٢ ؛ تاريخ بغداد، ج ١١، ص ٤٩ و ٥٠ ؛ مثبتاً صحة الحديث. الجامع الصغير، ج ١، ص ٢٧٠٥/٤١٥ ؛ تاريخ الخلفاء، ص ١٣٥ ؛ كنزالعمال، ج ١١، ص ٣٢٨٩٠ و ٣٢٩٧٩، و ج ١٣، ص ٣٦٤٦٣ ؛ الصواعق المحرقة، باب التاسع، ص ١٢٢ ؛ الرياض النضرة، ج ٣، ص ١٥٩.

٢. سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٧٣٢/٦٣٧ ؛ مصابيح السنة، ج ٤، ص ٤٧٧٢/١٧٤ ؛ الجامع الصغير، ج ١، ص ٢٧٠٤/٤١٥ ؛ ترجمه الامام عليٌ من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٤٥٩، ح ٩٩٠ ؛ البداية و النهاية، ج ٧، ص ٣٧٢ ؛ الصواعق المحرقة باب التاسع، ص ١٢٢ ؛ حلية الأولياء، ج ١، ص ٦٤ ؛ الرياض النضرة، ج ٣، ص ١٥٩.

٣. تذكرة الخواص لابن الجوزي الحنفي، ص ٥٢.

الوحي الإلهي والعلوم القرآنية والحقائق الإسلامية. فعليه أن يدخل من باب الحكمة (علي بن أبي طالب) والأئمة المعصومين ﷺ إلى المدينة المتمثّلة بالرّسول الأكرم ﷺ.

و كذلك من أراد التعرّف على حقائق القرآن، و أسباب النّزول، و النّاسخ و المنسوخ، و العامّ و الخاصّ و... فعليه الاستفادة من علم عليّ ﷺ، و لهذا قال الرّسول ﷺ: «عليّ مع القرآن، و القرآن معه.»[1]

و كذلك أيضاً من أراد التعرف على أحكام الإسلام السياسيّة و العبادية و الاجتماعية و التربوية و القضائية و على كلّ حقائق الإسلام المحمديّ الأصيل يجب أن يستفيد من علم عليّ ﷺ، إذ لا يوجد أيّ سبيل إلى العلوم الإلهية إلاّ عليّ ﷺ، فلقد كان و لا يزال علم عليّ ﷺ عيناً تنبع بالفيض الإلهي و خزائن الحقايق السرمدية في كلّ مكان و زمان، و حتّى فترة الـ (٢٥) عاماً الّتي عاشها بعيداً عن السياسة بعد وفاة الرّسول ﷺ و الّتي اشتغل خلالها بالزّراعة و العمل، فمع هذا كان الخلفاء الثلاثة يرجعون إلى عليّ ﷺ في حلّ مشكلاتهم القضائية و العلمية المختلفة، رغم أنّ رغبتهم الباطنية هي عدم ظهوره ﷺ في الساحة السياسة.

لقد اضطرّ الخلفاء الثلاثة إلى الرجوع إلى عليّ ﷺ في أكثر معضلاتهم القضائية و العلمية و السياسية إلى الحدّ الّذي قال الخليفة الثاني: «لو لا عليّ لهلك عمر»[2] و قال أيضاً: «لا أبقاني الله بعدك يا عليّ».[3] و قال أيضاً شطاباً لعلي ﷺ: «لولاك لا فتضحنا».[4] و قال أيضاً: «لا عشت في قوم لستَ فيهم أبا حسن».[5] و قال عثمان الخليفة الثالث: «لو لا عليّ لهلك عثمان.»[6]

---

١. مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٢٤.

٢. ذخائر العقبى، ص ٨٢.

٣. الرياض النضرة، ج ٣، ص ١٦٦.

٤. ربيع الأبرار للزمخشري، ج ٤، ص ٤٦.

٥. ترجمة الامام عليّ من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٣٠، ح ٧٢؛ مناقب الخوارزمي، ص ٥١.

٦. زين الفتى ـ للحافظ العاصمي ـ عنه الغدير للشيخ الأميني، ج ٨، ص ٢١٤.

حديث تشبيهه ﷺ بالأنبياء

شبّه رسول الله ﷺ عليّاً بالأنبياء في موارد و مناسبات متعدّدة، و أمام جمع من الصحابة، و التعبير الّذي تداوله ﷺ في هذا المجال هو رواية أبي الحمراء: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، و إلى نوح في فهمه، و إلى إبراهيم في حلمه، و إلى يحيى بن زكريا في زهده، و إلى موسى في بطشه، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب».[1]

و عن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى إبراهيم في حلمه، و إلى نوح في حكمه، و إلى يوسف في جماله، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب ؑ.»[2]

فقد شبّه رسول الله ﷺ عليّاً ؑ بهؤلاء الرّسل ؑ في اكتسابه ؑ للخصال الشريفة من خصالهم:

فمن آدم أبي البشر، العلم، فإنّ الله تعالى خصّه بأنّه علّمه الأسماء كلّها ثمّ أبان فضله بذلك، و نوّه بعلمه حيث عرض على الملائكة أسماء المسمّيات، و طلب منهم إنباءه بأسمائها فعجزوا، و طلب من آدم إنباءهم، فأنبأهم ؑ بها، فهذه فضيلة من أشرف فضائل آدم الّتي شرف بها بين الملأ الأعلى.

و شبّهه بنوح ؑ في فهمه، لأنّه أمره الله تعالى بصنعة الفلك، و فيها من دقائق الإحكام و الإتقان ما لا تحصره الأقلام، و لا تدركه الأفهام، و كانت لم تعرف و لا

---

١. المناقب لابن المغازلي، ص ٢٥٦/٢١٢؛ وسيلة المتعبّدين، القسم الثاني، من ج ٥، ص ١٦٨؛ نحوه، فرائد السمطين، ج ١، ص ١٣١/١٧٠؛ ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٨١١/٢٨٠؛ شواهد التنزيل، ج ١، ص ١٦/٧٨ و ١١٧؛ مقتل الحسين للخوارزمي، ج ١، ص ٢٣/٤٤؛ من الفصل الرابع، و المناقب له أيضاً، ج ٤٠، الفصل ٧؛ ذخائر العقبى، ص ٩٣.

٢. ذخائر العقبى، ج ١، ص ٩٤.

أهتدى إليها فكر قبل ذلك، و كان فيها من الإتقان و البيوت الّتي جعلها له و لمن معه، و الأنعام و الوحوش و السباع و اختلافها طولاً و عرضاً كجؤجؤ طائر، و قد جعل الله الحمل فيها من آياته، حيث قال: ﴿و آيةٌ لهم أنّا حملنا ذرّيّتهم في الفُلك المشحون﴾[1] و عدّ الامتنان بها في الذّكر في عدّة من الآيات، فالمراد فهمه لما ألهمه من صنعتها، ولذلك جعل صنعتها مقيدة بأعيننا في قوله: ﴿وَ اصنَعِ الفُلكَ بأعيُنِنا﴾[2] و قوله ﷺ في حديث التشبيه له: «في حكمه» كما في الحديث الثاني، أي في حكمه الناشيء عن حِكَمِه و قوّته و صحّته.

و يحتمل أن يكون المراد فهمه العام في صنعة الفلك و غيره ممّا فهمه عن الله تعالى و أمره.

و شبّهه رسول الله ﷺ بالخليل في حلمه، و هو من أشرف الصفات. و لذلك قيل: ما نعت الله الأنبياء بأقلّ ما نعتهم بالحلم، و ذلك لعزّة وجوده، و لقد نعت الله إبراهيمﷺ بقوله: ﴿إنّ إبراهيمَ لأوّاهٌ حليم﴾[3] و قوله: ﴿إنّ إبراهيمَ لحليمٌ أوّاهٌ مُنيبٌ﴾[4] ومن حلمهﷺ الّذي تخفّ عنه رواسي الجبال، امتثاله لأمر الله تعالى بذبح ولدهﷺ و إضجاعه و كتفه له، و إمرار المدية[5] على حلقه، لو لا منع الله لها أن تقطع، فلهذا و صفة الله و وصف ولده بالحلم.

و شبّههﷺ بيحيى بن زكريّاﷺ في زهده، إذ يحيىﷺ هو عَلَمُ الزّهادة في أبناءِ آدم مَن تأخّر منهم و من تقدّم، و قد ملئت الكتب بالكثير من صفات زهده.

و شبّههﷺ بكليم الله في بطشه، و كان موسى ﷺ شديد البطش، و يكفيك أنّهﷺ و كز القبطي فقضى عليه، و أراد البطش بالآخر، و هو في بلد فرعون، و كان

---

١. يس، ٤١.

٢. هود، ٣٧.

٣. يس، ٤١.

٤. هود، ٣٧.

٥. المدية: السكين.

بنو إسرائيل أرقّاء في يد فرعون، و كان القبط أهل الصولة و الشوكة و الدولة.

و شبّهه ﷺ في الحديث الآخر بيوسف في جماله، و يوسف في جماله شمس لا يزيدها الوصف إلاّ خفاءً، فهي أظهر من أن تظهر.

المراد من التشبيه

لعلّ الهدف من أحاديث تشبيهه ﷺ بالأنبياء (صلوات الله عليهم) هو:

١ ـ أنّ عليّاً ﷺ يمتلك كلّ صفات الأنبياء المُثلى، بل إنّه جمع من كلّ نبيّ صفة الكمال الّتي خصّه الله تعالى بها، و لا شك أنّ من يجمع صفات الأنبياء ﷺ الكماليّة لابدّ أن يكون أتمّ و أكمل و أفضل منهم بعد الرّسول ﷺ. لأنّ ثمّة علاقة بين أوصاف الأنبياء و بين أفضليتهم على البشر.

٢ ـ مراد الرّسول من هذا التشبيه تعيين الخليفة و الإمام من بعده، و أنّه ﷺ يملك الأهلية لولاية المسلمين بما يحمله من صفات الفضيلة.

قال ابن تيمية في منهاج السنة: إنّ رسول الله ﷺ أفضل الخلف، و كلّ من كان به أشبه فهو أفضل ممّن لم يكن كذلك، و الخلافة كانت خلافة نبوّة لم تكن ملكاً، فمن خلف النبيّ ﷺ و قام مقام النبيّ ﷺ كان أشبه بالنبيّ ﷺ، و من كان أشبه بالنبيّ ﷺ كان أفضل، فمن يخلفه أشبه به عن غيره، و الأشبه به أفضل، فالّذي يخلفه أفضل.

أقول: يظهر من صدر كلامه من كان أشبه برسول الله ﷺ كان أفضل الخلق، و كانت الخلافة لمن كان أشبه برسول الله ﷺ، فلا شك بمقتضى أخبار التشبيه أنّ عليّاً ﷺ أشبه برسول الاسلام ﷺ من غيره، إذ من يمتلك صفات الأنبياء المُثلى فهو أكمل و أتمّ و أفضل من غيره بعد نبيّ الإسلام ﷺ، و هو أليق بمقام الخلافة و الوصاية بعده ﷺ.

حديث علي ﷺ مع القرآن

من الفضائل المختصّة بعليّ بن أبي طالب ﷺ قول رسول الله ﷺ: «عليّ مع القرآن و القرآن مع عليّ، لن يفترقا حتّى يَردا على الحوض».[1]

كان عليّ ﷺ منذ بداية نزول الوحي إلى جنب رسول الله ﷺ، و لم يفارقه في حالة إلاّ موارد نادرة طلب فيها إذنه ﷺ مثل ليلة المبيت، و غزوة تبوك، و البعث إلى اليمن، و كان ما زال حامياً و ناصراً لرسول الله ﷺ، و حتّى لحظة وفاة رسول الله ﷺ، حيث كان رأسه ﷺ في حجره ﷺ، و لهذا اختصّ عليّ ﷺ بمعرفة كلّ ما نزل من الوحي على رسول الله ﷺ، و كان طبيعياً أنّه يعلم خاصة بعد رسول الله ﷺ خصوصيّات الوحي من ساعات النزول و دقائقه إلى لحظات آخر عمره المبارك ﷺ، و من أنّه نزل في الليل أو النهار، في السهل أو الجبل، في الحضر أو السفر، و على من و لمن نزل، يعلم ناسخه و منسوخه، عامّه و خاصّه، ظاهره و متشابهه، و هو يعلم إعرابه وترتيب نزوله... خصوصاً أنّه ﷺ وصّاه بجمع القرآن حتّى لا يضيّعوه كما ضيّعت اليهود التوراة.

وأيضاً فقد أملاه رسول الله ﷺ على عليّ ﷺ و هو يكتبه، و دعا الله تعالى له ﷺ أن يعلّمه فهمه و حفظه، واستجاب الله دعاءه ﷺ فصار ﷺ حافظاً للقرآن، و عالماً بمفاهيمه، كيف وقد علّمه ﷺ من العلم ألف باب ينفتح له من كلّ باب ألف باب آخر.

و أدلّ دليل و شاهد على ذلك حديث الثقلين قوله ﷺ: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، و عترتي» فإنّ عليّاً ﷺ جُعِل في هذا الحديث عدل القرآن، و مع كل هذا هل يصلح أحد للإمامة و الخلافة و إقامة أحكام القرآن و الوحي بعد رسول الله ﷺ و تفسيره غير علي ﷺ؟

---

١. مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ١٢٤؛ كنز العمال، ج ١١، ص ٦٠٣.

حديث علي ﷺ مع الحق

إنّ أحد الأحاديث المتواترة من طريق الفريقين هو قول رسول الله ﷺ: «عليّ مع الحقّ و الحقّ مع عليّ، و لن يفترقا حتّى يردا على الحوض يوم القيامة».[1]

روى ابن عساكر الشافعي بسنده عن أبي ثابت مولى أبي ذر، قال: دخلت على أمّ سلمة فرأيتها تبكي و تذكر علياً، و قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عليّ مع الحقّ و الحقّ مع عليّ، و لن يفترقا حتّى يردا على الحوض يوم القيامة».[2]

و عنه أيضاً، عن أبي ليلى الغفاري، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ستكون من بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب، فإنّه أوّل من يراني، و أوّل من يصافحني يوم القيامة، و هو معي في السماء الأعلى، و هو الفاروق بين الحقّ و الباطل».[3]

وروى الترمذي بسنده عن عليّ ﷺ ـ في حديث ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله علياً، اللهمّ أدر الحقّ معه حيث دار».[4]

و في فرائد السمطين بسنده عن شهر بن حوشب، قال: كنت عند أمّ سلمة إذ استأذن رجلٌ فقالت له: من أنت؟ قال: أنا أبو ثابت مولى علي بن أبي طالب ﷺ. فقالت أمّ سلمة: مرحباً بك يا أبا ثابت ـ ادخل، فدخل فرحّبت به، ثمّ قالت: يا أبا

---

١. تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ٣٢١؛ مستدرك الحاكم، ج ٣، ص ٢٤؛ كنز العمال، ج ١١، ص ٦٠٣؛ فرائد السمطين، ج ١، ص ١٧٦، ح ١٣٩.

٢. ترجمة الامام عليّ من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ١٩٩، ح ١١٦٢.

٣. نفس المصدر، ج ٣، ص ١١٢، ح ١١٦٤.

٤. سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٣٣، ح ٣٧١٤؛ المستدرك، ج ٣، ص ١٢٤.

ثابت، أين طار قلبك حيث طارت القلوب مطائرها؟ فقال: مع علـيّ ﷺ. قـالت: وفّقت و الذي نفسي بيده، لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عليّ مع الحقّ و القرآن، و الحقّ و القرآن مع عليّ، و لن يفترقا حتّى يردا علي الحوض».[1]

و في تفسير الرازي: أما إنّ علي بن أبي طالب كان يجهر بالتسمية، فـقد ثـبت بالتواتر، و من اقتدى في دينه بعليّ بن أبي طـالب فـقد اهـتدى، و الدليـل عـليه قوله ﷺ: «اللهم أدر الحقّ مع عليّ حيث دار».[2]

فاتّضح من هذه المسانيد أنّه لا شكّ في صدور الحديث، و إنّما الكلام في وجـه صدوره، و لماذا تكلّم النبيّ ﷺ بهذه الكلمات في حقّه ﷺ؟

لا شك أنّ النبيّ الأكرم ﷺ كان يرى بنور الوحي أن الفرقة و الخلاف ستقع بين المسلمين في المستقبل القريب، و سيتبع كلّ رجـل جمـاعة خـاصّة سـتقف بـوجه عليّ ﷺ، و سيسلّون السيوف بوجهه، و يظهرون أنـفسهم مـن خـلال الدجـل و التضليل أنّهم يمثّلون الحقّ و أنّ علياً على باطل. فأراد النبيّ ﷺ أن يحذّر المسلمين من مغبّة هذه الأحداث، فأطلق عبارات مختلفة، منها: (عليّ مع الحقّ، و الحقّ مـع عليّ) و ذلك لئلاّ يقف أصحابه و بقيّة المسلمين في مواجهة عليّ ﷺ ـ أي الحقّ ـ و لتكون الحجّة قد تمّت عليهم بذلك، و لئلاّ يسيروا في طريق الضلال بعد هذا البيان و هم يظنّون أنّهم يسلكون سبيل الحقّ، و لئلا يظنّوا فيما بعد أنّ الحرب ضدّ عليّ ﷺ جهاد في سبيل الله، و ليعلموا أنّ علياً ﷺ أحقّ النّاس بالخلافة، و ليست الخلافة إلاّ له، و كلّ من يتّبع غير سبيل عليّ ﷺ فقد ضلّ و اتّبع الباطل.

ويدلّ على ذلك ما أخرجه الجويني بسنده عن علقمة و الأسود قالا: أتينا أبـا أيّوب الأنصاري، فقلنا له: يا أبا أيّوب، إنّ الله تعالى أكرمك بنبيّه ﷺ فيالك مـن فضيلة من الله فضّلك بها، أخبرنا بمخرجك مع عليّ تقاتل أهل «لا إله إلاّ الله»؟!.

---

١. فرائد السمطين، ج ١، ص ١٧٦، ح ١٦٠.

٢. التفسير الكبير، ج ١، ص ٢٠٥.

فقال أبو أيّوب: فإنّي أُقسم لكم بالله، لقد كان رسول الله ﷺ معي في هذا البيت الّذي أنتما فيه معي، و ما في البيت غير رسول الله ﷺ و عليٌّ جالس عن يمينه، و أنا جالس عن يساره، و أنس قائم بين يديه، إذ حُرّك الباب، فقال رسول الله ﷺ: «يا أنس، افتح لعمّار الطيّب المطيّب» ففتح أنس الباب، و دخل عمّار، فسلّم على رسول الله ﷺ فرحّب به، ثمّ قال لعمّار: «إنّه سيكون في أُمّتي من بعدي هنات حتّى يختلف السيف فيما بينهم، و حتّى يقتل بعضهم بعضاً، و حتّى يبرأ بعضهم من بعض، فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الأصلع الّذي عن يميني ـ يعني عليّ بن أبي طالب ؛ ـ و خلّ عن النّاس.

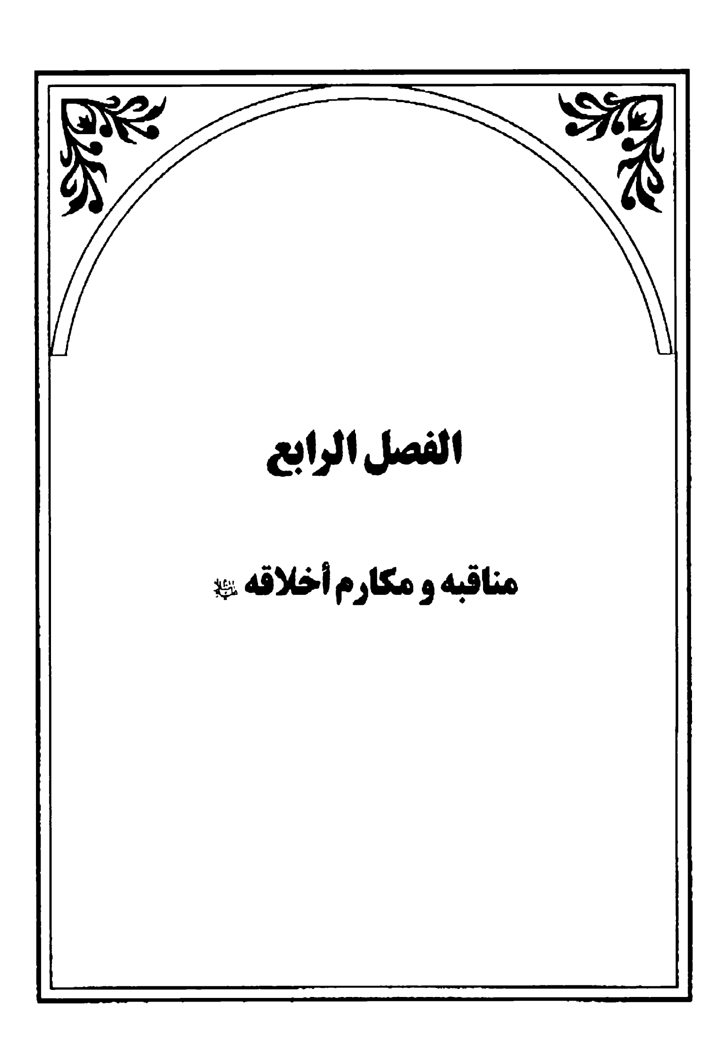
يا عمّار، إنّ عليّاً لا يردّك عن هدى، و لا يدلّك على ردى. يا عمّار، طاعة عليّ طاعتي، و طاعتي طاعة الله عزّوجلّ».[1]

هذا و قد ثبت بالاسانيد الصحيحة أنّ رسول الله ﷺ قال لعمار بن ياسر ؛: يا عمار، تقتلك الفئة الباغية،[2] و هو يدلّ بوضوح على أنّ الفئة التي قاتلت علياً ؛ كانت باغية، و أنّ علياً ؛ كان مع الحقّ و الحقّ معه حيثما حلّ.

---

١. فرائد السمطين، ج ١، ص ١٧٨، ح ١٤١.

٢. صحيح البخاري، كتاب الصلاة، ج ١، ص ١٩٤؛ صحيح مسلم، كتاب الفتن، ج ٤، ص ٢٢٣٥/٧٠، ٧٢، ٧٣؛ مسند أحمد، ج ٢، ص ١٦١ و ١٦٤.



الفصل الرابع

مناقبه و مكارم أخلاقه ﷺ

عناوين الفصل

كلمة في مناقبه و..

الكلام عن مكارم أخلاقه ﷺ و عن مناقبه وفضائله ، يعدّ من الأُمور التي يصعب استقضاؤها و الخوض في غمارها، فهو ﷺ بحر العلوم، و باب مدينة العلم، و باب دار الحكمة، و قسيم الجنّة و النار، و هو الذي رُدّت إليه الشمس، و حُبّه حبّ الله و رسوله، و بغضه بغض الله و رسوله، و هو أخو الرسول و وصيّه و خليفته، و زوج البتول، و أبو السبطين الحسن و الحسين ﷺ، و هكذا يكلّ اللسان عن تعداد مناقبه و إحصاء فضائله، قال ابن عباس: لو أنّ الرياض أقلام، و البحر مداد، و الجنّ حسّاب، و الإنس كتّاب، ما أحصوا فضائل علي بن أبي طالب ﷺ»[1] و سنذكر ما يتيسّر من ذلك من باب ما لا يدرك كلّه لا يترك كلّه:

تربيته في حجر رسول الله ﷺ

قال ابن حجر العسقلاني الشافعي: ولد علي ﷺ قبل البعثة بعشر سنين، فرُبّيَ في حجر النبي ﷺ و لم يفارقه، و شهد معه المشاهد إلاّ غزوة تبوك.[2]

قال ابن هشام: أول ذكر من الناس آمن برسول الله ﷺ و صدّق بما جاءه من الله تعالى علي بن أبي طالب، و هو يومئذٍ ابن عشر سنين، و كان مما أنعم الله على علي بن أبي طالب أنّه كان في حجر رسول الله قبل الاسلام.[3]

وقال ابن الأثير وغيره من المورخين: وكان من نعمة الله على علي بن أبي طالب

---

١. فرائد السمطين، ج ١، ص ١٦؛ كفاية الطالب، ص ٢.

٢. الاصابة لابن حجر، ج ٢، ص ٥٠٧.

٣. السيرة النبوية لابن هشام، ج ١، ص ٢٦٢.

أنّ قريشاً أصابتهم أزمةٌ شديدةٌ، و كان أبوطالب ذا عيال كثير. فقال يوماً رسول الله ﷺ لعمّه العباس: يا عمّ، إنّ أباطالب كثير العيال، فانطلق بنا نخفّف عن عيال أبي طالب، فانطلقا إليه و أعلماه ما أرادا. فقال أبوطالب: اتركا لي عقيلاً، و اصنعا مـا شئتما. فأخذ رسول الله علياً، و أخذ العباس جعفراً، فلم يزل عليّ عند النبي ﷺ حتى أرسله الله فاتّبعه.(١)

قال عليّ ﷺ حول موضعه من رسول الله ﷺ و تربيته في حجره: «وَ قَد عَلِمْتُم مَوضعي مِن رسولِ الله بالقرابةِ القَرِيبَةِ و المنزلة الخَصِيصَة. وَضَعني في حجره وَ أنا وليدٌ يَضمُّني إلى صَدره، وَ يكنِفني في فِراشِه، و يُمِسُّني جَسَدَهُ، وَ يُشمُّني عَرْفَه، و كانَ يَمضَغُ الشيءَ ثمّ يُلقِمُنيه، وَ ما وَجَدَ لي كِذبةً في قول، ولا خَطلةً في فِعل.

و لقد قَرَنَ الله بِهِ ﷺ مِن لَدن أن كان فَطيماً أعظمَ مَلكٍ مِن ملائكته، يَسلُكُ بِهِ طريقَ المَكارِم و مَحاسِنَ أخلاق العالَمِ لَيلَهُ و نهارَهُ، و لقد كُنتُ أتَّبِعه اتِّباع الفَصيل أثَرَ أُمّهِ، يَرفَعُ لي في كلِّ يومٍ مِن أخلاقِه عَلَماً، و يأمُرُني بالاقتداء بِهِ، و لقد كانَ يُجاوِرُ في كُلِّ سَنةٍ بِحِراء، فَأَراهُ ولا يَراهُ غيري.

و لم يَجمَعْ بيتٌ واحدٌ يومئذٍ في الإسلامِ غيرَ رسولِ الله و خديجةَ و أنا ثالثُهُما، أرى نورَ الوحيِ و الرِسالة و أشمُّ ريحَ النُبوّةِ.

و لقد سمعتُ رَنَّةَ الشَيطان حين نَزَلَ الوحيُ عليهِ، فقلتُ: يا رسولَ الله، ما هذهِ الرَنَّة؟ فقال: هذا الشيطانُ، أيِسَ مِن عِبادتِهِ، إنّكَ تَسمعُ ما أسمعُ، و تَرى ما أرى، إلاّ أنّكَ لستَ بنبيٍّ و لكنّكَ لَوَزيرٌ، و إنّكَ لَعَلى خَيرٍ».(٢)

هذه منقبة مختصّة بعلي ﷺ، فعلى هذا حقيق ان يكون هو خليفة رسول الله ﷺ بلافصل و وصيه و وارثه. كما أشار إليه بقوله عن رسول الله ﷺ خطاباً له ﷺ: «أنّكَ لستَ بنبيٍّ، و لكنّكَ لَوَزيرٌ، و إنّكَ لَعَلى خَيرٍ».

---

١. الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٤٨٤؛ تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٥٧؛ السيرة النبوية، ج ١، ص ٢٦٢ و غيره.

٢. شرح ابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ١٩٧؛ نهج البلاغة، الخطبة ١٩٠، ص ٣٠٠ صبحي الصالح.

عليّ ﷺ أول من آمن و صلّى مع الرسول ﷺ

لقد كان علي ﷺ قد سبق الناس كلّهم في الايمان بالله و رسوله بعد خديجة. و ما يدلّ على ذلك روايات كثيرة تبلغ حدّ التواتر. واستقصاؤها مشكـل جـداً. و لذا نكتفي بجملة منها حتى تعرف بأن هذه الفضيلة الفريدة له كسائر فضائله التي لا تعدّ و لا تحصى.

١ـ روى ابن عبدالبر المالكي، عن حبّة العرني، قال: سمعت علياً ﷺ يقول: «لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمّة خمس سنين.»[1]

٢ـ و روى الطبري، عن زيد بن أرقم، قال: أوّل من أسلم مع رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب.[2]

٣ـ و عنه أيضاً: «كان أوّل ذكر آمن برسول الله ﷺ و صلى معه و صدّقه بما جاءه من عند الله علي بن أبي طالب ﷺ، و هو يومئذٍ ابن عشر سنين.»[3]

٤ـ و روي شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، بسنده عن ليلى الغفارية، قالت: كنت أغزو مع النبيّ ﷺ فأداوي الجرحى، و أقوم على المرضى. فلمّا خرج عليّ ﷺ إلى البصرة خرجت معه، فلمّا رأيت عائشة أتيتها، فقلت: هل سمعت من رسول الله فضيلة في عليّ؟ قالت: نعم، دخل عليّ على رسول الله و هو معي، و عليه جرد قطيفة. فجلس بيننا. فقلت: أما وجدت مكاناً هـو أوسـع لك مـن هـذا؟ فـقال النبيّ ﷺ: «يا عائشة، دعي لي أخي، فإنّه أوّل النّاس إسلاماً، وآخر النّـاس بـي

---

١. الاستيعاب بهامش الاصابة، ج ٣، ص ٣١.

٢. تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٥٥.

٣. نفس المصدر.

عهداً، وأوّل النّاس لي لقياً يوم القيامة».[١]

٥ـ و روى نور الدين الهيثمي في (مجمع الزوائد) عن أبي ذر و سلمان، قالا: أخذ النبيّ ﷺ بيد عليّ ﷺ فقال: «إنّ هذا أوّل من آمن بي، وهذا أوّل من يصافحني يوم القيامة، و هذا الصدّيق الأكبر، و هذا فاروق الأمّة يفرق بين الحقّ و الباطل، و هذا يعسوب المؤمنين و المال يعسوب الظالمين».[٢]

٦ ـ و روى ابن عساكر الشافعي، عن أنس بن مالك، قال: أنزلت النبوّة على رسول الله ﷺ يوم الاثنين، و بعث يوم الاثنين، و أسلمت خديجة يوم الاثنين، و أسلم عليّ يوم الثلاثاء ليس بينهما إلاّ ليلة.[٣]

٧ ـ روى الحاكم النيشابوري قال: قال رسول الله ﷺ: «أول هذه الأمّة وروداً عليّ الحوض أوّلهم إسلاماً علي بن أبي طالب».[٤]

٨ ـ و عنه أيضاً عن أبي رافع، قال: صلّى النبيّ ﷺ أوّل يوم الاثنين، وصلّت خديجة آخر يوم الاثنين، و صلّى عليّ ﷺ يوم الثلاثاء من الغد، و صلّى مستخفياً قبل أن يصلّي مع النبيّ ﷺ أحدٌ سبع سنين و أشهراً.[٥]

٩ـروى الطبري و ابن الأثير عن جابر، قال: بعث النبيّ ﷺ يوم الاثنين، و صلّى عليّ ﷺ يوم الثلاثاء.[٦]

١٠ـ و في (مستدرك الحاكم)، عن ابن عباس، قال: لعليّ ﷺ أربع خصال ليست لأحد: هو أوّل عربيّ وأعجميّ صلّى مع رسول الله ﷺ، وهو الّذي كان لواؤه معه في

١. الاصابة، ج ٤، ص ٣٨٩، طبع الدار المصرية.

٢. مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٠٢.

٣. ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ج ١، ص ٤١، ح ٧٤.

٤. المستدرك للحاكم، ج ٣، ص ١٣٦.

٥. ترجمه الإمام علي من تاريخ دمشق، ج ١، ص ٣٩، ح ٧٢.

٦. تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٥٥؛ الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٤٨٣.

كلّ زحف، و هو الّذي صبر معه يوم المهراس[1]، و هو الّذي غسّله و أدخله قبره.[2]

١١ـ و قال ابن الصباغ المالكي: ربّاه النبيّ ﷺ ـ يعني عليّاً ـ و أزلفه و هداه إلى مكارم الأخلاق و الفقه، و كان رسول الله ﷺ قبل بدء أمره إذا أراد الصّلاة خرج إلى شعاب مكّة مستخفياً و أخرج عليّاً معه، فيصلّيان ما شاءالله، فإذا قضيا رجعا إلى مكانهما.

و ذكر في هامشه: و قال محمّد بن طلحة الشافعي في كتابه (مطالب السؤول) بعد ذلك: فمكثا يصلّيان على استخفاء من أبي طالب و سائر عمومتها و قومهما، ثمّ إنّ أبا طالب مرّ عليهما فقال لرسول الله: ما هذا الّذي أراك تدين به؟ قال: «هذا دين الله و دين ملائكته و دين رسله و دين أبينا إبراهيم، بعثني الله به نبيّاً إلى العباد، و أنت ـ يا عمّ ـ أحقّ من أبديت له النصيحة و دعوته إلى الهدى، و أحق من أجابني إليه و أعانني عليه» و قال عليّ ؑ: «قد آمنت برسول الله و اتّبعته و صلّيت معه لله». فقال له: يا بُنيّ، أما إنّه لم يدعُك إلاّ إلى الخير فالزمه.[3]

١. يوم المهراس: يوم أُحد حيث انهزم الناس غير علي ؑ.

٢. المستدرك للحاكم، ج ٣، ص ١١.

٣. الفصول المهمة ص ٣٣.

يوم الدار (يوم الانذار)

إنّ من أحاط علماً بسيرة رسول الله ﷺ في بدء الحكومة الإسلامية و تشريع أحكامها وتنظيم شؤونها وفق أوامرالله عزّوجلّ يرى عليّاً عليه السلام وزير النبيّ ﷺ في أمره، وظهيره على عدوّه، ووارث حكمه، وصاحب أمره بعده، ومن وقف على أقوال النبيّ و أفعاله من مبدأ أمره إلى منتهى عمره، يجد نصوصه في ذلك متواترة متوالية، و يكفيك منها ما كان في بدء دعوة النبيّ إلى الإسلام قبل ظهور الإسلام بمكّة حين أنزل الله تعالى عليه: ﴿وَ أَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾[1] فدعاهم إلى دار عمّه أبي طالب، و هم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون، و فيهم أعمامه، أبوطالب و حمزة و العبّاس و أبولهب، و في آخر الأمر، قال رسول الله ﷺ: «يا بني عبدالمطّلب، إنّي و الله ما أعلم شابّاً في العرب جاء في قومه بأفضل ممّا جئتكم به، جئتكم بخير الدنيا و الآخرة، و قد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤازرني على أمري هذا، على أن يكون أخي و وصيّي و خليفتي فيكم؟، فأحجم القوم عنها غير عليّ عليه السلام ـ و كان أصغرهم ـ إذ قال: «أنا ـ يا نبيّ الله ـ أكون وزيرك عليه» فأخذ رسول الله ﷺ برقبته، و قال: «إنّ هذا أخي و وصيّي و خليفتي فيكم، فأسمعوا له و أطيعوا» فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع![2]

و روى أحمد في (فضائل الصحابة) و غيره، عن أسماء بنت عميس، قالت: سمعت

---

١. الشعراء، ٢١٤.

٢. معالم التنزيل للبغوي، ج ٤، ص ٢٧٨؛ تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٦٢؛ الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٢٨٦؛ شرح ابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢١١؛ كنزل العمال، ج ١٣، ص ١٣١/٣٦٤١٩.

رسول الله ﷺ يقول: اللّهمّ إنّي أقول كما قال أخي موسى: اللّهمّ اجعل لي وزيراً من أهلي أخي علياً اشدد به أزري و أشركه في أمري، كي نسبّحك كثيراً، و نذكرك كثيراً، إنك كنت بنا بصيراً.[1]

و هذه منقبة جليلة اختصّ بها أميرالمؤمنين عليه السلام، و لم يشركه فيها أحدٌ من المهاجرين الأوّلين ولا الأنصار رضي الله عنهم، ولا أحد من أهل الإسلام، وليس لغيره عدل لها من الفضل، و لا مقارب على حال، و في الخبر بها مايفيد أنّ به تمكّن النبيّ ﷺ من تبليغ الرسالة و إظهار الدعوة و الصدع بالإسلام، و لولاه لم تثبت الملّة و لا استقرّت الشريعة، و لا ظهرت الدعوة، فهو عليه السلام ناصر الإسلام و وزيره الداعي إليه من قبل الله عزّوجلّ، و بضمانه لنبيّ الهدى النصرة، وفي ذلك من الفضل ما لا توازنه الجبال فضلاً، ولا تعادله الفضائل كلّها محلاً وقدراً .

١. فضائل الصحابة، ج ٢، ص ٦٧٨، ح ١١٥٨؛ الرياض النضرة، ج ٣، ص ١١٨؛ ذخائر العقبى، ص ٦٣؛ تفسير الدر المنثور، ج ٥، ص ٥٦٦.

علي ﷺ و المسابقة إلى الهجرة

كان عليّ ﷺ أسبق إلى الهجرة من سائر الصحابة و أكثرهم هجرة، فإنّه هاجر مع رسول الله ﷺ مراراً في صدر الإسلام عندما آمن قليل من المسلمين في مكّة، و نشير إلى هجراته إجمالاً:

الأولى: الهجرة إلى الشعب ـ أعني شعب أبي طالب ـ و كان المهاجرون إليه من بني هاشم، و عليّ ﷺ منهم، و نزل في شأنهم: ﴿السّابِقُونَ الأوّلُونَ مِنَ المُهاجِرِينَ و الأنصار﴾.[1]

الثانية: الهجرة إلى الطائف بعد وفاة أبيه أبي طالب و خديجة الكبرى و قبل الهجرة إلى المدينة، و كان المهاجرون إليها رسول الله ﷺ و عليّاً ﷺ و زيداً، و أقاموا فيها عشرة أيّام، و قيل: أقاموا شهراً، فدعاهم رسول الله ﷺ إلى الإسلام، ثمّ رجعوا إلى مكّة.

الثالثة: الهجرة إلى المدينة و هي أهمّها، و صارت مبدأ تاريخ الإسلام، و منشأ قدرته، و تشكيل حكومته الحقّة، فإنّ عليّاً ﷺ، و إن لم يكن في جوار رسول الله ﷺ لحظة الهجرة و لكنّه نام في فراشه ليلة المبيت و نزلت في شانه: ﴿وَ مِنَ النّاسِ مَن يَشري نَفسَهُ ابتغاءَ مرضاتِ الله و الله رؤفٌ بِالعباد﴾ فقد روى الجويني و الخوارزمي و الحاكم و الحافظ الحسكاني بالاسناد عن حكيم بن جبير، عن علي بن الحسين ﷺ، أنّه قال: «أول من شرى نفسه ابتغاء رضوان الله هو علي بن أبي طالب ﷺ» الحديث.[2]

---

١. التوبة، ١٠٠.

٢. فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٣٠، ح ٢٥٦؛ مناقب الخوارزمي، ص ٧٤؛ المستدرك، ج ٣، ص ٤؛ شواهد التنزيل، ج ١، ص ١٠١، ح ١٤٠.

و هاجر ﷺ ماشياً مع الفواطم بعد أن أدّى ديون رسـول الله ﷺ و أمـاناته و عمل بعهوده، و توقّف رسول الله ﷺ في مسجد قبا حتّى لحق به عليّ ﷺ، ثمّ دخل رسول الله ﷺ المدينة مع عليّ ﷺ.

فهذه هجرة عليّ ﷺ، كان أكثر هجرة من غيره و أسبق إليها، و كانت هجرته حقّاً هجرةً إلى الله و رسوله، و كانت أسمى هجرة بعد هـجرة رسـول الله ﷺ، و اختصّ عليّ ﷺ بهذه المنقبة العالية، و كان هو ﷺ أحسن و أفضل مصاديق آيات الهجرة في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿إنّ الّذينَ آمَنُوا و الّذينَ هاجَروا وَ جاهَدوا في سَبيل الله أولئِكَ يَرجُونَ رحمة الله وَ الله غَفورٌ رحيم﴾[1]، وقوله: ﴿وَ الّذينَ هاجروا وأُخرِجُوا مِن دِيارِهِم و أوذُوا في سَبيلي... ولأُدْخِلنّهم جَنّاتٍ تَجري مِن تَحتِها الأنهارُ ثواباً مِن عندِ الله وَ الله عـندهُ حُسـنُ الثّواب﴾[2]، و قوله: ﴿و الّذينَ هَاجرُوا في الله مِنْ بَعدِ ما ظُلِمُوا لَنُبَوئَنَّهُمْ في الدُّنيا حَسَنَةً وَ لأجرُ الآخِرة أكبَرُ لو كانُوا يَعلَمونَ﴾.[3]

هجرته ﷺ إلى المدينة

قال ابن هشام: و أقام عليّ بن أبي طالب ﷺ بمكة ثلاث ليال و أيامها، حتى أدّى عن رسول الله ﷺ الودائع التي كانت عنده للناس، حتى إذا فرغ منها لحق برسول الله ﷺ.[4]

و قال ابن الأثير: و أمّا عليّ ﷺ فانّه لما فرغ من الذي أمره به رسول الله ﷺ، هاجر إلى المدينة، فكان يسير الليل و يمكن النهار، حتى قدم المدينة، و قد تفطّرت قدماه، فقال النبي ﷺ: ادعو لي علياً. قيل: لا يقدر أن يمشي. فأتـاه النـبي ﷺ و

---

١. البقرة، ٢١٨.

٢. آل عمران، ١٩٥.

٣. النحل، ٤١.

٤. السيرة النبوية، ج ٢، ص ١٣٨.

اعتنقه، و بكى رحمةً لما بقدميه من الورم، و تفل في يديه و أمرّهما على قدميه، فلم يشتكهما بعد حتى قُتِل.[١]

و لاريب انّ نـومه ﷺ عـلى فـراش رسـول لحـفظ الرسـول ﷺ، و وصـيّة الرسول ﷺ له بتسليم الأمانات و الودائع، و تنفيذ عهوده، ثم التحاقه به ﷺ فـي المدينة بصحبة الفواطم و عيالاتٍ من بني هاشم، أولى من هجرة أبي بكر معه قطعاً. و يدلّ على ذلك ما نزل في القرآن الكريم في هجرته ﷺ حيث يقوله تعالى في شأنه ﷺ: ﴿و من الناسِ مَن يَشري نَفسَهُ ابتغاءَ مَرضاتِ الله﴾[٢]، و يقول في أبي بكر حكاية عن قول النبي ﷺ: ﴿لا تحزن إنّ الله معنا﴾[٣]، هذا و النبي ﷺ معه يقوّي قلبه، و لم يكن رسول الله ﷺ مع علي ﷺ، و هو لم يصبه أذىً، و عليّ ﷺ يرمى بالحجارة، و هو مختفٍ في الغار، و عليّ ﷺ ظاهر للكفّار، و إنّما أباته على فراشه ثقةً بنجدته. فكانوا محدقين به إلى طلوع الفجر ليقتلوه، فيذهب دمه بين مجموعة من القبائل، فهذا المبيت أفضل بمراتب من هجرة أبي بكر الذي كان في معيّة رسول الله ﷺ.

روى أحمد بن حنبل و الجويني و الخوارزمي، بالاسناد عن عمروبن ميمون، قال: إنّي لجالس إلى ابن عباس، إذ أتاه تسعة رهط، فقالوا: يا أبا العباس، إمّا أن تقوم معنا، و إمّا أن تخلو بنا من بين هؤلاء.

قال: فقال ابن عباس: بل أنا أقوم معكم، قال: و هو يومئذٍ صحيح قبل أن يعمى، فابتدأوا فتحدّثوا، فلا يدرى ما قالوا، قال: فجاء ابن عباس و هو ينفض ثـوبه و يقول: أُفّ و تُفّ، وقعوا في رجل قال له النبي ﷺ يوم خيبر: «لأبعثنّ رجلاً لا يخزيه الله أبداً، يحبّ الله و رسوله، و يحبّه الله و رسوله» فاستشرف لها من اسـتشرف، فقال ﷺ: أين عليّ؟ فقالوا: إنّه في الرحا يطحن. قال ﷺ: و ما كان أحدكم ليطحن!

---

١. الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ١٠٦.

٢. البقرة، ٢٠٧.

٣. التوبة، ٤٠.

قال: فجاء و هو أرمد لا يكاد يبصر، قال: فنفث في عينيه، ثم هزّ الراية ثلاثاً، فأعطاها إياه، فجاء عليّ عليه السلام بصفيّة بنت حُيي... إلى أن قال: قال ابن عباس: و كان المشركون يرمون النبي صلى الله عليه وآله، فجاء أبوبكر و عليّ نائم، و أبوبكر يحسب أنّه رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: فقال: يا نبي الله، فقال له عليّ: إنّ نبيّ الله قد انطلق نحو بئر ميمون فأدركه. قال: فانطلق أبوبكر، و دخل معه الغار.

قال: و جعل عليّ يُرمى بالحجارة كما كان يرمى رسول الله صلى الله عليه وآله، و هو يتضوّر،[1] و قد لفّ رأسه في الثوب لايخرجه حتّى أصبح، ثم كشف عن رأسه، فقالوا: إنك لئيم![2] و كان صاحبك لا يتضوّر و نحن نرميه، و أنت تتضوّر، و قد استنكرنا ذلك.[3]

و قال عليّ عليه السلام عند مبيته على فراش رسول الله صلى الله عليه وآله:

وقيت بنفسي خير من وطىء الحصا و من طاف بالبيت العتيق و بالحجرِ
رسول إله الخَلْقِ إذ مَكَروا به فنجّاه ذو الطول الإله من المكرِ
و بات رسول الله في الغار آمناً موقّیً و في حفظ الإله و في سترِ
و بتُّ أُراعيهم و ما يثبتونني و قد وطنت نفسي على القتل و الأسرِ[4]

١. أي يتلوّى و يتوجّع.

٢. اللئيم: الشحيح، و خلاف الكريم، و لعلّ المراد هنا الأوّل.

٣. مسند أحمد، ج ١، ص ٣٣٠؛ فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٢٧/٢٥٥؛ المناقب للخوارزمي، ص ٧٣.

٤. ديوان عليّ عليه السلام، ص ٧١؛ الفصول المهمة، ص ٤٨؛ تذكرة الخواص ص ٣٥؛ شواهد التنزيل، ج ١، ص ١٠١، ح ١٤٠؛ فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٣٠، ح ٢٥٦؛ مناقب الخوارزمي، ص ٧٤.

مبيته في فراش النبي ﷺ
و بدء الهجرة

نام علي عليه السلام على فراش النبي ﷺ في الليلة التي هاجر بها النبي ﷺ من مكة إلى المدينة، و فداه بنفسه، حفاظاً على رسول الله ﷺ، حتى نزلت في شأنه ـ على ما رواه المفسرون و أصحاب الرأي و الحديث من العامة و الخاصة ـ هذه الآية: ﴿و مِن الناسِ مِن يَشري نَفسَهُ ابتغاءَ مَرضاةِ الله و الله رؤفٌ بالعباد﴾.[1]

قال أحمد بن أبي يعقوب في تاريخه: أجمعت قريش على قتل رسول الله، و قالوا: ليس له اليوم أحد ينصره، و قد مات أبو طالب؛ فأجمعوا جميعاً على أن يأتوا من كلّ قبيلة بغلام نهد[2]، فيجتمعوا عليه، فيضربوه بأسيافهم ضربة رجل واحد، فلا يكون لبني هاشم قوّة بمعاداة جميع قريش.

فلما بلغ رسول الله ﷺ أنّهم أجمعوا على أن يأتوه في الليلة التي اتّعدوا فيها، خرج رسول الله ﷺ لمّا اختلط الظلام و معه أبو بكر؛ و إنّ الله عزّ وجلّ أوحى في تلك الليلة إلى جبريل و ميكائيل: أنّي قضيت على أحدكما بالموت فأيّكما يواسي صاحبه؟ فاختار الحياة كلاهما، فأوحى الله إليهما: هلاّ كنتما كعلي بن أبي طالب، آخيتُ بينه و بين محمد، و جعلتُ عمر أحدهما أكثر من الآخر فاختار عليٌّ الموت، و آثر محمّداً بالبقاء، و قام في مضجعه، اهبطا فاحفظاه من عدوّه.

فهبط جبريل و مكائيل، فقعد أحدهما عند رأسه، و الآخر عند رجليه،

---

١. البقرة، ٢٠٧.

٢. أي قويّ ضخم.

يحرسانه من عدوّه، ويصرفان عنه الحجارة، وجبريل يقول: بخٍ بخٍ لك يا ابن أبي طالب، من مثلك يباهي الله بك ملائكة سبع سماوات! و خلّف عليّاً عليه السلام على فراشه لردّ الودائع التي كانت عنده، و صار إلى الغار، فكمن فيه، و أتت قريش فراشه، فوجدوا عليّاً عليه السلام، فقالوا: أين ابن عمّك؟ قال: قلتم له: اخرج عنّا، فخرج عنكم.

فطلبوا الأثر فلم يقعوا عليه، و أعمى الله عليهم المواضع، فوقفوا على باب الغار، و قد عشّشت عليه حمامة، فقالوا: ما في هذا الغار أحد؛ و انصرفوا. و خرج رسول الله صلى الله عليه وآله متوجّهاً إلى المدينة، و مرّ بأمّ معبد الخزاعيّة، فنزل عندها. ثمّ نفذ لوجهه حتى قدم المدينة، و كان جميع مقامه بمكّة حتى خرج منها إلى المدينة ثلاث عشرة سنة من مبعثه.[1]

و قال البلاذري: و لمّا هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة، أمر عليّاً بالمقام بعده بمكة حتى أدّى و دائع كانت عند رسول الله صلى الله عليه وآله للناس، فأقام ثلاثاً، ثمّ لحق به فنزل معه على كلثوم بن الهدم الأنصاري، فآخى بينه و بين نفسه، الحديث.[2]

و قال ابن الأثير: لمّا فرغ عليّ عليه السلام عن الّذي أمره به رسول الله صلى الله عليه وآله هاجر إلى المدينة، فكان يسير الليل، و يكمن النهار حتّى قدم المدينة، و قد تفطّرت قدماه، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «أدعوا لي عليّاً» قيل: لا يقدر أن يمشي، فأتاه النبيّ صلى الله عليه وآله و اعتنقه و بكى رحمة لما بقدميه من الورم، و تفل في يديه و أمرّهما على قدميه، فلم يشتكهما بعدُ حتى قتل.[3]

١. تاريخ اليعقوبي، ج ٢، ص ٣٩؛ و راجع التفسير الكبير للفخر الرازي، ج ٥، ص ١٧٤؛ السيرة النبوية لابن هشام، ج ٢، ص ١٢٧؛ الطبقات لابن سعد، ج ١، ص ٢٢٨؛ السيرة الحلبية، ج ٢، ص ١٩٢؛ البداية و النهاية لابن الكثير، ج ٣، ص ١٧٥؛ الكامل في التاريخ لابن الأثير، ج ١، ص ٥١٦؛ تاريخ الطبري، ج ٢، ص ١٠٠؛ الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، ص ٤٥؛ تذكرة الخواص لابن الجوزي، ص ٤١.

٢. ترجمة أميرالمؤمنين من أنساب الأشراف، ص ٧٥.

٣. الكامل في التاريخ، ج ١، ص ٥١٩.

دوره عليه السلام عند وفاة الرسول صلى الله عليه وآله

إنّ تاريخ ولادة الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله و وفاته من المواضيع الّتي لا يمكن الإجابة عنها بشكل صريح و قاطع، إذ إنّ هناك اختلافاً بين علماء الفريقين في التحديد: فالمشهور بين علماء الشيعة و المعمول به عندهم أنّه وُلد في (١٧) ربيع الأوّل من عام الفيل، وتوفّي في (٢٨) صفر للسنة الحادية عشرة من الهجرة، و هو ابن ثلاث و ستّين سنة.

و المشهور بين علماء أهل السنّة أنّ ولادته في (١٢) ربيع الأوّل من عام الفيل و وفاته في (١٢) ربيع الأوّل، و قيل: في الثاني منه، وكان عمره الشريف(٦٣) سنة.

و لقد تربّى عليّ عليه السلام في حجر نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله منذ ولادته، و كان أوّل من آمن به من الذّكور، و أوّل من صلّى جماعة خلف رسول الله صلى الله عليه وآله مع خديجة عليها السلام.

لقد كان عليّ عليه السلام ناصراً و معيناً لرسول الله صلى الله عليه وآله في جميع المصاعب الّتي اعترضته، فقد بات على فراش رسول الله ليلة المبيت، ليبقى النبيّ صلى الله عليه وآله سالماً، و ينجو من القتل، و كان ينصر الإسلام و المسلمين في جميع الغزوات، و كان فيها ـ إلاّ غزوة تبوك ـ جنباً إلى جنب مع رسول الله صلى الله عليه وآله و لم يبتعد عن الرسول في أمر قطّ، بل كان ملازماً له ملازمة الظلّ إلى آخر لحظات حياته المباركة، حيث قُبض رسول الله صلى الله عليه وآله و رأسه في حجر عليّ، و قد علّمه في تلك اللحظات علوماً كثيرة، و لم يكن أحد يدرك عظمة رسول الله صلى الله عليه وآله و سرّه إلاّ عليّ عليه السلام.

عليّ عليه السلام هو الّذي أدّى أمانات رسول الله و هو وصيّه، و بأمر النبيّ صلى الله عليه وآله تولّى عليّ تغسيل النبيّ و تكفينه و الصّلاة عليه و دفنه. فلا شكّ أنّ الحالات الّتي

عاشها النبيّ ﷺ مع عليّ آخر لحظات عمره الشريف تكشف عن مدى القرب والاتصال بين رسول الله و عليّ، و لقد أوكل إليه هذه الأُمور لعلمه وثقته بأنّ عليّاً عليه السلام سينفذّ أوامره، و لا يحيد عنها قيد أنملة، و لم يكن يطمئن لغيره هذا الاطمئنان، فلا شكّ و فيها دليل قاطع و برهان ساطع على خلافة عليّ للنبيّ ﷺ، بالرغم من أنّ النّبيّ كان يصرّ على تبيان خلافه عليّ ،و أنّه الوصيّ من بعده حتّى في آخر لحظات حياته، مضافاً إلى التأكيدات السابقة، إلاّ أنّ هذا الإيداع و التوكيل بحدّ ذاته، و من دون الصراحة في اللفظ، يدلّ على أنّ النبيّ ﷺ كان يعتبر عليّاً وصيّه و خليفته.

و لقد أشار إلى هذه المنقبة الجميلة المختصّة به المفيدة لمزيد اختصاصه برسول الله ﷺ و قربه منه في خطبة له: «و لقد قُبض رسول الله و إنّ رأسَهُ لَعلى صدري، و لقد سالتْ نفسُه في كفّي، فأمْرَرْتُها على وجهي، و لقد وَليتُ غُسلَهُ ﷺ و الملائكةُ أعواني».

ثمّ استدلّ بذلك على أنّه أحقّ و أولى بالخلافة، و القيام مقامه، و أنّه على الحقّ و غيره على الباطل، حيث قال: «فَوَ الّذي لا إله إلاّ هو، إنّي لعلى جادّة الحقّ، و إنّهم لعلى مزلّة الباطل، أقول ما تَسمعون و أستغفر الله لي و لكم».[١]

و نذكر فيما يلي نزراً من الأخبار:

١ـ قال ابن كثير الدمشقي، روى بعض أهل السنن عن علي بن أبي طالب عليه السلام: «أوصاني النبيّ ﷺ أن لا يُغسّله أحدٌ غيري، فإنّه لا يرى أحد عورتي إلاّ طمست عيناه».

قال عليّ عليه السلام: «فكان العبّاس و أُسامة يناولاني الماء من وراء الستر».[٢]

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٧.

٢. البداية و النهاية، ج ٥، ص ٢٢٩؛ و روى نحوه كثير من علماء أهل السنّة، منهم: العلاّمة الذهبي في ميزان الاعتدال، ج ١، ص ٣٤٧؛ و الهيثمي في مجمع الزوائد، ج ٩، ص ٣٦؛ و السيوطي في الخصائص، ج ٢، ص ٢٧٦؛ و العلاّمة الهندي في كنز العمال، ج ٧، ص ٢٥٠.

٢ـ و روى العلاّمة علي المتقي الهندي، عن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه، قال: «أوصى النبيّ ﷺ عليّاً أن يغسّله، فقال عليّ ﷺ: يا رسول الله، أخشى أن لا أطيق ذلك. قال: إنّك ستُعان.

قال عليّ ﷺ: فوالله ما أردت أن أُقلّب من رسول الله ﷺ عضواً إلاّ قُلب».[١]

٣ـ و روى الحافظ القندوزي الحنفي، عن جماعة من الصحابة، قالوا: إنّ أميرالمؤمنين ﷺ لمّا أراد غسل رسول الله ﷺ استدعى الفضل بن عبّاس، فأعانه على ألغسل، فلمّا فرغ صلّى عليه وحده، فقال: «إنّ رسول الله ﷺ إمامنا حيّاً و ميّتاً، فيدخلون فوجاً فوجاً، فيصلّون بغير إمام، و ينصرفون».

و قال: «إنّي أدفنه في حجرته الّتي قُبض فيها» «فلمّا فرغوا من الصلاة عليه، قال عليّ ﷺ لبريد بن سهل، «احفر لحداً، مثل أهل المدينة.» فحفر لحداً ثمّ دخل فيه عليّ والعبّاس والفضل بن العبّاس، فوضعه عليّ ﷺ بيديه، و كشف وجهه الشريف المبارك المقدّس المنوّر، و وضع اللبن، و أهال التراب، (صلوات الله و تحياته و بركاته و سلامه عليه و على أهل بيته دائمة بدوام الله تعالى) ثمّ رجعت فاطمة إلى بيتها، و اجتمعت إليها النساء، فقالت فاطمة ﷺ: «انقطع عنّا خبر السماء».

ثمّ قالت ترثيه:

«اغبرّ آفاق البلاد و كوّرت ... شمس النّهار و أظلم العصران
و الأرض من بعد النبيّ خربة ... أسفاً[٢] عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد و غربها ... و ليبكه مصر و كلّ يمان»[٣]

---

١. كنز العمال، ج ٧، ص ٢٤٩.

٢. في الينابيع: اثنا، تصحيف صحيحه ما أثبتناه من نور الأبصار، ص ٥٣.

٣. ينابيع المودة، ص ٢٦٥.

عليّ خليفة رسول الله و وصيّه

يعتقد إخواننا أهل السنّة أنّ رسول الله ﷺ لم يوص و لم يستخلف، بل فوّض الأمر إلى النّاس أنفسهم، و لذا فإنّ النّاس اجتمعوا بعد رسول الله ﷺ في السقيفة، و بعد تنازع المهاجرين و الأنصار في أمر الخلافة و محاجّتهم ابتدر خمسة منهم، و هم: عمر بن الخطاب، و أبو عبيدة بن الجرّاح، و أُسيد بن حضير، و بشير بن سعد، و سالم مولى أبي حُذيفة، فبايعوا أبا بكر فانعقدت له الإمامة بذلك، ثمّ بايعه آخرون وهم يسمّون هذه البيعة بالشورى.

و في صحيح مسلم، عن ابن عمر: أنّ أباه قال قبل و فاته: إنّي لئن لا استخلف فإنّ رسول الله لم يستخلف، و إن أستخلف فإنّ أبا بكر قد استخلف.[1]

و لكنّا ـ نحن الإماميّة ـ نعتقد أنّ رسول الله ﷺ استخلف عليّاً ؑ، و جعله وصيّه و وزيره و وارثه و حجّة الله على خلقه بعده، و هذا التنصيب و الجعل لم يكن مرّة واحدة، بل كان مرّات كثيرة من بدءِ الرسالة و على مدى دعوته إلى حين وفاته ﷺ، و الرّوايات في هذا الباب مستفيضة متواترة، و هذه الأخبار مؤيّدة بقرائن قطعية، و معضدة بشواهد كثيرة مقطوعة الصّدور عن النبيّ ﷺ.

و ممّا يؤيد هذه الأخبار أنّ بدء دعوة الرّسول ﷺ كان مقروناً بتعيين الوصيّ و الخليفة له، و هو ما حدث في يوم الدّار حين دعاهم رسول الله ﷺ فلم يجبه أحد منهم مع تكرار الدّعوة عليهم إلاّ عليّ بن أبي طالب ؑ، فإنّه أجابه في كلّ مرّة، فأمّره رسول الله ﷺ عليهم، و قال: «هذا وليّي و وصيّي و خليفتي فيكم فأطيعوه».

فقام القوم يضحكون و يقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تطيع ابنك.[2]

---

١. صحيح مسلم، ج ٣، ص ١٤٥٥؛ كتاب الإمارة، ح ١٢.

٢. تقدم الحديث مع تخريجاته في هذا الفصل في «يوم الدار».

و يؤيّد هذه الأخبار أيضاً ما ورد في قصّة الغدير، و ما بها من الشواهد الكثيرة على أنّ الله تبارك و تعالى قد أعلمه بدنوّ أجله ﷺ، و أنّه لابدّ له من أن يجدّد على أُمّته عهد وصيّه و خليفته، و أنزل تعالى عليه: ﴿يا أيّها الرّسُولُ بَلّغ مَا أُنزِلَ إليكَ من ربّكَ وإنْ لم تَفعلْ فَمَا بلّغتَ رسالَتَهُ وَالله يَعصِمُكَ مِن النّاسِ﴾.[1] و قد امتثل رسول الله ﷺ ما أمره الله تعالى فنصب عليّاً ﷺ خليفة له و وصيّاً و وارثاً، و قد ذكرنا هذا الحديث مع ما معه من البحث المستوفي فلا نكرّره هنا لكفاية البحث هناك فلاحظ.[2]

و ممّا يؤيد هذه الأخبار حديث الطّير المشويّ، و قول النبيّ ﷺ في غزوة خيبر، و حديث المنزلة، و آية الولاية و غير ذلك ممّا ذكرناه أو سنذكره في فصول مستقلّة، فراجع كتابنا، ينطق بالحقّ على خلافته ﷺ لرسول الله ﷺ و وصايته، و أنّه وارثه و حجّة الله على خلقه.

روى ابن أبي الحديد المعتزلي في الشرح، عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أدلّكم على ما إن تسالمتم عليه لم تهلكوا؟ إنّ وليّكم و إمامكم عليّ بن أبي طالب ﷺ فناصحوه و صدّقوه، جبرئيل أخبرني بذلك».

قال ابن أبي الحديد عقيب هذا الحديث: فان قلت: هذا نصّ صريح في الإمامة، فما الّذي تصنع المعتزلة بذلك؟

قلت: يجوز أن يُريد أنّه ﷺ إمامهم في الفتاوى و الأحكام الشرعية لا في الخلافة، انتهى كلامه.[3]

أقول: و تأويله هذا يعني أنّ الإفتاء و النظر في الأحكام الشرعية مختصّ بالامام، و أنّ القيادة السياسية مختصّة بالخليفة، و هو أمر يرفضه العقل، و تنكره السنّة النبوية المباركة، و الواقع التاريخي، لأنّ الإمام كالرسول يمثّل القيادة الدينية و السياسية معاً، لا المرجع الديني فقط، و لا فصل في هذه المسألة مطلقاً، فقوله: إنّ

---

١. المائدة، ٦٧.

٢. تقدّم في الفصل الثالث في «حديث الغدير».

٣. شرح ابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٩٨.

عليّاًعليه السلام هو الإمام في الفتاوى فقط، واضح البطلان، وينافي قوله صلى الله عليه وآله مخاطباً لعليّعليه السلام: «لو لا أنّي خاتم الأنبياء لكنتَ شريكاً في النبوّة، فإن لا تكن نبيّاً فإنّك وصيّ نبيّ و وارثه، بل أنت سيّد الأوصياء و إمام الأتقياء»[1] فهذا التعبير يدلّ على أنّ عليّاًعليه السلام مختصّ بوراثة النبيّ صلى الله عليه وآله دون سواه باعتباره وصيّاً و إماماً ومرجعاً في الدين و الدنيا، و ما يترتّب على ذلك من النظر في الأحكام، و سياسة الأُمّة و قيادتها، و كلّ مناصب النبوة، إلاّ أنه عليه السلام ليس نبيّاً و لا يُوحى إليه، كما هو واضحٌ من النّص.

في نصوصه صلى الله عليه وآله على استخلاف علي و وصايته

تقدّم مزيدٌ من الأحاديث و الأخبار الدالّة على كونه عليه السلام خليفة رسول الله صلى الله عليه وآله و وصيّه، يوم الدار و حديث الغدير و حديث المنزلة و غيرها، و فيما يلي نذكر بعضاً آخر منها:

١ـ روى ابن المغازلي الشافعي بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: كنت جالساً مع فتيةٍ من بني هاشم عند النّبيّ صلى الله عليه وآله إذ انقضَّ كوكبٌ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من انقضَّ هذا النجم في منزله فهو الوصيّ من بعدي».

فقام فتيةٌ من بني هاشم، فنظروا فإذا الكوكب قد انقضَّ في منزل عليّعليه السلام، قالوا: يا رسول الله، قد غَوَيتَ في حُبِّ عليّ! فأنزل الله تعالى: ﴿و النّجمِ إذا هَوَى﴾ إلى قوله: ﴿وَ هُوَ بالأُفقِ الأعلى﴾.[2]

المناجاة

٢ـ و أخرج جمع من العامّة منهم الخوارزمي و الجويني و ابن مردويه، عن علي

---

١. المصدر السابق، ج ١٣، ص ٢١٠.

٢. المناقب لابن المغازلي، ص ٣١، ح ٣٥٣؛ الآية من النجم. ١ الى ٤؛ روى نحوه هذا الحديث أيضاً، ص ٢٦٦، ح ٣١٣.

بن محمّد بن المنكدر، عن أم سلمة زوج النبيّ ﷺ ـ و كانت من ألطف نسائه و أشدّهنّ له حبّاً ـ قال: و كان لها مولى أحضنها و ربّاها، و كان لا يصلّي صلاةً إلاّ سبّ عليّاًعليه السلام وشتمه، فقالت له: يا أبه ما حملك على سبّ عليّ؟

قال: لأنّه قتل عثمان و شرك في دمه!!

قالت له: لو لا أنّك مولاي و ربيتني، و أنّك عندي بمنزلة والدي ما حدّثتك بسرّ رسول الله ﷺ، و لكن اجلس حتّى أحدّثك عن عليّ و ما رأيته في حقّه.

قالت: قد أقبل رسول الله ﷺ ـ وكان يومي، و إنّما كان نصيبي في تسعة أيّام يوماً واحداً ـ فدخل و هو مخلّل أصابعه في أصابع عليّ، واضعاً يده عليه، فقال: «يا أمّ سلمة، اخرجي عن البيت، و أخليه لنا» فخرجت، فأقبلا يتناجيان و أنا أسمع الكلام، و لا أدري ما يقولان حتّى إذا قلت: قد انتصف النّهار، فأقبلت فقلت: السّلام عليك، يا رسول الله، ألج؟ فقال النبيّ ﷺ: «لا تلجي و ارجعي مكانك».

ثمّ تناجيا طويلاً حتّى قام عمود الظهر، فقلت: ذهب يومي و شغله عليّ، فأقبلت أمشي حتّى وقفت على الباب، فقلت: السلام عليكم، ألج؟

فقال النبيّ ﷺ: «لا تلجي».

فرجعت فجلست حتّى إذا قلت: قد زالت الشمس، الآن يخرج إلى الصلاة فيذهب يومي، و لم أرقطّ يوماً أطول منه، فأقبلت أمشي حتّى وقفت على الباب، و قلت: السلام عليكم ألج؟

فقال النبيّ ﷺ: «نعم».

فدخلت و عليّ واضع يده على ركبة رسول الله ﷺ، قد أدنى فاه من أذن النبيّ ﷺ، و فم النبيّ على أذن عليّ يتسارّان، و عليّ يقول: أفأمضي و أفعل؟ و النبيّ ﷺ يقول: نعم، فدخلتُ و عليّ معرض وجهه حتّى دخلت فخرج.

فأخذني النبيّ ﷺ في حجره فأصاب منّي ما يصيب الرجل من أهله من اللطف و الاعتذار، ثمّ قال: «يا أمّ سلمة لا تلوميني، فإنّ جبرئيل أتاني من الله بما هو كائن بعدي، و أمرني أن أوصي به عليّاً من بعدي، و كنت بين جبرئيل و بين عليّ،

جبرئيل عن يميني، و عليّ عن شمالي، فأمرني جبرئيل أن آمر عليّاً بما هو كائن بعدي إلى يوم القيامة فاعذرني و لا تلوموني، إنّ الله عزّوجلّ اختار من كلّ أُمّة نبيّاً، و لكلّ نبي وصيّاً، فأنا نبيّ هذه الأُمّة، و عليّ وصيّي في عترتي و أهل بيتي و أُمّتي من بعدي».[1]

٣ـ و في تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي و غيره: عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: قال النبيّ ﷺ: «لكلّ نبيّ وصيّ و وارث، و إنّ عليّاً عليه السلام وصيّي و وارثي».[2]

٤ـ أخرج أحمد بن حنبل في الفضائل، باسناده عن أنس بن مالك. قال: قلنا لسلمان: سل النبيّ ﷺ من وصيّه؟ فقال له سلمان: يا رسول الله، من وصيّك؟ فقال: «يا سلمان، من كان وصيّ موسى؟» فقال: يوشع بن نون. قال: فقال: «فانّ وصيي و وارثي يقضي ديني و ينجز وعدي علي بن أبي طالب».[3]

٥ـ و أخرج الجويني في فرائده، عن أبي ذرالغفاري رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا خاتم الأنبياء، و أنت يا عليّ خاتم الأوصياء إلى يوم الدين».[4]

---

١. فرائد السمطين، ج ١، ص ٢٧٠، ح ٢١١؛ مناقب الخوارزمي، ص ٨٩.

٢. ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٥، ح ١٠٢٢؛ مناقب ابن المغازلي، ص ٢٠٠، ح ٢٣٨؛ مناقب الخوارزمي، ص ٤٢.

٣. فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٥٦١، ح ١٠٥٢.

٤. فرائد السمطين، ج ١، ص ١٤٧، ح ١١٠.

ردّ الشمس لأجله ﷺ

ممّا أظهره الله تعالى من الأعلام الباهرة على يد أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ ما استفاضت به الأخبار، و رواه علماء السير و الآثار، و نظمت فيه الشعراء الأشعار، رجوع الشمس له مرّتين: في حياة النبيّ ﷺ مرّة، و بعد وفاته أخرى، و ذلك في بابل عند خلافته ﷺ. و فيما يلي بعض الأخبار في هذا الخصوص:

١ـكان من حديث رجوعها عليه في المرّة الأُولى، ما روته أسماء بنت عُميس، و أمّ سلمة زوجة النبيّ ﷺ، و جابر بن عبدالله الأنصاري، و أبوسعيد الخدري، و جماعة من الصحابة: أنّ النبيّ ﷺ كان ذات يوم في منزله و عليّ ﷺ بين يديه، إذ جاءه جبرئيل ﷺ يناجيه عن الله سبحانه. فلمّا تغشّاه الوحي توسّد فخذ أمير المؤمنين ﷺ، فلم يرفع رأسه عنه حتّى غربت الشمس، فاضطرّ أميرالمؤمنين لذلك إلى صلاة العصر، فصلّى أميرالمؤمنين ﷺ جالساً يومىء بركوعه و سجوده إيماءً. فلمّا أفاق ﷺ من غشيته، قال لأميرالمؤمنين ﷺ: «أفاتتك صلاة العصر؟».

قال: «لم أستطع أن أُصلّيها قائماً لمكانك يا رسول الله، و الحال الّتي كنتَ عليها في استماع الوحي».

فقال له ﷺ: «أُدع الله حتّى يردّ عليك الشمس لتصلّيها قائماً في وقتها كما فاتتك، فانّ الله تعالى يجيبك لطاعتك لله و لرسوله».

فسأل أميرالمؤمنين الله في ردّ الشمس: فردّت عليه حتّى صارت في موضعها من السماء وقت صلاة العصر، فصلّى أمير المؤمنين ﷺ صلاة العصر في وقتها، ثمّ غربت.

فقالت أسماء: أما و الله، لقد سمعنا لها عند غروبها صريراً كصرير المنشار في

الخشب.[١]

٢ـ و في المناقب لابن المغازلي: عن فاطمة بنت الحسين عن أسماء بنت عُميس، قالت: كان رسول الله ﷺ يوحى إليه و رأسه في حجر عليّ، فلم يُصَلّ العصر حتّى غربت الشمس، فقال رسول الله ﷺ: «صلّيت يا عليّ»؟ «قال: «لا».

فقال رسول الله ﷺ: «اللّهمّ إنّ عليّاً كان على طاعتك و طاعة رسولك، فارْدُد عليه الشمس» فرأيتها غربت، ثمّ رأيتها طلعت بعد ما غَرَبت.[٢]

٣ـ وروى محب الدين الطبري في الرياض النضرة، عن أسماء بنت عميس، و قالت: كان رأس رسول الله ﷺ في حجر عليّ ؑ، فكره أن يتحرّك حتّى غابت الشمس، فلم يصلّ العصر، ففزع النبيّ ﷺ و ذكر له عليّ ؑ أنّه لم يصلّ العصر، فدعا رسولُ الله ﷺ لله عزّوجلّ أنْ يردّ الشمس عليه، فأقبلت الشمس لها خوار حتّى ارتفعت قدر ما كانت في وقت العصر، قال: فصلّى ثمّ رجعت.[٣]

٤ـ و روى محبّ الدين الطبري أيضاً، عن الحسن بن عليّ ؑ، قال: «كان رأس رسول الله ﷺ في حجر عليّ ؑ، و هو يُوحى إليه، فلمّا سُرّي عنه، قال: يا عليّ، صلّيت العصر؟ قال: لا، قال: اللّهم إنّك تعلم إن كان في حاجتك و حاجة نبيّك فُردّ عليه الشمس، فردّها عليه فصلّى، و غابت الشمس».[٤]

---

١. للتحقّق من تواتر الحديث، راجع طرقه في ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٢٨٣ الى ٣٠٥؛ كفاية الطالب، ص ٣٨١ الى ٣٨٨؛ البداية و النهاية، ج ٦، ص ٨٠؛ الصواعق المحرقة، ص ١٢٨؛ المناقب لابن المغازلي، ص ٩٦، ح ١٤٠، ص ٩٨، ح ١٤١؛ المناقب للخوارزمي، ص ٢١٧؛ الرياض النضرة، ج ٣، ص ١٤٠؛ مجمع الزوائد، ج ٨ ص ٢٩٧؛ نور الأبصار، ص ٣٢.

٢. المناقب لابن المغازلي الشافعي، ص ٩٦، ح ١٤٠؛ ترجمة الإمام عليّ من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٢٨٣، ح ٨٠٧، مع اختلاف يسير في لفظه.

٣. الرياض النضرة، ج ٣، ص ١٤١.

٤. الرياض النضرة، ج ٤، ص ١٤٠، دار الكتب العلمية، بيروت

٥ـ و روى السيوطي في الخصائص الكبرى، عن أبي هريرة، قال: نام رسول الله ﷺ و رأسه في حجر عليّ ﷺ و لم يكن صلّى العصر حتّى غربت الشمس، فلمّا قام النبيّ ﷺ دعا له فردّت عليه الشمس حتّى صلّى، ثمّ غابت ثانية.[1]

في توضيح الحديث و سنده

روى الحديث عن أسماء بنت عُميس ثلاثة و ثلاثون من أعاظم محدثي العامّة في كتبهم و كثير من محدثي الإمامية، و روي أيضاً عن الحسن بن عليّ، و الحسين بن عليّ، و جعفر الصادق ﷺ، و جمع من الصحابة مثل أبي رافع، و أبي سعيد الخدري، و أبي هريرة، و أُمّ سلمة زوجة رسول الله ﷺ، و جابر بن عبدالله الأنصاري و غيرهم، و إن كانت مضامين الأحاديث مختلفة.

و يؤيّد صحّة الحديث أنّه قد أفرده جماعة من الحفّاظ بالتأليف، منهم ابن مردويه، و الحافظ الحسكاني، و أبو الفتح محمّد بن الحسين الأزدي الموصلي، و أبو الحسن شاذان الفضلي، و صنّف السيوطي في هذا الحديث رسالة مستقلّة سمّاها: كشف اللبس عن حديث ردّ الشمس، و قال: إنّه سبق بمثله لأبي الحسن الفضلي، أورد طرقه بأسانيد كثيرة، و صحّحه بما لا مزيد عليه، و نازع ابن الجوزي في بعض من طعن فيه من رجاله.

و ممّا يؤيّد أيضاً صحّته، ما قاله ابن عساكر الشافعي: آية إلهية و معجزة نبويّة و كرامة علويّة في ردّ الشمس بعد غروبها لعليّ ﷺ، كما حبست ليوشع بن نون عند دُنوّ أُفولها.[2]

---

١. الخصائص الكبرى، ج ٢، ص ١٣٧.

٢. ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٢٨٣.

علم عليّ ﷺ

كان عليّ ﷺ عالماً واسع العلم، و ينبوعاً للحكمة و المعرفة، و يكفينا دلالة على سعة علم عليّ ﷺ أن نلقي نظرة على قطرة من محيط علمه المترامي، أودعها في نهج البلاغة، فنهل منها كلّ عالم، و ارتوى منها كلّ طالب علم، و بهذه النظرة سوف نقف على مدى سعة علمه و عمق فكره.

إنّ من مفاخر عليّ ﷺ أنّه كان تلميذ مدرسة الوحي و الرسالة، و تربّى في أحضان النبيّ ﷺ، فغذّى النبيّ ـ و هو محيط العلوم و الفضائل ـ عليّاً من علمه، و أفاض على روحه و قلبه من حكمته حتّى قال: «أنا مدينة العلم و عليّ بابها» و قال: «أنا مدينة الحكمة و عليّ بابها».[1]

و في لحظات عمره الأخيرة، أودع عليّاً ﷺ أسراراً عظيمة، قال عنها عليّ ﷺ: «حدّثني ألف باب يفتح كلّ باب ألف باب».[2]

لقد ترامت أطراف بحر علم عليّ ﷺ، و تلاطمت أمواجه، و أترع روحه بعلوم رسول الله ﷺ الفيّاضة، و اطّلع على الأسرار العلمية، حتّى قال: «سلوني قبل أن تفقدوني، فلأنا بطُرق السماءِ أعلمُ منّي بطُرق الأرض»[3].

و لم يكن عليّ ﷺ عالماً بالعلوم الإسلامية و حسب، بل كان عارفاً بعلوم الأديان السابقة و أحكامها، حتّى إنّه كان قادراً على أن يحكم بين أهل كلّ ملّة بأحكامهم، فكان يقول ﷺ: «فإنّ عندي علم الأوّلين والآخرين، أما والله لو ثنيت

---

١. تقدّم الحديثان مع تخريجها في الفصل الثالث في «حديث مدينة العلم».

٢. ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٤٨٤.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ١٨٩.

لي الوسادة، ثمّ جلست عليها، لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم، و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم، و بين أهل الزبور بزبورهم، و بين أهل الفرقان بفرقانهم، حتّى ينادي كلّ كتاب بأنّ عليّاً حكم بحكم الله فيّ».[1]

و قد بحث عليّ و تكلّم على مدى حياته في أسرار القرآن و العلوم الإسلامية المختلفة و المسائل الفلسفية و الكلامية المعقّدة، و أجاب الإجابة الصحيحة على أسئلة العلماء المعقّدة الصعبة، و لم يكن غيره يقوى على هذه الإجابة، و لولاه لبقيت تلك المسائل ألغازاً لا تُحلّ و أموراً مبهمة غامضة يحير فيها أبناء البشر طوال تاريخهم.

و جملة القول فإنّ عليّاً كان كتاب الله المتحرك و القرآن الناطق و القلب المليء بينابيع العلوم القرآنية و علوم النبيّ ﷺ، و المفيض على العلماء و طلّاب العلم و مسائل الإسلام و أحكامه بجوانبها المتعدّدة، و القلم و البيان عاجزان عن ذكر أسراره و علومه.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي: ما أقول في رجل أقرّ له أعداؤه و خصومه بالفضل، و لم يمكن جحد مناقبه و لا كتمان فضائله، فقد علمت أنّه استولى بنو أُميّة على سلطان الإسلام في شرق الأرض و غربها، و اجتهدوا بكلّ حيلة في إطفاء نوره، و التحريض عليه و وضع المعايب و المثالب له، و لعنوه على جميع المنابر، و توعّدوا مادحيه، بل حبسوهم و قتلوهم، و منعوا من رواية حديث يتضمّن له فضيلة، أو يرفع له ذكراً، حظروا أن يسمّى أحدٌ باسمه، فما زاده ذلك إلاّ رفعةً و سُمّواً، و كان كالمسك كلّما ستر انتشر عرفه، و كلّما كتم تضوّع نشره، و كالشّمس لا تستر بالرّاح، و كضوءِ النّهار إن حُجبت عنه عين واحدة أدركته عيون كثيرة.

ثمّ قال: و ما أقول في رجل تُعزى إليه كلّ فضيلة، و تنتهي إليه كلّ فرقة، و

---

١. فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٣٨، ح ٢٦١.

تتجاذبه كلّ طائفة، فهو عليه السلام رئيس الفضائل و ينبوعها و أبو عُذرها، و سابق مضمارها و مُجلّي حَلبتها، كلّ من بزغ فيها بعده فمنه أخذ، و له اقتفى، و على مثاله احتذى.

ثمّ إنّ ابن أبي الحديد ذكر أقسام العلوم، و ذكر في كلّ قسم منها أنّ عليّاً عليه السلام رئيسه، و أنّ ذلك العلم ينتهي إليه، فقال ما ملخصه:

الف ـ و قد عرفت أنّ أشرف العلوم هو العلم الإلهي، لأنّ شرف العلم بشرف المعلوم، و معلومه أشرف الموجودات، فكان هو أشرف العلوم، و من كلامه عليه السلام اقتبس و عنه نقل و إليه انتهى و منه ابتدأ، فإنّ المعتزلة تلامذته و أصحابه عليه السلام، و الأشعريّة ينتهون بالتالي إلى أُستاذ المعتزلة و مُعلّمهم و هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام، و أمّا الإمامية و الزيديّة فانتماؤهم إليه ظاهر.

ب ـ و من العلوم: علم الفقه، و عليّ عليه السلام أصله و أساسه، و كلّ فقيه في الإسلام فهو عيال عليه، و مستفيد من فقهه، فرجع إليه الفقهاء الأربعة، و استفادوا من علمه عليه السلام، و أمّا رجوع فقهاء الشيعة كلّهم إليه عليه السلام ظاهر، و أمّا فقهاء الصّحابة فعمر بن الخطاب و ابن عبّاس، أخذا فقههما عن عليّ عليه السلام.

أمّا ابن عباس فظاهر، و أمّا عمر فقد عرف كلّ أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل الّتي أشكلت عليه و على غيره من الصحابة، و قوله غير مرّة: «لولا عليّ لهلك عمر»، و قوله أيضاً: «لابقيتُ لمعضلةٍ ليس لها أبو الحسن»، فقد عرف بهذا الوجه أيضاً انتهاء الفقه إليه عليه السلام.

و قد روت العامّة و الخاصّة قوله صلى الله عليه وآله: «أقضاكم عليّ» و القضاء هو الفقه، فهو إذن أفقههم.

ج ـ و من العلوم: علم تفسير القرآن، و عنه أُخذ، و منه فرّع، و إذا رجعت إلى كتب التفسير علمت صحة ذلك، لأنّ أكثره عنه عليه السلام و عن عبدالله بن عبّاس، و قد علم النّاس حال عبدالله بن عبّاس في ملازمته له عليه السلام و انقطاعه إليه، و أنّه تلميذه و

خرّيجه، و قيل له: أين علمك من علم ابن عمّك؟. فقال ابن عبّاس: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط.

د ـ و من العلوم علم الطريقة و الحقيقة، و قد عرفت أنّ أرباب هذا الفن في جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون و عنده يقفون، و قد صرّح بذلك الشبلي و الجُنيد و سَريّ[1] و أبو يزيد البسطامي و ...

هـ ـ و من العلوم: علم النحو و العربيّة، و قد علم النّاس كافّة أنّه هو الّذي ابتدعه و أنشأه، و أملى على أبي الأسود الدؤلي جوامعه و أصوله، من جملتها: الكلام كلّه ثلاثة أشياء: أسمٌ، و فعلٌ، و حرفٌ، و من جملتها: تقسيم الكلمة إلى معرفة و نكرة، و تقسيم وجوه الإعراب إلى الرّفع و النّصب و الجرّ و الجزم، و هذا يكاد يُلحق بالمعجزات، لأنّ القوّة البشريّة لا تفي بهذا الحصر، و لا تنهض بهذا الاستنباط.[2]

نبذة من الأخبار في هذا المقام

نشير هنا إلى جانب من الأخبار و الروايات الواردة عن النبيﷺ و أئمّة المسلمين و علمائهم في هذا الباب:

١ ـ عن أبي صالح، عن عليّ ﷺ، قال: «قلت: يا رسول الله، أوصني؟

قال: قل: ربّي الله ثمّ استقم.

قال ﷺ: قلت: ربّي الله و ما توفيقي إلاّ بالله.

قال ﷺ: هنيئاً لك العلم أبا حسن، فقد شربتَ العلم شرباً، و نقبته نقباً».[3]

٢ ـ و عن ابن عبّاس، قال: كنّا نتحدث أنّ النبيّ ﷺ: عهد إلى عليّ سبعين عهداً لم

---

١. هو سريّ بن المغلّس السقطي، أبو الحسن، من كبار المتصوّفة، و هو خال الجُنيد و أُستاذه وُلد في بغداد و توفيّ بها سنة ٢٥٣هـ الأعلام للزركلي، ج ٣، ص ٨٢.

٢. شرح ابن أبي الحديد المعتزلي، ج ١، ص ١٦ ـ ٢٠.

٣. ترجمة الامام عليّ ﷺ من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٤٩٨، ح ١٠١٩.

يمهدها إلى غيره.[١]

٣ـ و عن علقمة، عن عبدالله، قال: كنت عند النبيّ ﷺ فسئل عن عليّ عليه السلام فقال: «قسمت الحكمة عشرة أجزاء، فأُعطي عليّ تسعة أجزاء، و النّاس جزءاً واحداً».[٢]

٤ـ و عن عامر، عن ابن عبّاس، قال: «العلم عشرة أجزاء، أُعطي عليّ بن أبي طالب عليه السلام منها تسعة، و الجزء العاشر بين جميع النّاس، و هو بذلك الجزء أعلم منهم».[٣]

٥ـ و عن ابن عبّاس أيضاً، قال: و الله لقد أُعطي عليّ بن أبي طالب تسعة أعشار العلم، و أيم الله لقد شارككم في العشر العاشر.[٤]

٦ـ و عن ابن عبّاس أيضاً، قال: قسّم علم الناس خمسة أجزاء، فكان لعليّ منها أربعة أجزاء، و لسائر الناس جزء، و شاركهم عليّ عليه السلام في الجزء، فكان أعلم به منهم.[٥]

٧ـ و عن أنس بن مالك، قال: إنّ النبيّ ﷺ قال لعليّ عليه السلام: «أنت تبيّن لأُمّتي ما اختلفوا فيه بعدي».[٦]

٨ـ و عن حذيفة بن اليمان، قال: قال النبيّ ﷺ لعليّ عليه السلام: «جعلتك عَلَماً فيما بيني و بين أُمّتي، فمن لم يتّبعك فقد كفر».[٧]

---

١. المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٩٩، ح ١٠٢٠.

٢. المناقب لابن المغازلي الشافعي، ص ٢٨٧، ح ٣٢٨؛ فرائد السمطين، ج ١، ص ٩٤؛ ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ص ٤٨١، ج ٢، ح ١٠٠٠.

٣. شواهد التنزيل للحافظ الحسكاني، ج ١، ص ٨٤، ح ١٢٣.

٤. الاستيعاب لابن عبد البرّ المالكي بهامش الاصابة، ج ٣، ص ٤٠.

٥. ترجمة الإمام عليّ من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٤٥، ح ١٠٧٤.

٦. المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٨٨، ح ١٠٠٩.

٧. المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٨٩، ح ١٠١٠.

٩ـ وعن سلمان، عن النبيّ ﷺ أنه قال: «أعلم أُمّتي بعدي عليّ بن أبي طالب».[١]

١٠ـ و عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبرئيل بدرنوك[٢] من الجنة، فجلست عليه، فلمّا صرت بين يدي ربي كلّمني و ناجاني، فما علمت شيئاً إلاّ علّمته علياً، فهو باب مدينة علمي»، ثمّ دعاه إليه فقال: «يا علي، سلمك سلمي، و حربك حربي، و أنت العَلَم بيني و بين أُمّتي».[٣]

١١ـ و عن أبي البختري، قال: رأيت ابن عمّ رسول الله ﷺ علياً ﷺ صعد منبر الكوفة، و عليه مدرعة لرسول الله ﷺ متقلّداً سيف رسول الله ﷺ، متعمّماً بعمامة رسول الله ﷺ، و في إصبعه خاتم رسول الله ﷺ، فقعد على المنبر، و كشف عن بطنه، فقال: سلوني من قبل أن تفقدوني، فانّ ما بين الجوانح مني علمٌ جمّ، هذا سفط العلم، هذا لعاب رسول الله ﷺ، هذا مازقّني رسول الله ﷺ زقّاً من غير وحي أُوحي إليّ، فوالله لو ثنيت لي و سادة فجلستُ عليها، لأفتيت لأهل التوراة بتوارتهم، و لأهل الانجيل بانجيلهم، حتى ينطق الله التوراة و الانجيل، فيقول: صدق عليٌّ، قد أفتاكم بما أُنزل فيّ».[٤]

١٢ـ و عن مسروق، قال: انتهى العلم إلى ثلاثة: عالم بالمدينة، و عالم بالشام، و عالم بالعراق، فعالم المدينة عليّ بن أبي طالب ﷺ، و عالم الكوفة عبدالله بن مسعود، و عالم الشام أبو الدرداء، فاذا التقوا سأل عالم الشام و عالم العراق عالم المدينة، و هو لم يسألهما[٥].

---

١. المناقب للخوارزم، ص ٣٩.

٢. الدُّرنُوك: ماله خمل من بساط أو ثوب أو نحوها.

٣. المناقب للخوارزم، ص ٥٠، ح ٧٣.

٤. فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٤٠، ح ٢٦٣.

٥. ترجمة الامام عليّ من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٥١، ح ١٠٨٦.

علي ﷺ وارث علم النبيّين

كان لعليّ ﷺ مراتب من العلم و الفضل لا يحتملها بعد النبيّ ﷺ غيره أبداً، فهو وارث علم جميع الأنبياء و المرسلين من الأوّلين والآخرين من آدم ونوح وإبراهيم و موسى و عيسى و هَلُمَّ جَرَّاً إلى النبيّ الأعظم الخاتم ﷺ.

و عليّ ﷺ عالم بجميع العلوم و الفنون، فليس علمه منحصراً في مورد خاصّ دون مورد، و نحن لا نستطيع أن نعرف علمه و مدى إيمانه بالله تعالى بل المطّلع على علمه و فضائله الله تعالى و رسولُه.

و مجمل القول: الروايات الواردة من طرق العامّة و الخاصّة عن النبيّ الأكرم ﷺ الدالّة على غزارة علم أميرالمؤمنين ﷺ و إحاطته بعلوم الأنبياء كثيرة تبلغ حدّ التواتر بحيث أذعن مخالفوه و معاندوه لعظمة شأنه ﷺ، و فيما يلي بعض هذه الروايات:

١ـ عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى علم آدم وفقه نوح، فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب ﷺ».[١]

٢ـ و عن أبي الحمراء، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أراد أن ينظر إلى آدم في علمه، و إلى نوح في فهمه، و إلى إبراهيم في حلمه، و إلى يحيى بن زكريا في زهده، و إلى موسى في بطشه فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب ﷺ»[٢].

٣ـ و عن عباية، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ، قال: «عليّ عيبة علمي».[٣]

---

١. المناقب لابن المغازلي، ص ٢١٢، ح ٢٥٦.

٢. ذخائر العقبي، ٩٣؛ فرائد السمطين، ج ١، ص ١٧٠، ح ١٣١؛ وسيلة المُلاّ، ج ٥، قسم ٢، ص ١٦٨؛ ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٢٨٠، ح ٨١١.

٣. ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٤٨٢، ح ١٠٠١.

٤ـ و عن عليّ ﷺ أنّه قال: «علّمني رسول الله ﷺ ألف باب، كلّ باب يفتح لي ألف باب».[١]

٥ـ و عن عبدالله بن مسعود، قال: إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلاّ له ظهر و بطن، و إنّ عليّ بن أبي طالب ﷺ عنده منه علم الظاهر و الباطن.[٢]

٦ـ و عن جسرة (يسرة)، قالت: ذكر عند عائشة صوم عاشوراء، فقالت: من يأمركم بصومه؟ قالوا: عليّ ﷺ، قالت: إنّه أعلم من بقي بالسنّة.[٣]

٧ـ و عن عطاء، عن عائشة، قالت: عليّ أعلم النّاس بالسنّة.[٤]

٨ـ و عن عبدالملك بن أبي سليمان، قال: قلت للعطاء بن أبي رباح: أكان في أصحاب محمّد ﷺ أعلم من عليّ بن أبي طالب ﷺ؟ قال: لا، و الله ما أعلمه.[٥]

٩ـ و عن أبي بكر محمّد بن الحسين، عن أبيه، عن جدّه، عن أبيه، عن عليّ بن أبي طالب ﷺ، قال: «كنت إذا سألته ـ يعني رسول الله ﷺ ـ أجابني، و إن سكتُّ ابتدأني، و ما نزلت عليه آيةٌ إلاّ قرأتها و علمت تفسيرها و تأويلها، و دعا الله لي أن لا أنسى شيئاً علّمني إيّاه، فما نسيت من حرام و لا حلال، و أمر و نهي، و طاعة و معصية، و لقد وضع يده على صدري، و قال: اللّهم املأ قلبه علماً و فهماً و حكماً و نوراً. ثمّ قال لي: أخبرني ربّي عزّوجلّ أنّه قد استجاب لي فيك».[٦]

---

١. فرائد السمطين، ج ١، ص ١٠١، ح ٧٠.

٢. ترجمة الإمام عليّ من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٢٥، ح ١٠٤٨.

٣. ترجمة الإمام عليّ ﷺ من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٤٨، ح ١٠٧٨؛ فرائد السمطين، ج ١، ص ٢٨١. و في مسألة صوم عاشوراء خلاف فقهي بين المذاهب الاسلامية، موكول إلى كتب الفقه، و غاية ما في الأمر أنّه سنّة جاهلية محاها الاسلام، نعم كان معمولاً به في صدر الاسلام.

٤. المصدر السابق، ج ٣، ص ٤٩، ح ١٠٨٠.

٥. المصدر السابق، ج ٣، ص ٥٣، ح ١٠٨٩.

٦. المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٨٥، ح ١٠٠٤.

١٠ـ و عن عبدالله بن عمرو، أنّ رسول الله ﷺ قال في مرضه: «ادعوا لي أخي»، فدُعي له عثمان، فأعرض عنه. ثمّ قال: «قال ادعوا لي أخي» فدُعي له عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فستره بثوب، و انكبّ عليه، فلمّا خرج من عنده قيل له: ما قال النبيّ ﷺ لك؟ قال: «علّمني ألف باب، يفتح كلّ باب ألف باب».[1]

و كلّ هذه الأخبار وغيرها دالّة بالصراحة و العيان على أنّه عليه السلام وارث علم النبيّ ﷺ، و أنّه أعلم الصحابة وأعرفهم بالعلوم الإلهيّة، وأعملهم بسنّة الرسول المصطفى ﷺ.

---

١. المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٨٤.

عليّ عليه السلام أعلم الصحابة

لا شكّ أنّ العلم فضيلة و كمال يعترف البشر بشرفه، و تفضيل العالم على الجاهل فطري حتّى «فُضّل مداد العلماء على دماء الشهداء»، و الإسلام ينادي بقيمة العلم و كرامته و شرّف العالم بعبارات مختلفة منها:

١ ـ قوله تعالى: ﴿قُل هَل يَستَوِي الذينَ يَعلَمونَ وَ الّذينَ لاَ يَعلَمُونَ إنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولوا الألبابِ﴾.[1]

٢ ـ و قوله تعالى: ﴿يَرفَعُ الله الّذينَ آمَنُوا مِنكُمْ و الّذينَ أُوتُوا العِلمَ دَرَجاتٍ﴾.[2]

٣ ـ و قوله تعالى: ﴿قُل هَل يَستَوِي الأعْمَى وَ البَصِيرُ﴾.[3]

٤ ـ و قوله صلى الله عليه وآله: «طلب العلم فريضة على كلّ مسلم».[4]

و غير ذلك من الآيات و الرّوايات الكثيرة في حثّ المسلمين على طلب العلم، و لذلك كان صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله يتعلّمون في مركز الوحي و النبوّة، و كانوا حماة الدّين و علماء عارفين بالعلوم الإسلامية، و لكن كان لعليّ بن أبي طالب عليه السلام مراتب من الفضل و العلم بالقرآن و أحكام الإسلام لم تكن بعد النبيّ صلى الله عليه وآله لغيره أبداً، كما اعترف بذلك الموافق و المخالف.

اعتراف عمر بأعلمية عليّ عليه السلام

روى الجويني: بسنده عن عبدالله بن أحمد بن عامر، عن أبيه، قال: قال عليّ بن

---

١. الزمر، ٩.

٢. المجادلة، ١١.

٣. الانعام، ٥٠.

٤. كنزالعمال، ج ١٠، ح ٢٨٦٥١ ـ ٢٨٦٥٤.

موسى الرضا عليه السلام عن آبائه، عن عليّ عليه السلام، قال: «حمل رجل إلى عمر، وقالوا له: قد سألناه و قلنا له: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحت و قد أُحبّ الفتنة، و أكره الحق، و أُصدّق اليهود و النّصارى، و آمن بما لم أره، و أقرّ بما لم يخلق.

فأرسل إلى عليّ عليه السلام فأتاه، فقال: «صدق، قال الله تعالى: ﴿إنّما أموالُكم و أولادُكم فِتنَةٌ﴾[1]، و يكره الحقّ يعني الموت، قال الله تعالى: ﴿و جاءَتْ سَكْرةُ الموتِ بالحقّ﴾[2]، و يصدّق اليهود و النصارى، قال الله تعالى: ﴿وَ قالتِ اليَهُودُ لَيستِ النّصارى على شَيءٍ وَ قَالتِ النّصارى لَيستِ اليَهودُ عَلى شَيءٍ﴾[3]، ويؤمن بما لم يره، يعني الله عزّوجلّ، و يقرّ بما لم يخلق، يعني السّاعة».

قال عمر: لو لا عليّ لهلك عمر.[4]

عمر بن الخطاب يحيل اليهودي في مسائله إلى عليّ عليه السلام

في فرائد السمطين: بسنده عن أبي الطفيل، قال: شهدت جنازة أبي بكر يوم مات، و شهدت عمر حين بويع،و عليّ عليه السلام جالس ناحية، إذ أقبل غلام يهودي، عليه ثياب حسان، و هو من ولد هارون، حتّى قام على رأس عمر، فقال: يا أميرالمؤمنين، أنت أعلم هذه الأُمّة بكتابهم و أمر نبيّهم؟

قال: فطأطأ عمر رأسه، فقال له الغلام: إيّاك أعني. و أعاد عليه القول، فقال له عمر: ما ذاك؟ قال: إنّي جئتك مرتاداً لنفسي شاكّاً في ديني. فقال: دونك هذا الشابّ.

قال: و من هذا الشّاب؟ قال: هذا عليّ بن أبي طالب، ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله، و

١. الأنفال، ٢٨؛ التغابن، ١٥.

٢. ق، ١٩.

٣. البقرة، ١١٣.

٤. فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٣٧، ح ٢٥٩.

هو أبو الحسن و الحسين، و زوج فاطمة بنت رسول الله ﷺ.

فأقبل اليهودي على عليّ بن أبي طالب ﷺ، فقال: أكذلك أنت؟ قال: «نعم». قال: فإنّي أُريد أن أسألك عن ثلاث و ثلاث و واحدة. قال: فتبسّم عليّ ﷺ و قال: «يا هاروني، ما منعك أن تقول: سبعاً؟».

قال: أسألك عن ثلاث، فإن علمتهنّ سألت عمّا بعدهنّ، و إن لم تعلمهنّ علمت أنّه ليس فيكم علم. قال عليّ ﷺ: «ألا فإنّي أسألك بالذي تعبد، لئن أنا أجبتك في كلّ ما تريد، لتدعنّ دينك، و لتدخلنّ في ديني؟». قال: ما جئت إلاّ لذلك. قال: «فاسأل؟». قال: فأخبرني عن أوّل قطرة وقعت على وجه الأرض، أيّ قطرة هي؟ وأوّل عين فاضت على وجه الأرض، أيّ عين هي؟ وأوّل شيء اهتزّ على وجه الأرض، أيّ شيء هو؟ فأجابه أمير المؤمنين ﷺ. قال: «فأخبرني عن الثلاث الأخر». قال: أخبرني عن محمّد ﷺ، كم بعده من إمام عدل؟ و في أيّ جنّة يكون؟ و من يساكنه معه في جنّته؟ فقال: «يا هاروني، إنّ لمحمّد ﷺ من الخلفاء اثني عشر إماماً عادلاً، لا يضرّهم من خذلهم، و لا يستوحشون لخلاف من خالفهم، و إنّهم أرسى في الدّين من الجبال الرواسي في الأرض، و يسكن محمّد ﷺ في جنّته مع أُولئك الاثني عشر إماماً العدل».

قال: صدقت، و الله الذي لا إله إلاّ هو، إنّي لأجدها في كتب أبي هارون، كتبه بيده و أملاه موسى عمّي ﷺ.

قال: «و أخبرني عن الواحدة». قال: أخبرني عن وصيّ محمّد ﷺ كم يعيش بعده؟ و هل يموت أو يقتل؟ قال: «يا هاروني، يعيش بعده ثلاثين سنة لا يزيد يوماً و لا ينقص يوماً، ثمّ يضرب ضربة هاهنا ـ يعني قرنه ـ فتخضب هذه من هذا».

قال: فصاح الهاروني و قطع تسبيحه و هو يقول: أشهد أن لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له.[1]

---

١. المصدر السابق، ج ١، ص ٣٥٤، ح ٢٨٠.

إقرار العقاد في أعلميّة عليّ عليه السلام

قال في عليّ عليه السلام: و أحسن الإسلام علماً و فقهاً، كما أحسنه عبادة وعملاً، فكانت فتاواه مرجعاً للخلفاء و الصحابة في عهود أبي بكر و عمر و عثمان، و ندرتْ مسألة من مسائل الشّريعة لم يكن له رأي فيها يؤخذ به، أو تنهض له الحجّة بين أفضل الآراء، إلاّ أنّ المزية الّتي امتاز بها عليّ عليه السلام بين فقهاء الإسلام في عصره، أنّه جعل الدّين موضوعاً من موضوعات التفكير و التأمّل، و لم يقصره على العبادة و إجراء الأحكام، فإذا عرف في عصره أُناس فقهوا في الدّين ليصحّحوا عباداته و يستنبطوا منه أقضيته و أحكامه، فقد امتاز عليّ عليه السلام بالفقه الّذي يُراد به الفكر المحض و الدراسة الخالصة، و أمعن فيه ليغوص في أعماقه على الحقيقة العلميّة أو الحقيقة الفلسفيّة كما نسمّيها في هذه الأيّام، و يصحّ أن يقال: إنّ عليّاً عليه السلام أبو علم الكلام في الإسلام ـ الى أن قال: ـ و قيل لابن عبّاس: أين علمك من علم ابن عمّك؟ فقال: كنسبة قطرة من المطر إلى البحر المحيط.[1]

افتراء موهوم

قال ابن حزم الأندلسي في كتاب (الملل و النّحل): كذب من قال بأنّ عليّاً كان أكثر الصحابة علماً، ثمّ بسط القول في تقرير أعلميّة أبي بكر و تقدّمه على عليّ عليه السلام في العلم ببيانات تافهة، إلى أن قال: علم كُلّ ذي حظّ من العلم، أنّ الّذي كان عند أبي بكر من العلم أضعاف ما كان عند عليّ منه.

و قال في تقدّم عمر على عليّ عليه السلام في العلم: علم كُلُّ ذي حسّ علماً ضرورياً أنّ الّذي كان عند عمر من العلم أضعاف ما كان عند عليّ عليه السلام من العلم، إلى أن قال: فبطل قول هذه الوقّاح الجهّال، فإن عاندنا معاندٌ في هذا الباب جاهلٌ أو قليلٌ

---

١. عبقرية الإمام عليّ عليه السلام، ص ٤٧.

الحياء، لاح كذبه و جهله، فإنّا غير متّهمين على حطّ أحد من الصحابة عن مرتبته.[١]

الجواب:

قال العلاّمة الأميني ﷺ: أنا لست أدري أأضحك من هذا الرّجل جاهلاً؟! أم أبكي عليه مغفّلاً؟! أم أسخر منه معتوهاً؟ فإنّ ممّا لا يدور في أيّ خلد، الشكّ في أنّ أميرالمؤمنين عليّاً ﷺ كان يربو بعلمه على جميع الصحابة، و كانوا يرجعون إليه في القضايا و المشكلات، و لا يرجع إلى أحد منهم في شيء، و إنّ أوّل من اعترف له بالأعلميّة نبيّ الإسلام ﷺ بقوله لفاطمة ﷺ: «أما ترضين إنّي زوّجتك أوّل المسلمين إسلاماً و أعلمهم علماً».[٢]

و قوله ﷺ لها: «زوّجتك خير أمّتي، أعلمهم علماً، وأفضلهم حلماً، وأوّلهم سلماً».[٣]

و قوله ﷺ لها: «إنّه لأوّل أصحابي إسلاماً ـ أو: أقدم أمّتي سلماً ـ وأكثرهم علماً، و أعظمهم حلماً».[٤]

و قوله ﷺ: «أعلم أمّتي من بعدي عليّ بن أبي طالب».[٥]

و قوله ﷺ: «عليّ وعاء علمي، و وصيّي، و بابي الذي أوتى منه».[٦]

و قوله ﷺ: «عليّ باب علمي، و مبيّن لأمّتي ما أرسلت به من بعدي».[٧]

---

١. الملل و النحل، ج ٤، ص ١٣٦.

٢. مستدرك الحاكم، ج ٣؛ كنز العمال، ج ٦، ص ١٣.

٣. أخرجه الخطيب في المتفق و السيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه، ج ٦، ص ٣٩٨.

٤. مسند أحمد، ج ٥، ص ٢٦؛ الاستيعاب، ج ٣، ص ٣٦.

٥. الخوارزمي في المناقب، ص ٤٩؛ مقتل الحسين، ج ١، ص ٤٣.

٦. شمس الاخبار، ص ٣٩؛ كفاية الكنجي، ص ٧٠ و ٩٣.

٧. الديلمي عن أبي ذر، كما في كنز العمال، ج ٦، ص ١٥٦.

و قوله ﷺ: «عليّ خازن علمي».[١]

و قوله ﷺ: «عليّ عيبة علمي».[٢]

و قوله ﷺ: «أقضى أمّتي عليّ».[٣]

و قوله ﷺ: «أقضاكم عليّ».[٤]

و أورد بعد ذلك أقوال الصحابة و التابعين الذي أجمعوا على أعلميته عليه السلام، ثمّ قال: و الأمّة بعد أولئك كلّهم مجمعةٌ على تفضيل أميرالمؤمنين عليه السلام على غيره بالعلم، إذ هو الذي ورث علم النبيّ ﷺ ، وقد ثبت عنه بعدّة طرق قوله ﷺ : إنّه وصيّه و وارثه. و فيه، قال عليّ عليه السلام: و ما أرث منك يا نبيّ الله؟ قال: ما ورث الأنبياء من قبلي. و ما ورث الأنبياء من قبلك؟ قال كتاب الله و سُنّة نبيّهم...[٥]

---

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٤٤٨.

٢. شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٤٤٨؛ الجامع الصغير للسيوطي و غيرها.

٣. مصابيح البغوي، ج ٢، ص ٢٧٧؛ و الرياض النضرة، ج ٢، ص ١٩٨ و غيرها.

٤. الاستيعاب بهامش الإصابة، ج ٣، ص ٣٨؛ مواقف القاضي الايجي، ج ٣، ص ٢٧٦ و غيرها.

٥. الغدير، ج ٣، ص ٩٥ـ١٠١.

قوله ﷺ: « سلوني قبل أن تفقدوني »

إن نظرنا إلى علم مولانا عليّ بن أبي طالب ﷺ وجـدنا يـنبوعاً و مـورداً لا ينضب، فهو الذي يقول على ملأ من النّاس: «سَلُوني قَبلَ أن تَفقِدُوني» و مـن ذا الّذي يتجترىء من النّاس أن يقول هذا الكلام على المنبر في اُلوف من الخلق؟ و ما يؤمنه أن يسأله سائل عن مسألة لا يكون عنده جـوابـها فـيخجله فـيها؟ لا يجترىء على هذه الدعوى إلاّ من يثق بنفسه بأنّ عنده جواب كلّ ما يُسأل عنه.

و هل المسألة مختصّة بعلم من العلوم أو ناحية من النواحي حتّى يجرؤ أحد على هذا الكلام دون أن يكون مؤيداً بتأييد إلهي، و واثقاً من نفسه كلّ الوثوق بأنّه لا يغيب عنه جواب مسألة، مهما دقّت و أشكلت؟ إنّ هذا المقام يقصر العقل عن الإحاطة به.

ممّا سئل عنه ﷺ

قدسُئِل وهو على المنبر، عن المسافة فيما بين المشرق و المغرب فأجاب: بأنّه مسيرة يوم للشمس، و هو جواب مقنع أحسن ما يجاب به هذا السؤال.

و سُئِل عمّا بين الحقّ و الباطل فيقول: مسافة أربع أصابع، الحـقّ أن تـقول: رأيت بعيني، و الباطل أن تقول: سمعت بأذني[1].

و غير ذلك من قضاياه، و هي أدلّ دليل على أنّه مؤيّد من عند الله تعالى، و أنّه كان واثقاً من نفسه كلّ الوثوق بأنّه لا يغيب عنه جواب مسألة، فيقول: «سلوني قبل أن تفقدوني».

---

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ٩، ص ٧٢.

و في شرح ابن أبي الحديد المعتزلي في ذيل الخطبة (٩٢) «فَاسألوني قبل أنْ تَفْقِدُوني، فَوَالّذي نَفْسي بِيَدِهِ لا تَسألُونَني عَنْ شَيءٍ فِيما بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَ السّاعَةِ وَ لا عَنْ فِئَةٍ تَهدي مائةً وتُضلُّ مائةً إلاّ أنْبَأتُكُمْ بِناعِقِها وَ قائِدِها وَ سائِقِها، ومناخِ رِكابِها، وَ مَحطِّ رِحالِها، وَ مَنْ يُقْتَلُ مِنْ أهْلِها قتْلاً، وَ مَنْ يَمُوتُ مِنْهُم مَوتاً».

قال ابن أبي الحديد: روى صاحب كتاب الاستيعاب، عن جماعة من الرواة و المحدّثين، قالوا: لم يقل أحدٌ من الصحابة «سلوني» إلاّ علي بن أبي‌طالب عليه السلام...[١].

و لنذكر هنا بعض ما ورد من الأخبار في هذا الباب توضيحاً للبحث و تتميماً للفائدة:

١ـ روى ابن عساكر الشافعي عن ابن الطبّال، قال: سمعت محمّد بن فضيل يقول: سمعت ابن شبرمة يقول: ما كان أحدٌ على المنبر يقول: سلوني عمّا بين اللّوحين إلاّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام.[٢]

٢ـ و عنه أيضاً، عن سعيد بن المسيب، قال: لم يكن أحد من أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: سلوني إلاّ عليّ عليه السلام.[٣]

٣ـ و عنه أيضاً، عن خالد بن عَرعَرة، قال: أتيتُ الرحبة فإذا أنا بنفرٍ جلوس، قريب من ثلاثين أو أربعين رجلاً فقعدت فيهم، فخرج علينا عليّ عليه السلام، فما رأيته أنكر أحداً من القوم غيري، فقال: ألا رجل يسألني فينتفع و ينفع نفسه.[٤]

٤ـ و في الإصابة لابن حجر العقسلاني، عن أبي الطُّفيل قال: كان عليّ عليه السلام يقول: «سلوني، سلوني و سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلاّ و أنا أعلم أنزلتْ بليلٍ أو نهارٍ».[٥]

---

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٤٦.

٢. ترجمة الإمام عليّ من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٢٤، ح ١٠٤٤.

٣. المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٤، ح ١٠٤٥.

٤. كذا ولعلّ الصواب: «ألا رجلٌ يسألني فينتفع به غيره و ينفع نفسه» المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٤، ح ١٠٤٦.

٥. الإصابة لابن حجر، ج ٢، ص ٥٠٩.

٥ـ و في الاستيعاب لابن عبد البر المالكي، قال: روى معمر، عن وهب بن عبدالله، عن أبي الطفيل، قال: شهدت عليّاً ﷺ يخطب و هو يقول: «سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء إلّا أخبرتكم، و سلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلاّ و أنا أعلم، أبليل نزلت أم بنهارٍ، أم في سهل أم في جبل».[١]

٦ـعن محمّد بن طلحة الشافعي في مطالب السؤول: قال عليّ ﷺ مرّة: «لو شئت لأوقرت بعيراً عن تفسير ﴿بِسمِ الله الرّحمنِ الرّحِيمِ﴾».

و قال مرّة: «لو كسرت لي الوسادة ثمّ جلست عليها لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم، و بين أهل الإنجيل بانجيلهم، و بين أهل الزبور بزبورهم، و بين أهل الفرقان بفرقانهم، والله ما من آية أُنزلت في برٍّ أو بحرٍ، و لا سهلٍ و لا جبلٍ و لا سماءٍ و لا أرضٍ، و لا ليلٍ و لا نهارٍ إلاّ و أنا أعلم فيمن نزلت و في أيّ شيء نزلت».[٢]

أسئلة ابن الكوّاء له ﷺ و جوابه

روى الجويني بسنده عن وهب بن عبدالله، عن أبي الطفيل، قال: شهدت عليّاً ﷺ و هو يخطب و يقول: «سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء يكون إلى يوم القيامة إلاّ حدّثتُكم به!!. و سلوني عن كتاب الله عزّوجلّ، ما منه آية إلاّ و أنا أعلم بليل نزلت أم بنهار، أم بسهل نزلت أم في جبل».

قال أبو الطفيل: فقال ابن الكوّاء و أنا بينه و بين عليّ ﷺ و هو خلفي: فما ﴿الذَّارياتِ ذَرواً. فالحَامِلاتِ وِقراً. فالجَاريات يُسْراً. فَالمُقسّماتِ أمراً﴾.[٣]

فقال: «ويلك سل تفقُّهاً، و لا تسأل تعنّتاً، سل عمّا يعنيك، و دع ما لا يعنيك».

قال: فوالله إنّ هذا ليعنيني. قال ﷺ: «الذاريات ذروا: الرياح، و الحاملات وقراً:

١. الاستيعاب بهامش الإصابة، ج ٣، ص ٤٢.

٢. مطالب السؤول، ص ٤٦.

٣. الذاريات، ١ الى ٤.

السحاب، و الجاريات يسراً: السنن، و المقسمات أمراً: الملائكة».

قال: أفرأيت السواد الذي في القمر، ما هو؟

قال ﷺ: «أعمى سأل عن عمياء، أما سمعت الله عزّوجلّ يقول: ﴿وَ جَعَلنا اللّيلَ و النَّهارَ آيَتَينِ فَمَحَونا آيَةَ اللَّيلِ﴾ الآية[١]. فذلك محوه و السواد الّذي فيه».

قال: أفرأيت ذا القرنين، أنبيّاً كان، أم ملكاً؟

قال ﷺ: «و لا واحداً منهما، و لكنّه كان عبداً صالحاً أحبّ الله فأحبّه الله، و ناصح الله فناصحه لله، دعا قومه إلى الهُدى فضربوه على قرنه، فمكث ما شاءالله، ثمّ دعاهم إلى الهُدى فضربوه على قرنه الآخر، و لم يكن له قرنان كقرن الثور».

قال: أفرأيت هذا القوس، ما هو؟

قال ﷺ: «علامة كانت بين نوح النبيّ و بين ربّه، أمان من الغرق».

قال: أفرأيت البيت المعمور، ما هو؟

قال ﷺ: «ذاك الضراح فوق سبع سماوات تحت العرش، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون فيه إلى يوم القيامة».

قال: فمن ﴿الَّذينَ بدّلوا نِعمَةَ الله كُفراً و أحلُّوا قَومَهُم دَارَ البَوارِ﴾؟[٢]

قال ﷺ: «الأفجران من قريش بنو أُميّة و بنو مخزوم، و قد كفيتهم يوم بدر».

قال: فمن ﴿الَّذينَ ضَلَّ سَعيُهُم في الحَياةِ الدُّنيا و هُم يَحْسَبُونَ أنَّهُمْ يُحْسِنونَ صُنْعاً﴾؟[٣]

قال ﷺ: «كان أهل حروراء».[٤]

---

١. الإسراء، ١٢.

٢. إبراهيم، ٢٨.

٣. الكهف، ١٠٤.

٤. فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٩٤، ح ٣٣١؛ و أهل حروراء: خوارج النهروان.

نماذج من سعة علمه

علم عليّ عليه السلام لم يقف عند حدّ، و كلّما زدنا في فيض علمه فهو قليل، و مَثله مَثلُ قطرة في محيط لجّي، و القلم يقف عاجزاً إزاء علم عليّ عليه السلام و إنّنا من باب «ما لا يدرك جُلّه لا يُترك كلّه» نذكر لكم فصلاً آخر يمثّل نماذج من سعة علمه عليه السلام لنكون قد أدّينا بعضاً من الواجب بحقّ باب مدينة علم رسول الله صلى الله عليه وآله و عيبة علمه و حكمته.

حكمه في حليّ الكعبة

قال الزمخشري في ربيع الأبرار: قيل لعمر: لو اخذت حُليّ الكعبة فجهزت به جيوش المسلمين كان أعظم للأجر، و ما تصنع الكعبة بالحلي؟! فهمّ بذلك، فسأل عليّاً عليه السلام فقال: «إنّ القرآن نزل على النبيّ صلى الله عليه وآله و الأموال أربعة: أموال المسلمين فقسّمها بين الورثة في الفرائض، و الفيء فقسّمه على مستحقّيه، و الخمس فوضعه الله حيث وضعه، و الصّدقات فجعلها الله حيث جعلها، و كانت حليّ الكعبة فيها يومئذ فتركها الله على حالها، و لم يتركها نسياناً، و لم تخف عليه مكاناً، فأقرّه حيث أقرّه الله و رسوله».

فقال له عمر: (لو لاك لافتضحنا)، و تركه.[1]

الحجر الأسود ينفع و يضرّ

في تاريخ دمشق لابن عساكر الشافعي، بإسناده عن أبي سعيد الخدري، قال:

---

١. ربيع الأبرار للزمخشري، ج ٤، ص ٤٦.

خرجنا حجّاجاً مع عمربن‌الخطّاب، فلمّا دخل الطواف استلم الحجر و قبّله، وقال: إنّي لأعلم أنّك حجر لا تضرّ و لا تنفع، و لو لا أنّي رأيت رسول الله ﷺ يقبّلك ما قبّلتك.

قال أبوسعيد: ثمّ مضى في الطّواف، فقال له عليّ بن أبي طالب: «يا أميرالمؤمنين، إنّه ليضرّ و ينفع».

فقال له عمر: بمَ قلتَ ذلك؟ قال: «بكتاب الله».

قال: و أين ذلك من كتاب الله؟ قال عليه السلام: «قول الله عزّو جلّ: ﴿وَ إِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنَ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِم ذرِّيَّتَهُم و أشهَدَهُم عَلى أنفُسِهِم ألستُ بربِّكُم قالُوا بَلى﴾،[١] قال عليه السلام: «لمّا خلق الله آدم عليه السلام مسح منكبه فخرجت ذرّيّته مثل الذّر، فعرّفهم بنفسه أنّه الربّ و أنّهم العبيد، و أقرّوا بذلك على أنفسهم، و أخذ ميثاقهم بذلك، و كتبه في رَقٍّ أبيض».

قال: «و كان هذا الرّكن الأسود يومئذ له لسانان و شفتان و عينان، فقال له: افتح فاك. ففتح فاه فألقمه ذلك الرَّقّ، و جعله في موضعه، و قال له: تشهد لمن وافاك بالموافاة إلى يوم القيامة».

قال أبوسعيد: فقال له عمر بن الخطّاب: لا بقيتُ في قوم لستَ فيهم أبا حسن، أو قال: لا عشتُ في قوم لستَ فيهم أبا حسن.[٢]

حكمه عليه السلام في عدم رجم مجنونة

روى أحمد بن حنبل في مسنده بالاسناد عن قتادة عن الحسن: أنّ عمر بن الخطاب أراد أن يرجم مجنونة، فقال له عليّ عليه السلام: مالك ذلك، قال: سمعت رسول‌الله ﷺ يقول: رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، و عن الطفل

---

١. الأعراف، ١٧٢.

٢. ترجمة الإمام عليّ عليه السلام من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٤٠، رقم ٧٣؛ مناقب الخوارزمي، ٥١.

حتى يحتلم، و عن المجنون حتى يبرأ أو يعقل، فأدرأ عنها عمر.[١]

حكمه في عدم رجم حامل

و روى الخوارزمي في المناقب، بالاسناد عن زيد بن علي، عن أبيه، عن جدّه، عن علي بن أبي طالب ﷺ، قال: لمّا كان في ولاية عمر، أُتي بامرأة حامل، سألها عمر عن ذلك، فاعترفت بالفجور، فأمر بها عمر أن ترجم، فلقيها عليّ بن أبي طالب ﷺ، فقال: ما بال هذه المرأة؟ فقالوا: أمر بها عمر أن ترجم، فردّها علي ﷺ فقال له: أمرت بها أن ترجم؟ فقال: نعم، اعترفت عندي بالفجور. قال: هذا سلطانك عليها، فما سلطانك على ما في بطنها؟

ثم قال له علي ﷺ: فلعلك انتهرتها أو أخفتها! فقال عمر: قد كان ذلك. قال علي ﷺ: أو ما سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لاحدّ على معترف بعد البلاء» إنّه من قيّدت أو حبست أو تهدّدت، فلا إقرار له، فخلّى عمر سبيلها، ثمّ قال: عجزت النساء أن يلدن مثل عليّ بن أبي طالب، لو لا عليّ لهلك عمر.[٢]

حكمه ﷺ في مولود لستّة أشهر

وروى الخوارزمي في المناقب بالاسناد عن أبي الأسود، قال: أُتي عمر بامرأة قد ولدت لستّة أشهر، فهمّ أن يرجمها، فبلغ ذلك علياً ﷺ، فقال: ليس عليها رجم، فبلغ ذلك عمر، فأرسل إليه يسأله، فقال علي ﷺ: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ﴾[٣] و قال: ﴿وَ حَمْلُهُ وَ فِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً﴾[٤] فستّة أشهر حمله، و حولين تمام الرضاعة، لاحدّ عليها. قال: فخلّى عنها.[٥]

---

١. مسند أحمد، ج ١، ص ١٤٠؛ مناقب الخوارزمي، ٣٨.

٢. المناقب للخوارزمي، ص ٣٩.

٣. البقرة، ٢٣٣.

٤. الأحقاف، ١٥.

٥. المناقب للخوارزمي، ص ٤٩ و ٥٠.

إرجاع معاوية إلى علي ﷺ

روى الجويني و أحمد في الفضائل، بالاسناد عن قيس بن أبي حازم، قال: جاء رجل إلى معاوية، فسأله عن مسألة، فقال: سل عنها علي بن أبي طالب، فهو أعلم. فقال: يا أمير المؤمنين، جوابك فيها أحبّ إليّ من جواب علي. فقال: بئس ما قلت، و لؤم ما جئت به، لقد كرهت رجلاً كان رسول الله ﷺ يغرّه بالعلم غرّاً، ولقد قال له رسول الله ﷺ: أنت مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبيّ بعدي، و كان عمر إذا أشكل عليه شيء يأخذ منه، و لقد شهدت عمر و قد أشكل عليه شيء، فقال: أهاهنا علي ؛ قم لا أقام الله رجليك.[1]

حكمه ﷺ على خلاف عمر

و روى الخوارزمي بالاسناد عن مسروق، قال: أُتي عمر بامرأة قد نكحت في عدّتها، ففرّق بينهما، و جعل صداقها من بيت المال، و قال: لا أُجيز مهراً أردّ نكاحه، و قال: لايجتمعان أبداً.

فبلغ علياً ﷺ فقال: و إن كانوا جهلوا السنّة، فلها المهر بما استحلّ من فرجها، و يفرّق بينهما، فاذا انقضت عدّتها فهو خاطب من الخطّاب، فخطب عمر الناس، فقال: ردّوا الجهالات إلى السنّة، و ردوا قول عمر إلى علي ﷺ.[2]

حكمه ﷺ لشارب الخمر

روى الدراقطني في السنن بالاسناد عن ابن عباس، قال: أُتي عمر برجل من المهاجرين[3] الأولين و قد شرب، فأمر به أن يجلد، فقال: لم تجلدني؟ بيني و بينك

---

١. فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٧١، ح ٣٠٢؛ فضائل الصحابة، ج ٢، ص ٦٧٥، ح ١١٥٣.

٢. المناقب للخوارزمي، ص ٥٠.

٣. قيل: هو قدامة بن مظعون.

كتاب الله.

فقال عمر: و أيّ كتاب لله تجد أن لا أجلدك!

فقال له: إنّ الله عزّوجلّ يقول في كتابه: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا﴾[1] الآية، فأنا من الذين آمنوا و عملوا الصالحات، ثمّ اتقوا و آمنوا، ثمّ اتقوا و أحسنوا، و الله يحبّ المحسنين، شهدت مع رسول الله ﷺ بدراً و أحداً و الخندق و المشاهد.

فقال عمر: ألا تردّون عليه ما يقول؟

فقال ابن عباس: إنّ هؤلاء الآيات أُنزلت عذراً للماضين، و حجّة على المنافقين، إلى أن قال عمر: صدقت، ماذا ترون؟

قال علي ﷺ: إنه إذا شرب سكر، و إذا سكر هذى، و إذا هذى افترى، و على المفتري ثمانون جلدة، فأمر به عمر فَجُلد ثمانين.[2]

إلى هنا ننتهي من ذكر النماذج الدالة على سعة علمه ﷺ، ذلك لأننا لو أردنا الاستقصاء لخرجنا عن شرط الاختصار، ولاحتجنا إلى مجلدٍ خاصٍّ لعرض هذا الموضوع.

---

١. المائدة، ٩٣.

٢. سنن الدارقطني، ج ٣، ص ١٦٦.

علي ﷺ أحبُّ الناس إلى رسول الله ﷺ

يستفاد من مجموع الأخبار و الآثار أنّ رسول الله ﷺ قد أشار في مواضع متعددة و مواطن مختلفة، في الحرب و السلم، في الحضر و السفر، إلى أن علياً ﷺ كان أحبّ النّاس إليه، و لا يكون هذا الإشعار لمحبّة نفسانية أو لقربه إليه لأنّه ﷺ ﴿لا يَنطِقُ عَنِ الهَوى إنْ هُوَ إلاّ وحيٌ يُوحى﴾ بل أراد من خلال إظهار محبّته له لفت أنظار النّاس إليه، و ليفهم النّاس و يعلموا أنّ علياً ﷺ هو أقرب النّاس إليه قرباً معنوياً و مؤثراً في هداية النّاس، قال رسول الله ﷺ: «أنا المنذر، و عليّ الهادي»[1] فعليّ ﷺ أحقّ بمقام الوصاية و الولاية من غيره، و يشعر النّاس أنّه لا يقوم مقام رسول الله ﷺ مثل عليّ ﷺ، و للأسف نسي بعد رسول الله كلّما ذكره ﷺ لهم في حقّه وتركوه وحيداً فريداً، و التفتوا إلى باب غيره، و بايعوا غيره، و جرى ما جرى؟!!

و لإطلاع القارىء المحترم على هذا الحبّ الشديد نشير إلى بعض ما ورد في هذا المقام.

١ـ في المناقب لابن المغازلي بإسناده عن إياس بن سلمة، عن أبيه ـ في حديث طويل في خيبر ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لأُعطينّ الرّاية اليوم رجلاً يحبّ الله و رسوله و يحبّه الله و رسوله» فجئت بعليّ ﷺ أقوده و هو أرمد حتّى أتيت به النبيّ ﷺ فبصق في عينيه فبرئ، ثمّ أعطاه الرّاية.[2]

٢ـ و في تاريخ دمشق: بإسناده عن ابن بريدة، عن أبيه، قال: كان أحبّ النساء

---

١. ينابيع المودة للحافظ القندوزي الحنفي، ١٧٩.

٢. المناقب لابن المغازلي، ص ١٧٦، ح ٢١٣

لرسول الله ﷺ فاطمة، و من الرّجال عليّ عليه السلام.[1]

٣ـ و فيه أيضاً عن جميع،[2] عن عائشة، قال: دخلت عليها مع أمّي و أنا غلام، فذكرت لها عليّاً، فقالت عائشة: ما رأيت رجلاً كان أحبّ إلى رسول الله ﷺ منه، و لا امرأة أحبّ إلى رسول الله ﷺ من امرأته.[3]

٤ـ و فيه أيضاً عن عبدالله بن العبّاس، قال: كنت أنا و أبي العبّاس بن عبدالمطّلب جالسين عند رسول الله ﷺ، إذ دخل عليّ بن أبي طالب عليه السلام فسلّم فردّ عليه و بشّ به ـ يعني سُرّ به ـ و قام إليه فاعتنقه، و قبّل بين عينيه، و أجلسه عن يمينه، فقال العبّاس: يا رسول الله، أتحبّ هذا؟

فقال النبيّ ﷺ: «يا عمّ رسول الله، و الله لله أشدّ حبّاً له منّي، إنّ الله جعل ذرّيّة كلّ نبيّ في صلبه، و جعل ذرّيتي في صلب هذا».[4]

٥ـ و قال ابن عبد ربّه: لمّا مات الحسن بن عليّ عليه السلام حجّ معاوية، فدخل المدينة، و أراد أن يلعن عليّاً على منبر رسول الله ﷺ، فقيل له: إنّ هاهنا سعد بن أبي وقاص، و لا نراه يرضى بهذا، فأبعث إليه و خذ رأيه، فأرسل إليه و ذكر له ذلك، فقال: إن فعلت لأخرجنّ من المسجد ثمّ لا أعود إليه، فأمسك معاوية (لعنة الله) عن لعنه عليه السلام حتّى مات سعد، فلمّا مات لعنه على المنبر، و كتب إلى عمّاله أن يلعنوه عليه السلام على المنابر ففعلوا!!

فكتبت أمّ سلمة زوج النبيّ ﷺ إلى معاوية: إنّكم تلعنون الله و رسوله على منابركم، و ذلك أنّكم تلعنون عليّ بن أبي طالب و من أحبّه!! و أنا أشهد أنّ الله

---

١. ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ١٦٣، ح ٦٤١؛ و راجع سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٥٥، ح ٣٨٦٨.

٢. جميع هو ابن عمير التيمي.

٣. المصدر السابق، ج ٢، ص ١٦٥، ح ٦٤٦.

٤. المصدر السابق، ج ٢، ص ١٥٩، ح ٦٤٣.

أحبّه و رسوله. فلم يلتفت معاوية إلى كلامها.[١]

٦ـ و في تاريخ دمشق بسنده عن معاوية بن ثعلبة، قال: أتى رجل أبا ذرّ و هو جالس في مسجد النبيّ ﷺ، فقال: يا أبا ذرّ، ألا تخبرني بأحبّ الناس إليك؟ فإنّي أعرف أنّ أحبّهم إليك أحبّهم إلى رسول الله ﷺ.

قال: إي و ربّ الكعبة، إنّ أحبّهم إليّ أحبّهم إلى رسول الله ﷺ و هو ذاك الشيخ. و أشار إلى عليّ عليه السلام و هو يصلّي أمامه.[٢]

٧ـ و فيه أيضاً بسنده عن ابن أخي زيد بن أرقم، قال: دخلت على أمّ سلمة زوج النبيّ ﷺ، فقالت: ممّن أنت؟

قلت: من أهل الكوفة.

قالت: من الّذين يسبّ فيهم رسول الله ﷺ.

قلت: لا و الله ـ يا أمة ـ ما سمعت أحداً يسبّ رسول الله ﷺ.

قالت: بلى و الله إنّهم يقولون: فعل الله بعليّ و من يحبّه!! و قد كان و الله رسول الله يحبّه.[٣]

و في خبر آخر... قالت: بلى أليس يلعنون عليّاً، و يلعنون مَن يحبّه؟ و كان رسول الله ﷺ يحبّه.[٤]

٨ـ و فيه أيضاً بسنده عن ابن بريدة ـ سليمان بن بريدة ـ عن أبيه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أمرني الله تعالى بحبّ أربعة، و أخبرني أنّه يحبّهم، إنّك يا عليّ منهم، إنّك يا عليّ منهم، إنّك يا عليّ منهم».[٥]

---

١. العقد الفريد، ج ٤، ص ٣٦٦، طبع دار الكتاب العربي ـ بيروت.

٢. ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ١٧٠، ح ٦٥٥.

٣. المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧١، ح ٦٥٦.

٤. المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧٢، ح ٦٥٧.

٥. المصدر السابق، ج ٢، ص ١٧٢، ح ٦٥٨

٩ـ و روى فيه بسنده عن أبي عبدالله الجدلي، قال: دخلت علي أمّ سلمة، فقالت: يا أبا عبدالله، أيسبّ رسول الله ﷺ فيكم و أنتم أحياء؟

قال: قلت: سبحان الله و أنّى يكون هذا؟

قالت: أليس يسبّ عليّ و من يحبّه؟

قلت: بلى.

قالت: أليس كان رسول الله ﷺ يحبّه.[1]

نعم لقد كان هدف معاويه من كلّ ما مرّ سلب الحبّ الّذي ثبت في قلوب المؤمنين ـ حبّ أميرالمؤمنين ﷺ ـ و محاولة إثبات قربه و حبّه هو في القلوب، لكنّ القلوب المؤمنة الّتي تربّت على حبّ عليّ ﷺ أبت أن تنصاع لحيل معاوية، فبقيت على العهد جيلاً بعد جيل، و بقي حبّ عليّ ﷺ و موالاة أهل بيته ـ رغم كلّ محاولات الطمس و التغيير و التحريف ـ شامخاً على طول التاريخ، و ما كان ذلك من الأعداء إلاّ كغمامة صيف لا تلبث أن تنجلي لتظهر الشمس ـ شمس الحقيقة ـ و تبقى القلوب متعطّشه لحبّهم ﷺ، فالشمس لا تُحجب بغربال، قال تعالى: ﴿فَأَمّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفاءً و أمّا ما يَنفعُ النّاسُ فَيَمكُثُ في الأرْضِ﴾.[2]

---

١. المصدر السابق، ج ٢، ص ١٨٢، ح ٦٥٩.

٢. الرعد، ١٧.

محبّ عليﷺ محبُّ الله و رسوله

كان عليّ ﷺ خير المؤمنين بعد رسول الله ﷺ فقد كان قلبه عامراً بأكمل الإيمان، و لا ينقصه حتّى مقدار ذرّة واحدة من نور الإيمان المتكامل، فقلبه ﷺ ربيع الإيمان، بل و ليس في قلبه ذرّة واحدة من هوى النفس، فهو الصّراط المستقيم، و هو سبيل الله، و هو ميزان الأعمال، و هو مع الحقّ و الحقّ معه. و إنّما تتجلّى الصفات الثبوتية للحقّ فيه ﷺ: فهو العدل الإلهي و رحمة الله و قدرته، و هو رمز للرأفة و العطف و الصبر الإلهي، و مظهر من مظاهرها.

عليّ نفس رسول الله ﷺ وعيبة علمه، وأخوه، وخليفته ووصيّه، وكلّ من أحبّه ووالاه فقد أحبّ‌الله ورسوله والمؤمنين ووالاهم، وكلّ من أبغضه وعصاه فقد أبغض الله و رسوله و المؤمنين، فمحبّه محبّ لله و رسوله، و مبغضه مبغض لله ورسوله.

و نلفت أنظار القرّاء الكرام إلى بعض ما ورد من الأخبار في هذا المقام:

١ ـ روى القندوزي الحنفي و الجويني، عن أبي برزة الأسلمي، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله تعالى عهد إليّ في عليّ عهداً، أنّ عليّاً راية الهدى، و إمام أوليائي، ونور من أطاعني، و هو الكلمة الّتي ألزمتها المتّقين، من أحبّه أحبّني، و من أبغضه أبغضني، فبشّره». فجاء عليّ فبشّرته بذلك، فقال: «يا رسول الله، أنا عبدالله، فإنّ يعذّبني فبذنبي، و إن يُتمّ الّذي بشرّني به فالله أولى بي».

قال ﷺ: «قلت: اللّهمّ اجل قلبه، و اجعله ربيع الإيمان. فقال الله تبارك و تعالى: قد فعلتُ به ذلك، ثمّ قال تعالى: إنّي مستخصّه بالبلاء، فقلت: يا ربّ، إنّه أخي ووصيّ: فقال تعالى: إنّه شيء قد سبق فيه قضائي، إنّه مبتلى».[1]

---

١. ينابيع المودة، ص ١٣٤؛ فرائد السمطين، ج ١، ص ١٥١، ح ١١٤

٢ـ و روى الجويني، عن علقمة، عن عبدالله، قال: خرج رسول الله ﷺ من بيت زينب بنت جحش، و أتي بيت أمّ سلمة، و كان يومها من رسول الله ﷺ، فلم يلبث أن جاء عليّ ﷺ، و دقّ الباب دقّاً خفيفاً، فأثبت النبيّ ﷺ الدّق، و أنكرته أمّ سلمة، فقال لها النبيّ ﷺ: «قومي و أفتحي له الباب» ـ إلى أن قال ـ قالت: ففتحتُ الباب، فأخذ بعضادتي الباب، حتّى إذا لم يسمع حسيساً و لا حركة، و صرت في خدري، استأذن فدخل، فقال رسول الله ﷺ: «يا أمّ سلمة، أتعرفينه؟»

قلت: نعم يا رسول الله، هذا عليّ بن أبي طالب.

قال: «صدقت، هو سيّد أحبّه، لحمه من لحمي، و دمه من دمي، و هو عيبة علمي، فاسمعي و اشهدي، و هو قاتل الناكثين و القاسطين و المارقين من بعدي، فاسمعي و اشهدي، و هو قاضي عداتي، فاسمعي و اشهدي، و هو و الله محيي سنّتي، فاسمعي و اشهدي، لو أنّ عبداً عبدالله ألف عام و ألف عام و ألف عام، بين الرّكن و المقام، ثمّ لقي الله عزّو جلّ مبغضاً لعليّ بن أبي طالب و عترتي أكبّه الله على منخريه يوم القيامة في نار جهنّم».[١]

٣ـ و روى الجويني أيضاً، عن عبدالله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحبّني فليُحبّ عليّ بن أبي طالب، و من أبغض عليّ بن أبي طالب فقد أبغضني، و من أبغضني فقد أبغض الله، و من أبغض الله فقد أدخله النّار».[٢]

٤ـ و عنه أيضاً عن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ: «يا عليّ، من زعم أنّه يحبّني و هو يبغضك، فهو كذّاب».[٣]

٥ـ و روى ابن المغازلي الشافعي، عن سلمان، قال: قال رسول الله ﷺ لعليّ: «يا عليّ، محبّك محبّي، و مبغضك مبغضي».[٤]

---

١. فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٣١، ح ٢٥٧.

٢. المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٢، ح ٩٤.

٣. المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٤، ح ٩٤.

٤. المناقب لابن المغازلي، ص ١٩٦، ح ٢٣٣.

٦ـ وعن ابن عبدالبرّ ، عن رسول الله ﷺ: «من أحبَّ عليّاً فقد أحبّني، و من أبغض عليّاً فقد أبغضني، ومن آذى عليّاً فقد آذاني، و من آذاني فقد آذى الله».[١]

٧ـ و روى ابن عساكر الشافعي، عن أمّ سلمة، قالت: أشهد أنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أحبّ عليّاً فقد أحبّني، و من أحبّني أحبّ الله، و من أبغض عليّاً فقد أبغضني، و من أبغضني فقد أبغض الله».[٢]

٨ـ و عنه أيضاً: بإسناده عن جابر، قال: دخل علينا رسول الله ﷺ، و نحن في المسجد، وهو آخذ بيد عليّ عليه السلام، فقال النبيّ ﷺ: «ألستم زعمتم أنّكم تحبّوني؟» قالوا: بلى يا رسول الله . قال : «كذب من زعم أنّه يحبّني، ويبغض هذا» يعني عليّاً عليه السلام.[٣]

٩ـ وعنه أيضاً، عن سلمان الفارسي، قال: رأيت رسول الله ﷺ ضرب فخذ عليّ بن أبي طالب و صدره، وسمعته يقول: «محبّك محبّي، و محبّي محبّ الله، و مبغضك مبغضي، و مبغضي مبغض الله».[٤]

١٠ـ و عنه أيضاً، عن زياد بن أبي زياد الأسدي عن جدّه قال: سمعت عليّ بن أبي طالب يقول: «قال لي رسول الله ﷺ: إنّك تعيش على ملّتي، و تقتل على سنّتي، مَن أحبّك أحبّني، و من أبغضك أبغضني».[٥]

١١ـ و عنه أيضاً، عن عمر بن عبدالله الثقفي، عن أبيه، عن جدّه يعلى بن مرّة الثقفي، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أطاع عليّاً فقد أطاعني، و من عصى عليّاً فقد عصاني، و من عصاني فقد عصى الله، و من أحبّ عليّاً فقد أحبّني، و من أحبّني فقد أحبّ الله، و من أبغض عليّاً فقد أبغضني، و من أبغضني فقد أبغض الله.

---

١. الاستيعاب بهامش الإصابة، ج ٣، ص ٣٧.
٢. ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ١٩٠، ح ٦٧٣.
٣. المصدر السابق، ج ٢، ص ١٨٥، ح ٦٦٤.
٤. المصدر السابق، ج ٢، ص ١٨٧، ح ٦٦٩.
٥. المصدر السابق، ج ٢، ص ١٨٨، ح ٦٧٠.

لا يحبّك إلاّ مؤمن، و لا يبغضك إلاّ كافر أو منافق».[١]

حكاية عبدالله بن عباس عن سعيد بن جبير

روى ابن الصبّاغ المالكي عن محمد بن يوسف الكنجي الشافعي حكايةً عن عبدالله بن عبّاس، و كان سعيد بن جبير يقوم[٢] بعد كفّ بصره، فمرّ على ضفة زمزم، فإذا بقوم من أهل الشّام يسبّون عليّاً ﷺ، فسمعهم عبدالله بن عبّاس، فقال لسعيد: ردّني إليهم، فردّه، فوقف عليهم، و قال: أيّكم السّابّ لله تعالى؟ فقالوا: سبحان الله، ما فينا أحدٌ سبّ الله، ! فقال: أيّكم السابّ لرسوله؟ فقالوا: سبحان الله، ما فينا أحدُ سبَّ رسول الله! قال: فأيُّكم السّابّ لعليّ بن أبي طالب ﷺ؟

فقالوا: أمّا هذا فقد كان منه شيء، فقال: أشهد على رسول الله ﷺ بما سمعته أُذناي، و وعاه قلبي، سمعته يقول لِعليّ بن أبي طالب ﷺ: «يا عليّ، مَن سبّك فقد سبّني، و من سبّني فقد سبّ الله، و من سبّ الله فقد أكبّه الله على منخريه في النّار» و ولّى عنهم و قال: يا بُنيّ، ماذا رأيتهم صنعوا؟

قال: فقلت لهم يا أبتِ:

نظروا إليك بأعينٍ محمّرة ... نظر التيوس إلى شفار الجازر

فقال: زدني فداك أبوك، فقلت:

خزر العيون نواكس أبصارهم ... نظر الذليل إلى العزيز القاهر

فقال: زدني فداك أبوك. فقلت: ليس عندي مزيد.

فقال: عندي المزيد.

أحياؤهم عار على أمواتهم ... و الميّتون مسبّة للغابر[٣]

---

١. المصدر السابق، ج ٢، ص ١٨٨، ح ٦٧١.

٢. كذا في المصدر، و لعل الصحيح: يقوده أو فيه سقط: يقوم بخدمته.

٣. الفصول المهمّة لابن الصباغ المالكي، ص ١٢٧.

حبُّ عليّ ﷺ إيمان

كان عليّ ﷺ صراط الحقّ، و مدار الحقيقة، و جوهر الإيمان، و مرآة صافية لتجلّي ما في قلوب النّاس فيه إذا واجهوه، والمسلمون حينئذٍ مؤمن ومنافق، و كان من مهامّ الأمور تمييز المؤمن عن المنافق، وكان النّبي ﷺ يعرف المنافق بنور نبوّته ووحي الله، وقد عرّفهم لبعض الصحابة أصحاب الأسرار النبيّ منهم عمّار بن ياسر.

و حيث كان عليّ ﷺ مرآة صافية لتمييز المؤمن عن المنافق، صدّر النبيّ ﷺ هذا التوقيع المقياس، و جعل حبّ عليّ ﷺ و بغضه مقياساً لتشخيص الإيمان و النفاق، قال الشارح المعتزلي: و قد اتفقت الأخبار الصحيحة الّتي لا ريب فيها عند المحدّثين على أنّ النبيّ ﷺ قال: «لا يبغضك إلاّ منافق، و لا يحبّك إلاّ مؤمن».[1]

نذكر هنا بعض ما ورد في الباب

١ ـ روى ابن عساكر الشافعي، عن أبي ذرّ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليّ ﷺ: «إنّ الله أخذ ميثاق المؤمنين على حبّك، و أخذ ميثاق المنافقين على بغضك، ولو ضربت خيشوم المؤمن ما أبغضك، و لو نثرت الدنانير على المنافق ما أحبّك، يا عليّ، لا يحبّك إلاّ مؤمن، و لا يبغضك إلاّ منافق».[2]

٢ ـ و عن المطلّب بن عبدالله بن حنطب، عن أبيه، قال: خطبنا رسول الله ﷺ يوم الجمعة، إلى أن قال:

«يا أيّها النّاس، أُوصيكم بحبّ ذي أقربها، أخي و ابن عمّي عليّ بن أبي

---

١. شرح ابن ابي الحديد، ج ٤، ص ٨٣

٢. ترجمة الإمام عليّ من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٢٠٤، ح ٦٩٥.

طالب، فإنّه لا يحبّه إلاّ مؤمن، و لا يبغضه إلاّ منافق، من أحبّه فقد أحبّني، و من أبغضه فقد أبغضني، و من أبغضني عذّبه الله عزّوجلّ».[١]

٣ـ و في صحيح الترمذي عن مُساور الحميري، عن أمّه، عن أمّ سلمة، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يُحبّ عليّاً منافق، و لا يبغضه مؤمن».[٢]

٤ـ و عن عديّ بن ثابت، عن زرّ بن حبيش، عن عليّ ﷺ، قال: «لَقد عَهِد إليّ النبيّ ﷺ أنّه لا يُحبّك إلاّ مؤمن، و لا يبغضك إلاّ منافق، قال عديّ بن ثابت: أنا من القرن الذي دعا لهم النبيّ ﷺ.[٣]

٥ـ و روى ابن حجر العسقلاني الشافعي، عن عليّ ﷺ قال: «لقد عهد إليّ النبيّ ﷺ أن لا يحبّك إلاّ مؤمن، و لا يبغضك إلاّ منافق».[٤]

٦ـ و عن الحارث الهمداني، قال: جاء عليّ ﷺ حتّى صعد المنبر، و حمد الله و أثنى عليه، ثمّ قال: «قضاء قضاه الله تعالى على لسان نبيّكم محمّد، لا يحبّني إلاّ مؤمن، و لا يبغضني إلاّ منافق، و قد خاب من افترى».[٥]

٧ـ و عن حبّة العرني، عن عليّ ﷺ، أنّه قال: «إنّ الله أخذ ميثاق كلّ مؤمن على حبّي، و ميثاق كلّ منافق على بغضي، فلو ضربتُ المؤمن بالسيف ما أبغضني، و لو صببتُ الدّنيا على المنافق ما أحبّني».[٦]

٨ـ و عن عبدالكريم بن هلال، عن أسلم المكّي، عن أبي الطفيل، قال: سمعت عليّاً ﷺ و هو يقول: «لو ضربتُ خياشيمَ المؤمن بالسيف ما أبغضني، و لو نثرت[٧]

---

١. المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٠٧، ح ٦٩٨.

٢. صحيح الترمذي، ج ٥، ص ٥٩٤، ح ٣٧١٧؛ تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٢٠٨، ح ٦٩٩.

٣. سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٠١؛ باب المناقب ح ٣٧٣.

٤. الإصابة لابن حجر، ج ٢، ص ٥٠٣.

٥. الفصول المهمة، ص ١٢٥.

٦. شرح ابن أبي الحديد، ج ٤، ٨٣.

٧. نثرت: أي صببت.

على المنافق ذهباً و فضّة ما أحبّني، إنّ الله أخذ ميثاق المؤمنين بحبّي، و ميثاق المنافقين ببغضي، فلا يبغضني مؤمن، و لا يحبني منافق أبداً».[١]

٩ـ و عن عمران بن ميثم، عن أبيه ميثم، قال: شهدت عليّ بن أبي طالب عليه السلام و هو يجود بنفسه يقول: «يا حسن». قال: الحسن: «لبيّك، يا أبتاه».

قال: «إنّ الله أخذ ميثاق أبيك و ميثاق كلّ مؤمن على بغض كلّ منافق و فاسق، و أخذ ميثاق كلّ فاسق و منافق على بغض أبيك».[٢]

١٠ـ و عن مجاهد، عن ابن عبّاس، قال: بينا نحن بفناء الكعبة و رسول الله صلى الله عليه و آله يحدّثنا، إذ خرج علينا ممّا يلي الركن اليماني شيء عظيم، كأعظم ما يكون من الفيلة، قال: فتفل رسول الله صلى الله عليه و آله و قال: «لُعنتَ» أو قال: «خُزيتَ».

قال: فقال عليّ بن أبي طالب: «ما هذا، يا رسول الله صلى الله عليه و آله؟». قال: «أوَ ما تعرفه، يا عليّ؟» قال: «الله و رسوله أعلم».

قال: «هذا إبليس» فوثب إليه، فقبض على ناصيته و جذبه، فأزاله عن موضعه، و قال: «يا رسول الله، أقتله؟» قال: «أو ما علمت أنّه أُجِّل إلى الوقت المعلوم؟».

قال: فتركه من يده، فوقف ناحية، ثمّ قال: مالي و لك، يا ابن أبي طالب؟ و الله ما أبغضك أحد إلاّ و قد شاركت أباه فيه، اقرأ ما قال الله تعالى: ﴿و شارِكْهُم في الأموالِ وَ الأولاد﴾ الحديث.[٣]

١١ـ و عن أبي سعيد الخُدريّ قال: إنّا كنّا لَنعرف المنافقينَ ـ نحن مَعشر الأنصار ـ ببغضهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام.[٤]

---

١. المصدر السابق، ج ٤، ص ٨٣.

٢. ترجمة الإمام عليّ عليه السلام من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٢٠٦، ح ٦٩٧.

٣. المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٢٦، ح ٧٣١؛ و الآية من الإسراء، ١٧؛ و روى نحوه الكنجي في كفاية الطالب، ص ٦٩.

٤. صحيح الترمذي، ج ٥، ص ٥٩٣، ح ٣٧١٧.

١٢ـ و عن أنس بن مالك، قال: كان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا أراد أن يشهر عليّاً في موطن أو مشهد، علا على راحلته، و أمر النّاس أنّ ينخفضوا دونه، و إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله شهر عليّاً يوم خيبر، فقال: «يا أيّها النّاس، من أحبّ أن ينظر إلى آدم في خلقه، و أنا في خلقي، و إلى إبراهيم في خُلّته، و إلى موسى في مناجاته، و إلى يحيى في زهده، و إلى عيسى في سُننه[1] فلينظر إلى عليّ بن أبي طالب، إذا خطر بين الصّفين كأنّما يتقلّع من صخر، أو يتحدّر من دهر».

ثم قال: يا أيّها الناس، امتحنوا أولادكم بحبّه، فإنّ عليّاً لا يدعو إلى ضلالة، و لايبعد عن هدى، فمن أحبّه فهو منكم، و من أبغضه فليس منكم».

قال أنس بن مالك: و كان الرجل من بعد يوم خيبر يحمل ولده على عاتقه، ثمّ يقف على طريق عليّ عليه السلام، و إذا نظر إليه يوجّهه بوجهه تلقاءه و أومأ بإصبعه: أي بني، تحبّ هذا الرّجل المقبل؟ فإن قال الغلام: نعم، قبله، و إن قال: لا، حرف به الأرض، و قال له: ألحق بأُمّك و لا تلحق أبيك بأهلها، فلا حاجة لي فيمن لا يحبّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام.[2]

١٣ـ و عن أبي سعيد الخدري، قال: ما كنّا نعرف المنافقين على عهد رسول الله إلاّ ببغضهم عليّاً عليه السلام.[3]

---

١. في نسخة: سنّه.

٢. ترجمة الامام علي عليه السلام من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٢٢٤، ح ٧٣٠

٣. الفصول المهمّة لابن الصباغ المالكي، ص ١٢٥.

حبُّ علي عليه السلام سعادة

من خلال دراسة الأخبار الواردة في كتب الفريقين عن النبيّ صلى الله عليه وآله و الائمّة المعصومين عليهم السلام في فضيلة محبّة عليّ عليه السلام، و أنّ الشقاء في بغضه و عدائه، يحصل لنا يقين بأنّ حبّ عليّ عليه السلام في المرتبة الأُولى من العقائد بعد الايمان بالله و رسول الإسلام الكريم، و أنّ سعادة أيّ إنسان رهينة بمحبّته و اتّباع أوامره، و على العكس من ذلك فإنّ الشقاء و التعاسة في عدائه و مخالفته.

و لا يعدو الحقّ ذلك ؛ لأنّ محبّته و إطاعة أوامره تعني الالتزام بأوامر الإسلام المحمّدي الأصيل، و هو يستتبع حتماً السعادة في الدّنيا و النجاة من النّار و دخول الجنّة في الآخرة، كما أنّ مخالفته و عداءه هي الانحراف عن الإسلام الحقيقي، و نتيجة ذلك الخسران المبين في الدّنيا و الآخرة و الخلود في العذاب الأليم، و يؤيد ما قلناه بعض الأخبار التي وردت بهذا المضمون، و منها:

١ ـ روى الصفوري الشافعي، عن أنس، قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «صحيفة المؤمن حبّ عليّ بن أبي طالب». و قال الحسن: «قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: أدع لي سيّد العرب يعني عليّاً فلمّا جاء أرسل إلى الأنصار، فقال: يا معشر الأنصار، ألا أدلّكُم على من إذا تمسّكتم به لن تضلّوا بعده؟ قالوا: بلى يا نبيّ الله. قال: هذا عليٌّ فأحبّوه بحبّي، وأكرموه بكرامتي، فإنّ جبرئيل أمرني بالّذي قلتُ لكم عن الله تعالى».[1]

٢ ـ و روى الديلمي، عن عمر بن الخطاب قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: «حبّ عليّ براءة من النّار».[2]

---

١. نزهة المجالس، ج ٢، ص ٢٠٨.

٢. الفردوس، ج ٢، ص ١٤٢، ح ٢٧٢٣.

٣ـ و عنه أيضاً، عن ابن عباس، قال ﷺ: «حبّ علي بن أبي طالب يأكل الذنوب كما تاكل النار الحطب».[١]

٤ـ و عنه أيضاً، عن معاذ بن جبل، قال ﷺ: «حبّ عليّ بن أبي طالب حسنة لايضرّ معها سيئة، و بغضة سيئة لا تنفع معها حسنة».[٢]

٥ـ روى ابن عساكر الشافعي، عن الأصبغ بن نباته، و أبي مريم الخولاني، قالا: سمعنا عمّار بن ياسر و هو يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا عليّ، إنّ الله زيّنك بزينة لم يزيّن العباد بشيء أحبّ إلى الله منها، و هي زينة الأبرار عند الله: الزهد في الدنيا، فجعلك لا تنال من الدّنيا شيئاً، و لا تنال الدّنيا منك شيئاً، و وهب لك حبّ المساكين، فجعلك ترضى بهم أتباعاً، و يرضون بك إماماً، فطوبى لمن أحبّك و صدق فيك، فهم جيرانك في دارك، و رفقاؤك في جنّتك، و أمّا من أبغضك و كذب عليك، فحقّ على الله أن يوقفهم يوم القيامة موقف الكذّابين».[٣]

٦ـ و روى الخطيب البغدادي والكنجي عن ابن عبّاس، قال: قلت للنبيّ ﷺ: يا رسول‌الله، للنّارجواز؟ قال: «نعم». قلت: وماهو؟ قال: «حبّ‌عليّ‌بن‌أبي‌طالب».[٤]

٧ـ و روى ابن عساكر الشافعي، عن محمّد بن منصور الطوسي، قال: سمعت أحمد بن حنبل ـ في حديث ـ يقول: الحديث الّذي ليس عليه لبس هو قول النبيّ ﷺ: «يا عليّ، لا يحبّك إلاّ مؤمن، و لا يبغضك إلاّ منافق. و قال الله عزّوجلّ: ﴿إنّ المنافقين في الدّرك الأسفلِ من النّارِ﴾.[٥] فمن أبغض عليّاً فهو في الدرك الأسفل من

---

١. الفردوس، ج ٢، ص ١٤٢، ح ٢٧٢٢.

٢. الفردوس، ج ٢، ص ١٤٢، ح ٢٧٢٥.

٣. ترجمة الإمام عليّ من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٢١٢، ح ٧٠٧.

٤. تاريخ بغداد، ج ٣، ص ١٦١؛ كفاية الطالب، ص ٣٢٥

٥. النساء، ١٤٥.

النّار».[١]

٨ـ و عنه أيضاً، عن عاصم بن ضمرة، قال: سمعت عليّاً ﷺ يقول: «إنّ محمّداً ﷺ أخذ بيدي ذات يوم فقال: من مات و هو يبغضك ففي سنّة جاهليّة، يحاسب بما عمل في الإسلام، و من عاش بعدك و هو يحبّك ختم الله له بالأمن و الايمان ما طلعت شمس و غربت حتّى يَرِدَ عليَّ الحوض».[٢]

٩ـ و روى الجويني، بسنده عن سعيد بن محمّد الورّاق، و ابن الصباغ المالكي، عن عليّ بن الحزوّر، قال: سمعت أبا مريم الثقفي يقول: سمعت عمّار بن ياسر يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليّ بن أبي طالب ﷺ: «يا عليّ، طوبى لمن أحبّك و صدق فيك، و ويل لمن أبغضك و كذب فيك».[٣]

١٠ـ و عنه أيضاً، عن أنس، قال: قال رسول الله: «إذا كان يوم القيامة نصب لي منبر، فيقال لي: إرق فأرقاه، فأكون أعلاه، ثمّ ينادي مناد: أين عليّ، فيكون دوني بمرقاة، فيعلم جميع الخلائق أنّ محمّداً سيّد المرسلين، و أنّ عليّاً سيد الوصيّين».

قال أنس: فقام إليه رجل منّا ـ يعني من الأنصار ـ فقال: يا رسول الله، فمن يبغض عليّاً بعد هذا؟ فقال: «يا أخا الأنصار، لا يبغضه من قريش إلاّ سفحيّ، و لا من الأنصار إلاّ يهوديّ، و لا من العرب إلاّ دعيّ، و لا من سائر النّاس إلاّ شقيّ».[٤]

١١ـ و فيه أيضاً: بسنده عن علي بن الحسين، عن أبيه، عن عليّ بن أبي

---

١. ترجمة الإمام عليّ من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٢٥٣، ح ٧٦٧.

٢. المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٣٤، ح ٧٣٨.

٣. فرائد السمطين، ج ١، ص ١٢٩، ح ٩١؛ الفصول المهمة، ص ١٢٧.

٤. المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٤، ح ٩٧.

طالب ﷺ، قال: «إنّ النبيّ ﷺ أخذ بيد الحسن و الحسين ﷺ، فقال: «من أحبّني و أحبّ هذين و أباهما و أمّهما، كان معي في درجتي يوم القيامة».[١]

١٢ ـ و عنه أيضاً، عن زيد بن يثيع، قال: سمعت أبا بكر بن أبي قحافة يقول: رأيت رسول الله ﷺ خيّم خيمة ـ و هو متكىء على قوس عربيّة ـ و في الخيمة عليّ و فاطمة و الحسن و الحسين ﷺ. فقال: «يا معشر المسلمين، أنا سلمٌ لمن سالم أهل الخيمة، و حرب لمن حاربهم، وَ وليٌّ لمن والاهم، لايحبّهم إلاّ سعيد الجدّ[٢]، طيب المولد، و لا يبغضهم إلاّ شقيّ الجدّ، رديء الولادة».

قال رجل: يا زيد، أنت سمعت منه؟ قال: إي، و ربّ الكعبة.[٣]

١٣ ـ و عنه أيضاً، عن زيد بن أرقم، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحبّ أن يحيا حياتي، و يموت مماتي، و يسكن جنّة الخلد الّتي و عدني ربّي، و إنّ ربّي غرس قضبانها بيده، فليوال عليّ بن أبي طالب، فإنّه لن يخرجكم من هدى، و لن يدخلكم في ضلالة».[٤]

١٤ ـ و عنه أيضاً، عن أبي الزبير المكّي، قال: سمعت جابر بن عبدالله يقول: كان رسول الله ﷺ بعرفات، و عليّ ﷺ تجاهه، فأومأ إليّ و إلى عليّ ﷺ فأتيناه، فقال: «ادنُ منّي يا عليّ»، فدنا عليّ منه، فقال: «اطرح خمسك في خمسي» يعني كفّك في كفّي «يا عليّ، أنا و أنت من شجرة، أنا أصلها، و أنت فرعها، و الحسن و الحسين أغصانها، فمن تعلّق بغصن من أغصانها أدخله الله تعالى الجنّة. يا عليّ، لو أنّ أمّتي صاموا حتّى يكونوا كالحنايا، و صلّوا حتّى يكونوا كالأوتار، ثمّ أبغضوك، لأكبّهم

---

١. المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٥، ح ٣٦٦.

٢. الجدّ: الحظّ.

٣. المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٧٣.

٤. المصدر السابق، ج ١، ص ٥٥، ح ٢٠

الله تعالى في النار».[1]

١٥ـ و روى ابن الصباغ المالكي، عن (معالم العترة النبوية): مرفوعاً إلى فاطمة عليها السلام قالت: خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وآله عشيّة عرفة، فقال: «إنّ الله باهى بكم و غفر لكم عامّة، و لعليّ خاصّة، و إنّي رسول الله غير محابٍ لقرابتي، إنّ السعيد كلّ السعيد من أحبّ عليّاً في حياته و بعد موته».[2].

١٦ـ و عنه أيضاً، عن الطبراني، بسنده عن فاطمة عليها السلام عين الحديث السّابق و زاد في ذيله: «إنّ الشّقي كلّ الشقّي من أبغض عليّاً في حياته و بعد مماته».[3]

١٧ـ و روى الخوارزمي، عن الحسن البصري، عن عبدالله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا كان يوم القيامة يقعد عليّ بن أبي طالب عليه السلام على الفردوس، و هو جبل قد علا على الجنّة، و فوقه عرش ربّ العالمين، و من سفحه تنفجر أنهار الجنّة، وتتفرّق في الجنان، و هو جالس على كرسيّ من نور، يجري بين يديه التسنيم، لا يجوز أحد الصرّاط إلاّ و معه براءة بولايته، و ولاية أهل بيته، يشرف على الجنّة فيدخل محبّيه الجنّة، و مبغضيه النّار».[4]

١٨ـ و روى المحبّ الطبري، عن قيس بن أبي حازم، قال: التقى أبوبكر و علي بن أبي طالب عليه السلام فتبسّم أبوبكر في وجه عليّ عليه السلام فقال له: «مالك تبسّمت؟».

قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لا يجوز أحد الصّراط إلاّ من كتب له عليٌّ عليه السلام الجواز».[5]

---

١. المصدر السابق، ج ١، ص ٥١، ح ١٦.

٢. الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، ص ١٢٥.

٣. المصدر السابق، ص ١٢٥.

٤. المناقب للخوارزمي، ص ٣١.

٥. ذخائر العقبى، ص ٧١.

عليّ ﷺ و شيعته هم الفائزون

لقد وردت روايات كثيرة عن النبيّ الأكرم ﷺ يدّل مضمونها على أنّ عليّاً ﷺ و شيعته هم الفائزون، و هذه الحقيقة مُسَلّمة لا ينبغي الشّك فيها، لأنّ الآيات القرانية الّتي تبشّر بالفوز العظيم تطرح أموراً توجد في أشخاص يمثل علّي ﷺ أبرز مصاديقهم، و الصورة الكاملة لما تطلبه الآية، و ممّا لا شكّ فيه أنّ من يتّبع سبيل عليّ ﷺ سوف يدخل في إطار هذه الآية، و يكون من مصاديقها و مصداقاً لذلك الفوز العظيم.

و نحن نشير إلى بعض الآيات من أجل أن يطّلع عليها القارىء العزيز ليتّضح من خلالها أنّ الروايات الواردة في هذا الباب تنطبق تماماً على آيات القرآن الكريم:

فمنها قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِعِ اللهَ وَ رَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزاً عَظِيماً﴾.[1] فهل هناك من هو أشدّ طاعة لله و رسوله من علّي ﷺ؟ و هل هناك من هو كعلّي ﷺ لم يغفل عن طاعة الله طرفة عين؟ و مَن يمكن أن يكون مصداقاً ناطقاً للآية أكمل و أفضل من عليّ ﷺ؟. لا يوجد أبداً، فلم نر أحداً أطاع لله و رسوله طاعةً تامّةً كطاعة عليّ ﷺ. وعلى هذا فإنّ عليّاً ـ و طبقاً لهذه الآية ـ مصداق بيّن للفائزين، و تبعا لذلك فإنّ كل من يتّبع سبيل عليّ ﷺ سيفوز فوزاً عظيماً. و قوله تعالى: ﴿وَ مَنْ يُطِعِ اللهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَخْشَ اللهَ وَ يَتّقه فَأُولئِكَ هُم الفائِزُونَ﴾.[2] فهل هناك مصداق أسمى من عليّ في طاعته لله و رسوله، و خشيته الله، و عدم عصيانه له؟ كلاّ، و لهذا فإنّه الفائز و المحبوّ بهذه الكرامة الإلهية، و هي تشمل شيعته أيضاً.

---

١. الأحزاب، ٧١.

٢. النور، ٥٢.

و قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا وَ هاجَرُوا في سَبيلِ الله بأموالِهِم وأنفُسِهِم أعْظَمُ دَرَجَةً عِنْدَ الله وأولئكَ هُمُ الفائِزُونَ﴾.[1] ألم يكن عليّ عليه السلام أوّل من آمن؟ ألم يكن أوّل مهاجر، وأكثر المهاجرين هجرة في سبيل الله؟ ألم يكن عليّ أفضل مجاهد في سبيل الله؟ و عليه فعليّ عليه السلام أظهر مصداق للآية، فهو الفائز، و كلّ من يعمل بهذه الآية و يتّبع سبيل عليّ، فإنّه من شيعته، و هو من الفائزين.

و الآيات المشتملة على كلمة (الفوز) كثيرة، و إنّما لا نزيد في هذا الايضاح رعاية للاختصار، و فيما يلي نلفت أنظار القرّاء الأعزاء إلى الرّوايات الّتي وردت في هذا الباب:

١ـ روى ابن عساكر الشافعي، عن جابر بن عبدالله قال: كنّا عند النبيّ صلى الله عليه وآله فأقبل عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: «قد أتاكم أخي» ثمّ التفت إلى الكعبة فضربها بيده ثمّ قال: «و الّذي نفسي بيده، إنّ هذا و شيعته لهم الفائزون يوم القيامة».

ثمّ قال: «إنّه أوّلكم إيماناً معي، وأوفاكم بعهد لله، وأقومكم بأمر الله، وأعدلكم في الرعيّة، و أقسمكم بالسويّة، و أعظمكم عند الله مزيّة».

قال: و نزلت: ﴿إنّ الذينَ آمَنوا وَ عَمِلُوا الصّالحاتِ أُولئِكَ هم خيرُ البريّـة﴾[2] قال: فكان أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله إذا أقبل عليٌّ عليه السلام قالوا: «قد جاء خير البريّة».[3]

٢ـ و روى ابن المغازلي الشافعي، عن محمّد بن سالم، و عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عن جده، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، عن رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: «يا عليّ، إنّ شيعتنا يخرجون من قبورهم يوم القيامة على ما بهم من العيوب و الذّنوب وجوههم كالقَمر في ليلةِ البدر، و قد فُرّجت عنهم الشّدائد، و سُهِّلَتْ لهم المَوارد، و أُعطُوا الأمن و الأمان، و ارتفعت عنهم الأحزان، يخاف النّاس و لا يخافون، و

---

١. التوبة، ٢٠.

٢. البيّنة، ٦.

٣. ترجمة الإمام عليّ من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٤٤٢، ح ٩٥١.

يحزن النّاس و لا يحزنون، شُرُكُ نِعالِهم تتلألأ نوراً، على نوق بيض لها أجنحةٌ، قد ذُلّلَتْ من غير مهانة، و نجبت من غير رياضة، أعناقها من ذهب أحمر، ألين من الحرير، لكرامتهم على الله عزّوجلّ».[١]

٣ـ و روى الجويني، عن عليّ بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن عليّ بن أبي طالب ﷺ، قال: قال رسول الله: «أتاني جبرئيل عن ربّي عزّوجلّ و هو يقول: ربّي يقرؤك السلام و يقول لك: بشّر المؤمنين الّذين يَعملون الصّالحات و يؤمنون بك و بأهل بيتك بالجنّة، فلهم عندي الجزاء الحُسنى، و سيدخلون الجنّة».[٢]

٤ـ و أخبره بهذه الرواية المدائني، بإسناده إلى عليّ بن أبي طالب ﷺ، قال: «قال رسول الله ﷺ: يا عليّ، إنّ الله غفر لك و لأهلك و لشيعتك و لمحبّي شيعتك و محبّي محبّي شيعتك، فأبشر فإنّك الأنزع البطين، منزوع من الشرك، بطين من العلم».[٣]

٥ـ و روى عليّ بن أبي بكر الهيثمي، عن عبدالله بن أبي نجي: أنّ عليّاً ﷺ أتي يوم النضير بذهب و فضّة، فقال: «ابيضّي و اصفرّي و غرّي غيري، غرّي أهل الشام غداً إذا ظهروا عليك» فشقّ قوله ذلك على النّاس، فذكر ذلك له، فأذّن في النّاس فدخلوا عليه، قال: «إنّ خليلي ﷺ قال: يا عليّ، إنّك ستقدم على الله و شيعتك راضين مرضيّين، و يقدم عليك عدوّك غضاب مقمحين»[٤] ثمّ جمع يده إلى عنقه يريهم الإقماح.[٥]

٦ـ و روى ابن حجر الهيتمي، عن طريق الديلمي: أنّه قال رسول الله ﷺ: «يا عليّ، أنت و شيعتك تردون عليَّ الحوض رواءً مرويّين، مبيضّة وجوهكم، و إنّ

---

١. المناقب لابن المغازلي، ص ٢٩٦، رقم ٣٣٩.

٢. فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٠٧، رقم ٢٤٦.

٣. المصدر السابق، ج ١، ص ٣٠٨، رقم ٢٤٧.

٤. الإقماح: رفع الرأس و غضّ البصر. من الذُلّ، و أن يُضيّق الغُلّ على العُنق فيضطرّ إلى رفع الرأس.

٥. مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٣١.

أعداءكم يردون عليَّ الحوض ظماءً مقمحين».[١]

٧ـ و روى الخطيب الخوارزمي، عن إبراهيم بن مهاجر، عن يزيد بن شراحيل الأنصاري كاتب عليّ عليه السلام، قال: سمعت عليّاً عليه السلام يقول: حدّثني رسول الله صلى الله عليه وآله و أنا مسنده إلى صدري، فقال: «أي عليّ، ألم تسمع قول الله تعالى: «﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾ أنت و شيعتك، و موعدي و موعدكم الحوض، إذا جاءت الأمم للحساب تدعون غُرّاً مُحجّلين».[٢]

٨ـ و أخرج العلاّمه جمال الدين الزرندي الحنفي عن إبراهيم بن شيبة الأنصاري، قال: جلستُ عند الأصبغ بن نباتة فقال: ألا أقرأ عليك ما أملاه عليّ بن أبي طالب عليه السلام؟ فأخرج صحيفة فيها مكتوب: «بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أوصى به محمد صلى الله عليه وآله أهل بيته و أمّته، أوصى أهل بيته بتقوى الله و لزوم طاعته، و أوصى أمّته بلزوم أهل بيته، و أهل بيته يأخذون بحُجزة[٣] نبيّهم صلى الله عليه وآله، و أنّ شيعتهم يأخذون بحُجزتهم يوم القيامة، و أنّهم لن يدخلوكم في باب ضلالة، و لن يخرجوكم من باب هدى»[٤].

---

١. الصواعق المحرقة، ص ١٦١.

٢. المناقب للخوارزمي، ص ١٨٧.

٣. أخذ بحُجزته: التجاء إليه و استعان به.

٤. نظم درر السمطين، ص ٢٤٠.

عليّ عليه السلام في ليلة المعراج

الروايات الواردة في هذا البحث تدلّ على أنّ النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله قد رأى مثال عليّ عليه السلام و نوره في مواضع مختلفه من هذا السفر الخطير. و رأى اسمه مكتوباً على ساق العرش و على باب الجنّة، و في ذلك دلالة واضحة على عظمة عليّ عليه السلام و سمّو منزلته بعد الرسول صلى الله عليه وآله.

المعراج حقيقة إسلامية ثابتة

من المسائل الّتي اتّفق عليها علماء الإسلام مسألة المعراج، و ذلك لأنّ القرآن الكريم يشهد بها في الآية الأولى من سورة الإسراء و الآيات ٥ـ١٨ من سورة النجم، و من جهة أُخرى فإنّ الروايات المتواترة تؤيّد أنّ هذا السفر السماويّ قد تمّ مرّتين.

و من وجهة نظر الشيعة الإمامية و كثير من علماء السُنّة فإنّ معراج النبيّ صلى الله عليه وآله هذا كان معراجاً جسمانياً لا روحياً. و هم يعتقدون كذلك أنّ هذا السفر الطويل قد تمّ في ليلة واحدة، و أنّه بدأ من مكّة المكرّمة إلى المسجد الأقصى، و من هناك إلى السماء، ثمّ انتهى بالعودة إلى مكّة.

فمن الآيات القرآنية التي ذُكر فيها قوله تعالى: ﴿سُبحانَ الّذي أسْرَى[1] بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ المَسْجِدِ الحَرامِ إلى المَسْجِدِ الأقصى الّذِي بارَكْنا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِن آياتِنا إنّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾.[2]

---

١. الاسراء: هو السفر ليلاً. و هو يقابل السير الذي هو السفر نهاراً، و لذلك وردت لفظة (ليلاً) لتؤيد أنّ هذا السفر قد تمّ في ليلة واحدة. و أنّ السفر كان إلى المسجد الأقصى، و من هناك إلى السماوات، كما ورد في النجم.

٢. الاسراء، ١.

و قد حدث هذا السفر مرّة ثانية، حيث يقول القرآن الكريم: ﴿وَ لَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخرى* عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى* عِنْدَهَا جَنَّةُ المأوى إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ ما يَغْشى* ما زَاغَ الْبَصَرُ وَ مَا طَغَى* لَقَدْ رَأى مِن آياتِ رَبِّهِ الكُبْرى﴾.[1]

فضائله ﷺ ليلة المعراج

فيما يلي نورد بعض ما روي في هذا الباب من الأخبار و الروايات:

١ ـ عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «مررت ليلة أسري بي إلى السماء الرابعة، فإذا أنا بملك جالس على منبر من نور، و الملائكة تحدق به فقلت: يا جبرئيل، من هذا الملك؟

فقال: ادنُ منه فسلّم عليه، فدنوت منه و سلّمت عليه، فإذا أنا بأخي و ابن عمّي عليّ بن أبي طالب ﷺ.

فقلت: يا جبرئيل، سبقني عليّ بن أبي طالب إلى السماء الرابعة؟

فقال: لا، يا محمّد، و لكنّ الملائكة شكت حبّها لعليّ، فخلق الله هذا الملك من نور عليّ و صورة عليّ، فالملائكة تزوره في كلّ ليلة جمعة و يوم جمعة سبعين مرّة، يسبّحون و يقدّسون الله، و يهدون ثوابه لمحبّي عليّ ﷺ».[2]

٢ ـ و عن عبدالله بن حكيم الجهني، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله أوصى إليّ في علي ثلاثة أشياء ليلة أسري بي: أنّه سيد المؤمنين، و إمام المتّقين، و قائد الغرّ المحجّلين».[3]

٣ ـ و عن أبي الحمراء، خادم رسول الله ﷺ، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لمّا أسري بي رأيت في ساق العرش مكتوباً: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، صفوتي

---

١. النجم، ١٣ إلى ١٨.

٢. أرجح المطالب، ص ٥٢٨، عن كفاية الطالب للكنجي الشافعي.

٣. أخبار اصبهان، ج ٢، ص ٢٢٩، لأبي نعيم الأصفهاني؛ مناقب الخوارزمي، ص ٢١٠.

من خلقي أيّدته بعليّ و نصرته به».[١]

٤ـ و عن أبي الحمراء أيضاً، قال: قال النبيّ ﷺ: «ليلة أسري بي رأيت على ساق العرش الأيمن مكتوباً: أنا الله وحدي، لا إله غيري، غرست جنّة عدن بيدي؛ لمحمّد صفوتي، أيّدته بعليّ».[٢]

٥ـ و عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما عرج بي إلى السماء، رأيت على باب الجنة مكتوباً: لا إله إلاّ الله، محمد رسول الله ﷺ، عليّ حبيب الله، الحسن والحسين صفوة الله، فاطمة أمة الله، على مبغضهم لعنة الله».[٣]

٦ـ و عن عبدالله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «لمّا أسري بي إلى السماء أمر بعرض الجنّة و النار عليّ فرأيتهما جميعاً، رأيت الجنّة و ألوان نعيمها، و رأيت النّار و ألوان عذابها، فلمّا رجعت قال لي جبرئيل ﷺ: هل قرأت يا رسول الله، ما كان مكتوباً على أبواب الجنّة، و ما كان مكتوباً على أبواب النّار؟ فقلت: لا، يا جبرئيل.

قال: إنّ للجنّة ثمانية أبواب، على كلّ باب منها أربع كلمات، كلّ كلمة منها خير من الدنيا و ما فيها لمن تعلّمها و استعملها، و إنّ للنّار سبعة أبواب، على كلّ باب منها ثلاث كلمات، كلّ كلمة منها خير من الدنيا و ما فيها لمن تعلّمها و استعملها.

فقلت: يا جبرئيل ارجع معي لأقرأها، فرجع معي جبرئيل ﷺ، فبدأ بأبواب الجنّة، فإذا على الباب الأوّل منها مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله، لكلّ شيء حيلة، و حيلة طيب العيش في الدنيا أربع خصال: القناعة، و نبذ الحقد، و ترك الحسد، و مجالسة أهل الخير.

و على الباب الثاني مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله، لكلّ

---

١. فرائد السمطين، ج ١، ص ٢٣٥، ح ١٨٣؛ تاريخ بغداد، ج ١١، ص ١٧٣؛ مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٢١.

٢. المصدر السابق، ج ١، ص ٢٣٧، ح ١٨٥؛ مناقب الخوارزمي، ص ٢٢٤.

٣. مناقب الخوارزمي، ص ٢٤٠؛ كفاية الطالب، ص ٢٧٤.

شيء حيلة، و حيلة السرور في الآخرة أربع خصال: مسح رأس اليتامى، والتعطّف على الأرامل، و السعي في حوائج المسلمين، و تفقّد الفقراءِ و المساكين.

و على الباب الثالث منها مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله، لكلّ شيء حيلة، و حيلة الصّحة في الدنيا أربع خصال: قلّة الكلام، و قلّة المنام، و قلّة المشي، و قلّة الطعام.

و على الباب الرابع منها مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله، من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليكرم جاره، من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليكرم ضيفه، من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليبرّ و الديه، و من كان يؤمن بالله و اليوم الآخر فليقل خيراً أو يسكت.

و على الباب الخامس منها مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله، من أراد أن لا يُذَلّ فلا يُذِلّ، و من أراد أن لا يُشتم فلا يَشتم، و من أراد أن لا يُظلم فلا يظلم، و من أراد أن يستمسك بالعروة الوثقى فَليَستمسك بقول «لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله».

و على الباب السادس منها مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله، من أحبّ أن يكون قبره واسعاً فسيحاً فلينقّ المساجد، من أحبّ أن لا تأكله الديدان تحت الأرض فليكنس المساجد، من أحبّ أنّ لا يظلم لَحده فلينوّر المساجد، و من أراد أن يبقى طريّاً تحت الأرض فلا يبلى جسده، فلينشر بسط المساجد.

و على الباب السابع منها مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله، بياض القلب في أربع خصال: في عيادة المريض، و اتباع الجنائز، و شراء أكفان الموتى، و دفع القرض.

و على الباب الثامن منها مكتوب: لا إله إلاّ الله، محمّد رسول الله، عليّ وليّ الله،

من أراد الدخول في هذه الأبواب الثمانية فليتمسّك بأربع خصال: بالصدق، و السخاء، و حسن الأخلاق، و كفّ الأذى عن عباد الله عزّوجلّ.

ثمّ جئنا إلى أبواب جهنم، فإذا على الباب الأوّل منها، مكتوب ثلاث كلمات: لعن الله الكذّابين، لعن الله الباخلين، لعن الله الظالمين.

و على الباب الثاني منها مكتوب ثلاث كلمات: من رجا الله سعد، و من خاف الله أمِنَ، و الهالك من رجا سوى الله و خاف غيره.

و على الباب الثالث منها مكتوب: من أراد أن لا يكون عرياناً في القيامة فليكس الجلود العارية، و من أراد أن لا يكون عطشاناً في القيامة فليسقِ العطشان في الدنيا.

و على الباب الرابع منها مكتوب ثلاث كلمات: أذلّ الله من أهان الإسلام، أذلّ الله من أهان أهل بيت نبيّ الله، أذلّ الله من أعان الظالمين على ظلم المخلوقين.

و على الباب الخامس منها مكتوب ثلاث كلمات: لا تتبع الهوى، فإنّ الهوى يجانب الإيمان، و لا تكثر منطقك فيما لا يعنيك فتسقط عن عين ربّك، و لا تكن عوناً للظالمين، فإنّ الجنة لم تُخلَق للظالمين.

و على الباب السادس منها مكتوب ثلاث كلمات: أنا حرام على المجتهدين، أنا حرام على المتصدّقين، أنا حرام على الصائمين.

و على الباب السابع منها مكتوب ثلاث كلمات: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، و وَبِّخوا أنفسكم قبل أن تُوبَّخوا، و ادعوا الله قبل أن تَردوا عليه و لا تقدرون على ذلك».[1]

---

١. فرائد السمطين، ج ١، ص ٢٣٨، ح ١٨٦.

جلاله ﷺ في القيامة

إنّ نظام الحياة الفردية يوم القيامة يكون على عكس الحياة المادية في الدّنيا، فإنّ كلّ إنسان يتلقّى في القيامة نتائج أعماله و جزاءها و هو رهين ما قدّم من أعمال ﴿كلّ امرىءٍ بما كَسَبَ رَهِينٌ﴾[1]، و في الحديث: «الدّنيا مزرعة الآخرة» إلاّ فئة من النّاس لا يكونون رهن شيء، و أولئك هم أصحاب اليمين، كما يعبّر القرآن عنهم بذلك ﴿كلُّ نَفْسٍ بما كَسَبَتْ رَهِينَة إلاّ أصْحابَ اليَمِين﴾.[2] إنّ الأحرار الّذين يفعلون ما يشاؤون خيراً أو شرّاً في الدنيا معذّبون في الآخرة، و الطلقاء اليوم مقيّدون غداً، إلاّ أصحاب اليمين، فإنّهم ينعمون بسرور خاصّ.

و ينبغي الالتفات إلى أنّه بغضّ النظر عن الجنّة، و ما أُعدّ فيها من النعم للمؤمنين، و النّار و ما فيها من أنواع العذاب الّذي ينتظر المجرمين، فإنّه توجد في القيامة أنوار و سعادات هي عين وجود الإنسان المؤمن، و سلسلة من الظلمات و أنواع العذاب هي عين وجود الإنسان الكافر الضّالّ، يقول القرآن الكريم في المؤمنين: ﴿يَومَ تَرَى المُؤْمِنِينَ وَ المُؤْمِناتِ يَسْعى نُورهُم بَينَ أيدِيهم﴾.[3] ويقول في موضع آخر: ﴿فأمّا إن كانَ مِنَ المُقرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَ رَيحانٌ وَ جَنَّةُ نَعيمٍ﴾.[4]

و على عكس ذلك فإنّه يصف الكافرين بأنّهم حطب جهنّم و وقودها، فيقول: ﴿فَاتَّقُوا النّارَ الّتي وَقُودُها النّاسُ وَ الحِجارَةُ﴾.[5] ويقول في موضع آخر: ﴿وَ أمّا القاسِطُونَ

---

١. الطور، ٢١

٢. المدثر، ٣٨ و ٣٩.

٣. الحديد، ١٢.

٤. الواقعة، ٨٨.

٥. البقرة، ٢٤.

فَكانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً﴾.[١]

و إذا عرفنا درجات عليّ بن أبي طالب و مراتبه السامية، فهو نفس النبيّ ﷺ و أخوه و وصيّه بلا فصل، و هو الّذي كان نوراً بكلّ وجوده في هذه الدنيا، و هو الطاهر العدل الّذي كان يضحّي بنفسه في سبيل الإسلام، و فيه نزلت: ﴿وَ مِنَ النّاسِ مَنْ يَشْري نَفْسَهُ ابتغاءَ مَرْضاتِ الله﴾[٢] و هو مظهر الصفات الحميدة و مكارم الأخلاق، و هو قدوة الإنسانية و نموذج الإنسان الكامل بعد رسول الله، و كان يتبع أثر رسول الله ﷺ خطوة بعد خطوة و لا يحيد عنه أبداً...

إذا عرفنا ذلك فإنّه سيرتقي في القيامة أعلى الدرجات، و يتجلّى بأجمل صفات الأنبياء و المقرّبين.

و إذا لاحظنا الأخبار و الروايات المروية عن النبيّ الأكرم ﷺ و الموجودة في كتب الفريقين، و الّتي تشير إلى عظمة عليّ ﷺ و جلاله في يوم القيامة، عرفنا مدى تلك العظمة و الجلال، و نحن نذكر بعضاً من تلك الأخبار:

١ ـ روى ابن المغازلي الشافعي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، أنّه سئل عن قول الله عزّوجلّ: ﴿وَعَدَ الله الَّذينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحاتِ مِنْهُم مَغْفِرَةً وَ أجراً عظيماً﴾[٣] قال: سأل قوم النبيّ ﷺ فقالوا: فيمن نزلت هذه الآية، يا نبيّ الله؟

قال: «إذا كان يوم القيامة عقد لواء من نور أبيض، فإذا مناد: ليقم سيّد المؤمنين و معه الّذين آمنوا بعد بعث محمّد ﷺ، فيقوم عليّ بن أبي طالب ﷺ فيعطى اللواء من النّور الأبيض بيده، تحته جميع السابقين الأوّلين من المهاجرين والأنصار، لا يخالطهم غيرهم، حتّى يجلس على منبر من نور ربّ العزّة، و يُعرَض الجميع عليه رجلاً رجلاً فيُعطى أجره و نوره، فإذا أتى على آخرهم قيل لهم: قد عرفتم

---

١. الجن، ١٦.

٢. البقرة، ٢٠٧، و قد نزلت هذه الاية في علي ﷺ عندما بات في فراش رسول الله ﷺ ليلة الهجرة، و ذكرنا ذلك في هذا الفصل، في «مبيته في فراش النبي ﷺ».

٣. الفتح، ٢٩.

موضعكم و منازلكم من الجنّة، إنّ ربّكم يقول: عندي مغفرة و أجرٌ عظيم، يعني الجنّة، فيقوم عليّ و القوم تحت لوائه معهم حتّى يدخل بهم الجنّة.

ثمّ يرجع إلى منبره، فلا يزال يُعرَض عليه جميع المؤمنين، فيأخذ نصيبه منهم إلى الجنّة، و ينزل أقواماً إلى النّار، فذلك قوله تعالى: ﴿وَ الَّذِينَ آمَنوا بِاللهِ وَ رُسُلِهِ أُولئِكَ هُمُ الصِدِّيقُونَ وَ الشُهداءُ عِنْدَ رَبِّهِم لَهُمْ أجْرُهُم وَ نُورُهُم﴾.[١] يعني السّابقين الأوّلين من المؤمنين و أهل الولاية ﴿و الّذينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بآياتِنا أُولئِكَ أصحابُ الجَحِيمِ﴾[٢]، يعني بالولاية بحقّ عليّ، و حقّ عليّ عليه السلام الواجب على العالمين».[٣]

٢ـ و روى الصفوري الشافعي و أبو نعيم الأصفهاني و الجويني ، عن أنس، قال: بعثني النبيّ صلى الله عليه وآله إلى أبي برزة الأسلمي، فقال له و أنا أسمع: «يا أبا برزة، إنّ ربّ العالمين عهد إليّ عهداً في عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: إنّه راية الهدى، و منار الايمان، و نور جميع من أطاعني، و إمام أوليائي.

يا أبا برزة: عليّ بن أبي طالب أميني غداً في القيامة، و صاحب رايتي في القيامة، و عليّ مفاتيح خزائن رحمة ربّي».[٤]

٣ـ روى الجويني، عن عامر الطّائي، عن علي بن موسى الرضا عليه السلام، عن آبائه، عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليس في القيامة راكب غيرنا نحن أربعة، فقام إليه رجل من الأنصار، فقال: فداك أبي و أمّي ومن هم؟

قال: «أنا على دابّة الله البراق، و أخي صالح على ناقة الله عزّوجلّ الّتي عقرت، و عمّي حمزة على ناقتي العضباء، و أخي عليّ على ناقة من نوق الجنّة، و بيده لواء الحمد، ينادي: لاإله إلاّ الله، محمّد رسول الله، فيقول الآدميّون: ما هذا إلاّ ملك مقرّب، أو نبيّ مرسل، أو حامل عرش، فيجيبهم ملك من تحت بطنان العرش: يا

---

١. الحديد، ١٩.

٢. الحديد، ١٩.

٣. المناقب لابن المغازلي، ص ٣٢٢، ح ٣٦٩.

٤. حلية الأولياء، ج ١، ص ٦٦؛ نزهة المجالس، ج ٢، ص ٢٠٨؛ فرائد السمطين، ج ١، ص ١١٤، ح ١٠٨.

معشر الآدميين، ليس هذا ملكاً مقرباً، و لا نبيّاً مرسلاً، و لا حامل عرش، هذا عليّ بن أبي طالب».[١]

٤ـ و في الرياض النضرة عن أنس قال:قال رسول الله ﷺ:«لعليّ يوم القيامة ناقة من نوق الجنّة فتركبها و ركبتك مع ركبتي، و فخذك مع فخذي، حتّى تدخل الجنّة».[٢]

٥ـ و فيه أيضاً عن عليّ ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عليّ، إنّك أول من يقرع باب الجنّة، فتدخلها بغير حساب بعدي»[٣].

٦ـ و روى الجويني، عن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله ﷺ:« أعطاني ربّي عزّوجلّ في عليّ خصالاً في الدنيا، و خصالاً في الآخرة: أعطاني به في الدّنيا أنّه صاحب لوائي عند كلّ شدة و كريهة، و أعطاني به في الدّنيا أنّه غامضي و غاسلي و دافني، و أعطاني به في الدّنيا أنّه لن يرجع بعدي كافراً.

و أعطاني به في الآخرة أنّه صاحب لواء الحمد يقدمني به، و أعطاني به في الآخرة أنّه متّكيء في طول الحشر يوم القيامه، و أعطاني به في الآخرة أنّه عون لي على حمل مفاتح الجنّة».[٤]

٧ـ و عنه أيضاً، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «عليّ بن أبي طالب حلقة معلّقة بباب الجنّة من تعلّق بها دخل الجنّة».[٥]

---

١. فرائد السمطين، ج ١ ص ٨٧، ح ٦٦.

٢. الرياض النضرة، ج ٣، ص ١٨٦.

٣. المصدر السابق، ج ٣، ص ١١٤.

٤. فرائد السمطين، ج ١، ص ٢٢٨، ح ١٧٨.

٥. المصدر السابق، ج ١، ص ١٨٠، ح ١٤٣.

عليّ ﷺ قسيم الجنّة و النار

ممّا لا شكّ فيه أنّ الجنّة و النّار في القيامة هي ثمرة أعمال الإنسان في مزرعة الدّنيا فكلّما كانت أعمالنا منسجمة مع مبادىء الإسلام، و منطبقة مع الموازين الشرعية الإلهية، فإنّها تقرّبنا إلى الله جلّ و علا، و إلى الجنّة زلفى، في نفس الوقت الّذي تبعدنا عن النّار. فأعمال الفرد هي الكفيلة بإيصاله إلى الجنّة أو النّار.

إنّ النبيّ و وصيّه عليّ ﷺ يمثّلان نموذجين متكاملين لقوانين الإسلام، و كذا شأن الأئمّة المعصومين ﷺ من بعدهم، فكلّما كانت أعمالنا إليهم اقرب فنحن إلى مبادىء الإسلام و إلى الجنّة أقرب، و إنّما نزداد قرباً من النّار كلّما ابتعدنا عنهم.

لقد جاء في بعض الأحاديث «حبُّ عليّ إيمان، و بغضه كفر»[1] و نفهم منه أنّ حبّ عليّ ﷺ ميزانٌ لمصير العباد إلى الجنّة، كما أنّ بُغضه سببٌ في المصير إلى النّار.

و لا يخفى أنّ الحبّ و البغض هنا ليسا أمراً ذهنياً فقط، أو أمراً شعوريّاً كما يتوهّم، بل الحبّ و البغض لا يكون إلاّ بالعمل، و لذا ورد في الحديث «هل الدّين إلاّ الحبّ».

إذ من كان يبغض عليّاً فلا يسير على نهج عليّ ﷺ، و بالنتيجة لايكون عمله منطبقاً مع مبادىء الإسلام، و من يحبّ عليّاً و كان عمله مطابقاً لعمل عليّ ﷺ فهو يدخل الجنّة، فلعلّ المراد بكونه ﷺ «قسيم الجنّة و النّار» هذا المعنى، و قد يراد أنّه قسيمهما فعلاً، حيث ورد في الحديث على ما سيأتي أنّه ﷺ يقول للنار «هذا لي، و هذا لك» و الله العالم.

---

١. تقدّم الحديث مع تخريجه في هذا الفصل في «حبّ علي ايمان».

فعلى هذا، إنّ البعض ممّن يدّعي حبّ عليّ ﷺ كالدراويش و الصوفية أو بعض مَنْ لاٰ دراية له، و لكن لا يعمل بمنهج عليّ ﷺ، لا يتوقع أن يدخل الجنّة لمجرد محبّته لعليّ ﷺ بلا عمل، كما قال الله تعالى: ﴿إنّ الّذينَ آمَنُو وَ عَمِلُوا الصالِحاتِ أُولئِكَ أَصْحابُ الجَنّةِ﴾.[1]

و قال عليّ ﷺ لعثمان بن حنيف عامله على البصرة: «ألا و إنّ لكلّ مأموم إماماً يقتدي به، و يستضيء بنور علمه»[2]، و ليس معنى الاقتداء بالإمام إلاّ العمل بطريقته، و إليك بعض الأخبار الّتي توضح ما قلنا:

١ـ روى ابن المغازلي الشافعي، عن علي ﷺ، أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّك قسيم النار، و إنّك تقرع باب الجنّة، و تدخلها بغير حساب».[3]

٢ـ و روى الخوارزمي بالاسناد عن عليّ ﷺ، أنّه قال: قال رسول الله ﷺ: «يا عليّ، إنّك قسيم الجنّة و النار، و إنّك تقرع باب الجنّة فتدخلها بغير حساب»[4].

٣ـ و روى أيضاً بالاسناد عن عليّ ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يا علي، إني سألت الله فيك خمس خصال فأعطاني... إلى أن قال: و أمّا الخامسة فسألت ربي أن تكون قائد أمّتي إلى الجنّة فأعطاني، فالحمدلله الذي مَنّ عليَّ بذلك».[5]

٤ـ و روى الجويني، بسنده عن عباية، عن عليّ ﷺ، قال: «أنا قسيم النّار، إذا كان يوم القيامة قلت: هذا لك، و هذا لي»

عليّ حُبُّه جُنّة   قسيم النّار و الجَنّه
وصيّ المصطفى حقّاً   إمام الإنس و الجِنّه[6]

---

١. البقرة، ٨٢.

٢. نهج البلاغة، الكتاب ٤٥.

٣. المناقب لابن المغازلي، ص ٦٧، ح ٩٧.

٤. المناقب للخوارزمي، ص ٢٠٩

٥. المناقب للخوارزمي، ص ٢٠٨.

٦. فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٢٦، ح ٢٥٤. و أخرج هذا الحديث أيضاً في البداية و النهاية، ج ٧، ص ٣٥٥.

و أخرج هذا الحديث أيضاً ابن كثير في البداية و النهاية، ج ٧، ص ٣٥٥، القاهرة ـ مصر.

٥ ـ و عن محمّد بن منصور الطوسي أنه قال: كنّا عند أحمد بن حنبل، فقال له رجل: يا أبا عبدالله، ما تقول في هذا الحديث الّذي يُروىٰ أنّ عليّاً عليه السلام قال: «أنا قسيم النّار»؟

فقال أحمد: و ما تنكرون من هذا الحديث، أليس روينا أنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قال لعليّ: «لا يحبّك إلاّ مؤمن، و لا يبغضك إلاّ منافق؟». قلنا: بلى. قال: فأين المؤمن؟ قلنا: في الجنّة. قال: فأين المنافق؟ قلنا: في النّار. قال: فعليّ قسيم النّار.[1]

٦ ـ و في صواعق ابن حجر: و أخرج الدار قطني، أنّ عليّاً عليه السلام قال للستّة الّذين جعل عمر الأمر شورى بينهم كلاماً طويلاً من جملته: «أنشدكم بالله هل فيكم أحدٌ قال له رسول الله صلى الله عليه و آله: يا عليّ أنت قسيم الجنّة و النّار يوم القيامة، غيري؟». قالوا: اللّهم لا.

ثمّ قال ابن حجر: و معناه ما روي عن عليّ الرضا، أنّه صلى الله عليه و آله قال لعليّ: «أنت قسيم الجنّة و النّار، فيوم القيامة تقول للنّار: هذا لي و هذا لكِ».[2]

---

١. كفاية الطالب، ص ٧٢، طبقات الحنابلة، ج ١، ص ٣٢٠، طبع القاهرة ـ مصر.

٢. الصواعق المحرقة، ١٢٦.

ذكر علي عليه السلام والنظر إليه عبادة

في معنى الذكر

الذكر ربما قابل الغفلة،[1] و ربما قابل النسيان،[2] و للذكر خواص و آثار تترتّب عليه، و من الآثار المترتّبة على الذكر هو التّذكر بالقول و اللسان، يعني أنّ من يذكر شيئاً بلسانه فهو من آثار الذكر القلبي و عدم الغفلة، و عدم نسيانه، فإطلاق الذكر على التذكر بالقول و اللسان من باب استعمال اللفظ في فوائد المعنى، ثمّ كثر استعماله في التّذكر بالقول و اللسان حتّى صار هو السابق إلى الفهم.

و لا يخفى أنّ للذكر مراتب عالية و دانية، فقوله تعالى: ﴿ألا بِذِكْرِ الله تَطمَئِنُّ القُلُوبُ﴾[3] المرتبة العالية للذكر في القلب، و من مراتب الذكر قوله تعالى: ﴿فَاذكُرُوا الله كَذِكْرِكُم آباءَكم أو أشدّ ذِكْراً﴾[4]، و قوله تعالى: ﴿و اذكر رَبَّكَ إذا نَسيت...﴾.[5]

و على هذا فقوله صلى الله عليه وآله: «ذكر عليّ عبادة» هو توجّه القلب إلى عليّ عليه السلام و عدم الغفلة عن صراطه و طريقه، لأنّ صراطه هو صراط الله، و صراط الله هو الصراط المستقيم، و من تنبّه و توجّه إلى صراطه دائماً سار بسيرته، و صار من شيعته، فهذا الذكر عبادة حقّاً.

---

١. الغفلة: هي انتفاء العلم بالعلم مع وجود أصل العلم، و الذكر خلافه و هو العلم بالعلم، و منه قوله تعالى: ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا﴾ الكهف، ٢٨.

٢. النسيان: هو زوال صورة العلم عن خزانة الذهن، فالذكر خلافه، و منه تعالى: ﴿و اذكر ربّك إذا نسيت﴾ الكهف، ٢٤.

٣. الرعد، ٢٨.

٤. البقرة، ٢٠٠.

٥. الكهف، ٢٤.

و قول من قال: ذكر عليّ عليه السلام باللسان عبادة، و لو مع خلوّ القلب عنه، لأنّه يمنعه من التكلّم باللغو، و يجعل لسانه معتاداً بالخير. فهو بعيد عن الصواب، لأنّه إذا كان الذكر مجرد لقلقة لسان بلا توجّه القلب، فلا ثمرة له، بل هو نوع من اللهو، و فلا أثر في ذكره عليّاً عليه السلام ما لم يَسِر على صراطه عليه السلام.

نعم، لو كان ذكره عليه السلام باللسان ابتداءً، ثمّ صار سبباً لتوجّه القلب و حضور النفس و التنبّه إلى صراطه، و بعدها يصبح دافعاً للالتزام بسيرته، فهو عبادة قطعاً، و لا نزاع في ذلك، و فيما يلي بعض الأخبار الواردة في هذا الباب:

١ـ روى الخوارزمي في المناقب، بالاسناد عن علي عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنّ الله تعالى جعل لأخي عليّ فضائل لا تحصى كثرة، فمن ذكر فضيلةً من فضائله مقرّاً بها، غفر الله له ما تقدّم من ذنبه، و من كتب فضيلةً من فضائله، غفرالله له الذنوب التي اكتسبها بالنظر»، ثمّ قال صلى الله عليه وآله: «النظر إلى عليّ عبادة، و ذكره عبادة، و لا يقبل الله إيمان عبد إلاّ بولايته، و البراءة من أعدائه»[1].

٢ـ و في كنزالعمال وغيره: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ذكر عليّ عبادة».[2]

في معنى النظر في قوله صلى الله عليه وآله: «النظر إلى وجه عليّ عبادة»

النظر إلى الشيء: مشاهدته. فمعنى قوله صلى الله عليه وآله: «النظر إلى وجه عليّ عبادة» أي أنّ مشاهدته و النظر إليه بنفسه عبادة، لا أنّه يحمل الناظر على العبادة كما قال ابن الأعرابي في تفسير الحديث، حيث قال: معناه أنّ عليّاً عليه السلام كان إذا برز قال النّاس: لا إله إلاّ الله، ما أشرف هذا الفتى! لا إله إلاّ الله، ما أعلم هذا الفتى! لا إله إلاّ الله، ما أكرم هذاالفتى، أي ما أتقى! لا إله إلاّ الله، ما أشجع هذا الفتى! فكانت رؤيته تحملهم على كلمة التقوى.[3]

---

١. المناقب، ص ٢، و أخرجه الكنجي الشافعي في الكفاية الطالب، ص ١٢٣ ـ النجف.

٢. كنز العمال، ج ١١، ص ٦٠١، ح ٣٢٨٩٤.

٣. النهاية لابن الأثير، ج ٥، ص ٧٧.

و هو كما ترى، أراد أن ينفي عنه ﷺ منقبة فأثبت له مناقب، و لا ندري ما الباعث على ذلك؟ و أي استبعاد في أن يكون محض النظر إليه ﷺ عبادة؟ و أيّ استبعاد في أن يكون النظر إلى ابن عمّ رسول الله ﷺ و زوج فاطمة الزهراء، و أبي السبطين، و أخي الرّسول و وصيّه و باب علمه، و الذابّ عنه بين يديه، و كاشف الكرب عن وجهه، و الباذل نفسه لله و لرسوله ليلة المبيت، و هادي الأُمّة، و قاتل الناكثين و القاسطين و المارقين، عبادة؟!

و يؤيّد ما ذكرناه ما ورد في الحديث: «النظر إلى وجه العالم عبادة، و إلى وجه الوالدين عبادة، و إلى الكعبة عبادة».

و يؤيده أيضاً أنّ رسول الله ﷺ يدعو الله تعالى أن لا يموت حتّى يرى عليّاً ﷺ فعن الترمذي عن أمّ عطية، قالت: بعث النبيّ ﷺ جيشاً فيهم عليّ ﷺ، قالت: فسمعت رسول الله ﷺ و هو رافع يديه يقول: «اللّهمّ لا تُمِتني حتّى تُرِيَني عليّاً».[1]

و فيما يلي نذكر جملةً من الأخبار الواردة في هذا الباب تتميماً للفائدة و تكميلاً للبحث:

١ـ قال رسول الله ﷺ: «النظر إلى وجه عليّ عبادة».[2]

٢ـ و روى الكنجي الشافعي، عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ «النظر إلى وجه عليّ عبادة».

قال العلاّمة الكنجي: الحديث عالٍ حسن السياق، و أمّا النظر إلى وجه عليّ فإنّه عبادة من حيث إنّه ابن عمّ الرسول، و زوج البتول، و أبو السبطين الحسن و الحسين، و أخو الرسول و وصيّه.[3]

٣ـ وروى الخوارزمي، عن عائشة، قالت: كان أبوبكر يُديم النظر إلى عليّ ﷺ،

---

١. سنن الترمذي، ج ٥، ص ٦٠١، ح ٣٧٣٧؛ ينابيع المودة للقندوزي الحنفي، ص ٩٠.

٢. كنز العمال، ج ١١، ص ٦٠١، ح ٣٢٨٩٥ و ص ٦٢٤، ح ٣٣٠٣٩.

٣. كفاية الطالب الكنجي الشافعي، ص ١٥٧.

فقيل له في ذلك؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «النظر إلى عليّ عبادة».[1]

و لا يخفى أنّنا في وقتنا هذا محرمون من هذا الفيض العظيم، أعني النظر إلى وجهه الشريف المبارك، بل نصيبنا اليوم زيارة بقعته المقدّسة في النجف الأشرف، (اللّهمّ ارزقنا في الدّنيا زيارتهم، و في الآخرة شفاعتهم).

و ممّا لا ريب فيه أنّ كون النظر إلى وجهه الشريف عبادة، منزلة عظيمة و مقام عالٍ لم يصله بعد رسول الله ﷺ أحدٌ غير عليّ عليه السلام، وهو أمر اختصّ به أميرالمؤمنين عليه السلام من دون سائر الصحابة .

١. المناقب للخوارزمي، ص ٢٦١.

جهاد عليّ عليه السلام

الجهاد لغة إمّا مأخوذ من الجُهد بالضمّ، بمعنى الوسع و الطاقة و المشقّة، و إمّا من الجَهد بالفتح بمعنى المشقّة.

و في المفردات: الجَهد و الجُهد: الطاقة و المشقّة، و قيل: الجَهد بالفتح: المشقة، و الجُهد: الواسع، و قيل: و الجُهْد للإنسان.[1]

و أمّا شرعاً فهو بذل النّفس و ما يتوقّف عليه من المال في محاربة المشركين أو الباغين على وجه مخصوص، أو بذل النّفس و المال و الوسع في إعلاء كلمة الإسلام و إقامة شعائر الايمان.

لا شكّ أنّ قيمة أيّ عمل إنّما تقوم بإخلاص صاحبه، و ظروف الزمان و المكان الّذي وقع فيه، فكلّما كان العمل خالصاً لله كان ذا قيمة لا تحدّ، و ممّا لا يقبل التردّد فيه أنّ سيف عليّ عليه السلام و جهاده ما كان إلاّ في سبيل الله، و لأجل تقوية الإسلام، و نشر دين الحقّ، و لم يكن لديه أيّ هدف عدا ما ذكرناه، و ممّا يجب ملاحظته أنّ جهاد عليّ عليه السلام وقع في وقتٍ كان الإسلام فيه غريباً على قلّة في العدد و العدّة إلى الحدّ الّذي كان المسلمون يعانون من تهيئة متطلّبات العيش اليوميّة، و في وقتٍ كان مشركو مكّة و اليهود و النصارى يسخّرون كلّ ما لديهم من إمكانيات في سبيل تحطيم الإسلام و قتل النبيّ صلى الله عليه و آله... و في مثل هذه الظروف تكون للجهاد قيمة خاصّة سامية و عالية، و قد جاهد عليّ عليه السلام في مثل هذه الظروف من أجل تقوية شوكة الإسلام و حفظه و بقائه، كان عليّ عليه السلام حامياً للمسلمين ذابّاً عنهم، و أينما وُجد عليّ عليه السلام ارتجف منه العدوّ، و اطمأنّ المسلمون.

---

١. مفردات الراغب، ص ١٠١، ماده (جهد).

و إذا قلنا: إنّ الإسلام إنّما استقام بسيف عليّ عليه السلام، و لو لا عليّ عليه السلام لم يكن الإسلام، بل لم يكن ثمّة اسم للقرآن، أو التوحيد، لم نكن مبالغين أو مجانبين للحقّ. و لعلّ النماذج الحيّة لجهاد أمير المؤمنين عليه السلام بين يدي الرّسول صلى الله عليه و آله خير شواهد على ما نقول، و بحثنا ذلك فيما تقدّم من هذا الكتاب، و سنشير هنا بشكل إجماليّ الى بعضها.

ففي غزوة بدر، و على الرّغم من أنّه عليه السلام في ريعان شبابه، فقد قتل ثلاثين أو أكثر من المشركين، و بذلك نفخ في الإسلام روحاً جديدة، و في هذه الحرب قويت شوكة الإسلام، و ألقي الرعب في قلوب المشركين.

و في غزوة أُحد، فرّ المسلمون و لم يبق مع الرّسول إلاّ أربعة: عليّ عليه السلام و الزّبير، و طلحة، و أبودجانة[1]، و في نظرنا أنّه لم يبق معه صلى الله عليه و آله إلاّ عليّ عليه السلام يدافع و يذبّ عنه بذي الفقار لكسر سيف البغي، و حفظ حياة الرّسول الأكرم صلى الله عليه و آله. و من ثمّ عاد المسلمون رويداً، رويداً، و هناك نادى منادٍ من السماء:

لا سيف إلاّ ذو الفقار و لا فتى إلاّ عليّ

و قال صلى الله عليه و آله لعليّ عليه السلام: «يا أبا الحسن، لو وضع إيمان الخلائق و أعمالهم في كفّة و وضع عملك يوم أُحد على كفّة أخرى، لرجح عملك على جميع الخلائق، و إنّ الله تعالى باهى بك يوم أُحد ملائكته المقرّبين، و رفع الحجب من السموات السبع، وأشرفت إليك الجنّة و ما فيها، و ابتهج بفعلك ربّ العالمين، و إنّ الله تعالى يعوضك ذلك اليوم ما يغبط كلّ نبيٍّ و رسولٍ و صدّيقٍ و شهيدٍ».[2]

و في غزوة الخندق طلب رأس الشرك عمرو بن عبدودّ المبارزة ثلاث مرّات، فلم يبرز إليه أحدٌ. و كان عليّ عليه السلام السبّاق إلى الميدان ليرسل ابن عبدود إلى قعر جهنّم، و قال رسول الله صلى الله عليه و آله يوم برز عليّ عليه السلام في الخندق: «برز الإيمان كلّه

---

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢٩٣. ويستفاد من بعض المسانيد أخر غير ما ذكرناه.

٢. ينابيع المودة، ص ٦٤.

إلى الشرك كلّه».[1]

و في حنين فرّ المسلمون كلّهم إلاّ تسعة رهط من أهله، و كان عليّ ﷺ بين يديه مصلتاً سيفه، و هكذا كان عليّ ﷺ يسجّل حضوراً دائماً حيثما طلب الجهاد في طريق الاسلام، لزلزلة مواقع الكفر و الشرك، و قتل صناديدهم، فكان مصداق الآية ﴿إنّ الله يُحِبُّ الّذينَ يُقاتِلُون في سَبِيلِه صَفّاً كأنَّهم بُنيانٌ مَرصُوص﴾[2].

من الآيات التي نزلت في فضل جهاده ﷺ

١ ـ في قوله تعالى: ﴿أجَعلتُم سقايَةَ الحاجِّ وعِمارةَ المسجدِ الحَرام كَمَن آمَن بالله واليومِ الآخِر و جاهد في سَبِيلِ الله﴾[3] قال الواحدي في أسباب النزول: قال الحسن و الشعبي و القرظي: نزلت الآية في علي ﷺ و العباس و طلحة بن شيبه، و ذلك أنّهم افتخروا، فقال طلحة: أنا صاحب البيت بيدي مفتاحه، و إليّ ثياب بيته. و قال العباس: أنا صاحب السقاية، والقائم عليها. و قال عليّ ﷺ: ما أدري ما تقولان، لقد صلّيت ستة أشهر قبل الناس، و أنا صاحب الجهاد، فأنزل الله تعالى هذه الآية.[4]

و روى نحو ذلك الجويني[5] و ابن المغازلي الشافعي[6] و ابن الصباغ المالكي.[7]

٢ـ و روى الخوارزمي بالاسناد عن أبي قيس بن عباد القيسي، قال: سمعت

---

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢٨٥.

٢. الحجرات، ١٣.

٣. التوبة، ١٩.

٤. أسباب النزول، ص ١٣٨.

٥. فرائد السمطين، ج ١، ص ٢٠٣، ص ١٥٩.

٦. المناقب لابن المغازلي، ص ٣٢١، ح ٣١٧

٧. الفصول المهمة، ص ١٢٤.

أباذر يقسم قسماً أنّ هذه الآية ﴿هذان خَصمان اختصموا في رَبّهم﴾[١] نزلت في الذين برزوا يوم بدر، في الثلاثة و الثلاثة: حمزة، و علي، و عبيدة بن الحارث، و عتبة، و شيبة، و الوليد. أخرجه البخاري و مسلم في الصحيحين من حديث أبي هاشم.[٢]

٣ـ و روي السيوطي و ابن عساكر و الكنجي، بالاسناد عن سفيان الثوري، عن زبيد، عن مرّة، عن عبدالله، أنه كان يقرأ ﴿و كفى الله المؤمنين القتال﴾[٣] بعليّ بن أبي طالب.[٤]

عليّ سيّد المجاهدين

قال ابن أبي الحديد: و أمّا الجهاد في سبيل الله من عليّ ﷺ، فعلوم عند صديقه وعدوّه أنّ عليّاً سيّد المجاهدين، وهل الجهاد لأحدٍ من النّاس إلاّ له! وقد عرفتَ أنّ أعظم غزاة غزاها رسول الله ﷺ و أشدّها نكاية في المشركين بدر الكبرى، قتل فيها سبعون من المشركين، قتل عليٌّ ﷺ نصفهم، و قتل المسلمون و الملائكة النصف الآخر، دع من قتله في غيرها كأُحد و الخندق.

ثمّ قال: و هذا الفصل لا معنى للإطناب فيه، لأنّه من المعلومات الضروريّة كالعلم بوجود مكّة و مصر و نحوهما.[٥]

احتجاج المأمون على فضله ﷺ بجهاده

للمأمون احتجاج طويل مع فقهاء عصره في الوقت الذي كان الرضا ﷺ وليّاً

---

١. الحج، ١٩.

٢. المناقب للخوارزمي، ص ١٠٧.

٣. الأحزاب، ٢٥.

٤. ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٢، ص ٩٢٧/٤٢٠؛ كفاية الطالب، ص ٢٣٤؛ الدر المنثور، ج ٦، ص ٥٩٠.

٥. شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٤.

للعهد، أثبت من خلاله تفضيل أميرالمؤمنين عليه السلام على غيره من الصحابة و سائر البشر، و أنّه أحقّ بمنصب خلافة الرسول صلى الله عليه و آله من غيره.

و ممّا جاء فيه: قال المأمون: يا إسحاق، ثمّ أي الأعمال كانت أفضل بعد السبق إلى الإسلام؟ قال إسحاق: قلت: الجهاد في سبيل الله.

قال: صدقت، فهل تجد لأحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله ما تجد لعليّ عليه السلام في الجهاد؟ قلت: في أيّ وقت؟ قال: في أيّ الأوقات شئت. قلت: بدر.

قال المأمون: لا أريد غيرها، فهل تجد لأحد إلاّ دون ما تجد لعليّ يوم بدر؟ أخبرني كم قتلى بدر؟ قلت: نيفّ و ستّون رجلاً من المشركين. قال: فكم قتلى عليّ وحده؟ قلت: لا أدري.

قال: ثلاثة و عشرون أو اثنين و عشرون، و الأربعون لسائر النّاس.

قلت: يا أمير المؤمنين، كان أبوبكر مع رسول الله صلى الله عليه و آله في عريشه. قال: يصنع ماذا؟ قلت: يدبّر. قال: ويحك، يدبّر دون رسول الله، أو كان معه شريكاً، أم افتقاراً من رسول الله صلى الله عليه و آله إلى رأيه، أيّ الثلاث أحبّ إليك؟

قلت: أعوذ بالله أن يدبّر أبوبكر دون رسول الله صلى الله عليه و آله، أو يكون معه شريكاً، أو أن يكون برسول الله افتقار إلى رأيه. قال: فما الفضيلة بالعريش، إذا كان الأمر كذلك، أليس من ضرب بسيفه بين يدي رسول الله أفضل ممّن هو جالس؟ قلت: يا أميرالمؤمنين كلّ الجيش كان مجاهداً.

قال: صدقت، كلٌّ مجاهدٌ، و لكن الضارب بالسيف المحامي عن رسول الله صلى الله عليه و آله عن الجالس أفضل، أما قرأت كتاب الله: ﴿لاَ يَستَوِي القَاعِدُونَ مِنَ المُؤمِنِينَ غَيرُ أُولِي الضَّرَرِ وَ المُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ بِأَموَالِهِمْ وَ أَنفُسِهِم فَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ بِأَموَالِهِمْ وَ أَنفُسِهِمْ عَلَى القَاعِدِينَ دَرَجَةً وَ كُلاًّ وَعَدَ اللهُ الحُسنَى وَ فَضَّلَ اللهُ المُجَاهِدِينَ عَلَى القَاعِدِينَ أَجراً عَظِيماً﴾.[1]

---

١. النساء، ٩٥.

قلت: و كان أبوبكر و عمر مجاهدين. قال: فهل كان لأبي بكر و عمر فضل على من لم يشهد ذلك المشهد؟ قلت: نعم. قال: فكذلك سبق الباذل نفسه فضل أبي بكر و عمر؟! قلت: أجل.[1]

۱. راجع تفصيل الاحتجاج في العقد الفريد، ج ٥، ص ٩٥، طبع دارالكتاب العربي، بيروت.

اشتياقه ﷺ إلى الشهادة

إنّ إحدى الفروق بين دين الإسلام السماويّ، دين التوحيد، و بين الأديان الأُخرى أنّ معتنقيه يعتبرون الشهادة و القتل في سبيله فوزاً عظيماً خالداً، و هم يأملون تحقّق هذا الأمل دائماً ﴿يا لَيتَني كُنتُ مَعَهُم فَأفوزَ فَوزاً عَظيماً﴾[1] فالّذين يؤمنون بالإسلام لا يخافون الشهادة، بل يحبّون لاستقبالها، لأنّهم يعتقدون أنّ عالم ما بعد الموت أسمى من هذا العالم و أكثر نورانية منه، و يعتبر المؤمنون هذا العالم المادّي سجناً ضيّقاً مظلماً (الدُّنيا سجنُ المؤمن) و لذلك فإنّهم يعدّون الخلاص من هذا العالم عن طريق الشهادة ألذّ سعادة.

إنّ عليّاً ﷺ كان نموذجاً ومظهراً للكمالات الإنسانية و الإلهية في جميع الفضائل و المناقب، و حاله في الشوق إلى الشهادة لا يختلف عن بقية حالاته، و لذلك نرى شوقه المتحرّق إلى الشهادة واضحاً في كلماته، فقد ذكره مرّات و مرّات في كتبه و رسائله، و هذا في الواقع نوع من القيادة العلمية السامية، استعمله لتعليم أصحابه و شيعته التفاني و التلهّف إلى الشهادة في محاربة أعداء الله، و من جملة تلك الكلمات ما قاله في يوم من أيام صفّين حين ظنّ بعض جنوده أنّه ﷺ تباطأ في إصدار أمر البدء بالقتال خوفاً من الموت و القتل، فأجابهم ﷺ: «أمّا قولكم: أكلّ ذلك كراهية الموت؟ فوالله ما أُبالي دخلت إلى الموت، أو خرج الموت إليّ».[2]

و قال ﷺ في خطبة أُخرى: «إنّ أكرم الموت القتل، و الّذي نفس ابن أبي طالب

---

١. النساء، ٧٣.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٥٥.

بيده لألف ضربة بالسيف أهون عليّ من ميتة على الفراش في غير طاعة الله».[١]

بشارة النبيّ ﷺ إياه بالشهادة

١ ـ روى ابن المغازلي الشافعي، بسنده عن عبدالله بن داود، عن الأعمش، عن سلمة بن كهيل، عن سالم بن أبي الجعد، عن عبدالله بن سبع، قال: سمعت عليّاً عليه السلام على المنبر، و هو يقول: «ما ينتظر أشقاها، عهد إليّ رسول الله ﷺ لتخضبنّ هذه من هذه».

و أشار ابن داود إلى لحيته و رأسه. فقال: يا أمير المؤمنين، من هو حتّى نبتدره؟ قال: «أُنشد الله عزّوجلّ رجلاً قتل بي غير قاتلي».[٢]

٢ ـ و روى ابن عساكر الشافعي، بسنده عن عبدالله بن سبع أيضاً، قال: خطبنا عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: «و الّذي فلق الحبّة و برأ النّسمة، لتخضبنّ هذه من هذه» يعني لحيته من دم رأسه.[٣]

٣ ـ و عنه أيضاً: و عن الجويني، بسندهما عن زيد بن أسلم: أنّ أبا سنان الدؤلي حدّثه أنّه عاد عليّاً في شكوىً اشتكاها، قال: فقلت له: لقد تخوّفنا عليك - يا أميرالمؤمنين ـ في شكواك هذه.

فقال: «لكنّي ـ و الله - ما تخوّفت على نفسي منها، لأنّي سمعت رسول الله ﷺ الصادق المصدوق يقول: «إنّك ستضرب ضربةً هاهنا - و أشار إلى صدغه ـ فيسيل دمها حتّى تخضب لحيتك، و يكون صاحبها أشقاها، كما كان عاقر الناقة أشقى ثمود».[٤]

---

١. المصدر السابق، الخطبة ١٢٢.

٢. المناقب لابن المغازلي الشافعي، ص ٢٠٥، ح ٢٤٢.

٣. ترجمة الإمام عليّ من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٢٧٣، ح ١٣٥٤.

٤. المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٧٦، ح ١٣٦١؛ فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٨٧، ح ٣٢٠.

٤ـ و عنه أيضاً: عن زيد بن وهب، قال: قدم عليّ على قوم من أهل البصرة من الخوارج فيهم رجل يقال له: الجعد بن بعجة، فقال له: اتق الله - يا عليّ - فإنّك ميّت.

فقال عليّ: «بل مقتول ضربة على هذا يخضب هذه ـ يعني لحيته من رأسه ـ عهد معهود، و قضاء مقضيّ، و قد خاب من افترى».[1]

٥ـ و عنه أيضاً: عن أبي الطفيل، قال: إنّ عليّاً لمّا جمع النّاس للبيعة، جاء عبدالرّحمن بن ملجم فردّه مرّتين، ثمّ قال عليّ: «ما يحبس أشقاها، فوالله لتخضبنّ هذه من هذا» ثمّ تمثّل:

أشدد حيازيمك للموت فإنّ الموت لاقيك
و لا تجزع من القتل إذا حلّ بواديك[2]

٦ـ و فيه أيضاً: عن فضالة بن أبي فضالة الأنصاري ـ و كان أبوفضالة من أهل بدر ـ قال: خرجت مع أبي عائداً لعليّ من مرض[3] أصابه ثقل منه، قال: فقال له أبي: ما يقيمك بمنزلك هذا؟ لو أصابك أجلك لم يلك إلاّ أعراب جهينة، تحمّل إلى المدينة، فإن أصابك أجلك وليك أصحابك، و صلّوا عليك.

فقال عليّ: «إنّ رسول الله عهد إليّ أن لا أموت حتّى أؤمّر، ثمّ يخضب هذه ـ يعني لحيته ـ من دم هذه ـ يعني هامته ـ» فقتل عليّ، و قتل أبوفضالة مع عليّ يوم صفين.[4]

٧ـ و عنه أيضاً: عن أبي حرب بن أبي الأسود، عن أبيه، قال: سمعت عليّاً

---

١. تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٢٧٨، ح ١٣٦٤.

٢. المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٧٩، ح ١٣٦٥.

٣. مرض عليّ بينبع في أطراف المدينة (راجع فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٩٠، ح ٣٢٧).

٤. تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٢٨٣، ح ١٣٧٢ (و نحوه في فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٩٠، ح ٣٢٧).

يقول: «أتاني عبدالله بن سلام و قد أدخلت رجلي في الغرز[١]. فقال لي: أين تريد؟ فقلت: العراق. فقال: أما إنّك إن جئتها ليصيبك بها ذُباب السيف[٢] ثمّ قال: و ايم الله لقد سمعت رسول الله ﷺ مثله يقوله».

قال أبو حرب: فسمعت أبي يقول: فتعجّبت منه و قلت: رجل محارب يحدّث بهذا عن نفسه؟![٣]

٨ـ و عنه أيضاً بسنده عن معاوية، عن جوين الحضرمي، قال: عُرض على عليّ عليه السلام الخيل، فمرّ عليه ابن ملجم، فسأله عن اسمه ـ أو قال: عن نسبه ـ فانتهى إلى غير أبيه، فقال له: «كذبت» حتّى انتسب إلى أبيه، فقال: «صدقت، أما إنّ رسول الله ﷺ حدّثني أنّ قاتلي شبه اليهود! هو يهوديّ» فامضه.[٤]

٩ـ و عنه أيضاً: عن أنس بن مالك، قال: مرض عليّ بن أبي طالب عليه السلام فدخل عليه النبيّ ﷺ، فتحوّلت عن مجلسي، فجلس النبيّ ﷺ حيث كنت جالساً، و ذكر كلاماً، فقال ﷺ: «إنّ هذا لا يموت حتّى يُملأغيظاً، و لن يموت إلاّ مقتولاً».[٥]

١٠ـ و عنه أيضاً: عن أبي رافع: أنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ عليه السلام: «أنت تقتل على سنّتي».[٦]

١١ـ و عنه أيضاً: عن عثمان بن صهيب، عن أبيه: أنّ رسول الله ﷺ قال لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: «من أشقى الأوّلين؟». قال: «عاقر الناقة». قال: «فمن أشقى

---

١. الغرز: الرّكاب.

٢. ذباب السيف: طرفه الذي يُضرب به.

٣. المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٨٠، ح ١٣٦٧.

٤. تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٢٩٣، ح ١٣٩١.

٥. المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٦٦، ح ١٣٤٣.

٦. ترجمة الإمام عليّ من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٢٦٩، رقم ١٣٤٧.

الآخرين؟». قال: «لا أدري». قال: «الّذي يضربك على هذا» و أشار إلى رأسه.[١]

١٢ـ و عنه أيضاً: عن عمّار بن ياسر، قال: كنت أنا و عليّ بن أبي طالب ﷺ رفيقين في غزوة العشيرة من بطن ينبع، فلمّا نزلها رسول الله ﷺ أقام بها شهراً، فصالح بها بني مدلج، و كان رجال منهم يعملون في عينٍ لهم. فقال لي عليّ ﷺ: «يا أبا اليقظان، هل لك أن نأتي هؤلاء و ننظر كيف يعملون؟» قال: فأتيناهم فنظرنا إليهم ساعة، ثمّ غشينا النّوم، فعمدنا إلى صورٍ[٢] من النخل في دقعاء[٣] من الأرض، فنمنا فيه، فوالله ما أهبنا إلّا رسول الله ﷺ بقدمه، فجلسنا و قد تترّبنا من تلك الدقعاء، فيومئذ قال رسول الله ﷺ لعليّ ﷺ: «يا أبا تراب» لما عليه من التّراب، فأخبرناه بما كان من أمرنا، فقال: «ألا أُخبركما بأشقى الناس رجلين؟». قلنا: بلى يا رسول الله. فقال: «أُحيمر ثمود الّذي عقر الناقة، و الّذي يضربك ـ يا عليّ ـ على هذا، فوضع رسول الله ﷺ يده على رأسه، حتّى يبلّ منها هذه و وضع يده على لحيته».[٤]

١٣ـ و فيه أيضاً: عن عائشة، قالت: رأيت النبيّ ﷺ التزم عليّاً ﷺ و قبّله و هو يقول: «بأبي الوحيد الشهيد، بأبي الوحيد الشهيد».[٥]

---

١. المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٨١، رقم ١٣٦٨.

٢. الصور من النخل: صغاره.

٣. الدقعاء: التّراب.

٤. المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٨٥، رقم ١٣٧٧

٥. المصدر السابق، ج ٣، ص ٢٨٤، رقم ١٣٧٦.

عليّ عليه السلام في القوّة و الأيد

حسبك في قوّة عليّ عليه السلام و أيده قلعه باب خيبر، و جعله جسراً على الخندق، و كان يغلقه عشرون رجلاً، و تترّسه يومئذٍ بباب لم يستطع قلبه ثمانية نفر.

فقد روى البيهقي في الدلائل و غيره، بالاسناد عن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله، قال: خرجنا مع علي عليه السلام حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وآله برايته، فلمّا دنا من الحصن خرج إليه أهله، فقاتلهم، فضربه رجل من يهود، فطرح ترسه من يده، فتناول عليّ باب الحصن فترّس به عن نفسه، فلم يزل في يده و هو يقاتل حتى فتح الله عليه، ثم ألقاه من يده، فلقد رأيتني في نفرٍ من سبعة أنا ثامنهم نَجْهَدُ على أن نقلب ذلك الباب فما استطعنا أن نقلبه.

و عن جابر أنّه قال: ثمّ اجتمع عليه سبعون رجلاً، فكان جهدهم أن أعادوا الباب.[1]

قال الفخر الرازي في تفسيره: إنّ كلّ من كان أكثر علماً بأحوال عالم الغيب، كان أقوى قلباً و أقلّ ضعفاً، و لهذا قال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: «و الله ما قَلعتُ باب خيبر بقوة جسمانيّة و لكن بقوّة ربّانيّة» و ذلك لأنّ عليّاً عليه السلام في ذلك الوقت انقطع نظره عن عالم الأجساد، و أشرقت الملائكة بأنوار عالم الكبرياء، فتقوّى روحه، و تشبّه بجواهر الأرواح الملكيّة، و تلألأت فيه أضواء عالم القدس و العظمة، فلا جرم [أن] حصل له من القدرة ما قدر بها على ما لم يقدر عليه غيره، و كذلك العبد

---

١. دلائل النبوة، ج ٤، ص ٢١٢، دارالكتب العلمية ـ بيروت.

إذا واظب على الطاعات بلغ إلى المقام الّذي يقول الله: «كُنتُ لَهُ سَمْعاً وَ بَصراً» فإذا صار نور جلال الله سمعاً له سمع القريب و البعيد، و إذا صار ذلك النور بصراً له رأى القريب و البعيد، و إذا صار ذلك النور يداً له قدر على التصرّف في الصعب و السّهل و البعيد و القريب.[1]

و قال ابن أبي الحديد في شرحه: أمّاالقوّة و الأيد فبه يُضرب المثل فيهما، قال ابن قتيبة في المعارف: ما صارع أحداً قطّ إلاّ صرعه، و هو الّذي قلع باب خيبر، و اجتمع عليه عصبة من النّاس ليقلبوه فلم يقلبوه، و هو الّذي اقتلع هبل من أعلى الكعبة ـ و كان عظيماً جدّاً ـ و ألقاه إلى الأرض، و هو الّذي اقتلع الصخرة العظيمة في أيّام خلافته ﷺ بيده بعد عجز الجيش كلّه عنها، و انبطّ الماء من تحتها.[2]

---

١. التفسير الكبير، ج ٢١، ص ٩١.

٢. شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢١.

شجاعة عليّ ﷺ

اتّفق الصديق و العدوّ، والمحبّ والمبغض على شجاعة مولانا الإمـام عـليّ ﷺ، وأنّه شجاع في جميع حالاته و أوضـاعه، بحـيث كـانت شـجاعته مـتداولة عـلى الألسن، و مضرباً للأمثال.

عن الشارح المـعتزلي في شرحه: و ما أقول في رجـل تـصوّر مـلوك الفـرنج و الروم صورته في بِيَعها و بيوت عباداتها، حاملاً سيفه، مشمّراً لحربه، و تصوّر ملوك الترك و الديلم صورته على أسيافها! كان على سيف عضد الدولة بن بويه و سيف أبيه ركن الدولة صورته، و كانت على سيف إلب أرسلان و ابنه ملك شاه صورته، كأنهم يتفاءلون به النصر و الظفر.[1]

قال محبّ الدين الطبري: و شهرة إبلائه ببدر و اُحد و خيبر و أكثر المشاهد، قد بلغت حدّ التواتر، حتّى صارت شجاعته معلومةً لكلّ أحدٍ بـالضّرورة، بحيث لا يُمكنه دفع ذلك عن نفسه.[2]

قال ابن الاثير في (النهاية): و في الحديث: «كانت ضرباتُ عليّ ﷺ مـبتكرات لاعُوناً» أي إنّ ضربته كانت بكراً، يقتل بواحدةٍ منها، لا يحتاج أن يعيد الضربـة ثانياً. يقال: ضربة بكر، إذا كانت قاطعة لا تُثنّى.

و العون جمع عوان، و هي في الأصل الكهلة من النسـاء، و يـريد بهـا هـاهنا المثنّاه.[3]

---

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٨.

٢. ذخائر العقبى، ص ٩٨.

٣. النهاية في اللغة، ج ١، ص ١٤٩، باب الباء مع الكاف.

و في المناقب لابن المغازلي وغيره: قال رجلٌ لابن عبّاس: أكان عليّ بن أبي طالب ﷺ يباشر القتال بنفسه؟

قال: إي و الله، ما رأيت رجلاً أطرح لنفسه في متلفٍ من علي ﷺ، فلربّما رأيته يخرج حاسراً بيده السيفُ إلى الرّجل الدّارع فيقتله.(١)

قال سفيان الثوري: كان عليّ بن أبي طالب ﷺ كالجبل بين المسلمين و المشركين، أعزّ الله به المسلمين، و أذلّ به المشركين.(٢)

قال ابن أبي الحديد في كلام له: و لأنّ عليّاً ﷺ كانت هيبته قد تمكّنت في صدور النّاس، فلم يكن يظنّ أنّ أحداً يقدم عليه غيلة أو مبارزة في حرب، فقد كان بلغ من الذّكر بالشجاعة مبلغاً عظيماً لم يبلغ أحدٌ من النّاس، لا مَن تقدّم و لا مَن تأخّر، حتّى كانت أبطال العرب تفزع باسمه.

ألا ترى إلى عمرو بن معديكرب، و هو شجاع العرب الّذي تضرب به الأمثال، كتب إليه عمر بن الخطاب في أمرٍ أنكره عليه و غدر تخوّفه منه: أما و الله لئن أقمت على ما أنت عليه، لأبعثنّ إليك رجلاً تستصغر معه نفسك، يضع سيفه على هامتك فيخرجه من بين فخذيك!

فقال عمرو بن معد يكرب لمّا وقف على الكتاب: هدّدني بعليّ و الله!(٣)

و لهذا قال شبيب بن بجرة لابن ملجم لمّا رآه يشدّ الحرير على بطنه و صدره: ويلك، ما تريد أن تصنع؟ قال: أقتل عليّاً.

قال: هبلتك الهبول، لقد جئت شيئاً إدّاً، كيف تقدر على ذلك؟ فاستبعد أن يتمّ لابن ملجم على ما عزم عليه، و رآه مراماً و عراً.(٤)

---

١. المناقب لابن المغازلي الشافعي، ص ٧١، ح ١٠٣؛ ذخائر العقبى، ٩٩

٢. المناقب لابن شهر آشوب، ج ٢، ص ٦٨.

٣. شرح ابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٢٥٩.

٤. المصدر السابق، ج ١٠، ص ٢٥٩

و قال أيضاً: و أمّا الشجاعة: فإنّه أنسى النّاس فيها ذكر من كان قبله، ومحا اسم من يأتي بعده، و مقاماته في الحرب مشهورة، يُضرب بها الأمثال إلى يوم القيامة، و هو الشجاع الّذي ما فرّ قطّ، و لا ارتاع من كتيبة، و لا بارز أحداً إلاّ قتله، و لا ضرب ضربةً قطّ فاحتاجت الأُولى إلى ثانية، و في الحديث: «كانت ضرباته وتراً».

و لمّا دعا معاوية إلى المبارزة ليستريح النّاس من الحرب بقتل أحدهما، قال له عمرو بن عاص: لقد أنصفك، فقال معاوية: ما غششتني منذ نصحتني إلاّ اليوم! أتأمُرني بمبارزة أبي الحسن، و أنت تعلم أنّه الشجاع المطرق! أراك طمعت في إمارة الشام بعدي.

و كانت العرب تفتخر بوقوفها في الحرب في مقابلته، فأمّا قتلاه فافتخار رهطهم بأنه ﷺ قتلهم أظهر و أكثر.

قالت أُخت عمرو بن عبد ودّ ترثيه:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله	بكيتُه أبداً ما دُمتُ في الأبد
لكنّ قاتلَه من لا نظير له	و كان يُدعى أبوه بيضَةَ البلد[1]

و انتبه يوماً معاوية، فرأى عبدالله بن الزبير جالساً تحت رجليه على سريره، فقعد، فقال له عبدالله يُداعبه: يا أمير المؤمنين، لو شئت أن أفتك بك لفعلت. فقال: لقد شَجُعت بعدنا، يا أبابكر.

قال: و ما الّذي تنكره من شجاعتي، و قد وقفتُ في الصفّ إزاء عليّ بن أبي طالب! قال: لا جَرم! إنّه قتلك و أباك بيسرى يديه، و بقيت اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها.

ثم قال: و جملة الأمر أنّ كلّ شجاع في الدّنيا إليه ينتهي، و باسمه ينادى في

---

١. بيضة البلد تعني أبا طالب، إذ لم يكن أحد مثله في الشرف. كذا فسرّ في لسان العرب.

مشارق الأرض و مغاربها.[1]

و قد ذكر الشارح المعتزلي في شرحه زيادة على ما مرّ، فصلاً طويلاً في شجاعة علي ﷺ تحت عنوان «مُثُلٌ من شجاعة عليّ ﷺ»[2] فراجعه.

جملة من الأخبار الواردة في شجاعته ﷺ

۱ـ روى ابن عساكر بالاسناد عن هبيرة بن يريم، قال: خطبنا الحسن بن علي بعد وفاة أبيه، فقال: أيها الناس قد فارقكم اليوم رجلٌ لم يسبقه الأولون، و لن يدركه الآخرون، إن كان رسول الله ﷺ ليبعثه المبعث، فما يرجع حتّى يفتح الله عليه، و جبرئيل عن يمينه، و ميكائيل عن يساره... .[3]

۲ـ و كان النبي ﷺ يهدّد الكفار بشجاعة عليّ ﷺ، و من ذلك ما قاله ﷺ لوفد ثقيف حين جاء: «لتسلمنّ أو لأبعثنّ رجلاً منّي ـ أو قال: مثل نفسي ـ فليضربنّ أعناقكم، و ليسبينّ ذراريكم، و ليأخذنّ أموالكم».

قال عمر: فوالله ما تمنّيت الإمارة إلاّ يومئذ، و جعلت أنصب صدري له، رجاء أن يقول: هو هذا، فالتفت إلى علي ﷺ فأخذ بيده، ثمّ قال: «هو هذا، هو هذا».[4]

۳ـ و روى ابن الأثير عن ربعي بن خراش، عن علي ﷺ قال: «لمّا كان يوم الحديبية، خرج إلينا ناس من المشركين فيهم سهيل بن عمرو و أُناس من رؤساء المشركين، فقالوا: خرج إليك ناس من أبنائنا وإخواننا و أرقّائنا، و ليس بهم فقه في الدين، و إنّما خرجوا فراراً من أموالنا و ضياعنا، فارددهم إلينا. فقال النبي ﷺ: يا معشر قريش، لتنتهنّ أو ليبعثنّ الله عليكم من يضرب رقابكم بالسيف على الدين،

---

۱. شرح ابن أبي الحديد، ج ۱، ص ۲۱.

۲. أُنظر شرح ابن أبي الحديد، ج ۱۹، ص ٦۰.

۳. ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ۳، ص ٤۰۰، ح ۱٤۹۸

٤. الاستيعاب، بهامش الاصابة، ۳، ٤٦.

قد امتحن قلبه على الايمان. قالوا: من هو يا رسول الله؟ فقال أبوبكر: من هو يا رسول الله؟ و قال عمر: من هو يا رسول الله؟ قال: خاصف النعل. و كان قد أعطى علياً عليه السلام نعلاً يخصفها».

قال: ثمّ التفت إلينا عليّ عليه السلام فقال: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من كذب عليّ متعمداً فليتبوّأ مقعده من النار».[1]

٤ـ و أخرج محبّ الدين الطبري، عن صعصعة بن صوحان، قال: خرج يوم صفّين رجلٌ من أصحاب معاوية، يقال له كريز بن الصبّاح الحميري، فوقف بين الصفّين، و قال: من يبارز؟ فخرج إليه رجل من أصحاب عليّ عليه السلام فقتله، فوقف عليه ثمّ قال: من يبارز؟ فخرج إليه آخر فقتله و ألقاه على الأول. ثمّ قال: من يبارز؟ فخرج إليه الثالث فقتله و ألقاه على الآخرين، و قال: من يبارز؟ فأحجم الناس عنه، و أحبّ من كان في الصفّ الأوّل أن يكون في الآخر.

فخرج عليّ عليه السلام على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله البيضاء، فشقّ الصفوف، فلمّا انفصل منها، نزل عن البغلة، و سعى إليه فقتله، و قال: من يبارز؟ فخرج إليه رجل فقتله و وضعه على الأول، ثمّ قال: من يبارز؟ فخرج إليه رجل فقتله و وضعه على الآخرين، ثم قال: من يبارز؟ فخرج إليه رجل فقتله و وضعه على الثلاثة، ثمّ قال: يا أيها الناس، إنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿الشَّهرُ الحَرامُ بالشَّهرِ الحَرام و الحُرُماتُ قِصَاصٌ﴾[2] و لو لم تبدأوا بهذا لما بدأنا؛ ثمّ رجع إلى مكانه.[3]

---

١. اسد الغابة، ج ٤، ص ٢٦؛ و نحوه في سنن الترمذي، ج ٥، ص ٥٩٢، ح ٣٧١٥؛ و تذكرة الخواص، ص ٤٥.

٢. البقرة، ١٩٤.

٣. الرياض النضرة، ج ٣، ص ٢٠٤ و ٢٠٥.

قوّة إيمانه عليه السلام

لقد ملأ الأيمان بالله كلّ وجود عليّ بن أبي طالب، و لم يكن يقارنه أحد في رسوخ قدمه في الايمان إلاّ رسول الله. فقد بلغ مرحلة اليقين حتّى قال: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً».[1]

لم يغفل عليّ عن الله طرفة عين أبداً. فكان المصداق الكامل لقوله تعالى: ﴿أَلاَ بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ و كان يذوب في ذات الله حتّى ينسى في صلاته كلّ المصاعب و المعضلات.

لم يخش عليّ إلاّ الله، و كان مؤمناً بأن لا مؤثّر و لا مدبّر إلاّ هو. فكان لذلك لا يخاف أيّة قدرة و لا يهاب أيّة دسيسة و مؤمراة، و ربما صرّح بهذه العقيدة كما في محادثته مع قنبر.[2]

لقد كانت قوّة الايمان هذه مهيمنة على علي عليه السلام في جميع مراحل حياته و ظروفها المختلفة. فلم تتغيّر أيّام ضعفه حين تخاذل النّاس فأصبح جليس الدار، و لم تتغيّر أيام قوّته و تسنّمه السلطة. فلم يضطرب و لم يتضجّر أيّام عزلته و وحدته، و لم تسكره نشوة الغرور أيّام حكومته، بل كان يئنّ أيّام قوّته آناء الليل أنيناً، يعجب منه من يسمعه و يراه بتلك الحالة. و الشاهد على ذلك، ما رآه نوف البكالي منه عليه السلام في أيام حكومته عليه السلام في ليلة مظلمة.[3]

---

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ٧، ص ٢٥٣ و ج ١١، ص ١٧٩ و ج ١٣، ص ٨.

٢. في ينابيع المودة، ص ٦٤ عن جعفر الصادق عليه السلام قال: «كان قنبر يحبّ علياً حباً شديداً. فاذا خرج علي عليه السلام خرج على أثره بالسيف. فرآه ذات ليلة فقال: يا قنبر مالك؟ قال: جئت لأمشي خلفك. قال: من أهل السماء تحرسني أم من أهل الأرض، و إن أهل الأرض لا يستطيعون لي شيئاً باذن الله من السماء. فارجع فرجع.»

٣. شرح ابن أبي الحديد، ج ١٨، ص ٢٦٥.

بقي عليه جليس الدار خمساً و عشرين سنة فصبر لله، و تحمّل المصاعب و المصائب و الظلم و الطغيان لأجل بقاء دين الله، و قد نفث بهذا الهمّ حين قال: «فصبرتُ وفي العين قذى»[1].

فقد بلغ إيمان عليّ عليه حدّاً أنّه لم يكن للفرار إلى نفسه سبيلاً، و كان يرعب العدوّ في ميدان القتال، و يمنح المؤمنين قوّة و اطمئناناً، و مع ذلك فإنّه ينهار أمام أنين اليتيم فلا يملك دموعه.

إنّ عليّاً كان دائماً نصير المظلوم و خصم الظالم، و كلّ ذلك ينبع من عين إيمانه العظيم، و عليّ عليه تلميذ الرسول المطيع، فقد عرف قائده رسول الله جيّداً، فكان مطيعاً له في الحرب و الصلح، فهو يبيت على فراش رسول الله ليلة الهجرة، و يفدي رسول‌الله بنفسه في‌ساحة‌الحرب... لم يعترض‌يوماً على رسول‌الله، بل لم يسأله في أمر يقرّره قطّ، و قد أشار عليه إلى هذه الحقيقة بقوله: «لقد علم المستحفظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أنّي لم أرُدَّ على الله، و لا على رسوله ساعةً قطّ» إلى آخره.[2]

من ذا الّذي عاش(٣٣) سنة في بيت رسول الله و أطاعه في كلّ شيء، أيّام القوّة و الضعف، في طريق الرسالة الوعر غير عليّ عليه؟

و هذا الايمان القويّ و القلب المنير الّذي كان لعليّ عليه هو الّذي جعله ثابتاًو مصرّاً على إقامة أحكام الله و حدوده، فلم يُلحظ عن عليّ عليه أنّه انحرف عن أحكام الله أدنى انحراف، فقد وضع الجميع أمام القانون موضع المساواة، عدوّه و صديقه، القريب و البعيد، و حتّى أولاده و إخوته، و لم يداهن في دين الله قطّ، حتّى و إن أدّى ذلك إلى أن يعاتبه الأقربون و المحبّون، بل كان صارماً في إقامة الدين.

نعم، لقد ذاب عليّ عليه في ذات الله، و آمن أنّ كلّ شيء لا يكون إلاّ بإذنه، فكان يريد ما أراد الله، و يطلب منه تعالى أن يجري طلبه بإذنه، و علم أنّ النبي صلى الله عليه وآله قد

---

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٥١.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٩٧.

صحّح و أيّد هذه الفكرة، و نشير إلى موارد تبيّن قوّة عمل عليّ في عصر النّبي أو عصر الخلفاء، و توضّح عدم تهاونه في إقامة الحقّ حقّ مع المقرّبين و الأقرباء في فترة حكومته، ليكون القارىء على بيّنة أكبر من أمر عليّ، و ليكون منهجه أمام أعين جميع شيعته ليقتدوا به.

و فيا يلي نورد بعض المرويات عن قوّة إيمانه و شدّته في دين الله:

١ ـ روى العلامة أبوالمؤيد موفق بن أحمد الخوارزمي بالاسناد عن عمر بن الخطاب، قال: أشهد على رسول الله ﷺ سمعته و هو يقول: «لو أنّ السماوات السبع و الأرضين السبع وضعت في كفّة ميزان و وضع إيمان علي بن أبي طالب في كفّة ميزان، لرجح إيمان علي ﷺ».[1]

و رواه المحبّ الطبري في ذخائر العقبى و الرياض النضرة، و رواه الصفوري في نزهة المجالس.[2]

٢ ـ و في ينابيع المودّة: و قال رسول ﷺ خطاباً لعلي ﷺ: «و الايمان مخالطٌ لحمك و دمك، كما خالط لحمي و دمي».[3]

٣ ـ و من كلام له ﷺ و قد سأله ذعلب اليماني، فقال: هل رأيت ربّك يا أمير المؤمنين؟ فقال ﷺ: أفأعبد ما لا أرى؟! فقال: و كيف تراه؟ قال: لا تدركه العيون بمشاهدة العيان، و لكن تدركه القلوب بحقائق الايمان، قريب من الأشياء غير ملامس، بعيد منها غير مباين، متكلّم بلا روية، مريد لا بهمّة، صانع لا بجارحة، لطيف لا يوصف بالخفاء، كبير لا يوصف بالجفاء، بصير لا يوصف بالحاسّة، رحيم لا يوصف بالرقة، تعنو الوجوه لعظمته، و تجب القلوب من مخافته.[4]

---

١. المناقب للخوارزمي، ص ٧٨.

٢. ذخائر العقبى، ص ١٠٠، الرياض النضرة، ج ٣، ص ٢٠؛ نزهة المجالس، ج ٢، ص ٢٠٧؛ و قال المحبّ الطبري: أخرجه ابن السمان، و الحافظ السلفي في المشيخة البغدادية و الفضائل.

٣. ينابيع المودة، ص ٦٣.

٤. شرح ابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٦٤/١٨٠.

٤ـ و روى ابن المغازلي، عن رقبة بن مصقلة بن عبدالله، عن أبيه، عن جدّه، قال: أتى عمر رجلان فسألاه عن طلاق العبد، فانتهى إلى حلقة فيها رجل أصلع، فقال: يا أصلع، كم طلاق العبد؟

فقال له باصبعيه هكذا، فحرّك السبابة و الّتي تليها، فالتفت إليهما، فقال: «اثنتين» فقال أحدهما: سبحان الله جئناك و أنت أميرالمؤمنين فسألناك فجئت إلى رجل و الله ما كلّمك. فقال: ويلك! تدري من هذا؟ هذا عليّ بن أبي طالب، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أنّ السماوات و الأرض وضعتا في كفّة، و وضع إيمان عليّ في كفّة، لرجح إيمان عليّ».[1]

٥ـ وفي تاريخ الطبري: بسنده عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن رُكانة، قال: لمّا أقبل عليّ عليه السلام من اليمن ليلقي رسول الله ﷺ بمكّة، تعجّل إلى رسول الله ﷺ. و استخلف على جنده الّذين معه رجلاً من أصحابه، فعمد ذلك الرجل فكسا كلّ رجل من القوم حُللاً من البزّ الّذي كان مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام. فلمّا دنا جيشه خرج عليّ عليه السلام ليلقاهم، فإذا هم عليهم الحلل، فقال: «ويحك ما هذا؟».

قال: كسوت القومَ ليتجمّلوا به إذا قدموا في الناس. قال: ويلك انزع من قبل أن تنتهي إلى رسول الله ﷺ. قال: فانتزع الحلل من الناس، و ردّها في البزّ، و أظهر الجيش شكاية لما صنع بهم.[2]

٦ـ و فيه أيضاً بسند آخر عن أبي سعيد، قال: «شكا الناس على بن أبي طالب عليه السلام. فقام رسول الله ﷺ فينا خطيباً فسمعته يقول: «يا أيها الناس، لا تشكوا علياً، فوالله إنّه لأخشن في ذات الله، أو في سبيل الله.»[3]

٧ـ و في تاريخ دمشق بعد نقل الحديث، قال: قال ﷺ: «فوالله، إنّه لأُخَيشِن[4]

---

١. المناقب لابن المغازلي، ص ٢٨٩، ح ٣٣٠.

٢. تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٤٠١؛ الرياض النضرة، ج ٣، ص ٢٠٥.

٣. نفس المصدر؛ الرياض النضرة، ج ٣، ص ٢٠٥.

٤. أُخيشن: هو أفعل التفضيل من خشن خشونة ضدّ لانَ و التصغير هنا للتعظيم.

في ذات الله، أو في سبيل الله».[١]

٨ـ و أخرج المحبّ الطبري عن كعب بن عجزة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ علياً مخشوشنٌ في ذات الله عزّوجل»[٢]

في إجرائه الحدّ على النجاشي لمّا شرب الخمر

في الغارات: النجاشي الشاعر، و كان في عسكر عليّ ﷺ بصفّين، و وفد على عمر بن الخطّاب، و لازم عليّ بن أبي طالب، و كان يمدحه ﷺ، قال ابن قتيبة في المعارف: كان النجاشي فاسقاً رقيق الإسلام، و خرج في شهر رمضان على فرس له بالكوفة يريد الكناسة، فمرّ بأبي سمّال الأسدي فوقف عليه، فقال: هل لك في رؤوس حُملان في كرشٍ في تنّورٍ من أوّل الليل إلى آخره، قد أينعت وتهرّأت؟ فقال له: ويحك، أفي شهر رمضان تقول هذا؟ قال: ما شهر رمضان و شوّال إلاّ واحد. قال: فما تسقيني عليها؟ قال: شراباً كالورس، يطيّب النفس، و يجري في العرق، و يكثر الطرق، و يشدّ العظام، و يسهّل للفَدِم[٣] الكلام، فثنى رجله فنزل فأكلا و شربا، فلمّا أخذ فيهما الشراب، تفاخرا، فعلت أصواتهما، فسمع ذلك جارٌ لهما، فأتى عليّ بن أبي طالب ﷺ فأخبره، فبعث في طلبهما، فأمّا أبو سمّال، فشقّ الخصّ[٤] و نفذ إلى جيرانه فهرب، فأخذ النجاشي، فأُتي به عليّ بن أبي طالب ﷺ، فقال له: «ويحك ولداننا صيامٌ و أنت مفطرٌ؟!» فضربه ثمانين سوطاً، و زاده عشرين سوطاً، فقال له: ما هذه العلاوة يا أبا الحسن؟

فقال: «هذه لجرأتك على الله في شهر رمضان» ثمّ وقفه للنّاس ليروه في تُبّان[٥]

---

١. تاريخ ابن عساكر شافعي، ترجمة الامام علي، ج ١، ص ٣٨٦، ح ٤٩٢.

٢. الرياض النضرة، ج ٣، ص ٢٠٦.

٣. الفَدِم: البطيء الفهم، العييّ.

٤. الخصّ: البيت من الشجر أو القصب.

٥. التُبّان: سراويل قصيرة إلى الركبة، أو ما فوقها، يستر العورة، و قد يُلبس في البحر.

فهجا أهل الكوفة، فقال:

إذا سق الله قوماً صوب غادية | فلا سق الله أهل الكوفة المطرا

التاركين على طهرٍ نساءهم | و النّاكحين بشطّي دجلة البقرا

و السارقين إذا ما جنّ ليلهم | و الطالبين إذا ما أصبحوا السّورا

و قال:

ضربوني ثمّ قالوا: قدرٌ | قدّر الله لهم شرّ القدر[١]

عن أبي الزّناد: لمّا حدّ عليّ ﷺ النجاشي، غضب لذلك من كان مع عليّ من اليمانية، و كان أخصّهم به طارق بن عبدالله بن كعب بن أُسامة النهدي، فدخل على أميرالمؤمنين ﷺ، فقال: يا أميرالمؤمنين، ما كنّا نرى أنّ أهل المعصية و الطاعة و أهل الفرقة و الجماعة عند ولاة العدل و معادن الفضل سيّان في الجزاء، حتّى رأيت ما كان من صنيعك بأخي الحارث، فأوغرت صدورنا، و شتّت أمورنا، و حملتنا على الجادّة الّتي كنّا نرى أنّ سبيل من ركبها النّار.

فقال عليّ ﷺ: ﴿إنّها لَكَبيرةٌ إلاّ عَلَى الخاشِعينَ﴾[٢] يا أخا بني نهد، و هل هو إلاّ رجلٌ من المسلمين انتهك حرمة من حرم الله، فأقمنا عليه حدّاً كان كفّارته. إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَ لاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنآنُ قومٍ عَلَى أنْ لاَتَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أقْرَبُ لِلتَّقْوىٰ﴾.[٣]

قال: فخرج طارق من عند عليّ ﷺ، فلقيه الاشتر النخعي ﷺ، فقال له: يا طارق، أنت القائل لأمير المؤمنين: إنّك أوغرت صدورنا، و شتّتَ أُمورنا؟ قال طارق: نعم، أنا قائلها. قال له الأشتر: و الله ما ذاك كما قلت، و إنّ صدورنا له لسامعة، و إنّ أُمورنا له لجامعة.

قال: فغضب طارق، و قال: ستعلم يا أشتر أنّه غير ما قلت. فلمّا جنّه اللـيل

---

١. الغارات، ج ٢، ص ٩٠١ و ٩٠٢.

٢. البقرة، ٤٥.

٣. المائدة، ٨.

همس[1] هو و النجاشي إلى معاوية.[2]

يردّ هديّة الأشعث لأنّها رشوة

كان عليّ ﷺ قويّاً في دينه، لا تأخذه في الله لومة لائم، لم يداهن و لم يصانع طرفة عين، و إلى القدر الذي يردّ هديّةً قُدّمت له من أحد عمّاله بقوّة و جرأة و دون أدنى تردّد، و لم يكتفِ بردّ الهديّة ـ إذا شمّ فيها رائحة الرشوة ـ بل و يعنّف مُهديها و يذمّه. ففي أحد الخطب الطويلة في نهج البلاغة يقول ﷺ:

«وَ اللهِ لأن أبيتَ عَلَى حَسَك السعدان[3] مُسَهَّداً،[4] وأُجرَّ في الأغلالِ مُصَفَّداً،[5] أحبُّ إليَّ من أن ألقَ الله و رسولَه يومَ القيامةِ ظالِماً لِبَعضِ العِباد، و غاصِباً لشيءٍ مِن الحُطام...». و يشير في أثنائها إلى هذا الموضوع حيث يقول ﷺ:

«و أعجَبُ مِن ذلك طارِقٌ طرقنا بملفوفَةٍ[6] في وِعائها، وَ معْجُونَةٍ شَنِئتُها[7]، كأنّما عُجِنَت بريقِ حَيَّةٍ أو قَيئها، فقلتُ: أصِلةٌ[8] أم زكاةٌ، أم صدقةٌ؟ فذلك محرّمٌ علينا أهلَ البيتِ! فقال: لا ذا و لا ذاك، و لكنّها هَديّة.

فقلت: هَبِلَتْك[9] الهَبُولُ![10] أعن دينِ الله أتيتَني لِتَخْدَعَني؟ أمُخْتَبِطٌ[11] أم

---

١. همس: سار بالليل بلافتور، أو مشى مستخفياً.

٢. الغارات، ج ٢، ص ٥٤٠؛ شرح ابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٨٩.

٣. الحسك: الشوك، و السعدان: نبت ترعاه الإبل له شوك.

٤. المسهّد: من سهّده: أي أسهره.

٥. المصفّد: المقيّد.

٦. الملفوفة: نوع من الحلواء، أهداها الأشعث بن قيس إلى عليّ ﷺ.

٧. شنئتها: كرهتها.

٨. الصلة: العطية.

٩. هبلتك: ثكلتك.

١٠. الهبول: المرأة التي لا يعيش لها ولد.

١١. المختبط: أي أمختلّ أنت؟.

ذُوجِنَّةٍ[1] أم تَهجُرُ[2]؟».[3]

و قال الشارح المعتزلي: كان أهدى له الأشعثُ بن قيس نوعاً من الحلواء، تأنّق فيها، و كان عليه السلام يبغض الأشعث، لأنّ الأشعث كان يُبغضه، و ظنَّ أنّه يستميله بالمهاداة لغرض دنيويّ كان في نفس الأشعث، و كان أميرالمؤمنين عليه السلام يفطن لذلك و يعلمه، و لذلك ردّ هديّة الأشعث، و لولا ذلك لقبلها، لأنّ النبيّ صلى الله عليه و آله قبل الهديّة، وقد قبِل عليّ عليه السلام هدايا جماعة من أصحابه. و دعاه بعضُ مَن كان يأنس إليه إلى حلواء عملها يوم نوروز فأكل و قال: «لم عَمِلْتَ هذا؟». فقال: لأنّه يوم نوروز، فضحك، و قال: «نَوْرِزُوا لنا في كلّ يوم إن استطعتم».

ثمّ قال ابن أبي الحديد: و كان عليه السلام من لطافة الأخلاق و سجاحة الشيم على قاعدة عجيبةٍ جميلة، و لكنّه كان ينفر عن قومٍ كان يعلم من حالهم الشنآن له، و عمّن يحاول أن يصانعه بذلك عن مال المسلمين، و هيهات حتّى يلين لضرس الماضغ الحجر.[4]

---

١. ذوجنّة: أي أصابه مسّ من الشيطان.

٢. تهجر: أي تهذي بما ليس به معنى في غير مرض.

٣. نهج البلاغة، الخطبة ٢٢٤.

٤. شرح ابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٢٤٧.

عبادة عليّ عليه السلام

إنّ علياً عليه السلام قد كان بلغ في العبادة غايتها، و لا يستطيع أحدٌ أن يبلغ إلى حدٍّ من حدود عبادته التي لا توصف إلاّ السابق إلى كلّ خير سيد البشر رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال ابن أبي الحديد المعتزلي في عبادته عليه السلام: فكان عليّ عليه السلام أعبد النّاس، و أكثرهم صلاةً و صوماً، و منه تعلّم النّاس صلاة الليل، و ملازمة الأوراد، و قيام النافلة. وما ظنّك برجل يبلغ من محافظته على ورده أن يُبْسَطُ له نطعٌ بين الصّفين ليلة الهرير، فيصلّي عليه وِرْدَه، والسهام تقع بين يديه، وتمرّ على صماخيه يَميناً وشمالاً، فلا يرتاع لذلك، و لا يقوم حتّى يفرغ من وظيفته! و ما ظنّك برجلٍ كانت جبهته كَثَفِنَةِ[1] البعير لطول سجوده.

و أنت إذا تأمّلت دعواته و مناجاته، و وقفتَ على ما فيها من تعظيم الله سبحانه و إجلاله، و ما يتضمّنه من الخضوع لهيبته، و الخشوع لعزّته، و الاستخذاء[2] له، عرفت ما ينطوي عليه من الإخلاص، و فهمت من أيّ قلبٍ خرجت و على أيّ لسان جرت.

و قيل لعليّ بن الحسين عليه السلام ـ و كان الغاية في العبادة ـ: أين عبادتك من عبادة جدّك؟ قال: «عبادتي عند عبادة جدّي، كعبادة جدي عند عبادة رسول الله صلى الله عليه وآله».[3]

---

١. الثفنة: ما يمسّ الأرض من البعير بعد البروك، و يكون فيه غلظ من ملاطمة الأرض، و كذلك كان في جبينه عليه السلام من كثرة السجود.

٢. الاستخذاء: الخضوع و التذلّل.

٣. شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٧.

حديث ضرار

قال المحبّ الطبري في الرياض النضرة: و قد روي أنّ معاوية قال لضرار الصدائي: صف لي علياً. فقال: أعفني يا أمير المؤمنين. قال: لتصفنّه.

قال: أمّا إذا لابدّ من وصفه، كان و الله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجّر العلم من جوانبه، و تنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا و زهرتها، و يأنس إلى الليل و وحشته، و كان غزير العبرة، طويل الفكرة، يعجبه من اللباس ما قصر، و من الطعام ما خشن، كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، و ينبئنا إذا استنبأناه.

و نحن و الله مع تقريبه إيانا و قربه منّا، لانكاد نكلّمه هيبةً له، يعظّم أهل الدين، و يقرّب المساكين، و لا يطمع القويّ في باطله، و لا ييأس الضعيف من عدله، و أشهد لقد رأيته في بعض مواقفه، و قد أرخىٰ الليل سدوله، و غارت نجومه، قابضاً لحيته، يتململ تململ السليم[1]، و يبكي بكاء الحزين، و يقول: «يا دنيا، غرّي غيري، إليّ تعرّضت، أم إليّ تشوّقت؟ هيهات هيهات لقد طلقتك ثلاثاً لارجعة فيها، فعمرك قصير، و خطرك قليل، آه آه، من قلّة الزاد، و بعد السفر، و وحشة الطريق».

قال: أخرجه الدولابي و أبوعمر و صاحب الصفوة.[2]

---

١. السليم: الملدوغ.

٢. الرياض النضرة، ج ٣، ص ١٨٧.

زهد عليّ ﷺ

في مفهوم الزهد

لا يخفى أنّ الزهد ممدوح، لأنّه أحد منازل الدّين، و أعلى مقامات السالكين.

الزّهد ضدّ الدّنيا و الرّغبة فيها، و الزاهد لا يريد الدّنيا بقلبه، و يتركها بجوارحه إلاّ بقدر ضرورة بدنه، و إنّما يعرف زهد الزاهد فيها إذا كانت في يده و يزهد فيها، وأعلا مراتب الزهد أن يرغب عن الدّنيا عدولاً إلى الآخرة، أو عن غير الله عدولاً إلى الله تعالى، فمن رغب عن كلّ ما سوى الله حتّى الفردوس و لم يحبّ إلاّ الله تعالى فهو الزاهد المطلق.

نعم، من رغب عن حُظوظ الدُّنيا خوفاً من النّار أو طمعاً في نعيم الجنّة من الحور و الفواكه و الأنهار و سائر نعم الله في الجنّة، فهو أيضاً زاهدٌ، و لكنّه دون الأوّل. أمّا من ترك بعض حُظوظ الدّنيا دون بعض، كالّذي يترك المال دون الجاه، أو يترك التوسّع في المعاش دون التّجمل في الزينة، لا يستحق أن يُسمّىٰ زاهداً.

نظرة في زهد عليّ ﷺ

اعلم أنّ زهد عليّ ﷺ بلغ حدّاً بحيث كان يتدوال على ألسن المُحبّ والمُبغض، فإنّ أكابر الصحابة في عصر خلافة عثمان و قبله، قد درّت عليهم الدّنيا من الفتوحات و العطاء من بيت المال، المال الكثير، فبنوا الدور، و جمعوا الأموال الكثيرة، و شيّدوا القصور، و خلّفوها بعدهم.

قال المسعودي في مروج الذهب ما ملخّصه: في أيّام عثمان اقتنى جماعة من الصحابة الضّياع و الدور، منهم الزّبير بن العوام، بنى داره بالبصرة و هي المعروفة، و داراً بمصر و الكوفة و الإسكندرية، و بلغ ماله بعد وفاته خمسين ألف دينار،

وخلف ألف فرس، و ألف أمة، و ألف عبد.

و كذلك طلحة بن عبيدالله التيمي: كانت غلّته من العراق كلّ يوم ألف دينار، وشيّد داره بالمدينة، و بناها بالآجر و الجصّ و الساج.

و كذلك عبدالرحمن بن عوف الزهري: ابتنى داره و وسّعها، كان على مربطه مائة فرس، و له ألف بعير، و عشرة آلاف شاة من الغنم، و بلغ بعد وفاته رُبُع ثمن مالِهِ أربعةً و ثمانين ألفاً.

و ابتني سعد بن أبي وقّاص داره بالعقيق، فرفع سمكها، و وسّع فضاءها، و جعل أعلاها شُرُفات.

وقد ذكر سعيدبن المسيّب أنّ زيد بن ثابت حين مات خلّف من الذهب و الفضّة ما كان يكسر بالفؤوس، غير ما خلّف من الأموال و الضياع بقيمة مائة ألف دينار.

و مات يعلى بن منية و خلّف خمسمائة ألف دينار، و ديوناً على الناس، وعقارات، و غير ذلك من التركة ما قيمته ثلاثمائة ألف دينار، و هذا باب يتّسع ذكره و يكثر وصفه فيمن تملّك من الأموال في أيّام عثمان.

وقال المسعودي أيضاً: وكان عثمان في نهاية الجود و الكرم و السماحة و البذل في القريب والبعيد، فسلك عمّاله وكثير من أهل عصره على طريقته، وتأسّوا به في فعله، وبنى داره في المدينة، وشيّدها بالحجر والكِلس، وجعل أبوابها من الساج والعَرعَر، و اقتنى أموالاً و جناناً و عيوناً بالمدينة[1]، و ذكر عبدالله بن عتبة أنّ عثمان يوم قتل كان له عند خازنه من المال خمسون و مائة ألف دينار، و ألف ألف درهم، وقيمة ضياعه بواد القُرى و حُنين و غيرهما مائة ألف دينار، و خلّف خيلاً كثيرةً و إبلاً[2].

---

١. هل يجوز لحاكم المسلمين صرف بيت مال المسلمين في هذه الأمور، و هل يجوز بذله في القريب و البعيد حتى يتأسى به عمّاله؟! و هل يسمّى هذا البذل سماحةً و كرماً، بل هو تفريط ببيت المال؟!! راجع سيرة عليّ بن أبي طالب عليه السلام في هذه الأمور حتى تتّضح لك الحقيقة.

٢. مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٤١ و ٣٤٢.

ثمّ قال: أمّا عليّ ﷺ لم يكن له أدنى نصيب منها في عطاء و غيره، ثمّ جاءته الخلافة وصارت بلاد الإسلام كلّها في يده عدا الشام، ومع ذلك لم يخلّف عند موته إلاّ ثلاثمائة درهم، لم يكن اختزنها، و إنّما أعدّها لخادمة يشتريها لأهله، فمات قبل شرائها، فأين ذهبت الأموال الّتي وصلت إلى يده، و هو لم يصرفها في مأكل و لا ملبس و لا مركوب و لا شراء عبيد و لا إماء و لا بناء دار و لا اقتناء عقار؟!.

مات عليّ ﷺ و لم يضع لبنة على لبنة، و لا تنعّم بشيءٍ من لذّات الدّنيا، بل كان يلبس الخشن، و يأكل الجشب، و يعمل في أرضه، فيستنبط منها العيون، ثمّ يوقفها في سبيل الله، ويصرف ما يصل إلى يده من مال على الفقراء والمساكين وفي سبيل الله.

و قال أيضاً: لم يلبس ﷺ في أيّامه ثوباً جديداً، و لا اقتنى ضيعةً و لا ربعاً، إلاّ شيئاً كان له ينبع ممّا تصدّق به و حبسه.[1]

ما قاله رسول الله ﷺ في زهد علي ﷺ

في كفاية الطالب: عن عمّار بن ياسر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعليّ بن أبي طالب: «يا عليّ، إنّ الله عزّوجلّ قد زيّنك بزينةٍ لم يتزيّن العباد بزينة أحبّ إليه منها، الزهد في الدّنيا، فجعلك لا تنال من الدّنيا شيئاً، و لا تنال الدّنيا منك شيئاً، و وهب لك حبّ المساكين، و رضوا بك إماماً، و رضيت بهم أتباعاً، فطوبى لمن أحبّك وصدق فيك، و ويلٌ لمن أبغضك و كذب عليك، فأمّا الّذين أحبّوك و صدقوا فيك، فهم جيرانك في دارك، و رفقاؤك في قصرك، و أمّا الّذين أبغضوك و كذبوا

١. المصدر السابق؛ قال المسعودي في تاريخه، ج ٢، ص ٤٣٣ و دخل عليه رجل من أصحابه فقال: كيف أصبحت يا أمير المؤمنين؟ قال: «أصبحتُ ضعيفاً مُذنباً، آكل رزقي، و أنتظر أجلي» قال: و ما تقول في الدنيا؟ قال: «و ما أقول في دار أوّلها غمّ، و آخرها موت؟ مَن استغنى فيها فتن، و من افتقر فيها حزن، حلالها حساب، و حرامها عقاب» قال: فأيّ الخلق أنعم؟ قال: «أجساد تحت التراب قد أمنت العقاب، و هي تنتظر الثواب».

عليك، فحقّ على الله أن يوقفهم موقف الكذّابين يوم القيامة».[1]

ما قيل في زهده ﷺ

١ ـ قال ابن أبي الحديد في وصف أميرالمؤمنين ﷺ: و أمّا الزهد في الدّنيا، فهو سيّد الزهّاد، و بدل الأبدال، و إليه تشدّ الرحال، و عنده تنفض الأحلاس، ما شبع من طعام قطّ، و كان أخشن الناس مأكلاً و ملبساً.

قال عبدالله بن أبي رافع: دخلت عليه يوم عيد، فقدّم جراباً مختوماً، فوجدنا فيه خبز شعير يابساً مرضوضاً، فقدّم فأكل، فقلت: يا أميرالمؤمنين، فكيف تختمه؟ قال: «خفت هذين الولدين أن يَلُتّاه بسمنٍ أو زيتٍ». و كان ثوبه مرقوعاً بجلدٍ تارة، وليفٍ أُخرى، و نعلاه من ليف، و كان يلبس الكِرباس[2] الغليظ، فإذا وجد كُمّه طويلاً قطعه بشفرة، و لم يَخطِه، فكان لا يزال متساقطاً على ذراعيه حتّى يبقى سديً لا لحمة له.

و كان يأتدم إذا ائتدم بخلٍّ أو بملحٍ، فإن ترقّى عن ذلك فبعض نبات الأرض، فإن ارتفع عن ذلك فبقليل من ألبان الابل، و لا يأكل اللحم إلاّ قليلاً. و يقول: «لا تجعلوا بطونكم مقابر الحيوان»، و كان مع ذلك أشدّ النّاس قوّة، و أعظمهم أيداً، لا ينقض الجوع قوّته، و لا يخوّن[3] الإقلال مُنّته.[4]

و هو الّذي طلّق الدّنيا و كانت الأموال تجبى إليه من جيمع بلاد الإسلام إلاّ من الشام، فكان يفرّقها و يمزّقها، ثمّ يقول:

هذا جناي و خياره فيه   إذ كلّ جانٍ يده إلى فيه[5]

---

١. كفاية الطالب، ص ١٩١؛ و روى نحوه الحمويني في فرائد السمطين، ج ١، ص ١٣٦، ح ١٠٠.

٢. الكرباس ـ بالكسر ـ ثوب من القطن الأبيض، معرب.

٣. و في نسخة يجور: يعني يضعف.

٤. المنّة: القوّة.

٥. شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٦.

۲ـ و في تاريخ دمشق، باسناده عن حسن بن صالح، قال: تذاكروا الزّهاد عند عمر بن عبدالعزيز، فقال قائلون: فلان، و قال قائلون: فلان، فقال عمر بن عبد العزيز: أزهد الناس في الدنيا عليّ بن أبي طالب ﷺ.[۱]

۳ـ و قال العقاد: و صدق في تقواه و إيمانه كما صدق في عمل يمينه و مقالة لسانه، فلم يعرف أحد من الخلفاء أزهد منه في لذّة دنيا أو سبب دولة، و كان و هو أميرالمؤمنين يأكل الشعير، و تطحنه امرأته بيديها، و كان يختم على الجراب الّذي فيه دقيق الشعير، فيقول: «لا أحبّ أن يدخل بطني ما لا أعلم».

قال عمر بن عبد العزيز: أزهد النّاس في الدّنيا عليّ بن أبي طالب ﷺ.

و قال سفيان: إنّ عليّاً لم يبن آجرة على آجرة، و لا لبنة على لبنة، و لا قصبة على قصبة، قد أبى أن ينزل القصر الأبيض بالكوفة إيثاراً للخصاص الّتي يسكنها الفقراء، و ربما باع سيفه ليشتري بثمنه الكساء و الطعام.[۲]

نماذج من زهده في أيّام خلافته

نشير هنا إلى نبذةٍ ممّا ظهر من زهده في أيّام خلافته على البلاد الإسلامية إلاّ الشام، عسىٰ أن يكون ذلك أُسوة و مقتدىً لحكّام البلاد الإسلامية في عصرنا هذا:

۱ ـ في الغارات: عن عبدالله بن الحسن، عن الحسن ﷺ، قال: «أعتق عليّ ﷺ ألف أهل بيت بما مجلت[۳] يداه و عرق جبينه ﷺ».[٤]

۲ـ و فيه أيضاً، عن جعفر بن محمّد ﷺ، قال: «أعتق عليّ ﷺ ألف مملوك ممّا عملت يداه، وإن كان عندكم إنّما حلواه التمر و اللبن، و ثيابه الكرابيس، و تزوّج ﷺ

---

۱. ترجمة الامام عليّ من تاريخ دمشق، ج ۲، ص ۲۰۲، ح ۱۲٥٤.

۲. عبقرية الإمام، ص ۲۹

۳ مجلت يداه: ثخن جلدها و منه حديث فاطمة ﷺ: أنّها شكت إلى عليّ ﷺ مجل يديها من الطحن.

٤. الغارات، ج ۱، ص ۹۱

ليلى،[١] فجُعِل له حَجَلة[٢]، فهتكها، و قال عليه السلام: حسب أهل عليّ ما هم فيه».[٣]

٣ـ وفي شرح ابن أبي‌الحديد، عن عنبسة العابد، عن عبدالله بن الحسين بن الحسن قال: أعتق عليّ عليه السلام في حياة رسول الله ألف مملوك ممّا مجلت يداه وعرق جبينه، ولقد ولي الخلافة وأتته الأموال، فما كان حلواه إلاّ التمر، و لا ثيابه إلاّ الكرابيس.[٤]

٤ـ و في فرائد السمطين: عن سويد بن غفلة، قال: دخلت على عليّ بن أبي طالب عليه السلام القصر (قصر الإمارة بالكوفة) فوجدته جالساً (و) بين يديه صحفة فيها لبن حازر[٥]، أجد ريحه من شدّة حموضته، و في يديه رغيف، أرى قشار الشعير في وجهه، و هو يكسّره بيده أحيانا، فإذا أعيى عليه كسره بركبتيه، و طرحه في اللبن، فقال: «ادنُ فأصب من طعامنا هذا» فقلت: إنّي صائم. فقال: «سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: من منعه الصيام من طعام يشتهيه، كان حقّاً على الله أن يطعمه من طعام الجنّة، و يسقيه من شرابها». قال: فقلت لجاريته ـ و هي قائمة [بقرب] منه ـ ويحك يا فضّة ألا تتقين الله في هذا الشيخ؟ ألا تنخلون له طعاماً ممّا أرى فيه من النخالة؟ فقالت: لقد تقدّم إلينا أن لا ننخل له طعاماً. قال: فقال لي عليّ عليه السلام: «ما قلت لها؟» فأخبرته. فقال: «بأبي و أُمّي، من لم ينخل له طعام، و لم يشبع من خبز البرّ ثلاثة أيّام حتّى قبضه الله تعالى».[٦]

و روى نحوه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص.[٧]

---

١. و هي ليلى بنت مسعود النهشلية، إحدى نسائه عليه السلام. و هي أمّ محمّد الأصغر الشهيد مع أخيه الحسين عليه السلام في كربلاء، و أمّ عبيدالله قتيل المذار.

٢. الحجلة: ساتر كالقُبّة يُزيّن بالثياب و الستور للعروس.

٣. المصدر السابق.

٤. شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٠٢.

٥. الحازر: الحامض.

٦. فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٥٢، ح ٢٧٨ و يريد في عبارته الأخيرة رسول الله صلى الله عليه وآله.

٧. تذكرة الخواص، ص ١٠٧.

٥ـ و روى ابن الجوزي أيضاً، عن سويد بن غفلة، قال: دخلتُ على عليّ ﷺ يوماً، وليس في داره سوى حصير رثّ و هو جالس عليه، فقلت: يا أميرالمؤمنين، أنت ملك المسلمين و الحاكم عليهم و على بيت المال، و تأتيك الوفود، و ليس في بيتك سوى هذا الحصير شيء؟ فقال ﷺ: «يا سويد، إنّ اللبيب لا يتأثث في دار النقلة، و أمامنا دار المقامة قد نقلنا إليها متاعنا، و نحن منقلبون إليها عن قريب». قال: فأبكاني و الله كلامه.[1]

٦ـ و روى ابن الجوزي أيضاً، عن الأحنف بن قيس، قال: دخلتُ على معاوية، فقدم إليّ من الحلو و الحامض ما كثر تعجّبي منه، ثمّ قال: قدّموا ذاك اللون، فقدّموا لوناً ما أدري ما هو. فقلت: ما هذا؟ فقال: مصارين[2] البطّ، محشوّة بالمخّ و دهن الفستق قد ذرّ عليه السكر. قال: فبكيتُ. فقال: ما يبكيك؟

فقلت: لله درّ ابن أبي طالب، لقد جاد من نفسه بما لم تسمح به أنت و لا غيرك. فقال معاوية: و كيف؟ قلت: دخلت عليه ليلة عند إفطاره، فقال لي: «قم فتعشّ مع الحسن و الحسين». ثمّ قام إلى الصلاة، فلمّا فرغ، دعا بجراب مختوم بخاتمه، فأخرج منه شعيراً مطحوناً، ثمّ ختمه. فقلت: يا أمير المؤمنين، لم أعهدك بخيلاً، فكيف ختمتَ على هذا الشعير؟ فقال ﷺ: «لم أختمه بُخلاً، و لكن خفتُ أن يبسّه[3] الحسن و الحسين بسمن أو إهالة».[4] فقلت: أحرام هو؟ قال: «لا، و لكن على أئمّة الحقّ أن يتأسّوا بأضعف رعيّتهم حالاً في الأكل و اللباس، و لا يتميّزوا عليهم بشيء لا يقدرون عليه، ليراهم الفقير فيرضى عن الله تعالى بما هو فيه، و يراهم الغني فيزداد شكراً و تواضعاً».[5]

---

١. المصدر السابق، ص ١١٠.

٢. المصارين: الأمعاء

٣. بسّ السويق: خلطه بسمن أو زيت.

٤. الإهالة بالكسر: الشحم المذاب أو الزيت و كلّ ما ائتدم به

٥. تذكرة الخواص، ص ١٠٦.

٧ـ و في أُسد الغابة عن محمّد بن كعب القرظي، قال: سمعت عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول: «لقد رأيتني و إنّي لأربط الحجر على بطني من الجوع، و إنّ صدقتي لتبلغ اليوم أربعة آلاف دينار».[1]

٨ـ و في تذكرة الخواص: عن إسماعيل بن إبراهيم بن مهاجر، قال: سمعت عبدالملك بن عمر يقول: حدّثني رجل من ثقيف، قال: استعملني عليّ عليه السلام على عكبرا، و قال لي: «إذا كان الظهر فأتني». قال: فأتيته فلم أجد أحداً يحجبني عنه، و وجدته جالساً وحده و بين يديه قدح من خشب، و كوز من ماء، فدعا بجراب مختوم، فقلت: لقد إئتمنني حيث يخرج إليّ جوهراً، و لا أعلم ما قيمته، فكسر الخاتم فإذا فيه سويق، فأخرج منه و صبّ في القدح ماءٍ و ذرّه عليه، ثمّ شرب و سقاني، فلم أصبر، و قلت: يا أميرالمؤمنين، قد وسّع الله عليك، و الطعام بالعراق كثير. فقال: «والله ما ختمت عليه بخلاً، و إنّما أبتاع قدر كفايتي، و أخاف أن يفنى فيوضع فيه من غيره، و إنّما أفعل هذا لئلاّ يدخل بطني غير طيّب».[2]

٩ـ و في نهج البلاغة و غيره عن عبدالله بن العبّاس قال: دخلتُ على أميرالمؤمنين عليه السلام بذي قار[3] و هو يخصف[4] نعله، فقال لي: «ما قيمة هذه النعل؟». فقلت: لا قيمة لها.

فقال عليه السلام: «و الله لهي أحبّ إليّ مِن إمرتكم، إلاّ أن أقيم حقّاً، أو أدفع باطلاً».[5]

١٠ـ وفي فرائدالسمطين: بسنده عن معاوية، عن رجل من بني كاهل، قال: رأيت عليّاً عليه السلام و عليه تُبّان،[6] و قال: «نعم الثوب، ما أستره للعورة، و أكفّه للأذى».[7]

---

١. أُسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٢٣.

٢. تذكرة الخواص، ص ١٠٧.

٣. ذو قار: موضع قريب من البصرة، و هو اليوم أحد محافظات العراق.

٤. يخصف نعله أي يخرزها.

٥. نهج البلاغة، الخطبة، ٣٣؛ و روي نحوه في تذكرة الخواص، ص ١١٠.

٦. التبّان ـ بالضم و التّشديد ـ سراويل صغيرة مقدار شبر تستر العورة

عليّ ﷺ يأمر عمّاله بالزهد

إنّ عليّاً ﷺ لم يكتف بكونه زاهداً في نفسه، بل كان يأمر عمّاله بالزهد و ترك الدّنيا و زينتها، و يريد من عمّاله في الأمصار أن يكونوا مثله أو متشبّهين به على الأقل،و يتابع أوضاعهم وسيرتهم، فيبلغه عن عامله على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري أنّه دعي إلى مأدبة فذهب إليها، فيكتب إليه: «بَلغني أنَّ رَجُلاً مِنْ فِتيَةِ أهل البَصرة دَعاكَ إلى مَأدبَةٍ فأسْرَعْتَ إليها، تُستَطابُ لَكَ الألوان، و تُنْقَلُ إليكَ الجِفان، وَ ما ظَنَنْتُ أنَّك تُجِيبُ إلى طَعام قَومٍ عائلُهم مجفوٌّ، وغَنِيُّهمُ مَدعُوٌّ».[٨]

و معنى هذا الكلام أنّه كان على ابن حنيف أن لا يُجيب دعوة أحد من وجوه البصرة، فإنّ من يدعو الوالي إلى مأدبته لا يدعو معه إلاّ الأغنياء، و لا يدعو أحداً من الفقراء، و كيف يفعلون ذلك و ثياب الفقراء بالية، و هيئاتهم رثة ينفرون منها و من رؤيتها، و إذا أرادوا أن يعطفوا على فقير منهم أرسلوا إليه شيئاً من الزاد أو المال إلى بيته، و لم تسمح لهم أنفسهم أن يجالسوهم على مائدتهم.

ثمّ يريد من ابن حنيف أن يقتدي به في زهده، فيقول له: «ألا و إنّ لكلّ مأموم إماماً يقتدي به و يستضيءُ بنورِ عِلمِهِ، ألاَ و إنَّ إمامَكُم قَد اكْتَفَى مِنْ دُنياهُ بِطِمرَيهِ، وَ مِنْ طُعْمِهِ بقُرْصَيهِ».[٩]

ثمّ يرى أنّ ذلك غير ممكن فيقول له: «ألا و إنّكُم لا تَقْدِرونَ عَلى ذلِكَ، وَ لكِنْ أعينُوني بِوَرَعٍ وَ اجْتِهادٍ، وَ عِفَّةٍ وَ سَدَادٍ».[١٠]

ثمّ يحلف بالله مؤكّداً فيقول: «فَوَاللهِ ما كَنَزْتُ مِنْ دُنْياكُم تِبراً، وَ لا ادَّخرتُ مِنْ غَنائِمِها وَفراً، وَ لا أعْدَدْتُ لِبالي ثَوبِي طِمْراً».[١١]

---

٧. فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٥٣، ح ٢٧٩.

٨. نهج البلاغة، الكتاب ٤٥.

٩. نهج البلاغة، الكتاب ٤٥.

١٠. نفس المصدر.

١١. نفس المصدر.

ثم يسوقه الألم و الحُزن من أمر فدكَ إلى ذكرها هنا. فيذكر أنّه مع كونه قادراً على التنعّم بملاذ الدّنيا فهو يتركها زهداً فيها، مواساةً للفقراء. فيقول: «وَ لَو شِئْتُ لاهتَدَيتُ الطَّرِيقَ إلى مُصَفّى هذا العَسَل، وَ لُبابِ هذا القَمح، وَ نَسائج هذا القَزِّ، وَ لكِن هَيهاتَ أنْ يَغلِبَني هَواي وَ أنْ يقودني جَشعي إلى تَخَيُّرِ الأطعِمَة. وَ لَعلَّ بِالحِجازِ و اليَمامَة من لا طمعَ له في القُرص، وَ لا عَهدَ لَهُ بالشبع».[1]

ليس الزهد عند عليّ ﷺ ترك الدنيا طُرّاً

بعض العوامّ لا يعرفون حقيقة الزهد في الإسلام، فيظنّون أنّ الزهد ترك الدّنيا بالمرّة، و اختيار العزلة و الانزواء دائماً. و هذا أمرٌ لا يقرّه الإسلام، بل الزهد في درجة عالية من تهذيب النّفس و قصر الأمل، قال النبيّ ﷺ «ليس الزهد في الدنيا لبس الخشن، و أكل الجشب، و لكن الزهد في الدنيا قصر الأمل».[2]

و إلى هذا المعنى يرجع قول أمير المؤمنين ﷺ: «الزهد كلّه بين كلمتين من القرآن، قال الله سبحانه: ﴿لكيلا تأسَوا عَلى ما فَاتَكُم وَ لا تَفرَحُوا بِما آتاكُم﴾ فمن لم يأس على الماضي، و لم يفرح بالآتي، فقد استكمل الزهد بطرفيه».[3]

و لو رأى أميرالمؤمنين ﷺ بعض أصحابه يترك الدّنيا و يلبس العباء و يترك المُلاَء يذمّه و يرشده إلى حقيقة الحال، كما نرى ذلك في قصّة عاصم بن زياد و أخيه الربيع، و التي سنشير إليها فيما يلي:

قصة عاصم بن زياد

روى سبط ابن الجوزي عن الأحنف بن قيس، أنه قال: جاء الربيع بن زياد الحارثي إلى عليﷺ فقال: يا أميرالمؤمنين، إعدلي على أخي عاصم بن زياد،

---

١. نفس المصدر.

٢. قصار الجمل، ص ٢٨٤.

٣. نهج البلاغة، قصار الحكم ٤٣٩.

فقال: ما باله؟ فقال: لبس العباءة و تنسّك و هجر أهله.

فقال ﷺ: عليَّ به. فجاء و قد ائتزر بعباءة و ارتدى بأخرى أشعث أغبر. فقال له: ويحك يا عاصم! أما استحييت من أهلك، أما رحمت ولدك، ألم تسمع إلى قوله تعالى: ﴿وَ يُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّباتِ﴾[1] أترى الله أباحها لك و لأمثالك و هو يكره أن تنال منها، أما سمعت قول رسول الله ﷺ: «إن لنفسك عليك حقاً؟!» الحديث.

فقال عاصم: فما بالك يا أميرالمؤمنين، في خشونة ملبسك، و جشوبة مطعمك، و إنّما تزيّنتُ بزيّك، فقال ﷺ: «ويحك، إنّ الله فرض على أئمّة الحقّ أن يتّصفوا بأوصاف رعيتهم، أو بأفقر رعيتهم، لئلا يُزدرى[2] الفقير بفقره، و ليحمد الله الغنيُّ على غناه».[3]

و روى ابن أبي الحديد في شرحه هذه القصة هكذا: إعلم أنّ الّذي رويته عن الشيوخ، و رأيته بخطّ عبدالله بن أحمد بن الخشّاب، أنّ الرّبيع بن زياد الحارثي أصابته نشّابة في جبينه، فكانت تنتقض عليه في كلّ عامّ، فأتاه عليّ ﷺ عائداً، فقال: «كيف تجدك أبا عبدالرحمن؟». قال: أجدني ـ يا أميرالمؤمنين ـ لو كان لا يذهب ما بي إلاّ بذهاب بصري لتمنّيت ذهابه. قال: «و ما قيمة بصرك عندك؟». قال: لو كانت لي الدّنيا لفديته بها. قال: «لا جرم: ليعطينّك الله على قدر ذلك، إنّ الله تعالى يعطي على قدر الألم و المصيبة، و عنده تضعيف كثير». قال الربيع: يا أميرالمؤمنين، ألا أشكو إليك عاصم بن زياد أخي؟ قال: «ماله؟». قال: لبس العباء[4] و ترك الملاء[5] و غمّ أهله و حَزَن ولده.

---

١. الأعراف، ١٥٧.

٢. أي يُحَقر و يُعاب.

٣. تذكرة الخواص، ص ١٠٦.

٤. العباء: الكساء من الصوف، و هو لباس خشن.

٥. المُلاء بالضم: الثوب اللين الرقيق.

فقال عليّ عليه السلام: «أُدعوا لي عاصماً» فلمّا أتاه عبس في وجهه عليه السلام و قال: «ويحك ـ يا عاصم ـ أترى الله أباح لك اللذّات و هو يكره ما أخذت منها؟! لأنت أهون على الله من ذلك، أو ما سمعته يقول: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾، ثمّ يقول: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَ الْمَرْجَانُ﴾[١]، و قال: ﴿وَ مِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْماً طَرِيّاً وَ تَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾[٢]، أما و الله إنّ ابتذال نعم الله بالفعال، أحبّ إليه من ابتذالها بالمقال؟ و قد سمعتم الله يقول: ﴿وَ أَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾[٣]، و قوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ﴾.[٤] إنّ الله خاطب المؤمنين بما خاطب به المرسلين، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾[٥] و قال: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَ اعْمَلُوا صَالِحاً﴾.[٦] و قال رسول الله صلى الله عليه و آله لبعض نسائه: مالي أراك شعثاء[٧] مَرها[٨] سلتاء[٩]؟!».

قال عاصم: فلم اقتصرت ـ يا أميرالمؤمنين ـ على لبس الخشن و أكل الجشب؟

قال: «إنّ الله تعالى افترض على أئمّة العدل أن يقدّروا لأنفسهم بالقوام، كيلا يتبيّغ بالفقير فقره».[١٠] فما قام عليّ عليه السلام حتّى نزع عاصم العباء و لبس مُلاءة.[١١]

---

١. الرحمن، ١٩.

٢. الرحمن، ٢٢.

٣. الضحى، ١١.

٤. الاعراف، ٣٢.

٥. البقرة، ١٧٢.

٦. المؤمنون، ٥١.

٧. قوله: «شعثاء» الّتي اغبر رأسها و تلبّد شعرها و انتشر لقلة تعهّده بالدّهن.

٨. المرهاء: الّتي لاتكتحل.

٩. السلتاء: الّتي لا تختضب.

١٠. قوله: «يتبيّغ بالفقير فقره» أي يهيج به الألم فيهلكه.

صبره ﷺ على النوائب

في معنى الصبر و مراتبه

الصبر ضد الجزع، و هو ثبات النّفس و عدم اضطرابها في الشدائد و المصائب، بأن تقاوم معها بحيث لا تخرجها عن سعة الصدر و ما كانت عليه قبل ذلك من السرور و الطمأنينة. فيحبس لسانه عن الشكوى و أعضاءه عن الحركات غير المتعارفة، و هذا هو الصبر على المكروه و ضد الجزع. و الصبر على المكروه و مشاق العبادات و على ترك الشهوات إن كان بيسر و سهولة فهو الصبر حقيقة، و إن كان بتكلّف و تعب فهو التصبّر مجازاً، و إذا أدام التقوى و قوى التصديق بما في العاقبة من الحسنى تيسّر الصبر و لم يكن له تعب و مشقّة، كما قال الله تعالى: ﴿فَأَمّا مَنْ أَعْطى وَ اتَّقى * وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرى﴾.[١٢] و متى تيسّر الصبر و صار ملكة راسخة أورث مقام الرضى، و إذا أدام مقام الرضى أورث مقام المحبّة. و لذا قال بعض العارفين: أهل الصبر على ثلاث مقامات:

الأوّل : ترك الشكوى، وهذه درجه التائبين.

الثاني : الرضى بالمقدّر، و هذه درجة الزاهدين.

الثالث : المحبّة لما يصنع به مولاه، و هذه درجة الصدّيقين.

و لا يخفى أنّ هذه الدرجة لا يبلغها إلاّ من كان عارفاً بالله و بأسرار حكمته و قضائه و قدره، بأن يعلم أنّ كلّ أمر صدر من الله و ابتلى به عباده من ضيق أو سعة، و كلّ أمر موهوب أو مرغوب على وفق الحكمة و المصلحة بالذات. فإذا صار بهذه المرتبة استعدّت نفسه للصبر و مقاومة الهوى في الغمّ و الحزن، و طابت

---

١١. شرح ابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٣٥ـ٣٦

١٢. الليل، ٥ إلى ٧.

بقضائه وقدره، وتوسّع صدره بمواقع حكمه. و أيقن بأنّ قضاءه لم يجر إلاّ بالخيرة.

و هذه الدّرجة من الصبر كانت لعليّ بن أبي‌طالب عليه السلام على مدى عمره الشريف، فقد صبر في جميع المشاكل و المصائب، و كان صابراً بوجه أعداء الله، و أمام المشاكل الإقتصادية و جميع الحوادث، لقد كان جليس داره خمس و عشرين سنة، و اغتصب حقّه المسلّم به، لكنّه صبر و لم يشتك و لو لمرّة واحدة، و لم يكن يعترض أو يتمنّى على الله في كلّ ما جرى عليه. بل كان مثال الصبر و مظهر صفة الصابرين: ﴿إنّما يُوَفّى الصّابِرُونَ أجْرَهُم بِغَيرِ حِسابٍ﴾.[1]

تأكيد رسول الله صلى الله عليه و آله على علي عليه السلام بالصبر

نقل ابن أبي الحديد عن أنس بن مالك، قال: كنّا مع رسول الله صلى الله عليه و آله و عليّ بن أبي‌طالب معنا، فمررنا بحديقةٍ، فقال عليّ: «يا رسول الله، ألا ترى ما أحسن هذه الحديقة؟» فقال صلى الله عليه و آله: «إن حديقتك في الجنة أحسن منها» حتى مررنا بسبع حدائق، يقول عليّ ماقاله، و يجيبه رسول الله صلى الله عليه و آله بما أجابه، ثمّ إنّ رسول الله صلى الله عليه و آله وقف فوقفنا، فوضع رأسه على رأس عليّ عليه السلام و بكى، فقال عليّ عليه السلام: ما يبكيك، يا رسول الله؟ قال: ضغائن في صدور قومٍ لا يبدونها لك حتى يفقدوني.

قال: يا رسول الله، أفلا أضع سيفي على عاتقي، فأبيد خضراءهم؟ قال: بل تصبر.

قال: فان صبرت؟ قال: تلاقي جَهداً. قال: أفي سلامة مِن ديني؟ قال: نعم، قال: فإذن لا أبالي».[2]

و أخرج نحوه الموفق بن أحمد في المناقب،[3] و الجويني في الفرائد،[4] و ابن

١. الزمر، ١٠.

٢. شرح ابن أبي الحديد، ج ٤، ص ١٠٧ و ١٠٨.

٣. المناقب، ٢٦.

٤. فرائد السمطين، ج ١، ص ١٥٢، ح ١١٥.

عساكر في تاريخ دمشق،[١] و الهيثمي في المجمع[٢] وأحمد بن حنبل في الفضائل[٣] و الخطيب في التاريخ.[٤]

صبره ﷺ على الأمور

١ـ روى المحبّ الطبري عن أسماء بنت عميس، عن فاطمة بنت رسول الله ﷺ: «أنّ رسول الله ﷺ أتاها يوماً فقال: أين ابناي ـ يعني حسناً و حسيناً ـ؟ قالت: أصبحنا و ليس في بيتنا شيء يذوقه ذائق، فقال عليّ ﷺ: أذهب بهما،فإنّي أتخوّف أن يبكيا عليك و ليس عندك شيء، فذهب بهما إلى فلان اليهودي، فوجّه إليه رسول الله ﷺ فوجدهما يلعبان في مشربة[٥] بين أيديهم فضل من تمر، فقال ﷺ: يا عليّ، ألا تقلب[٦] ابنيّ قبل أن يشتدّ الحرّ عليهما.

قال: فقال عليّ ﷺ: أصبحنا و ليس في بيتنا شيء، فلو جلست ـ يا رسول الله ـ حتّى أجمع لفاطمة تمرات، فجلس رسول الله ﷺ و عليّ ﷺ ينزع لليهودي كلّ دلو بتمرة حتّى اجتمع له شيء من تمر فجعله في حجزته، ثمّ أقبل فحمل رسول الله ﷺ أحدهما، و حمل عليّ ﷺ الآخر».[٧]

٢ـ روى محبّ الدّين الطبري، عن سهل بن سعد: أنّ عليّ بن أبي طالب ﷺ دخل على فاطمة و حسن و حسين يبكيان، فقال: «ما يبكيهما؟». قالت: «الجوع»

١. ترجمة علي ﷺ، ج ٢، ص ٣٢٢، ح ٨٣٤.

٢. مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١١٨.

٣. فضائل الصحابة، ج ٢، ص ٦٥١، ح ١١٠٩.

٤. تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٣٩٨.

٥. أي غرفة.

٦. أي ترجعهما.

٧. ذخائر العقبى، ٤٩و١٠٤.

فخرج عليّ عليه السلام فوجد ديناراً في السوق فجاء إلى فاطمة فأخبرها. فقالت: «إذهب إلى فلان اليهوديّ، فخذلنا به دقيقاً» فجاءإلى اليهوديّ فاشترى به دقيقاً. فقال اليهودي: أنت ختن[1] هذا الّذي يزعم أنّه رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: «نعم» قال: «فخذ دينارك، و خذ الدقيق».

فخرج عليّ عليه السلام حتّى جاء فاطمة فأخبرها. فقالت: «إذهب إلى فلان الجزّار، فخذ لنا بدرهم لحماً» فذهب فرهن الدينار بدرهم في لحم فجاء به. فعجنت و خبزت و طبخت، و أرسلت إلى أبيها صلى الله عليه وآله فجاءهم، و قالت: «يا رسول الله، أذكر لك، فإن رأيته حلالاً أكلنا و أكلت، من شأنه كذا و كذا». فقال صلى الله عليه وآله: «كلوا باسم الله» فأكلوا فبينا هم بمكانهم، و إذا بغلام ينشد الله و الإسلام الدينار. فأمر رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً: «يا عليّ، اذهب إلى الجزّار فقل له: إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لك: ارسل إليّ بالدّينار، و درهمك عليّ» فأرسل به فدفعه إليه.[2]

---

١. الختن: الصهر.

٢. ذخائر العقبى، ص ١٠٥.

حلم عليّ عليه السلام

الحلم: هو طمأنينة النفس بحيث لا يحرّكها الغضب بسهولة، و لا يزعجها المكروه بسرعة، فهو الضدّ الحقيقي للغضب لأنّه المانع من حدوثه.

قال الراغب: الحلم ضبط النفس و الطبع عن هيجان الغضب، و جمعه أحلام... و قوله تعالى:﴿و إذا بلغَ الأطفالُ منكم الحُلُم﴾[1] أي زمان البلوغ، و سمّي الحُلم لكون صاحبه جديراً بالحلم.[2]

و الحلم هو أشرف الكمالات النفسيّة بعد العلم، قال عليّ عليه السلام: «لا شرف كالعلم، و لا عزّ كالحلم»[3] بل لا ينفع العلم بدون الحلم أصلاً، و لذا كثيراً ما يمدح العلم إذا اقترن بالحلم.

فقد كان عليّ عليه السلام أحلم النّاس عن ذنب، و أصفحهم عن مسيء، و يحلم عند جهل النّاس، و هو مثال للحلم، صدق رسول الله صلى الله عليه وآله حيث قال في خبر: «لو كان الحلم رجلاً لكان عليّاً عليه السلام».[4]

قال ابن أبي الحديد في شرحه: و أما الحلم و الصفح فكان عليّ عليه السلام أحلم الناس عن ذنب، و أصفحهم عن مسيء، و قد ظهر صحّة ما قلناه يوم الجَمَل حيث ظفر بمروان بن الحكم ـ و كان أعدى النّاس له و أشدّهم بغضاً ـ فصفح عنه.

و كان عبدالله بن الزبير يشتمه على رؤوس الأشهاد، و خطب يوم البصرة فقال:

---

١. النور، ٥٩.

٢. مفردات الراغب حرف الحاء، ص ١٢٩.

٣. نهج البلاغة، قصار الحكم ١٠٩.

٤. فرائد السمطين، ج ٢، ص ٦٨، رقم ٣٩٢.

قد أتاكم الوغد اللئيم عليّ بن أبي طالب!!!، و كان عليّ عليه السلام يقول: «ما زال الزّبير رجلاً منّا أهل البيت حتّى شبّ عبدالله» فظفر به يوم الجمل، فأخذه أسيراً، فصفح عنه، و قال: «إذهب فلا أرينّكَ» لم يزده على ذلك.

و ظفر بسعيد بن العاص بعد وقعة الجمل بمكّة، و كان له عدوّاً، فأعرض عنه ولم يقل له شيئاً.

و قد علمتم ما كان من عائشة في أمره، فلمّا ظفر بها أكرمها و بعث معها إلى المدينة عشرين امرأة من نساء عبد القيس، عَمّمهنّ بالعمائم، وَ قلّدهنّ بالسيوف، فلمّا كانت ببعض الطريق ذكرته بما لا يجوز أن يذكر به و تأفّفت و قالت: هتك ستري برجاله و جنده الّذين وكّلهم بي، فلمّا وصلت المدينة ألق النساء عمائمُهُنّ، و قلن لها: إنّما نحن نسوة.

ثمّ قال ابن أبي الحديد: و حاربه أهل البصرة، و ضربوا وجهه و وجوه أولاده بالسيوف، و شتموه و لعنوه، فلمّا ظفر بهم رفع السيف عنهم، و نادى مناديه في أقطار العسكر: «ألا لا يُتبع مُولٍّ، و لا يُجهَز على جريح، و لا يُقتل مستأسر، و من ألق سلاحه فهو آمن، و من تحيّز إلى عسكر الإمام فهو آمن، و لم يأخذ من أثقالهم ولا سبى ذراريهم، و لا غَنم شيئاً من أموالهم» و لو شاء أن يفعل كلّ ذلك لفعل، ولكنّه أبى إلاّ الصفح و العفو، و تقيّل سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله يوم فتح مكّة فإنّه عفا والأحقاد لم تبرد و الإساءة لم تُنس.

ثمّ قال: و لمّا ملك عسكر معاوية عليه الماء و أحاطوا بشريعة الفرات، و قالت رؤساء الشام له: اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشاً، سألهم عليّ عليه السلام و أصحابه أن يشرعوا[1] لهم شرب الماء، فقالوا: لا و الله و لا قطرة حتّى تموت ظمأً كما مات ابن عفان، فلمّا رأى عليه السلام أنّه الموت لا محالة، تقدّم بأصحابه، و حمل على عساكر

---

١. و في نسخة: يسوغوا.

معاوية حملاتٍ كثيفة حتّى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع، سقطت منه الرؤوس و الأيدي، و ملكوا عليهم الماء، و صار أصحاب معاوية في الفلاة لا ماء لهم، فقال له أصحابه و شيعته: إمنعهم الماء ـ يا أميرالمؤمنين ـ كما منعوك، و لا تَسقهم منه قطرة، و اقتلهم بسيوف العطش، و خذهم قبضاً بالأيدي، فلا حاجة لك إلى الحرب. فقال: «لا و الله، لا أُكافئهم بمثل فعلهم، أفسحوا لهم عن بعض الشريعة، ففي حدّ السيف ما يغني عن ذلك» فهذه إن نَسبتَها إلى الحلم و الصفح فناهيك بها جمالاً و حسناً، و إن نسبتها إلى الدّين و الورع فأخلق بمثلها أن تصدر عن مثله ﷺ.[1]

---

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٢.

سخاءه ﷺ و انفاقه

في مفهومي البخل و السخاء

البخل هو الإمساك فيما ينبغي البذل، كما أنّ الإسراف هو البذل فيما ينبغي الإمساك، و كلاهما مذمومان، و المحمود هو الوسط، و هو الجود و السخاء، إذ لم يؤمر المسلم إلاّ بالسخاء كما خاطب القرآن رسول الله ﷺ: ﴿وَ لاَ تَجْعَل يَدَكَ مَغْلُولَةً إلى عُنُقِكَ وَ لاَ تَبسطْهَا كُلَّ البَسْطِ﴾.[1] و قوله تعالى: ﴿وَ الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَواماً﴾.[2]

و في القرآن و السنّة ذمّ للبخل، لأنّه من ثمرات حبّ الدّنيا، و من خبائث الصفات و رذائل الأخلاق. قال الله تعالى: ﴿وَ لا يَحْسَبَنَّ الّذينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتاهُم الله مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَومَ القِيامةِ﴾.[3]

و السخاء، وسط بين الإقتار و الإسراف، و بين البسط و القبض، و هو ضدّ البخل، و من ثمرة الزهد، كما أنّ البخل من ثمرة حبّ الدّنيا، فينبغي لكلّ سالكٍ لطريق الآخرة أن تكون له حالة القناعة إن لم يكن له مال، و لا ريب في أنّه من شرائف الصفات و معالي الأخلاق، و هو من أشرف أوصاف النبيّين و المرسلين، وما ورد في مدحه أكثر من أن يُحصى، إليك نماذج من هذه الأخبار:

قال رسول الله ﷺ: «السخاء شجرة في الجنّة، فمن كان سخيّاً أخذ بغصنٍ منها فلم يتركه الغُصنُ حتّى يدخله الجنّة».[4]

---

١. الاسراء، ٢٩.

٢. الفرقان، ٦٧.

٣. آل عمران، ١٨٠

٤. كنز العمال، ج ٦، ص ٣٩١، ح ١٦٢٠٨.

نظرة في سخاء علي عليه السلام

كان علي عليه السلام نموذج الإنسانيّة العالي الّذي يُحتذى به في كلّ خلقٍ حسنٍ وسجيّة تثير الإعجاب، فهو مَظهرٌ و مُظهرٌ الصّفات الكمالية للحقّ تعالى ذكره.

و عليّ عليه السلام نموذج الإنسانيّة الرائع و الأُسوة الحسنة الّتي تستحقّ الاقتداء من قِبَل كلّ أتباعه في مجال الجود و السخاء سيّما أُولئك الّذين قطعوا أنفسهم عن التعلّق بزخارف الدّنيا و أموالها.

إذا لم يكن بالإمكان أن نصبح كعليّ عليه السلام في فضائله المتألّقة الكاملة، فإنّنا نستطيع التحلّي بصفات الفضيلة الّتي تحلّى بها الإمام عليه السلام أو أكدّ عليها، كما قال عليه السلام: «لا تَقدِرُون عَلى ذلك، بَل أعِينُوني بِورعٍ واجتهاد».[1]

لا شكّ أنّكم كثيراً ما سمعتم عن كرم حاتم الطائي وجوده الّذي أصبح مضرباً للأمثال في كلّ الأعصار، إلاّ أنّه بالمقارنة مع سخاء عليّ عليه السلام وجوده فهو ذرّة غير قابلة للقياس.

و إذا قلنا: إنّه لا يمكن لأيّ مخلوق بعد الرّسول الأكرم صلى الله عليه وآله أن يصل إلى مقام عليّ عليه السلام في الجود و السخاء، فإنّنا لم نكن مبالغين، و لن نعدو الصواب و الحقّ، و لم يكن قولنا جزافاً بقدر ما هو حقّ، لأنّ عليّاً عليه السلام كان سخيّاً في كلّ أحواله، في السعة و ضيق ذات اليد، في العلن و في الخفاء، في توزيع المال و بذل الطعام.

و في مطالعتنا للأحاديث الّتي تحكي جوده و كرمه، نجده عليه السلام في كثير من الأحيان يبذل ما في يده ـ و إن كان محتاجاً إليه حاجة ماسّة ـ للفقراء و المساكين.

و لا يتوقّف عند هذا الحدّ بل إنّه يعطي أحياناً قوت عائلته الّذي لا يملكون سواه، و يطوي الليل معهم جائعاً. و لا يمكن لشخص غير عليّ عليه السلام أن يُعطي قوت عياله الوحيد إلى الفقير، و قد عمله عليه السلام انطلاقاً من نور الإمامة و الولاية و على

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ٢٠٥.

أساس التسديد الإلهي.

كلّ هذا يجعل الإنسان الّذي ينظر بعين الانصاف و الحقّ غارقاً بالدهشة والتعجب، و لعلّ القرآن الكريم خير شاهد و دليل على ما نقول، فعليّ عليه السلام و عياله هم الّذين نزل فيهم قوله تعالى: ﴿و يُطعمُونَ الطعامَ عَلى حُبّه مسكيناً و يتيماً و أسيراً﴾[1] و قوله تعالى: ﴿وَ يُؤثِرونَ عَلى أنفُسِهِمْ وَ لو كانَ بِهِم خَصاصَة﴾[2] وغيرهما من الآيات الّتي تحكي لنا صوراً من جوده و كرمه عليه السلام.

وجوده عليه السلام و سخاؤه كسائر فضائله و مناقبه عليه السلام، إذ نلاحظ أنّ العدوّ والصديق وقف أمامها وقفة تجليل و تثمين، و لا شكّ أنّ تعظيم الأعداء قد تأتّى دون اختيارهم، إذ أنّ بلوغه عليه السلام الدرجات الرفيعة في الفضائل جعلهم مضطرّين لتبجيلها و تجليلها.

أمّا في مجال الانفاق فقد حاز أميرالمؤمنين عليه السلام قصب السبق في كلّ مشاريع الانفاق، الواجب منها و المستحبّ، فهو عليه السلام السخيّ الذي لا يُجارى، و الكريم الذي لا يُبارى، و لا يمكن أن يدانيه أحدٌ من الصحابة في هذا الفضيلة المباركة، و لا يصل إلى مقامه أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

و لعلّ الأوقاف التي أوقفها، و المساجد التي بناها، و الآبار التي أحياها و وضعها في خدمة المحرومين، و الطرق التي أصلحها، خير شاهد و دليل على ما نقول، و لم يكن عليه السلام سخياً بماله و حسب، بل كان جواداً بنفسه المقدّسة، يلقي بها في مهاوي الردى، في سبيل نصرة الحقّ و الاسلام، حينما تعزّ النفوس و يضنّ بها، و يقلّ الناصر و يشمت العدوّ. و لأجل توضيح هذه الحقائق، نشير إلى بعض الأقوال و الروايات الواردة في هذا الخصوص:

---

١. الانسان، ٨.

٢. الحشر، ٩.

١ـ قال ابن أبي الحديد: و أمّا السخاء و الجود، فحاله فيه ظاهرة، كان يصوم ويطوي، يؤثر بزاده، و فيه أُنزل: ﴿و يُطعِمونَ الطّعامَ على حُبّهِ مِسكِيناً و يتيماً و أسيراً * إنّما نُطعِمُكم لوجهِ الله لا نريدُ مِنكُم جزاءً و لا شكوراً﴾.[١]

و روى المفسّرون أنّه لم يكن يملك إلاّ أربعة دراهم، فتصدّق بدرهم ليلاً، و بدرهم نهاراً، و بدرهم سرّاً، و بدرهم علانية، فأُنزل فيه: ﴿الّذينَ يُنفِقُونَ أموالَهُم باللّيل و النّهارِ سِرّاً و علانيةً فلَهُم أجرُهُم عِندَ رَبّهم وَ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِم وَ لاَ هُم يَحْزَنُونَ﴾.[٢]
وفي الحديث: «أنّه كان يسقي بيده لنخل قوم من يهود المدينة حتّى مجلت يده، و يتصدّق بالأُجرة، و يشدّ على بطنه حجراً».

٢ـ ثمّ نقل ابن أبي الحديد، عن الشعبي: أن عليّاً ﷺ، كان أسخى النّاس، و كان على الخُلق الّذي يحبّه الله: السخاء و الجود، ما قال: لا، لسائل قطّ، و قال عدوّه ومبغضه الّذي يجتهد في وصمه و عيبه معاوية بن أبي سفيان، لمحفن بن أبي محفن الضبي، لمّا قال له: جئتك من عند أبخل النّاس! فقال معاوية: ويحك! كيف تقول: إنّه أبخل النّاس؟! لو ملك بيتاً من تبر[٣] و بيتاً من تبن، لأنفد تبره قبل تبنه.

ثمّ ذكر أنّه قال: و هو الّذي كان يكنس بيوت الأموال و يصلّي فيها، و هو الّذي قال: «يا صفراء و يا بيضاء، غرّي غيري» و هو الّذي لم يخلف ميراثاً، و كانت الدّنيا كلّها بيده إلاّ ما كان من الشام.[٤]

و هذا معاوية أعدى عدوّه اعترف بسخائه ﷺ وجوده، والفضل ما شهدت به الأعداء.

٣ـ و نقل ابن عساكر الشافعي عن أبي إسحاق قال: جاء ابن أجور التميمي إلى

---

١. الانسان، ٨ و ٩ و الحديث في المناقب للمغازلي، ص ٢٧٣، ح ٣٢٠.

٢. البقرة، ٢٧٤.

٣. التبر: ذهب غير مسكوك.

٤. شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢١.

معاويَة، فقال: يا أمير المؤمنين، جئتُك من عند ألأم النّاس، و أبخل النّاس، و أعيا النّاس، وأجبن النّاس!!

فقال له معاوية: ويلك و أنّى أتاه اللؤم؟! و لكنّا نتحدّث أن لو كان لعليّ بيتٌ من تبنٍ و آخَرُ من تبرٍ لأنفد التبر قبل التبن.

و أنّى أتاه العيّ! و إن كنّا لنتحدّث أنّه ما جرت المواسي على رأس رجل من قريش أفصح من عليّ!

ويلك و أنّى أتاه الجبن؟! و ما برزله رجل قطّ إلّا صرعَه. و الله ـ يا ابن أجور ـ لو لا أنّ الحرب خدعة لضربت عنقك. أُخرج فلا تقيمنّ في بلدي.

قال عطاء: و إن كان معاوية يقاتله، فإنّه كان يعرف فضله.[1]

عن عليّ ﷺ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا أُتي بجنازة لم يسأل عن شيء من عمل الرجل، و يسأل عن دَينه، فان قيل: عليه دين، كفّ عن الصلاة عليه، و إن قيل: ليس عليه دين صلّى عليه، فأُتي بجنازة، فلمّا قام ليكبّر سأل ﷺ أصحابه: هل على صاحبكم دين؟ قالوا: ديناران، فعدل ﷺ و قال: فصلّوا على صاحبكم. فقال عليّ ﷺ: هما عليّ، بريء منهما، فتقدم ﷺ، ثم قال لعليّ ﷺ: جزاك الله خيراً، فكّ الله رهانك كما فككت رهان أخيك، إنّه ليس من ميت إلاّ و هو مرتهن بدينه، و من يفك رهان ميت فك الله رهانه يوم القيامة». أخرجه الدار قطني، و أخرجه الحاكمي عن ابن عباس[2].

قوله ﷺ للفقير: «اكتب حاجتك على الأرض»

و في تاريخ دمشق، عن الأصبغ بن نباته، عن عليّ بن أبي طالب ﷺ، قال: جاء

---

١. ترجمة الإمام عليّ من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٥٨، ح ١١٠٠.

٢. الرياض النضرة، ج ٣، ص ٢٠٩ ـ ٢١٠.

رجلٌ فقال: يا أميرَالمؤمنين، إنّ لي إليك حاجة فرفعتُها إلى الله قبل أن أرفعها إليك، فإن أنتَ قضيتَها حمدتُ الله و شكرتُك، و إن أنتَ لم تَقضها حمدتُ الله و عذرتُك.

فقال له عليّ ﷺ: «أكتب عَلَى الأرض، أكره أن أرى ذُلّ السؤال في وجهك» فكتب: إنّي محتاج. فقال عليّ ﷺ: «عليَّ بِحُلّة» فأُتي بها، فأخذها الرّجل فلبسها، ثمّ أنشأ يقول:

كسوتَني حُلّة تبلى محاسنها	فسوف أكسوك من حُسن الثّنا حُللا
إن نلت حُسن ثنائي نلت مكرمة	و لست تبغي بما قد قلته بدلا
إنّ الثناءَ ليحيي ذكر صاحبه	كالغيث يحيي نداه السّهل و الجبلا
لا تزهد الدّهر في زهو تواقعه	فكلّ عبد سيجزى بالّذي عملا

فقال عليّ ﷺ: «عليَّ بالدّنانير» فأُتي بمائة دينار، فدفعها إليه.

قال الأصبغ: فقلتُ: يا أميرَالمؤمنين، حُلّة، و مائة دينار؟! قال: «نعم، سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: انزلوا النّاس منازلَهم، و هذه منزلة هذا الرّجل عندي».[1]

---

١. ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٢٤٦، ح ١٣١١؛ كنز العمال، ج ٦، ص ٦٣٠، ح ١٧١٤٦.

تواضع عليّ ﷺ

في مفهومي التواضع و الكبر

التواضع ضدّ الكِبر، و الكِبر هو: الركون إلى رؤية النفس فوق الغير، و بعبارة أُخرى: هو عزّة و تعظيم يوجب رؤية النفس فوق الغير، و اعتقاد الإنسان المزية و الرجحان له على غيره، و به ينفصل عن العُجب، إذ العُجب مجرّد استعظام النفس من دون اعتبار رؤيتها فوق الغير، فالعُجب سبب الكبر، و الكبر من نتائج العُجب.

و الكبر آفة عظيمة، و به هلك خواصّ النّاس فضلاً عن غيرهم من العوامّ، و هو الحجاب الأعظم المانع من الوصول إلى أخلاق المؤمنين، و أعظم التّكبر، التكبّر على الله تعالى بالامتناع من قبول الحقّ و الإذعان له بالعبادة.﴿كَذٰلِكَ يَطبعُ الله عَلَى كلِّ قلبِ مُتكبّرٍ جبّارٍ﴾.[1] و قال تعالى: ﴿فالّذينَ لاَ يُؤمِنُونَ بالآخرةِ قُلوبُهُم مُنكِرةٌ وَ هُم مُستَكبِرونَ﴾.[2]

و التواضع : هو إظهار الخشوع و الخضوع و الذلّ و الافتقار إلى الله تعالى عند ملاحظة عظمته و عند تجدّد نعمه أو تذكّرها، و التنكر للنفس يمنع من أن يرى لِذاتها مزيّة على الغير، و تلزمه أفعال و أقوال موجبة لاستعظام الغير و إكرامه، و لا يظنّ أحدٌ أنّ التواضع يوجب الذّلة، بل يوجب الرفعة و يزيد صاحبه كثرة في الأموال و الأولاد و الأعوان في الدّنيا و الآخرة.

---

١. غافر، ٣٥

٢. النحل، ٢٢.

نموذج من تواضعه ﷺ

كما أنّ النبيّ ﷺ أمره الله تعالى بالتواضع للمؤمنين ﴿وَ اخْفِض جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ المؤمنين﴾،[١] كان أميرالمؤمنين ﷺ كأخيه رسول الله ﷺ مقتدياً بسيرته، إذ كان متواضعاً للمؤمنين في كلّ حالاته في قدرته و ضعفه الظاهريين، و في عزلته و حكومته، و في حربه و سلمه. و فيما يلي نماذج تحكي لنا صوراً من تواضعه ﷺ:

١ ـ قال ابن أبي الحديد المعتزلي: عن صالح بيّاع الأكسية: إنّ جدّته لَقِيَتْ عليّاً ﷺ بالكوفة و معه تمرٌ يَحمله، فسلّمت عليه، و قالت له: أعطني ـ يا أميرالمؤمنين ـ هذا التمر أحمله عنك إلى بيتك؟ فقال ﷺ: «أبو العيال أحق بحمله». قالت: ثمّ قال لي: «ألا تأكلين منه؟». فقلت: لا أريد. قالت: فانطلق به إلى منزله، ثمّ رجع مرتدياً بتلك الشملة، و فيها قشور التمر، فصلّى بالنّاس فيها الجمعة.[٢]

٢ ـ و فيه أيضاً، عن عنبسة العابد، عن عبدالله بن الحسين بن الحسن، قال: أعتق عليٌّ ﷺ في حياة رسول الله ألف مملوك ممّا مجلت[٣] يداه و عرق جبينه، و لقد وليّ الخلافة و أتته الأموال، فما كان حلواه إلاّ التمر، و لا ثيابه إلاّ الكرابيس.

٣ ـ و فيه أيضاً، عن حاتم بن إسماعيل المدني، عن جعفر بن محمّد ﷺ قال: «ابتاع عليّ ﷺ في خلافته قميصاً سَمِلاً[٤] بأربعة دراهم، ثمّ دعا الخيّاط، فمدّ كُمّ القميص، وأمره بقطع ما جاوز الأصابع».[٥]

٤ ـ و في نهج البلاغة: قال عليّ ﷺ ـ و قد لقيه عند مسيره إلى الشام (صفّين)

---

١. الشعراء، ٢١٥.

٢. شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٠٢.

٣. مجلت يداه: عملت.

٤. السمل: الخلق من الثياب.

٥. نفس المصدر.

دهاقين الأنبار، فَتَرجّلُوا لَه، و اشتدّوا بَيْنَ يَديه: «ما هذا الَّذي صَنَعتُموهُ»؟. فقالوا: خُلقٌ مِنّا نُعَظِّمُ بِهِ أمَراؤنا.

فقال: «وَ اللهِ ما يَنتَفِعُ بهذا أُمراؤكُم، وإنَّكم لَتَشقّونَ على أنفِسِكُم في دُنياكُم وَ تَشْقُونَ بِهِ في آخِرَتِكُم، و ما أخسَرَ المَشَقَّة وَراءَها العِقابُ، وأربَحَ الدَّعَةَ مَعَها الأمانُ مِن النّارِ!».[1]

٥ـ و روى المحبّ الطبري، عن زيد بن وهب: أنّ الجعد بن بعجة من الخوارج عاتب علياً في لباسه، فقال: مالكم و لباسي؟ هذا هو أبعد من الكبر، و أجدر أن يقتدي به المسلم. أخرجه أحمد و صاحب الصفوة.[2]

٦ـ و عن زاذان، قال: رأيت علياً يمشي في الأسواق، فيمسك الشسوع بيده، فيناول الرجل الشسع، و يرشد الضالّ، و يعين الحمّال على الحمولة، و هو يقرأ الآية: ﴿تِلكَ الدّارُ الآخِرةُ نَجْعَلُها لِلَّذِينَ لاَيُرِيدُونَ عُلُوّاً في الأرْضِ وَ لاَ فَساداً وَ العاقِبَةُ لِلمُتَّقِين﴾[3] ثمّ يقول: هذه الآية نزلت في ذي القدرة من الناس. أخرجه أحمد في المناقب.[4]

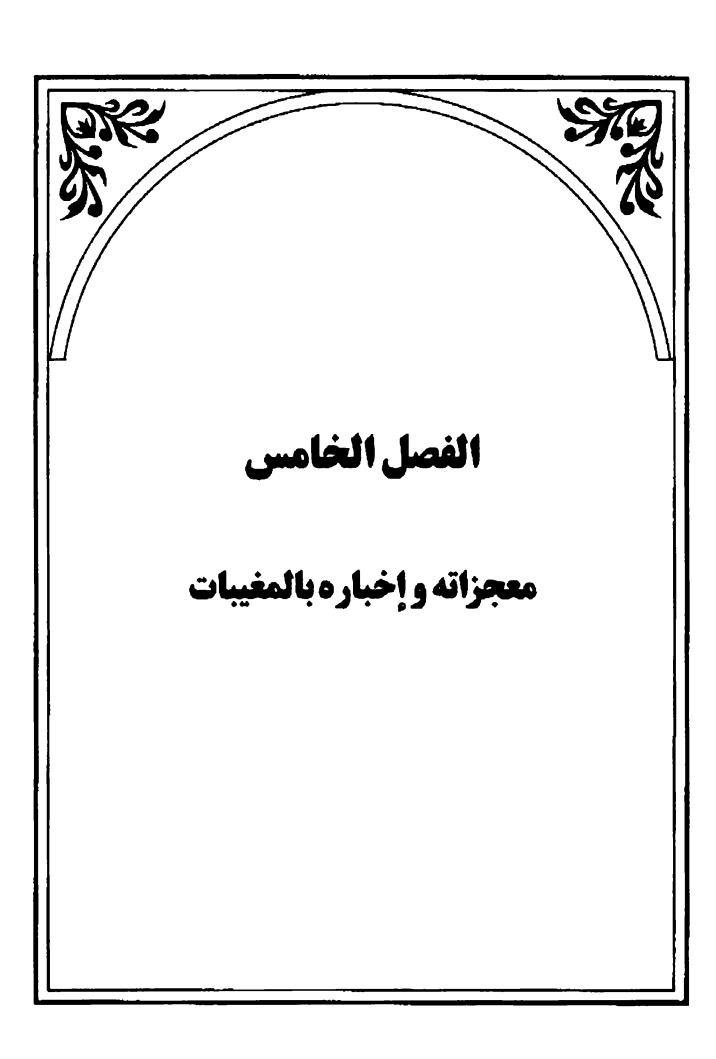
---

١. نهج البلاغة، قصار الحكم ٣٦.

٢. الرياض النضرة، ج ٣، ص ٢١٨.

٣. القصص، ٨٣.

٤. نفس المصدر.



الفصل الخامس

معجزاته وإخباره بالمغيبات

عناوين الفصل

كلمة في المعجزة و الكرامة

الإعجاز: أن يأتي الإنسان بشيء يُعجز خَصمه و يقصر دونه.[1]

و في الإصطلاح: ثبوت ما ليس بمعتاد، أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة، و مطابقة الدعوى.[2]

و الكرامة في الاصطلاح: ما صدر عن الإنسان ما ليس بمعتاد، أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة بلا دعوى له.

فالمعجزة و الكرامة في أمر خارق العادة مشتركة، إنّما التمايز بينهما في المطابقة للدعوى و عدمها.

فاطلاق الإعجاز بحسب الإصطلاح فيما إذا وقع خارق العاده عقيب دعوى النبوّة بعنوان شاهد صدق لدعواه، و لذا اشتراط العُلماء في إطلاق الإعجاز، التحدّي، و أمّا إذا لم يكن له دعوى أصلاً فإنّه كرامة نحو ما يظهر من الأولياء و الصلحاء من دون دعوى النبوّة أو الإمامة.

فعلى هذا التعريف، فما صدر من خوارق العادة عن أميرالمؤمنين عليه السلام و كذا سائر الأئمّة المعصومين عليهم السلام إن كان بداعي إثبات الإمامة فهو معجزة، و إلاّ يطلق عليه الكرامة، و هما ـ أعني المعجزة و الكرامة ـ صدرتا عن الأئمّة عليهم السلام.

وقد ادّعى مشهور علماء الإمامية وغيرهم في ظهور المعجزات على يد المعصومين عليهم السلام، و لكن بعضهم يعتقدون بأنّ المعجزة من مختصات النبيّ يأتي بالمعجزة كدليل حسيّ يعضد قوله، و يؤيّد صدق دعواه بأنّه مرسل من قِبل الله تعالى، كما أنّ المعجزة قد

---

١. مجمع البحرين، ج ٤، ص ٢٤.

٢. تجريد الاعتقاد، ص ٣٥٠؛ انظر الالهيات، ج ٢، ص ٢١٤.

تقترن بالتّحدي و دعوة الآخرين إلى المواجهة و المعارضة.

أمّا الكرامة، فانّها عبارة عن أعمال خارقة للعادة و إخبار عن المستقبل، و تصدر هذه الأقوال و الأفعال عن الإمام المعصوم غير أنّها لا تقترن بادّعاء الإمامة، كما أنّها لا تحدّي فيها، لأنّ الإمامة تثبت عن طريق آخر، و هو نصب النبيّ للإمام فلا حاجة هنا للمعجزة.

إخباره ﷺ بأمر الخوارج بالنهروان

إنّ علياً ﷺ ـ لمّا عزم على حرب الخوارج و قيل له: إنّ القوم قد عبروا جسر النهروان ـ قال: «مصارعُهُم دونَ النطفة، وَ الله لا يُفلِتُ مِنهم عشرةٌ، و لا يَهلك منكم عشرةٌ»[1] قال ابن أبي الحديد في شرحه: هذا الخبر من الأخبار الّتي تكاد تكون متواترة، لاشتهاره و نقل النّاس كافّة له، و هو من معجزاته و أخباره المفصّلة عن الغيوب، و الأخبار على قسمين:

أحدهما: الأخبار المجملة و لا إعجاز فيها، نحو أن يقول الرّجل لأصحابه: إنّكم ستنصرون على هذه الفئة الّتي تلقونها غداً، فإن نصر جعل ذلك حجّة له عند أصحابه، و سمّاها معجزة، و ان لم يُنصر، قال لهم: تغيّرت نيّاتكم و شككتم في قولي، فمنعكم الله نصره، و نحو ذلك من القول، و لأنّه قد جرت العادة أنّ الملوك و الرؤساء يَعِدون أصحابهم بالظفر و النصرّ، و يمنّونهم الدّول، فلا يدلّ وقوعُ ما يقع من ذلك على إخبار عن غيب يتضمّن إعجازاً.

و القسم الثاني: في الأخبار المفصّلة عن الغيوب، مثل هذا الخبر، فإنّه لا يحتمل التلبيس، لتقييده بالعدد المعين في أصحابه و في الخوارج، و وقوع الأمر بعد

١. نهج البلاغة، الخطبة ٥٨؛ و قال السيد الرضي: يعني بالنطفة ماء النهر، و هي أفصح كناية عن الماء و إن كان كثيراً جمّاً.

الحرب بموجبه، من غير زيادة و لا نقصان، و ذلك أمرٌ إلهي عرفه من جهة رسول الله ﷺ، و عرفه رسول الله ﷺ من جهة الله سبحانه، و القوّة البشريّة تقصر عن إدراك مثل هذا، و لقد كان له من هذا الباب ما لم يكن لغيره.[١]

و قال ابن أبي الحديد أيضاً: لمّا خرج عليّ ﷺ الى أهل النهر أقبل رجل من أصحابه ممّن كان على مقدّمته يركُض، حتّى انتهى إلى عليّ ﷺ فقال: البشرى يا أميرالمؤمنين قال: «ما بُشراك؟»

قال: إنّ القوم عبروا النهر لمّا بلغهم وصولك، فأبشر، فقد منحك الله أكتافَهم، فقال له: «آللّٰه أنت رأيتهم قد عبروا؟» قال: نعم، فأحلفه ثلاث مرّات، في كلّها يقول: نعم، فقال عليّ ﷺ: «و الله ما عبروه و لن يعبروه، و إنّ مصارعهم لَدون النطفة، و الّذي فلق الحبّة، و برأ النسمة، لن يبلغوا الأثلاث و لا قصر بَوازن، حتّى يقتلهم الله، و قد خاب من افترى».

قال: ثمّ أقبل فارس آخر يركُض، فقال كقول الأوّل، فلم يكترث عليّ ﷺ بقوله و جاءت الفرسان تركض كلّها تقول مثلَ ذلك.

فقام عليّ ﷺ فجال في متن فَرسه، قال: فيقول شابٌ من النّاس: و الله لأكوننّ قريباً منه، فإن كانوا عبروا النّهر لأجعلنّ سِنانَ هذا الرمح في عينه، أيدّعي علم الغيب!.

فلمّا انتهى ﷺ إلى النهر وجد القوم قد كسروا جفونَ سيوفهم، و عرقَبوا خيلهم، و جَثوا على رُكَبهم، و حكّموا تحكيمة واحدة بصوت عظيم له زَجل فنزل ذلك الشابّ فقال: يا أميرالمؤمنين، إنّي كنت شككت فيك آنفاً، و إنّي تائب إلى الله و إليك، فاغفر لي.

فقال عليّ ﷺ: «إنّ الله هو الّذي يغفر الذنوب، فاستغفره».[٢]

---

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ٥، ص ٣.

٢. شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٧١.

وروى أبويعلى عدّة أحاديث في إخبار أميرالمؤمنين ﷺ عن أهل النهروان، منها ما رواه بالاسناد عن أبي كثير مولى الأنصار قال: كنت مع سيدي علي بن أبي طالب ﷺ حين قتل أهل النهروان، قال: فكأنّ الناس وَجَدُوا في أنفسهم من قَتْلِهم. قال: فقال علي: يا أيها الناس، إنّ نبي الله ﷺ قد حدّثنا بأقوام يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فلا يرجعون فيه حتى يرجع السهم على قومه. و آية ذلك أن فيهم رجلاً مُخَدَّجَ اليد، إحدى يديه كثدي المرأة، لها حلمة كحلمة ثدي المرأة، إنّ بها سبع هَلَبات، فالتمسوه، فانّي أراه فيهم. فالتمسوه فوجدوه على شفير النهر تحت القتلى، فأخرجوه، فكبّر عليّ ﷺ، و قال: الله أكبر، صدق الله و رسوله. و آية ذلك متقلّد قوساً له عربية، فأخذها بيده، ثمّ جعل يطعن بها في مُخدّجته و يقول: الله أكبر، صدق الله و رسوله، صدق الله و رسوله، و كبّر الناس حين رأوه، واستبشروا، و ذهب عنهم ما كانوا يجدون.[1]

---

١. مسند أبي يعلى، ج ١، ص ٣٧٢، ح ٢١٨؛ و انظر، ص ٣٧١ الى ٣٧٦ و ص ٤٢١.

إخباره بحكومة الحجّاج

في شرح ابن أبي الحديد، عن إسماعيل بن رجاء، قال: قام أعشى بـاهلة[1] ـ و هو غلامٌ يومئذٍ حدث ـ إلى عليّ ﷺ و هو يخطب و يذكُر الملاحم فقال: يا أميـر المؤمنين، ما أشبه هذا الحديث بحديث خُرافة!

فقال عليّ ﷺ: «إن كنتَ آثماً فيما قلتَ يـا غـلام، فـرماك الله بـغلام ثـقيف» ثمّ سكت، فقام رجال فقالوا: و مَن غلامُ ثقيف يا أميرالمؤمنين؟

قال ﷺ: «غلام يـملك بلدتكُم هذه لا يترك لله حرمةً إلاّ انتهكَها، يضرب عُنُق هذا الغلام بسيفه.»

قالوا: فيُقتَلُ قتلاً أم يموت موتاً؟

قال: «بل يموتُ حتف أنفه بداء البَطن، يـثقب سريـره لكـثرة مـا يخـرج مـن جوفه».

قال إسماعيل بن رجاء: فو الله لقد رأيتُ بعيني أعشى باهلة، و قـد أُحـضر في جملة الأسرى الّذين أُسروا من جيش عبدالرّحمن بن محمّد بن الأشعث بين يدي الحجّاج فقرّعه و وبّخه، و استنشده شِعره الّذي يحـرِّض فـيه عـبدَ الرّحمـن عـلى الحرب، ثمّ ضرب عنقه في ذلك المجلس.[2]

---

١. أعشى باهلة، اسمه عامر بن الحارث.

٢. شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٨٩.

إخباره عن امرأة بأنّها شبيهة الرجال و النساء

في شرح ابن أبي الحديد: عن عكرمة عن يزيد الأحمسيّ: أنّ عليّاً عليه السلام كان جالساً في مسجد الكوفة، و بين يديه قوم منهم عمرو بن حُريث، إذ أقبلت امرأة مختمرة لا تُعرف فوقفت، فقالت لعليّ عليه السلام: يا مَن قتل الرجال، و سفك الدماء، و أيتم الصبيان، و أرمل النساء!

فقال عليه السلام: «و إنّها لهي هذه السَّلَفْلَقَة[1] الجَلَعِة المجعَةُ[2]، و إنّها لهي هذه شبيهة الرجال و النساء الّتي ما رأت دماً قطّ».

قال الرّاوي: فولّت هاربة منكّسة رأسها، فتبعها عمرو بن حريث، فلمّا صارت بالرحبة، قال لها: و الله لقد سررتُ بما كان منك اليوم إلى هذا الرّجل، فادخلي منزلي حتّى أهب لك و أكسوك، فلمّا دخلت منزله أمر جواريه بتفتيشها و كشفها و نزع ثيابها لينظر صدقه عليه السلام فيما قاله عنها، فبكت و سألته ألّا يكشفها، و قالت: أنا و الله كما قال عليه السلام، لي رَكَب[3] النساء، و أُنثيان كأنثيي الرّجال، و ما رأيت دماً قطّ، فتركها و أخرجها.

ثمّ جاء إلى عليّ عليه السلام فأخبره فقال: «إنّ خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني بالمتمردين عليّ من الرّجال و المتردّدات من النساء إلى أن تقوم الساعة».[4]

---

١. السلفلقة . السليطة، و أصله من السّلق و هو الذئب، و السّلقة : الذئبة.

٢. الجلعة الجعة : البذيّة اللسان.

٣. الركب : منبت العانة

٤. شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٨٨.

نعيه نفسه قبل شهادته و اخباره عنها

و من ذلك ما تواترت به الروايات من نعيه ﷺ نفسه قبل وفاته، و الخبر عن الحادث في قتله، و انه يخرج من الدنيا شهيداً بضربة في رأسه يخضب دمها لحيته، فكان الأمر في ذلك كما قال.

و من ذلك قوله ﷺ: «و الله لتخضبنّ هذه من هذا» و وضع يده على رأسه و لحيته.[1]

و قوله ﷺ: «ما يمنع أشقاها أن يخضبها من فوقها بدم».[2]

و منها ما رواه أصحاب الآثار: أنّ الجَعْد بن بَعْجة ـ رجلاً من الخوارج ـ قال له ﷺ: اتق الله يا علي، فانك ميت. فقال أميرالمؤمنين ﷺ: «بل و الله مقتول قتلاً، ضربةً على هذا و تخضب هذه ـ و وضع يده على رأسه و لحيته ـ عهد معهود، و قد خاب من افترى».[3]

و أيضاً رواه الثقات عنه ﷺ أنه كان يفطر في شهر رمضان الذي ضُرِب فيه ليلة عند الحسن و ليلة عند الحسين، و ليلة عند ابن عباس، لا يزيد على ثلاث لقم، فقال له الحسن ـ و قيل: الحسين ـ في ذلك، فقال: يا بُني، يأتي أمر الله و أنا خميص، إنّما هي ليلة أو ليلتان، فأُصيب من الليل.[4]

---

١. الطبقات الكبرى، ج ٣، ص ٣٤؛ الاستيعاب بهامش الاصابة، ج ٣، ص ٦١.

٢. الاستيعاب بهامش الاصابة، ج ٣، ص ٦١.

٣. رواه الحاكم في المستدرك، ج ٣، ص ١٤٣؛ و ابن عساكر في ترجمته ﷺ، ج ٣، ص ٢٧٨، ح ١٣٦٤؛ و ابن الجوزي في التذكرة، ص ١٥٨؛ و المحبّ الطبري في الذخائر، ص ١١٢.

٤. أخرجه الخوارزمي في المناقب، ص ٣٩٢، ح ٤١٠؛ و ابن الأثير في أسد الغابة، ج ٤، ص ٣٥؛ و ابن الصباغ في الفصول المهمة، ص ١٣٩؛ و مصادر أخرى كثيرة و معتبرة.

و منها قوله عليه السلام في الليلة التي ضربه الشقي ابن ملجم في آخرها، و قد توجّه إلى المسجد، فصاح الإوزّ في وجهه، فطردهنّ الناس عنه، فقال: اتركوهنّ فإنّهن نوائح، و خرج فأُصيب.[1]

إخباره بقاتل الحسين عليه السلام

١- في شرح ابن أبي الحديد، عن محمّد بن عليّ: قال: لمّا قال عليّ عليه السلام: «سلوني قبل أن تفقدوني، فو الله لا تسألوني عن فئةٍ تُضلّ مائة و تَهدي مائة إلاّ أنبأتكم بناعقها و سائقها»، قام إليه رجلٌ فقال: أخبرني بما في رأسي و لحيتي من طاقة شعر.

فقال له عليّ عليه السلام: «و الله لقد حدّثني خليلي أنّ على كل طاقة شعر من رأسك مَلَكاً يلعنك، و إنّ على كلّ طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يغويك، و إنّ في بيتك سَخلاً يَقتلُ ابنَ رسول الله صلى الله عليه وآله».

و كان ابنه قاتل الحسين عليه السلام يومئذ طفلاً يحبو، و هو سنان بن أنس النّخعيّ.[2]

٢- و فيه أيضاً عن سويد بن غفلة: أنّ عليّاً عليه السلام خطب ذات يوم فقام رجل من تحت مِنبره، فقال: يا أميرالمؤمنين، إنّي مررتُ بوادي القُرى، فوجدتُ خالد بن عرفطة قد مات، فاستغفر له.

فقال عليه السلام: «و الله ما مات و لا يموت حتّى يقود جيش ضلالة، صاحب لوائه حبيب بن جمّاز»[3] فقال رجل آخر من تحت المنبر، فقال: يا أميرالمؤمنين، أنا حبيب بن جمّاز، و إنّي لك شيعة و محبّ، فقال: «أنت حبيب بن جمّاز؟» قال: نعم.

فقال له ثانية: «و الله إنّك لحبيب بن جمّاز؟»

---

١. أخرجه ابن الأثير في أُسد الغابة، ج ٤، ص ٣٦؛ و ابن الجوزي في تذكرة الخواص، ص ١٦٢؛ و المحبّ الطبري في ذخائر العقبى، ص ١١٢؛ و ابن الصباغ في الفصول المهمة، ص ١٣٩.

٢. شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٨٦.

٣. في شرح ابن أبي الحديد: حبيب بن حمار.

فقال: إي و الله! قال: «أما و الله إنّك لحاملها و لتحملنّها، و لتدخُلنَّ بها من هذا الباب» و أشار بها إلى باب الفيل بمسجد الكوفة.

قال ثابت: فو الله ما مُتّ حتّى رأيت ابنَ زياد و قد بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن عليّ عليه السلام، و جعل خالد بن عُرفطة على مقدّمته، و حبيب بن جمّاز صاحب رايته، فدخل بها من باب الفيل.[1]

إخباره بما وقع على أصحابه

منها صلب ميثم التمار:

روي عن أحمد بن الحسن الميثمي، قال: إنّ ميثماً التّمار كان عبداً لامرأة من بني أسد، فاشتراه أميرالمؤمنين عليه السلام منها فأعتقه. فقال له: ما اسمك؟ فقال: سالم.

فقال: أخبرني رسول الله صلى الله عليه و آله أنّ اسمك الّذي سمّاك به أبواك في العجم ميثم.

قال: صدق الله و رسوله، و صدقت يا أميرالمؤمنين و الله إنّه لاسمي.

قال: فارجع إلى اسمك الّذي سمّاك به رسول الله صلى الله عليه و آله و دع سالماً. فرجع إلى ميثم، و اكتنى بأبي سالم.

فقال له عليّ عليه السلام ذات يوم: «إنّك تؤخذ بعدي فتصلب و تطعن بحربة، فإذا كان اليوم الثالث ابتدر منخراك و فمك دماً يخضب لحيتك، فانتظر ذلك الخضاب، فتصلب على باب دار عمرو بن حريث عاشر عشرة، أنت أقصرهم خشبة، و أقربهم من المطهرة، و امض حتّى أُريك النّخلة الّتي تصلب على جذعها» فأراه إيّاها.

و كان ميثم يأتيها فيصلّي عندها، و يقول: بوركت من نخلة لك خلقت، ولي غذيت، و لم يزل يتعاهدها حتّى قطعت، و حتّى عرف الموضع الّذي يصلب عليه

---

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٧٨ ؛ مقاتل الطالبيين، ص ٧١.

بالكوفة، فكان كما قال ﷺ، الحديث.[١]

ومنها قتل كميل بن زياد:

و من ذلك أنّ الحجّاج طلب كميل بن زياد فهرب منه، فقطع عطاء قومه. فلمّا رأى ذلك، قال: إنّي أنا شيخ كبير قد نفد عمري، فلا ينبغي أن أحرم قومي أعطياتهم. فخرج إلى الحجّاج فقال: قد كنت أحبّ أن أجد عليك جميلاً.

فقال له كميل: إنه ما بقي من عمري إلاّ القليل فاقض ما أنت قاض، فانّ الموعد لله، و لقد أخبرني أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ أنّك قاتلي. فقال: بلى، قد كنت فيمن قتل عمر، اضربوا عنقه، فضرب عنقه.[٢]

ومنها صلب رشيد الهجري:

روى أبوبكر ابن عيّاش عن مجالد، عن الشعبي، عن زياد بن النضر الحارثي، قال: كنت عند زياد إذ أُتي برشيد الهجريّ، فقال له زياد: ما قال لك صاحبك ـ يعني عليّاً ـ ﷺ أنّا فاعلون بك؟ قال: تقطعون يدي و رجلي و تصلبونني.

فقال زياد: أم و الله لأُكذّبن حديثه، خلّوا سبيله، فلمّا أراد أن يخرج، قال زياد: و الله ما نجد له شيئاً شرّاً ممّا قال له صاحبه، اقطعوا يديه و رجليه و اصلبوه.

فقال رشيد: هيهات، قد بقي لي عندكم شيءٌ أخبرني به أميرالمؤمنين ﷺ. فقال زياد: اقطعوا لسانه، فقال رشيد: الآن و الله جاء تصديق خبر أميرالمؤمنين[٣].

ومنها صلب مزرّع بن عبدالله:

و من ذلك ما رواه عبدالعزيز بن صُهيب عن أبي العالية، قال: حدّثني مزرّع بن

---

١. انظر شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٩١؛ الاصابة، ج ٣، ص ٥٠٤.

٢. الاصابة، ج ٣، ص ٣١٨.

٣. شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٩٤.

عبدالله صاحب علي بن أبي طالب عليه السلام، أنّه قال: «ليقبلنّ جيش حتى إذا كان بالبيداء خسف بهم»، قال أبو العالية. فقلت له: «إنّك لتحدثني بالغيب؟» قال: «احفظ ما أقول لك. فإنّما حدّثني به الثقة علي بن أبي طالب، و حدّثني أيضاً شيئاً آخر. ليؤخذنّ رجل فليقتلنّ و ليصلبنّ بين شرفتين من شرف هذا المسجد». قلت له: إنّك لتحدّثني بالغيب؟ فقال: احفظ ما أقول لك.

قال أبو العالية: فو الله ما أتت علينا جمعة حتى أُخذ مزّرع فقتل و صلب بين شرفتين من شرف المسجد.[1]

في استجابة دعائه

في التفسير الكبير للفخر الرازي، في ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿أم حسبتَ أنَّ أصحاب الكهف و الرَّقيم كانُوا مِنْ آياتِنا عَجَباً﴾[2]، قال: و أمّا عليّ عليه السلام فيروى أنّ واحداً من محبّيه سرق و كان عبداً أسود، فأُتي به إلى عليّ عليه السلام، فقال له: «أسرقت؟» قال: نعم، فقطع يده.

فانصرف من عند عليّ عليه السلام فلقيه سلمان الفارسي و ابن الكوّاء، فقال ابن الكوّاء: من قطع يدك؟ فقال: أميرالمؤمنين، و يعسوب المسلمين، و ختن الرسول، و زوج البتول.

فقال: قطع يدك و تمدحه؟ فقال: و لِمَ لا أمدحه، و قد قطع يدي بحقّ و خلّصني من النّار؟! فسمع سلمان ذلك، فأخبر به عليّاً عليه السلام، فدعا الأسود و وضع يده على ساعده و غطّاه بمنديل، و دعا بدعوات، فسمعنا صوتاً من السماء: ارفع الرداء عن اليد، فرفعناه فاذا اليد قد برئت بإذن الله تعالى و جميل صنعه.[3]

---

۱. شرح ابن أبي الحديد، ج ۲، ص ۲۹٤ ـ ۲۹٥.

۲. الكهف، ۹.

۳. التفسير الكبير للفخر الرازي، ج ۲۱ و ۲۲، ص ۸۸.

في طحن الرحىٰ دون أحد

في الرياض النضرة في مناقب العشرة، لمحب الدين الطبري، بسنده عن أبي‌ذرّ، قال: بعثني رسول الله ﷺ أدعو عليّاً، فأتيتُ بيته، فناديتُه فلم يُجبني، فعدتُ فأخبرت رسول الله ﷺ ،فقال لي: «عُد إليه أُدعه فإنّه في البيت» قال: فعدت لُناديه، فسمعتُ رحىً تطحن، فشارفتُ فإذا الرّحى تطحن و ليس معها أحدً. فناديتُه فخرج إليّ منشرحاً، فقلت له: إنّ رسول الله ﷺ يدعوك؟ فجاء، ثمّ لم أزل أنظر إلى رسول‌الله ﷺ و ينظر إليّ، ثمّ قال: «يا أباذرّ ما شأنك؟».

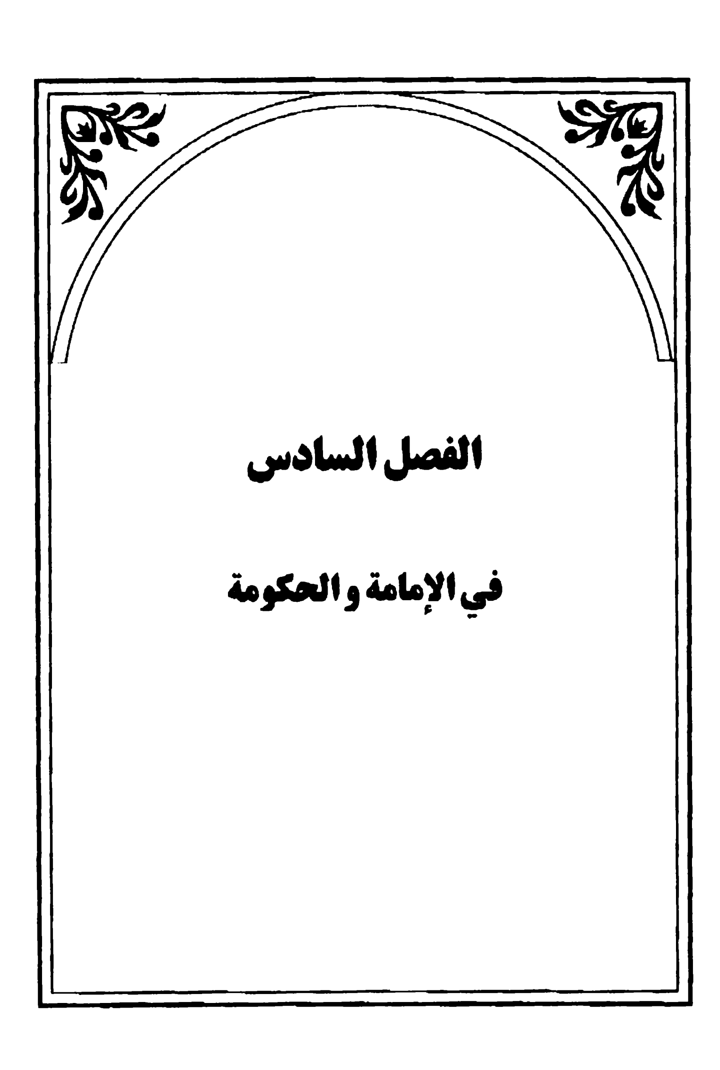
فقلت: يا رسول الله عجيب من العجب، رأيت رحىً تطحن في بيت عليّ ﷺ و ليس معها أحدً يرحى.

فقال: «يا أبا ذرّ، إنّ لله ملائكة سيّاحين في الأرض، و قد وكّلوا بمعونة آل محمد».[1]

إلى غير ذلك من معجزاته و كراماته و هي كثيرة نكتفي بما ذكرناه روماً للاختصار، و من أراد المزيد فليراجع مظانّها.

---

١. الرياض النضرة، ج ٣، ص ٢٠٢.



الفصل السادس

في الإمامة والحكومة

عناوين الفصل

كلمة في الإمامة

الامامة لغةً

في المفردات: (الإمام المؤتمّ به): إنسان يقتدى بقوله أو فعله، أو كتابٌ، أوغير ذلك محقاً كان أو مبطلاً، و جمعه أئمّة.(١)

و في لسان العرب: (الإمام): كلّ من ائتمّ به قوم، كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالّين، إلى أن قال: إمام القوم معناه هو المتقدّم لهم و يكون الإمام رئيساً كقولك: إمام المسلمين.(٢)

و في المنجد: (الإمامة): الرئاسة العامّة.(٣)

الامامة اصطلاحاً

و عُرّفت الأُمامة اصطلاحاً بوجوه عدّة:

١ـ الإمامة: رئاسة عامّة في أُمور الدّين و الدّنيا لشخص من الأشخاص نيابة (خلافة) عن النبيّ.(٤)

٢ـ الإمامة: خلافة الرسول في إقامة الدّين بحيث يجب اتّباعه على كافّة الأُمّة.(٥)

---

١. المفردات، ص ٢٤.

٢. لسان العرب، ج ١، ص ١٠١.

٣. المنجد، ص ١٧.

٤. شرح الباب الحادي عشر للمحقّق الحلي (ره) في فصل الإمامة، ص ٤٢؛ شرح التجريد للقوشجي، ص ٢٧٤.

٥. المواقف، ص ٣٤٥.

٣ـ الإمامة: نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين و سياسة الدّنيا.[١]

٤ـ الإمامة: خلافة عن الرسول في إقامة الدين و حفظ الملّة بحيث يجب اتّباعه على كافّة الأمّة.[٢]

و التعريف الأوّل أليق على مذهب الإماميّة، لأنّ الإمامة عندنا هي رئاسة عامّة إلهيّة في أمور الدين و الدّنيا لشخص من الأشخاص.

و يؤيد هذا ما ورد في الحديث عن الإمام الرضا ﷺ:

«إنّ الامامة زمام الدّين و نظام المسلمين، إنّ الإمامة أسّ الإسلام النامي و فرعه السامي، الإمام، البدر المنير و السراج الزاهر و النور الساطع، الإمام الماء العذب على الظمأ و الدّال على الهدى» الحديث.[٣]

و لا يخفى أنّ لفظ الإمام قد يطلق على إمام الباطل أيضاً[٤] و قد يطلق على القائد، و لو في قسم خاصّ، فيقال: إمام الجمعة و الجماعة، إمام الجهاد، إمام الحجّ، و كيف كان: فالمهمّ في المقام هو بيان أهميّة مقام الإمامة، و إثبات إمامة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ.

الإمامة عند فرق المسلمين

قد أجمع المسلمون على وجوب الإمامة إلاّ مَنْ شَذَّ منهم[٥]، و اختلفوا في دليل

---

١. مقدمة ابن خلدون، ص ١٩١.

٢. دلائل الصدق، ج ٢، ص ٤، (و التعريف للفضل بن روزبهان الأشعري) حكي عنه في الالهيات، ج ١، ص ٥١٠.

٣. سفينة البحار، ج ١، ص ٣٢ مادة أمم.

٤. في الكافي، ج ١، ص ٢١٦، بسنده عن أبي عبدالله ﷺ قال: «إنّ الائمة في كتاب الله إمامان: قال الله تعالى: ﴿وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ و قال: ﴿وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾» الحديث.

٥. مثل أبي بكر الأصم من قدماء المعتزلة حيث قال بعدم وجوبها إذا تناصفت الأمّة و لم تتظالم.

وجوبها، هل وجبت بالعقل، أو بالشرع، أو بهما معاً؟ ثمّ بعد أن ثبت وجوبها بالإجماع صاروا فريقين:

أحدهما: أنّ الإمامة تثبت بالاتفاق و الاختيار.

و الثاني: أنّها تثبت بالنّص و التعيين.

أمّا الفريق الأوّل فهم جمهور أهل السنّة، و معظم الخوارج و الزيديّة من الشيعة، و في هذا الفريق من يذهب إلى أنّها تثبت أيضاً بالقهر و الغلبة بَرّاً كان أو فاجراً، و القائلون بالاختيار اختلفوا في كيفيّة انعقادها، فقالت طائفة منهم: لا تنعقد إلاّ بجمهور أهل الحلّ و العقد، و قالت أُخرى: أقلّ من تنعقد به الإمامة خمسة يجتمعون على عقدها، و استدلّوا على ذلك بأمرين:

أحدهما: أنّ بيعة أبي بكر انعقدت بخمسة اجتمعوا عليها، ثمّ تابعهم النّاس فيها.

و الثّاني: أنّ عمر جعل الشورى في ستّة ليعقد لأحدهم برضا الخمسة، و غير ذلك من الأقوال.[1]

و أمّا الفريق الثاني فهم الّذين قالوا: لا طريق إليه إلاّ بالنّص، و هم ثلاث فرق: البكريّة، و العباسيّة، و الإماميّة.

فقالت البكريّة: إنّ النبيّ نصّ على أبي بكر إشارةً، و هم جماعة من الحنابلة و أصحاب الحديث و بعض الخوارج.

و قالت الراوندية: إنّه نصّ على عمّه العبّاس تلويحاً، و قد نشأت هذه الطائفة في صدر الدّولة العبّاسيّة، و ناصرهم الجاحظ في رسالة سمّاها (العبّاسيّة) ثمّ انقرضت هذه الطائفة في زمن قصير.[2]

و قالت الإماميّة: نصّ رسول الله ﷺ على أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام

---

١. انظر الأحكام السلطانية، ص ٧.

٢. انظر الأحكام السلطانية، ص ٨؛ تلخيص الشافي للشيخ الطوسي، ج ٢، ص ٧.

تصريحاً و تلويحاً، و إنّ الإمامة عهد الله الّذي لا خيرةَ للعباد فيه، و حـاشا لله أن يترك الأُمّة مهملة، يرى كلّ واحد رأياً، و يسلك كلٌّ واحد سبيلاً، فلا بدّ من تعيين الإمام و النصّ عليه حسماً للخلاف وقطعاً لدابر الفتنة.

و لا يخفى أنّ الخـلاف في الإمامة بين المسلمين واقع بالفعل من صدر الإسـلام إلى يومنا هذا حتى قال الشهرستاني: أعظم خلاف بين الأُمّة خلاف الإمامة إذ ما سلّ سيف في الإسلام على قاعدة دينية في كل زمان مثل ما سلّ على الإمـامة في كلّ زمان.[1]

---

١. الملل و النحل، ج ١، ص ٢٧.

في إثبات إمامته عليه السلام

سنكرّس جُهدنا هنا لإثبات إمامة مولانا أمير المؤمنين و خلافته بعد رسول الله صلى الله عليه وآله و الأدلّة على ذلك أكثر من أن تُحصى حتى ألّف فيها جماعة من العلماء مصنّفات كثيرة[1] و نذكر هنا بعض الأدلّة التي تثبت إمامته عليه السلام اختصاراً:

الأوّل: الآيات القرآنيّة:

و الآيات النازلة في إمامته و ولايته كثيرة نتعرض لبعضها:

منها: آية الولاية

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ الله وَ رَسُولُهُ و الذين آمَنُوا الَّذين يُقيمُونَ الصَّلاةَ ويُؤتُونَ الزَّكاةَ وَ هُمْ رَاكِعُون﴾[2] و هذه الآية باتّفاق أكثر المفسرين و باستناد الأخبار المأثورة عن نبيّ الإسلام و أصحابه الكرام نزلت في شأن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام حيث سأله سائل و هو في الصّلاة حال ركوعه فتصدّق بخاتمه.[3]

و إنّ دلالة الآية على إمامة عليّ بن أبي طالب واضحه لأن لفظة (إنّما) للحصر

---

١. راجع في هذا المجال الصراط المستقيم للعلامة البياضي. و الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف لابن طاووس. و الشافي في الإمامة للسيد المرتضى. و الألفين في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام للعلامة الحلي، و غيرها من الكتب.

٢. المائدة، ٥٥.

٣. انظر تفصيل ذلك في تفسير الرازي، ج ١٢، ص ٢٦؛ أسباب النزول، ص ١١٥؛ الدر المنثور، ج ٣، ص ١١٧؛ فتح القدير للشوكاني، ج ٢، ص ٦٠؛ تفسير المنار، ج ٦، ص ٤٦٣؛ شواهد التنزيل، ج ١، ص ١٨٨ ـ ١٩٣؛ فرائد السمطين، ج ١، ص ١٨٩ ـ ١٩٠؛ المناقب للخوارزمي، ص ١٨٦؛ تذكرة الخواص، ص ١٥ ـ ١٦؛ كفاية الطالب، ص ٢٢٨ ـ ٢٢٩؛ فضائل أحمد، ج ٢، ص ٦٧٨ / ١١٥٨.

بالنقل عن أهل اللغة و أئمّة التفسير.

و لفظ (الوليّ) يعني المتولّي في أمور العباد و حقوقهم و المتصرف في أمورهم بعد رسول الله ﷺ، لا سائر معانيه من الناصر و المالك و العبد و المعتِق و الصاحب، و غيرها من معاني المولى.

و المراد من الموصول (الّذين) في الآية بعض المؤمنين لا جميعهم، لأنّه لو كان جميع المؤمنين لزم أن يكون كلّ واحد وليّاً لنفسه و هو باطلٌ ، و أنّه وصفهم بوصف غير حاصل لكلّهم و هو إيتاء الزكاة حال الركوع في الصّلاة، و المراد بذلك البعض هو عليّ بن أبي طالب ﷺ و من حذا حذوه ـ أعني الأئمّة المعصومين ﷺ ـ للنقل الصحيح و اتّفاق أكثر المفسّرين على أنّه ﷺ كان يُصلّي فسأله سائل، فأعطاه خاتمه وهوراكع، إذن فَعليّ بن أبي طالب ﷺ كان أولى بالتّصرّف فينا بعد النبيّ ﷺ.[1]

و منها:آية التطهير

قوله تعالى: ﴿إنّما يُريدُ الله لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أهْلَ البَيْتِ وَ يُطَهِّرَكُمْ تَطهيراً﴾[2] حيث إنّ النبيّ ﷺ لمّا نزلت هذه الآية عليه، دعا عليّاً و فاطمه و الحسن و الحسين ﷺ و وضع عليهم كساءً و قال: «اللّهمّ هؤلاء أهل بيتي، اللّهمّ أذهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وطَهِّرْهُمْ تَطهيراً».[3]

---

١. لمزيد من الاطلاع على الروايات و الاستدلال، راجع الجزء الثاني من كتابنا الفصول المائة، فصل (عليّ ﷺ و اية الولاية).

٢. الاحزاب، ٣٣.

٣. صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٨٨٣، ح ٢٤٢٤؛ تفسير الرازي، ج ٨، ص ٨٠؛ سنن الترمذي، ج ٥، ص ٣٥١، ح ٣٢٠٥ و ج ٥، ص ٦٦٣، ح ٣٧٨٧ و ص ٦٦٩، ح ٣٨٧١؛ مصابيح السنة، ج ٤، ص ١٨٣، ح ٤٧٩٥؛ جامع الاصول، ج ٩، ص ٤٧٠؛ الاستيعاب، ج ٣، ص ٣٧؛ أُسد الغابة، ج ٤، ص ٢٦؛ مسند أحمد، ج ٤، ص ١٠٧ و ج ٦، ص ٢٩٢ و ٣٠٤؛ المستدرك، ج ٢، ص ٤١٦ و ج ٣، ص ١٤٨؛ سير أعلام النبلاء، ج ٣، ص ٢٨٣؛ الصواعق المحرقة باب ١١، فصل ١، ص ١٤٣ و غيرها كثير.

و دلالة هذه الآية على عصمة أهل البيت و هم الأئمة المعصومون، و على رأسهم عليّ بن أبي طالب، واضحة لا تحتاج إلى إقامة الحجة أو البرهان.

الثاني: النصّ الصّريح المتواتر[1]

إنّ من أحاط علماً بسيرة النبيّ ﷺ في تأسيس دولة الإسلام، و تشريع أحكامها وتمهيد قواعدها، يجد عليّ بن أبي طالب عليه السلام وزير رسول الله ﷺ في أمره وظهيره على عدوّه، و عيبة علمه، و وراث حكمه، و وليّ عهده، وصاحب الأمر من بعده، و كذلك من وقف على أقوال النبيّ ﷺ و أفعاله في حلّه و ترحاله، يجد نصوصه في ذلك متواترة متوالية من مبدأ أمره إلى منتهى عمره،[2] و إليك البيان.

منها: حديث الغدير:

إنّه لمّا نزل قوله تعالى: ﴿يا أيّها الرّسولُ بَلِّغْ ما أُنزِلَ إليكَ مِن رَبّكَ فإنْ لَمْ تَفْعَلْ فَما بَلَّغْتَ رسالتَه و اللهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ﴾ حين رجوع النبيّ ﷺ و أصحابه عن حجّة الوداع، نزل بغدير خمّ وقت الظهيرة و قال: «معاشر المسلمين ألستُ أولى بكم من أنفسكم؟» قالوا: بلى، فأخذ بضبع عليّ بن أبي طالب ورفعه حتّى نظر النّاس إلى بياض إبطه، و قال: «من كنتُ مولاه فعليّ مولاه، أللّهمّ والِ من والاه، و عادِ من عاداه، و انصر من نصره، و اخذُل من خذله» الحديث.

ثم لم يتفرّقوا حتّى نزل أمين وحي الله بقوله: ﴿أليومَ أكْمَلْتُ لَكُمْ دينَكُمْ وَ أتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتي﴾ الآية.[3] فقال رسول الله: «ألله أكبر على إكمال الدّين، و إتمام النعمة و رضا الرّب برسالتي، و الولاية لعليّ من بعدي».

---

١. قد تعرضنا لمسألة الحكومة و الولاية ببيان آخر و ذكرنا أيضاً أخباراً كثيرة في هذا المجال في فصل (عليّ عليه السلام خليفة رسول الله ﷺ و وصيّه و وراثه) في الجزء الثالث من كتابنا (الفصول المائة)، فلاحظه.

٢. كتاب الإلهيات، ج ٢، ص ٥٧٨.

٣. المائدة، ٣.

ثمّ أخذ النّاس يهنئون عليّاً و يبايعونه، و ممّن هنّأه و بايعه في مقدّم الصحابة أبوبكر، ثمّ عمر، كلٌّ يقول: بَخٍ بَخٍ لك يابن أبي طالب، أصبحت مولاي و مولى كلّ مؤمن و مؤمنة.

هذا مجمل الحديث في واقعة الغدير، و قد تقدم شرح الحديث مع الاستدلال به في ولاية عليّ بن أبي طالب و إمامته، فلاحظه و انظر شرح الحديث في كتب التاريخ و الحديث و كذا في كتابنا الفصول المائة.[1]

و منها: حديث المنزلة:

و هو قول رسول الله ﷺ لعليّ بن أبي طالب ﷺ في مواطن كثيرة تبلغ عشرة مواطن، منها حين خلّفه على أهله في المدينة عند خروجه إلى تبوك، فأرجف به المنافقون، وقالوا: ماخلّفه إلاّ استثقالاً له، وتخوّفاً منه، فلمّا قال ذلك المنافقون، أخذ عليّ بن أبي طالب ﷺ سلاحه و خرج حتّى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف[2] فقال ما قال المنافقون، فقال رسول الله: «كذبوا و لكنّي خلّفتك لما تركتُ ورائي، فارجع، فاخلفني في أهلي وأهلك، أفلا ترضى - يا عليّ - أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلاّ أنّه لا نبيّ بعدي؟». فرجع عليّ إلى المدينة، و مضى رسول الله ﷺ

---

١. انظر في تفصيل خطبة الغدير تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٣٢١؛ معالم التنزيل، ج ٤، ص ٢٧٩؛ الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٦٣؛ شرح ابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٢١١؛ كنز العمال، ج ١٣، ص ١٣١، ح ٣٦٤١٩، و نصّ الحديث مخرج في الترمذي، ج ٥، ص ٦٣٣، ح ٣٧١٣؛ مسند أحمد، ج ١، ص ٨٤ و ٨٨ و ١١٩ و ١٥٢، ج ٤، ص ٢٨١ و ٣٦٨ و ٣٧٠ و ٣٧٢؛ و ج ٥، ص ٣٥٨ و ٣٤٧ و ٣٦٦ و ٤١٩ و غيرها. المستدرك، ج ٣، ص ١١٠ و ١٣٤ و ٣٧١ و ٥٣٣؛ مصابيح السنة، ج ٤، ص ١٧٢، ح ٤٧٦٧؛ سنن ابن ماجة، ج ١، ص ٤٥، ح ١٢؛ تاريخ بغداد، ج ٥، ص ٤٧٤ و ج ٧، ص ٣٧٧، و ج ٨ ص ٢٩٠ و ج ١٢، ص ٣٤٤ و ج ١٤، ص ٢٣٦ و غيرها من المصادر التي خرجته عن الثقات العدول بطرق صحيحة و أسانيد معتبرة تجاوزت حدّ التواتر.

٢. الجُرف: موضع على بُعد ثلاثة أميال من المدينة.

على سفره.[1]

و قد بيّن الله تعالى منزلة هارون من موسى في كثيرمن آيات القرآن الكريم، و أوضح أبعادها بما لا يقبل الجدل و التأويل، و من ذلك ما جاء في دعاء موسى عليه السلام في سورة طه، آية ٢٩ ـ ٣٢، قوله تعالى: ﴿و اجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي أشدد به أزري و أشركه في أمري﴾ و قوله تعالى في سورة الفرقان آية ٣٥: ﴿و لقد آتينا موسى الكتاب و جعلنا معه أخاه هارون وزيراً﴾ و قال تعالى في سورة الأعراف آية ١٤٢: ﴿و قال موسى لأخيه هارون اخلفني في قومي و أصلح...﴾ فهارون وزير موسى و من أهله و أخوه و خليفته في قومه، و كذلك منزلة علي عليه السلام من خاتم النبيين إلاّ النبوّة.

و منها: حديث الثقلين

روى أصحاب الصحاح عن النبيّ الأكرم أنّه قال: «يا أيّها الناس إنّي تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتي أهل بيتي، و لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما».[2]

و قد قال به في غير موقف، تارةً بعد انصرافه من الطائف، وأُخرى يوم عرفة في حجّة الوداع، وثالثة يوم غديرخمّ، ورابعة على منبره في المدينة، و في غير ذلك

---

١. حديث المنزلة لا يكاد يخلو منه كتاب من كتب الحديث و السيرة النبوية، و ممن أخرجه البخاري في الصحيح، ج ٥، ص ٨٩، ح ٢ و ٥٢؛ مسلم في الصحيح، ج ٤، ص ١٨٧٠، ح ٢٤٠٤؛ في ستة طرق، و الترمذي في السنن، ج ٥، ص ٣٧٣٠؛ الحاكم في المستدرك، ج ٢، ص ٢٢٧؛ أحمد في المسند، ج ١، ص ١٧٣ و ١٧٥ و ١٨٢ و ٣٣١؛ مصابيح السنة، ج ٤، ص ١٧٠، ح ٦٧٦٢؛ جامع الاصول، ج ٩، ص ٤٦٨، ح ٦٤٧٧ و غيرها.

٢. روي حديث الثقلين في أغلب كتب الصحاح و السنن و بطرق عدّة و بأسانيد مقيدة، فمن أخرجه مسلم في الصحيح، ج ٤، ص ١٨٧٣، ح ٢٤٠٨؛ بعدة طرق، و الترمذي في السنن، ج ٥، ص ٦٦٣، ح ٣٧٨٨؛ الحاكم في المستدرك، ج ٣، ص ١٤٨؛ أحمد في المسند، ج ٥، ص ١٨٢ و ١٨٩، و ج ٣، ص ١٤ و ١٧، والفضائل له أيضاً، ج ٢، ص ٦٠٣، ح ١٠٣٥، و غيرها.

من موارد أُخر و بنصوص متقاربة.

فعدم الافتراق إلى يوم القيامة (حتّى يردا عليّ الحوض) دلالة كون عترة الرسولﷺ معصومين فيما يقولون ويروون، و إلاّ فكيف يمكن أن يكون قرناء القرآن أعداءهُ، أو أن يكونوا من الخاطئين فيما يحكمون و يُبرمون، أو يقولون و يحدّثون؟!! لا سامح الله، و قد تقدّم الحديث مع بحثٍ مفصلٍ حوله، فراجع.

و منها: حديث السفينة

روى المحدّثون عن النبيّ الأكرمﷺ أنّه قال: «إنّما مَثلُ أهلِ بيتي في أُمّتي كَمَثَلِ سفينة نوح، مَن ركبها نجا، ومَن تخلّف عنها غرق»[1] فشبّه رسول الله ﷺ أهل البيت بسفينة نوح في أنَّ من لجأ إليهم في الدين و أخذ أُصوله و فروعه عنهم، نجا من عذاب النّار، و من تخلّف عنهم كمن يأوي يوم الطوفان إلى جبل ليعصمه من أمر الله، و لا تكون عاقبة ذلك إلاّ غرقاً في الماء و هذا هو العذاب الأليم.

و غير ذلك من الأحاديث الصريحة كقوله ﷺ: «إنّ عليّاً وصييّ و خليفتي، و زوجته فاطمة سيدة نساء العالمين ابنتي».

و راجع في هذا المجال بحث (عليّ ﷺ أوّل من آمن بالله) و (عليّ ﷺ يوم الإنذار) و (حديث سدّ الأبواب) و (حديث الطير المشوي) و (مَثَلُ عليّ كَمَثَل عيسى) و غير ذلك من الأحاديث المتقدمة في تضاعيف الكتاب.

الثالث: إنّه أفضل النّاس بعد رسول الله ﷺ

يجب أن يكون الإمام ـ المنصوب من قبل الله تعالى ـ أفضل أهل زمانه لقبح

---

١. المستدرك، ج ٢، ص ٢١٣ ؛ و ج ٣، ص ١٥١ ؛ الخصائص الكبرى، ج ٢، ص ٤٦٦ ؛ الجامع الصغير، ج ٢، ص ٥٣٣ ؛ المعارف لابن قتيبة، ص ١٤٦ ؛ روح المعاني، ج ٢٥، ص ٣٢ ؛ تفسير ابن كثير، ج ٤، ص ١٢٣ ؛ تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٩١ ؛ حلية الأولياء، ج ٤، ص ٣٠٦ ؛ مجمع الزوائد، ج ٩، ص ١٦٨ و غيرها.

تقديم المفضول على الفاضل. أمّا عقلاً فواضح. و أمّا سمعاً لقوله سبحانه: ﴿أَفَمَن يَهدي إلى الحَقّ أحقُّ أن يُتّبع أمَّن لا يَهِدّي إلاّ أن يُهدى فَما لَكُمْ كَيفَ تَحكُمُونَ﴾.[1] و أمّا كون عليّ بن أبي طالب عليه السلام أفضل النّاس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله فيكفي شاهداً على ذلك قوله تعالى في آية المباهلة:﴿وَ أنفُسَنا وَ أنفُسَكُم﴾ إذ جعل الله سبحانه عليّاً نفس الرّسول في الآية، بناءً على ما صرّح به أئمة التفسير و الرّوايات الصحاح المتواترة من أنّ المراد من (أنفُسنا) هو عليّ بن أبي طالب، إذ دعاه يوم المباهلة دون غيره من الأصحاب. و من البيّن أنّه ليس المراد من النفسية حقيقة الإتحاد لامتناعه عقلاً، بل المراد منها المساواة فيما يمكن المساواة فيه من الفضائل و الكمالات. لأنّه أقرب المعاني المجازيّة إلى المعنى الحقيقي، فيحمل عليها عند تعذّر الحقيقة، على قاعدة الأُصول. و لا ريب أنّ الرسول أفضل النّاس إتفاقاً، و مساوي الأفضل على جميع النّاس أفضل عليهم قطعاً. و قد ذكرنا توضيح الحديث مع مسانيده في بحث (عليّ عليه السلام و آية المباهلة) فراجعه.

الرابع: إنّه أعلمُ الصحابة

يجب أن يكون المتقدّم لإمامة المسلمين أعلم النّاس في عصره وزمانه، و تقدّم غير الأعلم عليه قبيح عقلاً، لأنّ الإمامة ـ كما قلنا في تعريفها ـ هي رئاسة عامّة إلهية في أُمور الدّين و الدّنيا. فلابدّ أن يكون الإمام النائب عن النبيّ صلى الله عليه وآله أعلم بالأحكام الإلهية و العلوم الدينيّة. و وجهه واضح.

و قد استدلّ على كونه عليه السلام أعلم النّاس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله بوجوه:

١ ـ إنّه كان شديد الحدس و الذكاء و الحرص على التعلّم ودائم المصاحبة للرسول صلى الله عليه وآله الّذي هو الكامل المطلق بتسديد الله تعالى. و كان رسول الله صلى الله عليه وآله شديد المحبّة له و الحرص على تعليمه حتّى علّمه صلى الله عليه وآله ـ في مرضه الّذي قُبض فيه

---

١. يونس، ٣٥.

ـ ألف باب من العلم، و انفتح له من كلّ باب ألف باب آخر.[١]

٢ـ إنّه كان في حجر رسول الله ﷺ من صغره، و في كبره كان أخاه ووصيّه وحامل لوائه، وختناً له يدخل عليه في كلّ وقت و يستفيد من فيوضات علمه.[٢]

٣ـ رجوع أكابر الصحابة و التابعين إليه في الوقائع الّتي تعرض لهم، و يأخذون بقوله و يرجعون عن اجتهادهم، و ذلك بيّن في كتب التاريخ و السّير.[٣]

٤ـ قوله ﷺ: «لو ثنيتْ لي الوسادة فجلستُ عليها لحكمتُ بين أهل التوراة بتوراتهم، و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم، و بين أهل الزّبور بزبورهم، و بين أهل الفرقان بفرقانهم، و الله ما مِن آية نزلتْ في ليل أو نهارٍ أو سهلٍ أو جبلٍ إلاّ و أنا أعلم فيمن نزلتْ و في أيّ شيء نزلتْ»، و ذلك يدلّ على إحاطته ﷺ بمجموع العلوم الإلهية.[٤]

٥ـ قول النبيّ ﷺ في حقّه: «أقضاكم عليّ» ومعلوم أنّ القضاء يحتاج إلى العلوم الكثيرة و الذكاء و الدراية، و «أقضى الأمّة»، معناه أكثرهم علماً و فهماً و درايةً.[٥]

و هذه الوجوه الخمسة دالّة على أعلميّة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ، فإذا كان الأعلم، كان متعيّناً للإمامة بعد رسول الله ﷺ.

الخامس: إنّه صاحب سائر الكمالات

يجب اتّصاف الإمام بجميع صفات الكمال، و يجب أن يكون أفضل و أكمل من كلّ أحد من أهل زمانه، و يجب أن يكون أيضاً منزّهاً عن الرذائل الخُلقيّة و العيوب

---

١. راجع بحث (علمه ﷺ).

٢. راجع (موضعه ﷺ من رسول الله ﷺ في هذا الكتاب).

٣. سيأتيك في رجوع الخلفاء إليه في مشاكلهم في (قضاء عليّ ﷺ).

٤. راجع (عليّ ﷺ و سعة علمه).

٥. سيأتي بحث مفصّل في قضاء عليّ ﷺ فراجع.

الخَلقيّة، كما أنّ النبيّ ﷺ لابدّ أن يكون كذلك. ووجهه واضح لا يحتاج إلى دليل، و أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام صاحب جميع الكمالات و الفضائل، و المنزّه عن كلّ العيوب الخلقيّة و الرذائل الخُلقيّة.

عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أنّ الغياض أقلام، و البحر مداد، و الجنّ حسّابٌ، و الإنس كُتّابٌ ما أحصوا فضائل عليّ بن أبي طالب».[1]

و اعترف بفضائله و مناقبه الموافق و المخالف، و المحبّ و المبغض، و نشير هنا إلى بعض كلماتهم:

في (أسنى المطالب) لمحمد بن الجزري الشافعي، عن أحمد بن حنبل يقول: ما جاء لأحدٍ من أصحاب رسول الله ﷺ من الفضائل ما جاء لعليّ بن أبي طالب.[2]

و في (الصواعق المحرقة) لأبن حجر الهيتمي الشافعي، عن إسماعيل القاضي و النسائي و أبي علي النيشابوري قالوا: لم يرد في حق أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان أكثر ما جاء في عليّ عليه السلام.[3]

و في (تذكرة الخواص) لسبط ابن الجوزي الحنفي قال: و فضائل عليّ عليه السلام أشهر من الشمس و القمر، و أكثر من الحصى و المدر.[4]

و في (شواهد التنزيل) للحاكم الحسكاني الحنفي، عن ابن عباس، قال: لقد كان لعليّ عليه السلام ثماني عشرة منقبة، لو كانت واحدة منها لرجل من هذه الأُمّة لنجا بها، و لقد كانت له اثنتا عشرة منقبة ما كانت لأحد من هذه الأُمّة.[5]

و فيه أيضاً عن مجاهد: أنّ لعليّ عليه السلام سبعين منقبة، ما كانت لأحد من أصحاب

---

١. المناقب للخوارزمي، ص ٢؛ فرائد السمطين، ج ١، ص ١٦.

٢. أسنى المطالب، ص ٤٦.

٣. الصواعق المحرقة، ص ١٢٠.

٤. تذكرة الخواص، ص ٢٣.

٥. شواهد التنزيل، ج ١، ص ١٦.

النبيّ مثلها، و ما من شيء من مناقبهم إلا و قد شركهم فيها.(١)

و فيه أيضاً عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: ما في القرآن آية ﴿الَّذينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصّالِحات﴾ إلاّ و علي أميرها و شريفها، و ما من أصحاب محمد ﷺ رجلٌ إلاّ و قد عاتبه الله، و ما ذكر عليّاً إلاّ بخير. ثمّ قال عكرمة: إنّي لأعلم أنّ لعليّ منقبة لو حدثت بها لنفدت أقطار السموات و الأرض ـ أو قال ـ الأرض.(٢)

و في (المناقب) لموفق بن أحمد الخوارزمي الحنفي، عن عيسى بن عبدالله، عن أبيه، عن جدّه: قال: قال رجل لابن عباس: سبحان الله! ما أكثر مناقب عليّ و فضائله، إنّي لأحسبها ثلاثة آلاف؟! فقال ابن عباس: أوَ لا تقول إنّها إلى ثلاثين ألفاً أقرب(٣).

ولقد حاولنا في كتابنا هذا إلقاء بعض الضوء على كمالات و فضائل أمير المؤمنين ﷺ، و مع كلّ الجهد المتواضع الّذي بذلناه في فصوله المختلفة، كإسلامه، و هجرته، و جهاده، و شجاعته، و زهده، و إنفاقه، و عبادته، و خلوصه، و خشوعه و غير ذلك، فهو لا يعدو كونه قطرة في بحر فضائله و مناقبه الزّاخر الفيّاض.

و أنّى لنا إحصاء فضائله و كمالاته؟ و هو الّذي مع النّبي من شجرة واحدة و باقي الخلائق من شجر شتّى،(٤) بل إنّه من العسر الوصول إلى كُنه كمالاته و مناقبه، و إزاء هذه الصفات، أليس من الجدير و اللائق أن يكون الرّجل الّذي لا يماثله أحد و لا يناظره أحدٌ إماماً للمسلمين بعد رسول الله ﷺ و خليفة له بلا فصل؟

---

١. المصدر السابق، ج ١، ص ١٧.

٢. المصدر السابق، ج ١، ص ٢١.

٣. المناقب للخوارزمي، ص ٣.

٤. مستدرك الحاكم، ج ٢، ص ٢٤٠ بسنده عن جابر بن عبدالله قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعلي: «يا عليّ»، النّاسُ من شجر شتّى و أنا و أنت من شجرة واحدة، ثمّ قرأ رسول الله ﷺ: (و جناتٍ من أعناب و زرع و نخيل صنوان و غير صنوان تسقى بماء واحد)» قال الحاكم: هذا حديث صحيح الاسناد.

السادس: إنّه ﷺ معصوم

يجب أن يكون الإمام المنصوص عليه من الله تعالى معصوماً عند أهل الحقّ.[١] ومَن ليس بمعصوم فليس بإمامٍ، و لا شك أنّه ليس أحدٌ ممَّن ادّعى الإمامة بعد النبيّ ﷺ غير عليّ بن أبي طالب ﷺ بمعصوم إجماعاً، لسبق الكفر، و الشرك، و العصيان منهم، ممّا ينافي العصمة قطعاً، فلا يكون غيره إماماً، فاختصّت الإمامة به بعد رسول الله ﷺ.

الأدلّة على عصمة الامام

يستدلّ على عصمة الامام بوجوه كثيرة، نشير هنا إلى بعضها و نحيل القرّاء الأعزاء إلى مظانّها مِن الكتب المفصّلة في هذا المجال.[٢]

منها: آية الابتلاء

و قد استدل بقوله تعالى: ﴿و إِذِ ابْتَلَى إبراهيمَ رَبُّه بِكَلِماتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنِّي جاعِلُك لِلنّاسِ إماماً قالَ وَ مِنْ ذُرِّيَّتِي قالَ لا يَنالُ عَهدِي الظّالِمِين﴾.[٣]

وجه الاستدلال به: أنّ الله تعالى قد بيّن صراحة أنّه لا يعهد بالإمامة إلى ظالم،

---

١. العصمة عند المحقّقين لُطفٌ، أي شيء يقرّب العبد إلى الطاعة و يبعّده عن المعصية، يفعله اللّه تعالى بالمكلّف و يوجده فيه، أي ملكة خلقها اللّه فيه لطفاً بحيث لا يكون له داع يُفضي إلى ترك الطاعة و ارتكاب المعصية، مع قدرته على ذلك المذكور من ترك الطاعة و ارتكاب المعصية، لأنّه لو لا ذلك لم يحصل الوثوق بقوله، فانتفت فائدة البعثة و هو محال. (راجع: شرح الباب الحادي عشر للمحقق الحلي(ره)، ص ٤١). و تفسير الميزان، ج ٨، ص ١٤٢، نقلاً عن الالهيات، ج ١، ص ١٤٨ و قد فسّر العصمة بقوله: قوّة تمنع الإنسان عن اقتراف المعصية و الوقوع في الخطأ.

٢. استدل العلاّمة الحلي(ره) بـ(٩٩) دليلاً على عصمة الإمام ﷺ فراجع الألفين، ص ٥٢ ـ ١٣٩.

٣. البقرة، ١٢٤.

و الظالم من ارتكب معصيةً في حياته مهما كان نوعها حتّى و لو تاب بعدها، فلن يكون العاصي إماماً. إذ الإمامة على شرافتها و عظمتها لا ينالها إلاّ من كان سعيد الذات بنفسه، أمّا من تلبّست ذاته بالظلم و الشقاء و الكفر و الشرك و لو لحظة من عمره، لا يصلح لهذا المقام الرفيع بمقتضى الآية، و ممّا يوضح دلالة الآية على ذلك هو أنّ النّاس بحسب القسمة العقلية على أربعة أقسام:

١ـ من كان ظالماً في جميع عمره.
٢ـ من كان طاهراً و نقيّاً جميع فترات عمره.
٣ـ من هو ظالم في أوّل عمره و تائبٌ في آخره.
٤ـ و من هو بعكس الثالث.

وقول إبراهيم ﷺ: (و من ذرّيّتي) أجلّ شأناً من أن يسأل الإمامة للقسم الأوّل و الرابع من ذرّيّته، فبقي القسمان الآخران، و قد نفى الله تعالى أحدهما، و هو الّذي يكون ظالماً في أوّل عمره و تائباً في آخره، فبقي القسم الثاني بمقتضى الآية، و هو الّذي كان نقيّ الصحيفة طيلة عمره، و لم يُرمنه أيّ انحراف عن جادّة الحقّ، و لم يعص الله لحظة من عمره، وأميرالمؤمنين ﷺ هو مصداق ذلك، فثبت أنّه الإمام المعصوم بعد رسول‌الله ﷺ.

و منها: أية التطهير

فقوله تعالى: ﴿إنّما يُريدُ الله لِيُذهِبَ عَنكُمُ الرِّجسَ أهلَ البَيتِ وَ يُطَهِّرَكُم تَطهيراً﴾[1] أدلّ دليل على عصمة أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب و غيره من أهل بيت النبيّ ﷺ، إذ إرادة الله تعالى تعلّقت على إذهاب الرّجس عن أهل البيت، و تطهيرهم من كلّ شيء يُتنفّر منه، على غرار تعلّق إرادته بايجاد الأشياء في صحيفة الوجود، و قد ذكرنا شرحاً مفصّلاً حول الآية فراجعه.

---

١. الأحزاب، ٣٣.

و منها: أنّ الإمامة استمرار للرسالة

و ممّا يستدلّ على اشتراط العصمة في الإمام: أنّ الإمامة ـ كما مرّت الإشارة إليه ـ هي رئاسة عامّة الهيّة في أمور الدّين و الدّنيا. فكما أنّ الرسول يجب أن يكون معصوماً من العصيان و الخطأ حتّى تثق الأُمّة بقوله و فعله، فكذلك الإمام الّذي يلي الرّسول في وظائفه لابدّ أن يكون معصوماً من العصيان و الخطأ و السهو، فما دلّ على أنّ النبيّ يجب أن يكون معصوماً كذلك يدلّ على وجوب العصمة في من قام مقامه بلا زيادة و لا نقصان.[1]

١. راجع في عصمة الامام عليه السلام تلخيص الشافي لأبي جعفر الطوسي، ج ٢، ص ٢٥٦؛ و الصراط المستقيم العلامة البياضي، ج ١، ص ١١٢.

سياسته ﷺ و جودة رأيه

في معنى السّياسة

في النهاية لابن الأثير: في الحديث: «و كانت بنو إسرائيل تسوسهم أنبياؤهم»، قال: أي تتولّى أمورهم كما تفعل الأمراء و الولاة بالرعيّة، و السياسة: القيام على الشيء بما يصلحه.[1]

و في مجمع البحرين: و في وصف الأئمّة: «أنتم ساسة العباد» و فيه: «الإمام عارف بالسيّاسة» و في الحديث: «ثمّ فوّض إلى النبيّ ﷺ أمر الدّين و الأُمّة ليسوس عباده» كلّ ذلك من سُستُ الرعيّة سياسةً: أمرتها و نهيتها، إلى أن قال: و السيّاسة: القيام على الشيء بما يصلحه.[2]

و في لسان العرب: السياسة: القيام على الشيء بما يصلحه، و السيّاسة: فعل السائس، و الولي يسوس رعيّته، و في الحديث: «كان بنو إسرائيل يسوسهم أنبياؤهم» أي تتولّى أمورهم كما يفعل الأمراء و الولاة بالرعيّة.[3]

فيستفاد من كلام أئمة اللغة أنّ السيّاسة هي: القيام على الشيء بما يصلحه، فإذا لم يكن القيام على إصلاح و إجراء عدل و إحقاق حقّ و إبطال باطل فليس بسياسة، بل هي التسلّط و السيطرة و الغدر، فمن قام على أُمور العباد بحسن السيرة كان سائساً حقّاً، و إلاّ فهو جبّار متكبّر.

---

١. النهاية لابن الأثير، ج ٢، ص ٤٢١.

٢. مجمع البحرين، ج ٤، ص ٧٨.

٣. لسان العرب، ج ٢، ص ٢٣٩.

سياسة عليّ ﷺ ورأيه لحساب الدين و لبقاء الإسلام

قال ابن أبي الحديد: و إنّما قال أعداؤه: لا رأي له، لأنّه كان متقيّداً بالشريعة لا يرى خلافها، و لا يعلم بما يقتضي الدّين تحريمه، و قد قال ﷺ: «لو لا الدّين و التّقى لكنتُ أدهى العرب» و غيره من الخلفاء كان يعمل بمقتضى ما يستصلحه و يستوفقه سواء أكان مطابقاً للشرع أم لم يكن.

و لا ريب أنّ من يعمل بما يؤدّي إليه اجتهاده و لا يقف مع ضوابط وقيود يمتنع لأجلها ممّا يرى الصلاح فيه، تكون أحواله الدنيوية إلى الانتظام أقرب، و من كان بخلاف ذلك تكون أحواله الدنيوية إلى الانتثار أقرب.[١]

أقول: إنّ عليّاً ﷺ يعرف الفرص و الأسباب الّتي يبلغ معها الملك و السلطنة الطويلة، و لكنّه لا يستفيد منها على حساب دينه، و إنّه ﷺ لا يعلم من النجاح و الظفر إلاّ مرضاة الله و العمل بالحقّ و العدل، فإنّه ﷺ لم يكن طالب ملك و لا إمارة و لا طالب دنيا، و إنّما كان هدفه الأعلى و مقصده الوحيد و غايته المطلوبة رضا الله و إقامة عمود الحقّ و محو الباطل، و الدّنيا و المال و الملك لا تساوي عنده جناح بعوضة، فكيف يمكن أن يتوصّل إليها بضدّ ما هو هدفه و مقصده و غايته؟!

و لم يكن يطمح إلى الوصول إلى الملك و الإمارة من أيّ طريق كان، و بأيّ وجه اتّفق، و لا يستحلّ التوصّل إلى تثبيت ملكه بشيء يخالف الشّرع من قتل النّفوس البريئة و نقض العهود ودسّ السّموم وسلب الأموال و المداهنة و غير ذلك، و من كانت هذه صفته و هذه حاله لا يصحّ أن ينسب إليه القصور في الرأي و الضعف في التدبير، و لا أن يوصف خصمه الّذي كان يسعى إلى تحصيل الملك و الإمارة بكلّ ما يمكنه بأنّه أصحّ منه تدبيراً و أسدّ رأياً، فنسبة عدم الرأي إنّما تُطْلَق على من يدبّر أمراً ليتوصّل به إلى مطلوبه فتكون نتيجته بالعكس لجهله بمواقع

---

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٨.

الأمور، وشيء من هذا لم يحصل لأمير المؤمنين ﷺ و لا يمكن أن يحصل، فهو أعلم النّاس بمواقع الأمور، و قد أبان عن هذا مراراً في مواقف متعدّدة بعبارات مختلفة، منها قوله: «و الله ما مُعاويةُ بأدهى منّي».[١]

و قال ﷺ: «وَ لَقَدْ أَصْبَحْنا في زَمانٍ قَد اتَّخَذَ أكثرُ أهلِهِ الغَدْرَ كَيساً، وَ نَسَبَهُم أهلُ الجَهلِ فيه إلى حُسْنِ الحِيلَةِ، مالَهُم قاتَلَهُمُ اللهُ؟! قد يَرى الحُوَّلُ القُلَّبُ وَجهَ الحِيلَةِ، ودونَهُ مانِعٌ مِن أمرِ الله و نهيهِ فَيَدَعُها رأيَ عَينٍ بَعْدَ القُدرَةِ عَليها، ويَنتَهِزُ فُرصَتَها مَن لا حَرِيجَةَ لَه في الدِّينِ».[٢]

سياسته ﷺ و تدبيره على وفق الكتاب و السُنة

قال عليّ ﷺ في خطبة له: «و الله ما معاويَة بأدهى[٣] منّي، و لكنّه يَغدِر ويَفجُر، ولولا كراهيَةُ[٤] الغَدر[٥] لَكُنتُ مِن أدهَى النّاس، و لكِن كُلُّ غَدرَة فَجرَةٌ[٦] و كلُّ فَجرَةٍ كَفْرَةٌ، وَ لِكُلِّ غادِرٍ لِواءٌ يُعْرَفُ به يوم القيامِة، و الله ما أُستَغفَلُ بالمكيدَةِ وَ لاَ أُستَغمَزُ[٧] بالشَّديدَةِ[٨]».

و هو ﷺ في هذه الخطبة دفع توهّم من كان يعتقد أنّ معاوية و أمثاله أجود رأياً و أكثر تدبيراً منه، و تعرّض بها لمعاوية من أجل عدم تحرّزه في تدبيره الأمور عن

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ١٩١.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٤١.

٣. الدهي و الدهاء: الفكر وجودة الرأي.

٤. الكراهة هنا بمعنى الحرمه لا معناها المعروف في مصطلح المتشرعة.

٥. الغدر هو الرذيلة المقابلة لفضيلة الوفاء بالعهود الّتي هي ملكة تحت العفّة.

٦. الفجور: مقابل لفضيلة العفّة.

٧. و لا استغمز بالزاي المعجمة: أي لا يطلب غمزي و إضعافي، فإنّي لا أضعف عمّا أرمي به من الشدائد، و لا أستجهل بشدائد المكائد.

٨. نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٠.

الغدر و الفجور، و صدّر الكلام بالقَسَم البارّ، تأكيداً للمقصود بقوله «و الله ما معاوية بأدهى منّي» ثمّ قال: «و لكنّه يغْدِر و يَفْجُر» أي: يستعمل الغدر في أُموره السياسيّة، فيزعم أهل الجهل أنّه أدهى، في حين أنّ عليّاً عليه السلام كان ملازماً في جميع حركاته قوانين الشريعة، ورفض ما هو المعتاد في ذاك العصر في الحروب و إدارة الشؤون، كتدابير الدهاء و الخبث و المكر و الحيلة و الاجتهادات في النصوص، ممّا لم ترخّص فيه الشريعة، أمّا غيره مثل معاوية فليجأ إلى جميع تلك الوسائل، سواء كان وافق شريعة الإسلام أم لا، فكانت وجوه الحيل و التدبير عليهم أوسع، و كان مجالها عليه أضيق.

ثمّ نبّه عليّ عليه السلام في الخطبة في وجهٍ على ما منع النّاس من أن يصفوه بالدهاء، مع كونه أعرف به من معاوية، فقال: «لَولا كَراهِيَّةُ الغَدْر» أي المكر و استلزامه الكذب و الغش و الخيانة و الفجور المنافي لمرتبة العصمة «لَكنتُ مِن أدهَى النّاسِ».

و أصرح منه قوله هنا في الخطبة: «وَلكِن كلُّ غَدْرَةٍ فَجْرَةٌ، وَكلُّ فَجْرَةٍ كَفْرَةٌ».

و وجه لزوم الكفر هنا: أنّ استباحة ما علم تحريمه من الشرع وجحده هو الكفر، كما استباح معاوية و أتباعه محرّمات الإسلام.

أمّا عليّ عليه السلام فإنّه لم يكن طالب دنيا و لا إمرة و لا سلطنة، بل طالب آخرة، و هدفه إقامة الحقّ و خذلان الباطل، فكيف يتوسّل بالباطل إلى نيل الملك، و هو الّذي كان يقول: «و الله لَو أُعْطِيتُ الأقالِيمَ السَبْعَة بِما تَحتَ أفلاكِها على أن أعْصِيَ الله في نَمْلَةٍ أسلُبُها جلبَ شعيرةٍ ما فَعَلْتُهُ».[1]

و هو الّذي يقول في نعله الّتي لا تساوي درهماً: «و الله لَهِيَ أحبُّ إليَّ مِن إمْرَتِكُمْ إلاّ أنْ أُقيمَ حَقّاً أو أدفَعَ باطلاً».[2]

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢١٥.

٢. نفس المصدر، الخطبة ٣٣.

و هو الّذي لم يقبل يوم الشورى أن يبايعه عبدالرّحمن بن عوف إلاّ على كتاب الله وسنّة رسوله ورأيه، و لم يرض أن يدخل سيرة الشيخين حتّى عدل عنه إلى من قبل ذلك.[1]

و هو الذي جاءه المغيرة بن شعبة بعد مبايعته، فقال له: إنّ لك حقّ الطاعة و النصحية، و إنّ الرأي اليوم تحرز به ما في غد، و إنّ الضياع اليوم تضيع به ما في غد، أقرر معاوية على عمله، و أقرر العمّال على أعمالهم حتى إذا أتتك طاعتهم و بيعة الجنود استبدلت أو تركت؟ فأبى، و قال: «لا أُداهن في ديني، و لا أُعطي الدّنية في أمري».

قال المغيرة: فإن كنت أبيتَ عليّ فانزع من شئت و اترك معاوية، فإنّ في معاوية و هو في الشام يُستمع له، و لك حجّة في إثباته... إذ كان عمر قد ولّاه الشام؟

فقال عليّ ﷺ: «لا و الله... لا أستعمل معاوية يومين...».[2]

هذا عليّ ﷺ لم يترك الدّين و الإسلام على مدى حكومته لحظة و لم يغفل عنه طرفة عين رغم جميع المواقف الصعبة والظروف القاهرة التي مرّت بها حكومته ﷺ.

سياسة عليّ ﷺ و رأيه مثل سياسة رسول الله ﷺ و رأيه

قال الشارح المعتزلي: و اعلم أنّ قوماً ممّن لم يعرفوا حقيقة فضل أميرالمؤمنين ﷺ زعموا أنّ عمر كان أسوس منه و إن كان هو أعلم من عمر، ثمّ زعم أعداؤه و مبغضوه أنّ معاوية كان أسوس منه، و أصحّ تدبيراً.

و أجاب بما ملخّصه: أنّ السائس لا يتمكّن من السياسة البالغة إلاّ إذا كان يعمل برأيه و بما يرى فيه صلاح ملكه و تمهيد أمره، سواء وافق الشريعة أو لم يوافقها، و متى لم يعمل في السياسة بمقتضى ما قلناه فبعيد أن ينتظم أمره أو يستوثق

---

١. راجع في هذا المجال شرح ابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٢٤٥.

٢. عبقرية الإمام عليّ، ص ١٢٢؛ و راجع نحوه في مروج الذهب، ج ٢، ص ٣٦٣.

حاله، و أمير المؤمنين ﷺ كان مقيّداً بقيود الشريعة، مدفوعاً إلى اتّباعها ورفض ما يصلح اعتماده من آراء الحرب و الكيد و التدبير إذا لم يكن للشرع موافقاً، فلم تكن قاعدته في خلافته قاعدة غيره ممّن لم يلتزم بذلك.

و لسنا بهذا القول زارين على عمربن الخطّاب و لا ناسبين إليه ما هو منزّه عنه، و لكنّه كان مجتهداً يعمل بالقياس و الاستحسان و المصالح المرسلة، و يرى تخصيص عمومات النّص بالآراء و بالاستنباط من أُصول تقتضي خلاف ما يقتضيه عموم النصوص، و يكيد خصمه و يأمر أُمراءه بالكيد و الحيلة، و يؤدّب بالدرّة و السوط من يتغلّب على ظنه أنّه يستوجب ذلك.

و لم يكن أميرالمؤمنين ﷺ يرى ذلك، و كان يقف مع النصوص و الظواهر و لا يتعدّاها إلى الاجتهاد و الأقيسة، و يطبّق أُمور الدّنيا على أُمور الدين، و يسوق الكلّ مساقاً واحداً، و لا يضع و لا يرفع إلاّ بالكتاب و النّص، فاختلفت طريقتاهما في الخلافة و السياسة، و كان عمر مع ذلك شديد الغلظة و السياسة، و كان عليّ ﷺ كثير الحلم و الصفح و التجاوز، فازدادت خلافة ذاك قوّة، و خلافة هذا (عليّ ﷺ) ليناً ـ إلى أن قال: ـ و كلّ هذه الأمور مؤثّرة في اضطراب أمر الوالي و انحلال معاقد ملكه، و لم يتّفق لعمر شيء من ذلك، فشتّان بين الخلافتين فيما يعود إلى انتظام المملكة وصحّة تدبير الخلافة.

فإن قلت: فما قولك في سياسة الرسول ﷺ و تدبيره؟ أليس كان منتظماً سديداً مع أنّه كان لا يعمل إلاّ بالنصوص و التوقيف من الوحي! فهلاّ كان تدبير عليّ ﷺ وسياسته كذلك؟! إذا قلتم: إنّه لا يعمل إلاّ بالنّص.

قلت: أمّا سياسة الرسول ﷺ و تدبيره فخارج عمّا نحن فيه، لأنّه معصوم لا تتطرّق الغفلة إلى أفعاله، و لا واحداً من هذين الرجلين بواجب العصمة عندنا[1]

---

١. لايخفى أنّ اعتقادنانحن الامامية في أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ أنّه معصوم كالنبيّ ﷺ واختلافهما•

إلى آخر كلامه.[١]

في الفرق بين سياسة عليّ ﷺ وسياسة معاوية و أتباعه

أمّا القول في سياسة معاوية فإنّ شَنَأة عليّ ﷺ و مبغضيه زعموا أنّ سياسة معاوية خير من سياسة أميرالمؤمنين ﷺ، فكفينا في الكلام عليه ما قاله الدكتور طه حسين، و ما قاله أبوعثمان الجاحظ[٢] و نحن نحكيها بألفاظها.

قول الدكتور طه حسين المصري في ذلك

قال الدكتور طه حسين: إنّ الفرق بين عليّ ﷺ و معاوية في السيرة و السياسة كان عظيماً بعيد المدى، كان الفرق بين الرجلين عظيماً في السيرة و السياسة، فقد كان عليّ مؤمناً بالخلافة... يرى أنّ من الحقّ عليه أن يقيم العدل بأوسع معانيه بين الناس، لا يؤثر منهم أحداً على أحد، و يرى أنّ من الحقّ عليه أن يحفظ على المسلمين مالهم لا ينفقه إلاّ بحقّه، فهو لا يستبيح لنفسه أن يصل الناس من بيت المال، بل هو لا يستبيح لنفسه أن يأخذ من بيت المال لنفسه و أهله إلاّ ما يقيم الأود لا يزيد عليه.

فأمّا معاوية... لا يجد في ذلك بأساً و لا جناحاً، فكان الطّامعون يجدون عنده ما يريدون، و كان الزاهدون يجدون عند عليّ ﷺ ما يحبّون.

و ما رأيك في رجل جاء أخوه عقيل مسترفداً، فقال لابنه الحسن: «إذا خرج عطائي فسر مع عمّك إلى السوق فاشتر له ثوباً جديداً، و نعلين جديدتين» ثمّ لم

---

* في الوحي والنبوّة، كما روى ابن أبي الحديد في شرحه، ج ١٠، ص ٢٢٢ عن النبيّ ﷺ أنّه قال: «أخصمك بالنبوّة و لا نبوّة بعدي، و تخصم الناس بسبع»، و قد قررنا عصمة الإمام علي ﷺ احتصاراً في هذا الفصل نعم قوله: إنّ عمر بن الخطاب ليس بمعصوم هو الحقّ.

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٢١٢.

٢. أخذنا هذا اللفظ من شرح ابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٢٢٧.

يزد ذلك شيئاً، و ما رأيك في رجل آخر ـ يعني معاوية ـ يأتيه عقيل هذا نفسه بعد أن لم يرض صلة أخيه فيعطيه من بيت المال مائة ألف؟.

و عليّ عليه السلام لا يداهن في الدين، و لم يكن يبغض شيئاً كما يبغض وضع درهم من بيت مال المسلمين في غير موضعه أو إنفاقه في غير حقّه، كما كان يبغض المكر و الكيد، و كل ما يتّصل بسبب من أسباب الجاهلية الأولى.[1]

قول أبي عثمان الجاحظ في ذلك

قال أبو عثمان ما ملخّصه: وربما رأيت بعض من يظنّ بنفسه العقل و العلم ويظنّ أنّه من الخواص ـ و هو من العوام ـ يزعم أنّ معاوية كان أبعد غوراً و أصحّ فكراً و أجود مسلكاً من عليّ عليه السلام و ليس الأمر كذلك، وسأرمي إليك بجملة تعرف بها موضع غلطه، و ذلك أنّ علياً عليه السلام كان لا يستعمل في حروبه إلاّ ما يوافق الكتاب و السنة، و كان معاوية يستعمل ما يخالفهما كاستعماله ما يوافقهما، و يسير في الحرب بسيرة ملك الهند إذا لاقى كسرى، و خاقان إذا لاقى رُتبيل.

و كان عليّ عليه السلام يقول لأصحابه: «لا تبدأوهم بالقتال حتّى يبدأوكم، و لا تتبعوا مدبراً، و لا تُجهزوا على جريح، و لا تفتحوا باباً مغلقاً» هذه سيرته في ذي الكلاع، و في أبي الأعور السُلمي، و في عمرو بن العاص، و في حبيب بن مَسلمة، و في جميع الرؤساء كسيرته في الحاشية والأتباع، ولكن أصحاب الحروب إنّما يقصدون الوجه الّذي به هلاك الخصم، و ينتظرون وجه الفرصة، سواء كان مخالفاً للشريعة كالحريق و الغريق و دسّ السموم و التضريب بين النّاس بالكذب و إلقاء الكتب في العسكر بالسعاية أو موافقاً للشريعة، فعليّ عليه السلام كان ملجماً بالورع عن جميع القول إلاّ ما هو لله رضا، و ممنوع اليدين من كل بطش الا ما هو لله رضى، و لا يرى الرضا الا فيما يرضاه الله و يحبّه، و لا يرى الرضا إلاّ فيما دل عليه الكتاب و السنة

---

١. علي و بنوه للدكتور طه حسين، ص ٥٩.

دون أصحاب الدهاء و النكراء و المكائد، فلمّا رأت العوام نوادر معاوية في المكائد و كثرة غرائبه في الخداع و ما اتفق له و تهيّأ على يده، و لم يروا ذلك من عليّ ﷺ ظنّوا بِقِصَرِ عقولهم وقلّة علومهم أنّ ذلك من رجحانٍ عند معاوية و نقصان عند عليّ ﷺ.

ثمّ انظر بعد ذلك كلّه، هل يعدّ لمعاوية من الخُدع إلاّ رفع المصاحف ـ في صفّين ـ ثمّ انظر هل خدع بها إلاّ من عصى رأي عليّ ﷺ و خالف أمره من أصحابه!؟.

فإن زعمت أنّه نال ما أراد من الاختلاف فقد صدقت، و ليس في هذا اختلفنا، و لا عن غَرارة أصحاب عليّ ﷺ و عجلتهم و تسرّعهم و تنازعهم دفعنا، و إنّما كان البحث في التمييز بينه و بين معاوية في الدهاء و المكر و صحّة العقل و الرأي، إلى آخره.[1]

قال الشارح المعتزلي: ومن تأمّل هذا الكلام بعين الإنصاف ولم يتّبع الهوى علم صحّة جميع ما ذكره، وأنّ أمير المؤمنين ﷺ دفع ـ من اختلاف أصحابه وسوء طاعتهم له، و لزومه سنن الشريعة و منهج العدل، و خروج معاوية و عمرو بن العاص عن قاعدة الشرع في استمالة النّاس إليهم بالرّغبة و الرهبة ـ إلى ما يُدفع إليه غيره، فلولا أنّه ﷺ كان عارفاً بوجوه السّياسة و تدبير أمر السّلطان و الخلافة و حاذقاً في ذلك، لم يجتمع عليه إلاّ القليل من الناس، و هم أهل الآخرة خاصّة، الّذين لا ميل لهم إلى الدنيا، فلمّا وجدناه دَبّر الأمر حين وليه، و اجتمع عليه من العساكر و الأتباع ما يتجاوز العدّ و الحصر، و قاتل بهم أعداءه الّذين حالهم حالهم، فظفر في أكثر حروبه، و وقف الأمر بينه و بين معاوية على سواء، و كان هو الأظهر و الأقرب إلى الانتصار، علمنا أنّه من معرفة تدبير الدّول و السّلطان بمكان مكين.[2]

---

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٢٢٨.

٢. المصدر السابق، ج ١٠، ص ٢٣١؛ و من أراد الاطلاع على حيل معاوية و مكره و بعض حالاته فليراجع المصدر السابق، ج ١، ص ٣٣٤.

عدالته ﷺ

عليّ ﷺ و جوهرة العدالة

لقد لازمت شخصيّة أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ السامية جوهرة العدالة الثمينة، و اقترن اسمه المقدّس بالعدالة، فقد كان عادلاً يأنس بالعدالة و يهتمّ بها.

إنّ كلّ مجتمع أو جماعة أو فرد منادٍ بالعدالة، و يأمل في تكوين مجتمع يقوم على أساس القسط والعدل، يضع عدل عليّ ﷺ نصب عينه، ويتّخذ أسلوب عليّ ﷺ في تطبيق العدالة و نظامه العادل قدوة له في برنامجه الّذي يسعى إلى تطبيقه.

حقّاً لم يعرف تاريخ الانسانية شخصاً كعليّ ﷺ خُلِّد اسمه إلى الأبد و ارتسمت صورة عدالته في أذهان البشر، فقدكان عاشقاً للعدالة مولعاً بها إلى غايتها القصوى.

عليّ ﷺ مصداق بارز لآية ﴿كونوا قوّامين بالقسطِ﴾

نعم، لقد كانت هذه العدالة ضالّة عليّ ﷺ، و كان كالظامىء الذي يبحث عن عين ماء تروي ظمأه، كان عليّ ﷺ يسعى إلى معين العدالة العذب.

كان عليّ ﷺ مظهر العدالة و جوهرتها حقّاً، فقد بَعُد عن كلّ ظلم و جور، و في فكر عليّ ﷺ السامي لم يكن ممكناً أن تقاس العدالة بأيّ أمر آخر، و كان لا يعبأ حقّ بأعز إنسان عليه من أجل الحقّ، و ذلك أنّ ربّه قد أمره بذلك فكيف يعصي مولاه؟ ﴿إنّ الله يَأمر بالعدل و الإحسان﴾.[1]

لم يكن عليّ ﷺ يرضى بالكفّ عن تطبيق العدالة و التراجع عنها مهما كلّف الثمن، و لم يرض أن يتخطّى العدالة خطوة حتّى من أجل تثبيت أركان حكومته

---

١. النحل، ٩٠.

الفتية، و أبى أن يساوم أو يتّبع المصالح السياسية مهما عظم الثمن، كما أنّه لم يرض أن يضحّي بالعدالة و يقع تحت تأثير الرحمة و التحرق شفقة، فيعرّض بذلك هذا الركن المقدّس للتزلزل و الانهيار، فقد كان مصداقاً و مظهراً بارزاً للآية الشريفة:﴿يا أيّها الّذين آمنُوا كُونُوا قوّامينَ بالقِسطِ﴾.[1] القسط هو العدل، و القيام بالقسط العمل به و التحفّظ له، فالمراد بالقوّامين بالقسط القائمون به أتمّ قيام و أكمله، من غير انعطاف و عدول عنه إلى خلافه لعامل من هوى و عاطفة، أو خوف، أو طمع، أو غيرذلك، و هل توجد هذه الصفة بتمامها و كمالها في غير عليّ بن أبي طالب ﷺ؟! إنّه مصداق بارز و كامل لهذه الصفة بعد رسول الله ﷺ، كما سيظهر ذلك من المباحث الآتية إن شاء الله تعالى.

ما قاله النبيّ ﷺ في عدله

أخرج السيوطي و الحافظ الكنجي، بإسنادهما عن أبي هريرة، قال: جئت إلى النبيّ ﷺ و بين يديه تمر، فسلّمت عليه، فردّ عليَّ، و ناولني من التمر ملء كفّه، فعددته ثلاثاً و سبعين تمرة، ثمّ مضيت من عنده إلى عليّ بن أبي طالب ﷺ و بين يديه تمر، فسلّمت عليه، فردّ عليّ، و ضحك إليّ، و ناولني من التمر ملْ كفّه، فعددته فإذا هو ثلاث و سبعون تمرة، فكثر تعجّبي من ذلك، فرجعتُ إلى النبيّ ﷺ، فقلت: يا رسول الله، جئتك و بين يديك تمرٌ، فناولتني ملء كفّك فعددته ثلاثاً و سبعين تمرة، ثم مضيت الى علي بن أبي طالب ﷺ و بين يديه تمر، فناولني ملء كفّه، فعددته ثلاثاً و سبعين تمرة، فعجبت من ذلك، فتبسّم النبيّ ﷺ و قال: «يا أبا هريرة، أما علمت أنّ يدي و يد عليّ بن أبي طالب في العدل سواء».[2]

و في (المناقب) لابن المغازلي و (فرائد السمطين) للجويني، بإسنادهما إلى

---

١. النساء، ١٣٥.

٢. السيوطي في ذيل اللآلئ ص ٥٤ و الحافظ الكنجي في الباب ٦٢ ص ٢٥٦.

حُبشي بن جُنادة، قال: كنت جالساً عند أبي بكر، فأتاه رجل، فقال: يا خليفة رسول الله، إنّ رسول الله ﷺ و عدني أن يحثو لي ثلاث حثيات من تَمر؟ قال أبو بكر: ادعوا لي عليّاً.

فجاء عليّ عليه السلام فقال أبوبكر: يا أبا الحسن، إنّ هذا يزعم أنّ رسول الله ﷺ وعده أن يحثو له ثلاث حثيات من تمر، فاحثها له. فَحثا له ثلاث حَثَيات. ثمّ قال: «عدّوها» فَعدُّوها فوجدوا في كلّ حثوةٍ ستّين تمرة لا تزيد واحدة على الأُخرى.

فقال أبوبكر: صدق الله ورسوله، سمعت رسول الله ﷺ ليلة الهجرة ونحن خارجون من مكّة إلى المدينة يقول: «يا أبا بكر كفّي و كفّ عليّ في العدل سواء».[1]

وأخرجه بهذا السند و اللفظ الخطيب في تاريخ بغداد، و الخوارزمي في المناقب، و العلاّمة القندوزي في ينابيع المودّة عن صاحب الفردوس.[2]

المجتمع لا يُطيق عدالته عليه السلام

لقد كان عليّ عليه السلام يعلم أنّ ذلك المجتمع لا يتحمّل تطبيق العدالة الّتي يريد الإمام تطبيقها، و لمّا كان عليه السلام لا يتّبع إلاّ الحقّ و إقامة العدل فإنّه رفض قبول الخلافة بالرغم من ضغط النّاس عليه و تسابقهم بالبيعة له، لأنّه كان يعلم أنّ الإنحرافات، و التفاوت الطبقي، و عدم المساواة الّذي عمّ المجتمع ، لا يمكن أن يدعه يطبّق العدالة دون إثارة العراقيل و المشاكل في وجهه و وضع الصعوبات في طريقه، و لذلك قال عليه السلام: «دَعُوني وَ الْتَمِسُوا غَيري، فإنّا مُسْتَقْبِلُونَ أمراً لَهُ وُجُوهٌ وَ أَلْوانٌ لا تَقُومُ لَهُ القُلُوبُ وَ لا تَثْبُتُ عَلَيه العُقُولُ، و إنّ الآفاقَ قَدْ أغامَتْ و المَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرتْ، و اعْلَمُوا أنّي إنْ أجَبْتُكُمْ رَكِبتُ

١. المناقب لابن المغازلي الشافعي، ص ١٢٩، ح ١٧٠؛ و فرائد السمطين للجويني، ج ١، ص ٥٠، ح ١٥ مع اختلاف يسير في بعض ألفاظه بلا تفاوت في المعنى.

٢. تاريخ بغداد، ج ٥، ص ٣٧؛ المناقب للخوارزمي، ص ٢٣٥؛ ينابيع المودّة، ص ٢٣٣؛ الفردوس، ج ٥، ص ٣٠٥، ح ٨٢٦٥.

بِكُمْ ما أعلَمُ، وَ لَمْ أَصغ إلى قَولِ القائِل وَ عَتَبِ العاتِب، و إنْ تَـرَكْـتُمُوني فَأنَـا كَأحَـدِكُمْ. وَ لَـعلّي أسْمَعُكُمْ وَ أطْوَعُكُمْ لِمَن وَلَّيتُمُوهُ أمرَكُمْ. وَ أنَا لَكُم وزيراً خَيرٌ لَكُمْ مِنّي أميراً».[1]

وعند ما اضطر علي ﷺ أن يقبل الخـلافة، و سار على كتاب الله و سنّة رسول الله ﷺ و اجتهاده و رأيه الّذي كان يعني إقامة العدل في المجتمع الاسلامي بـالرغم من غضب أصحاب الثروات غير المشروعة و المتساهلين في أمر الدّين و رفضهم لأسلوب عليّ ﷺ و طريقته في إقامة العدل، و هي طريقة رسول الله ﷺ، و كان ﷺ قد أشار إلى أهمية العدالة في تقسيم المال في أول خطبة خطبها حين اجـتمع إليـه المهاجرون و الأنصار بعد مقتل عثمان، حيث قال ﷺ: «إنّي قد كنتُ كارهاً لأمركم، فأبيتم إلاّ أن أكون عليكم. ألا و إنّه ليس لي أمرٌ دونكم، إلاّ أنّ مفاتيح مالكم معي، ألا و إنّه ليس لي أن آخذ منه درهماً دونكم، رضيتم؟ قالوا: نعم، قال: اللهم اشهد عليهم، ثم بايعهم على ذلك»[2] و لذلك ثارت نائرة الحقد في صـدورهم فأشـعلوا تلك الحروب ضد علي ﷺ.

عدالة عليّ ﷺ شهد بها العدوّ و الصديق

لقد كان عليّ ﷺ مثالاً للعدل و المساواة و عاشقاً للـحقّ و الإنـصاف، و كـان نموذجاً متكاملاً لمحبّة النّاس و الرحمة و الرأفة و الإحسان، و كـانت عـدالتـه ﷺ ذِكراً يلهج به لسان الخاصّ و العامّ و العدوّ و الصديق حتّى كانت كثرة عدله سبباً لقتله ﷺ، و نشير هنا إلى ما قاله البعض في عدله.

١ ـ يقول شبلي شميل ـ و هو من المادّيين ـ في عليّ ﷺ: إنّ عليّ بن أبي طـالب ﷺ إمام بني الانسان و مقتداهم، و لم يرَ الشرق و الغرب نموذجاً يطابقه أبداً لا في

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٩١.

٢. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٤٢٨، حوادث سنة ٣٥.

الغابر و لا في الحاضر.[١]

٢ـ يقول الكاتب المسيحي جبران خليل جبران: قتل عليّ في محراب عبادته لشدّة عدله.[٢]

٣ـ قال ابن الاثير في (أسد الغابة): إنّ زهده و عدله لا يمكن استقصاؤهما.[٣]

٤ـ و قال ابن عبدالبرّ في (الاستيعاب): كان عليّ عليه السلام إذا ورد عليه مال لم يبق منه شيئاً إلاّ قسّمه، و لا يترك في بيت المال منه إلاّ ما يعجز عن قسمته في يومه ذلك، و يقول: يا دنيا غرّي غيري، و لم يكن يستأثر من الفيء بشيء، و لا يخصّ به حميماً و لا قريباً، و لا يخصّ بالولايات إلاّ أهل الدّيانات و الأمانات. و إذا بلغه عن أحدهم خيانة كتب إليه: ﴿قَد جاءتكم موعظةٌ من رَبّكم فأوفُوا الكيلَ و الميزانَ بالقسطِ و لا تَبخَسُوا النّاس أشياءهُم و لا تَعثوا في الأرض مفسدينَ. بقيّةُ الله خيرٌ لكم إن كُنتم مؤمنينَ وَ مَا أنا عليكم بحفيظ﴾[٤] إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتّى نبعث إليك من يتسلّمه منك» ثمّ يرفع طرفه إلى السّماء فيقول: «اللهمّ إنّك تعلم أنّي لم آمرهم بظلم خلقك و لا بترك حقّك».[٥]

٥ـ روى ابن أبي الحديد، عن عليّ بن محمّد بن أبي يوسف المدائني، عن فضيل بن الجَعد، قال: آكدُ الأسباب في تقاعد العرب عن أمير المؤمنين عليه السلام، أمر المال، فإنّه لم يكن يُفضّل شريفاً على مشروف و لا عربيّاً على عجميّ، و لا يُصانع الرؤساء و أمراء القبائل كما يَصنع الملوك، و لا يستميل أحداً إلى نفسه، و كان معاوية بخلاف

١. انظر الإمام عليّ صوت العدالة الانسانية، ج ١، ص ٧.

٢. ملحمة الشمس هادي دستباز، ص ٣٢٩.

٣. أُسد الغابة في معرفة الصحابة، ج ٤، ص ٢٥.

٤. الآيات من سوره (يونس، ٥٧؛ الأعراف، ٨٥؛ الشعراء، ١٨٣؛ هود، ٨٦).

٥. الاستيعاب بهامش الاصابة، ج ٣، ص ٤٨.

ذلك فترك النّاس عليّاً و التحقوا بمعاوية.[١]

٦ـ قال سيدقطب: لقد جاء عليّ ﷺ ليدخل نظرية الإسلام في الحكم في قلوب القادة و النّاس من جديد و ليطبقها عملياً... جاء ليأكل خبز الشعير الّذي طحنته زوجته بيديها، و يختم على جرابه و يقول: «لا أُحبّ أن آكل ما لا أعلم»... و ربما باع سيفه ليشتري بثمنه غذاءً و لباساً، و أبى أن يسكن القصور الزاهية الفخمة.[٢]

أقول: حقيق أن يقال: إنّ عليّاً ﷺ ليس إمام زمانه فقط، بل هو مقتدى الأجيال و القرون، و هو التلميذ الأوّل لرسول الله ﷺ و المعلّم الثّاني للأُمم طول التأريخ.

و لو كان عليّ ﷺ يمشي وراء السياسة لعرفه التأريخ رجلاً سياسيّاً فحسب، و ما كانت الملوك و العظماء، يطأطئون هاماتهم أمام عدالته و عظمته، و ينظرون إليه نظرة التقدير و التقديس، كما أنشأت سودة بنت عمارة الهمدانية عند معاوية أعدى عدوّه:

صلّى الإله على روح تضمّنها — قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحقّ لا يبغي به بدلاً — فصار بالحقّ و الإيمان مقرونا[٣]

صور من عدله ﷺ على مدى حكومته

و من أجل نتعرّف أكثر على عدل الامام عليّ ﷺ و لترسم هذه الحقيقة بأجلى صورها نشير إلى موارد توضّح صورة تلك العدالة:

منها: صادر كلّ الأموال الموهوبة بغير حقّ في عهد عثمان

عندما تسلّم عليّ ﷺ زمام حكومة المسلمين بعد عثمان صادر كلّ الأموال

---

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ١٩٧.

٢. العدالة الاجتماعية في الاسلام لسيد قطب.

٣. بلاغات النساء، ص ٤٨.

الموهوبة بغير حقّ إلى طبقة الأشراف، و قد بيّن سياسته للنّاس عبر خطبته الّتي يقول فيها (فيا ردّه على المسلمين من قطائع): «و الله و لو وَجَدتُهُ قَد تُزوّجَ به النساء و مُلِكَ به الاماءُ لَرَدَدْتُهُ، فإنّ في العدل سعةً، و من ضاق عليه العدل فالجورُ عليه أضيَق».[1]

روى ابن أبي الحديد المعتزلي في ذيل هذه الخطبة، عن ابن عبّاس: أنّ عليّاً عليه السلام خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة، فقال: «ألا إنّ كلّ قطيعة[2] أقطعها عثمان و كلّ مالٍ أعطاه من مالِ الله، فهو مردودٌ في بيت المال، فإنّ الحقّ القديم لا يُبطله شيء، و لو وجدتُه قد تزوّج به النّساء، و فُرّق في البلدان لرددتُه إلى حاله، فإنّ في العدل سعة، و من ضاق عنه الحقّ فالجور عليه أضيق[3]» إلى أن قال: قال الكلبي: ثمّ أمر عليه السلام بكلّ سلاح وجد لعثمان في داره، ممّا تقوّى به على المسلمين فقبض، و أمر بقبض لجائب كانت في داره من إبل الصدقة فقبضت، و أمر بقبض سيفه و درعه، و أمر ألّا يعرض لسلاح وُجد له لم يقاتل به المسلمين، و بالكفّ عن جميع أمواله الّتي وجدت في داره و في غير داره، و أمر أن تُرتجع الأموال الّتي أجاز بها عثمان حيث أُصيبت أو أُصيب أصحابها.

فبلغ ذلك عمرو بن العاص، و كان بأيلة من أرض الشام، أتاها حيث وثب النّاس على عثمان فنزلها، فكتب إلى معاوية: ما كنت صانعاً فاصنع، إذ قشرك ابن

١. نهج البلاغة، ص ٥٧، الخطبة ١٥.

٢. القطائع: ما يقطعه الامام بعض الرعية من أرض بيت المال ذات الخراج و يُسقط عنه خراجه و يجعل عليه ضريبة يسيرة عوضاً عن الخراج، و قد كان عثمان أقطع كثيراً من بني أُميّة و غيرهم من أوليائه و أصحابه قطائع من أرض الخراج على هذه الصورة. شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٦٩.

٣. تفسير هذا الكلام: أنّ الوالي اذا ضاقت عليه تدبيرات أُموره في العدل فهي في الجور أضيق عليه لأنّ الجائر في مظنّة أنّ يُمنعَ و يُصدّعن جوره، شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٧٠.

أبي طالب من كلّ مالٍ تملكه كما يُقشر عن العصا لحاها.[١]

و منها: إطفاؤه السراج لأنّ زيته من بيت المال

قال الكشفي الحنفي في المناقب المرتضويّة: كان أميرالمؤمنين ﷺ قد دخل ليلة في بيت المال يكتب قسمة الأموال، فورد عليه طلحة و الزّبير، فأطفأ ﷺ السراج الّذي بين يديه، و أمر بإحضار سراج آخر من بيته، فسألاه عن ذلك؟

فقال ﷺ: «كان زيته من بيت المال، لا ينبغي أن نصاحبكم في ضوئه».[٢]

خطابه الى عمّاله، و عتابه لهم بما بدر منهم

في هذا المجال خطابات كثيرة نشير إلى نبذة منها رعاية للإختصار:

منها: من كتاب له إلى مصقلة بن هبيرة

في (نهج البلاغة) من كتاب له ﷺ إلى مصقلة بن هبيرة الشيباني، و هو عامله على أردشير خرّه[٣]: «بلغني عنك أمرٌ إن كنتَ فعلته فقد أسخطتَ إلهك و أغضبتَ إمامك، إنّك تقسم فيءَ المسلمين الّذي حازته رِماحُهُم و خُيولُهُم، و أُريقَتْ عليه دماؤُهُم فيمن اعتامَك[٤] من أعراب قَومِك، فوالّذي فَلَقَ الحبّة و برأ النَّسَمةَ لئن كان ذلك حقّاً لَتجِدنَّ بك عليَّ هواناً وَلَتخِفَّنَّ عندي ميزاناً. فلا تَستَهِن بحقِّ ربّك، وَلا تُصْلِح دُنياك بِمَحْقِ دِينكَ، فَتَكُونَ من الأخسرينَ أعمالاً. ألا و إنّ حقَّ مَن قِبَلَكَ[٥] وَ قِبَلَنا مِنَ المُسلمينَ في قِسْمَةِ هذا الفَيء سواءٌ، يَرِدُونَ عِندي عَليه، و

---

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٦٩.

٢. المناقب المرتضوية للكشفي الحنفي، ص ٣٦٥.

٣. أردشير خرّة: كورة من كور فارس، و الظاهر أنّه ما يسمّى في عصرنا (فيروز آباد).

٤. اعتامك: اختارك من بين النّاس، أصله من العيمة بالكسر، و هي خيار المال.

٥. القبل بكسر ففتح: ظرف بمعنى عند.

يَصْدُرُونَ عنه».[١]

و منها: من كتاب له إلى عثمان بن حنيف و هو عامله على البصرة

قد كان عليّ ﷺ يراقب أعمال ولاته مراقبة شديدة حتّى إنّه لمّا بلغه أنّ واليه على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري قد أجاب دعوة جماعة من أهل البصرة إلى وليمة فيها ألوان الطعام فتناول منها شيئاً، و في البصرة فقراء محتاجون منعوا من حضورها، أرسل إليه كتاباً يوبّخه فيه: «أمّا بعد ـ يابن حنيف ـ فَقَد بَلَغني أنّ رَجُلاً مِن فِتيَة أهل البَصرة دَعاك إلى مأدبةٍ، فأسرعتَ إليها تُستطابُ لَك الألوان، و تُنقلُ إليك الجِفان، و ما ظَننتُ أنّك تُجيبُ إلى طعام قومٍ عائلُهم[٢] مجفوٌّ و غَنيُّهم مَدْعوٌّ، فانظُر إلى ما تَقضِمُه مِن هذا المقضَم، فما اشتَبَه عَلَيك عِلمُه فَالفِظهُ[٣]، و ما أيقَنت بِطيبِ وَجْهه فَنَلْ مِنه، ألا و إنّ لِكلِّ مأموم إماماً يَقتَدي بِه وَ يَستضيء بِنورِ عِلمِه، ألا و إنّ إمامَكم قَدِ اكْتفَى مِن دُنياه بِطِمرَيه[٤]، و مِن طُعمِه[٥] بقُرصَيه، ألا و إنّكُم لا تَقدِرُونَ على ذلك، وَلكِن أعينوني بِوَرعٍ وَاجتهادٍ، وَ عِفَّةٍ و سَدادٍ، فو الله ما كَنَزْتُ من دُنياكُم تِبراً[٦]، و لا ادَّخرتُ من غَنائِمها وفراً[٧]، و لا أعددتُ لِبالي ثَوبي طمراً [و لا حُزتُ من أرضها شِبراً، و لا أخذتُ مِنه إلّا كقوتِ أتان دَبِرة،[٨] و هي

١. نهج البلاغة، الكتاب ٤٣.

٢. عائلهم: محتاجهم.

٣. الفظه: اطرحه.

٤. الطمر بالكسر: الثوب الخلق البالي.

٥. طُعمه بضم الطاء: ما يطعمه و يفطر عليه.

٦. التبر: بالكسر فالسكون، فتات الذهب و الفضة قبل أن يصاغ.

٧. الوفر: المال.

٨. الاتان الدبرة، هي الّتي عقر ظهرها فقلّ أكلها.

في عنقي أوهى و أهون من عفصةٍ مقرةٍ[۱]].[۲]

و روي في شرح الإحقاق عن (ذخيرة الملوك للهمداني، ص ۱۰۲) أنّ عليّاً ﷺ ـ بعد إرسال الكتاب إلى عثمان بن حنيف ـ عزله عن الحكومة.[۳]

و منها: توبيخه ﷺ أبا رافع لإعارته بنته ﷺ عقد لؤلؤ من بيت المال

روى ابن الأثير في التاريخ: كان أبو رافع[٤] مولى رسول الله ﷺ خازناً لعليّ ﷺ على بيت المال، فدخل عليّ يوماً و قد زُيّنت ابنتُه، فرأى عليها لؤلؤة كان عرفها لبيت المال، فقال: «من أين لها هذه؟ لأقطعنّ يدها!» فلمّا رأى أبو رافع جدّه في ذلك، قال: أنا و الله يا أميرالمؤمنين زيّنتُها بها، فقال عليّ ﷺ: «لقد تزوّجت بفاطمة، و ما لي فراش إلاّ جلد كبش ننام عليه بالليل، و نعلف عليه ناضحنا بالنهار، و ما لي خادم غيرها».[٥]

و روى الطبري في التاريخ بسنده عن عباس بن الفضل، عن أبيه، عن جدّه ابن أبي رافع، نحوه.[٦]

عليّ ﷺ مع أخيه عقيل و قصة الحديدة المحماة

عندما طلب منه أخوه عقيل أن يزيد في عطائه من بيت المال، أحمى له حديدة

---

۱. مقرة: مُرّة.

۲. نهج البلاغة، الكتاب ٤٥؛ و بين المعقوفين من شرح ابن أبي الحديد، ج ١٦، ص ٢٠٥.

۳. الاحقاق، ج ۸، ص ٥٤٩.

٤. أبو رافع مولى رسول الله ﷺ و اسمه إبراهيم، أو أسلم، أو هرمز، أو ثابت، كان عبداً للعبّاس بن عبدالمطلب، فوهبه للنبيّ ﷺ، فلمّا بشّر النبيّ ﷺ باسلام العباس، عتقه النبيّ، و كان من المخلصين له و صار من شيعة أميرالمؤمنين و خواصّه، و كان صاحب خزائن بيت المال في عهده ﷺ.

٥. الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٤١.

٦. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١١٩.

و قرّبها منه، و من أجل أن يفهم أخاه أنّه يرفض الظلم و الجور قال: «و الله لأن أبيت على حَسكِ[١] السَعدان[٢] مُسهَّداً[٣] وأُجرَّ في الأغلال مُصَفَّداً[٤] أحبُّ إليَّ مِن أن ألقى الله و رسولهُ يوم القيامة ظالماً لبعض العباد، و غاصباً لشيءٍ من الحُطام، و كَيفَ أظلم أحداً لنفسٍ يُسرِعُ إلى البلى قُفولها[٥]، و يطول في الثرى[٦] حلولها؟!»

ثمّ قال عليه السلام: «و الله لقد رأيت عقيلاً و قد أملق[٧] حتّى استماحني[٨] من بُرّكم صاعاً، و رأيت صبيانه شُعث[٩] الشُعور، غُبر[١٠] الألوان مِن فَقرهم، كأنّما سُوّدت وجوهُهُم بالعِظْلم [١١]، و عاوَدني موكّداً، و كرَّر عليَّ القولَ مُردِّداً، فأصغيتُ إليه سمعي، فظنّ أنّي أبيعُه دِيني، و أتّبع قياده[١٢] مُفارِقاً طريقتي، فأحميت له حديدةً ثمّ أدنيتها من جِسمه ليعتبر بها، فَضجَّ ضجيج ذي دنفٍ[١٣] من ألمها، و كاد أن يحترق من مِيسمها.[١٤]

---

١. الحسك: الشوك.

٢. السعدان: نبت ترعاه الابل له شوك.

٣. المسهد من سهده: إذا أسهره.

٤. المصفّد: المقيّد.

٥. قفولها: رجوعها.

٦. الثرى: التراب.

٧. أملق: افتقر أشدّ الفقر.

٨. استماحني: استعطاني.

٩. شُعث جمع أشعث: و هو الذي تلبّد شعره بالوسخ.

١٠. الغبر: جمع أغبر متغير اللون شاحبه.

١١. العظلم كزبرج: سواد يصبغ به.

١٢. القياد: ما يقاد به كالزمام.

١٣. الدنف: المرض.

١٤. الميسم، المكواة. من ميسمها: من أثرها في يده.

فقلت له: ثكلتك الثّواكل[1] يا عقيل، أتئنّ من حديدة أحماها إنسانُها للعبِه، و تجرُّني إلى نار سجّرَها جبّارُها لغضبه؟ أتئنّ من الأذى و لا أئنّ من لظى[2]».

و ساق كلامه ﷺ إلى أن قال: «و الله لو أُعطيت الأقاليم السبعة بما تحت أفلاكها على أن أعصي الله في نملةٍ أسلبها جلب شعيرةٍ[3] ما فعلتُه، و إنّ دنياكم عندي لأهون من ورقة في فم جَرادةٍ تَقضَمُها، ما لعليٍّ و لنعيمٍ يفنى، و لذةٍ لا تبقى، نعوذ بالله من سُبات[4] العقل و قُبحِ الزّلل[5] و به نستعينُ».[6]

نبذة من أخبار عقيل و قصته مع معاوية

قال ابن أبي الحديد: و اختلف النّاس في عقيل، هل التحق بمعاوية و أمير المؤمنين حيّ؟. فقال قوم: نعم، و رووا أنّ معاوية قال يوماً و عقيل عنده: هذا أبو يزيد، و لو لا علمه أنّي خير له من أخيه، لما أقام عندنا و تركه.

فقال عقيل: أخي خير لي في ديني، و أنت خير لي في دنياي، و قد آثرت دنياي، أسأل الله خاتمة خير.

و قال قوم: إنّه لم يعُد إلى معاوية إلاّ بعد وفاة أمير المؤمنين ﷺ، و استدلّوا على ذلك بالكتاب الذي كتبه إليه في آخر خلافته، و الجواب الّذي أجابه ﷺ، قال ابن أبي الحديد: و هذا القول هو الأظهر عندي.[7]

---

١. الثواكل: النّساء.

٢. لظى: اسم جهنم.

٣. جُلب الشعيره: قشرها.

٤. سُبات العقل: نومه.

٥. الزلل: السقوط في الخطأ.

٦. نهج البلاغة، الخطبة ٢١٥.

٧. شرح ابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٢٥٠ـ٢٥٢.

سؤال معاوية لعقيل عن قصّة الحديدة المحماة

سأل معاوية عقيلاً عن قصّه الحديدة المحماة المذكورةُ. فقال: نعم أقويت[١] و أصابتني مخمصة شديدة، فسألته فلم تندّ صفاتُه، فجمعت صبياني و جئته بهم و البؤس و الضرّ ظاهران عليهم، فقال: «ائتني عشيّةً لأدفع إليك شيئاً» فجئته يقودني أحد ولدي، فأمره بالتنحّي، ثمّ قال: «ألا فدونك» فأهويت حريصاً قد غلبني الجشع أظنّها صرّة، فوضعتُ يدي على حديدة تلتهب ناراً، فلمّا قبضتها نبذتها و خُرتُ كما يخور الثور تحت يد جازره، فقال لي: «ثكلتك أمّك! هذا من حديدة أوقدت لها نار الدنيا، فكيف بك و بي غداً إن سُلكنا في سلاسل جهنّم!» ثمّ قرأ:﴿إذ الأغلالُ في أعناقِهِم و السَّلاسِلُ يُسحَبُونَ﴾[٢] ثمّ قال: «ليس لك عندي فوق حقّك الذي فرضه الله لك إلاّ ما ترى، فانصرف إلى أهلك» فجعل معاوية يتعجّب، و يقول: هيهات هيهات! عقمت النساء أن يلدن مثله![٣]

سيرة عليّ عليه السلام مع قاتله و وصيّته له بالعدل و الإنصاف

في (نهج البلاغة): من كتاب له عليه السلام في وصيّته للحسن و الحسين عليهما السلام لمّا ضربه ابنُ ملجم (لعنه الله)، قال: «يا بَني عبدالمطلب، لا أُلفينّكم تخوضون دماء المسلمين خوضاً، تقولون قُتِلَ أمير المؤمنين، ألا لا يُقْتلنَّ بي إلاّ قاتلي.

انظروا إذا أنا متُّ من ضربتي هذه فاضربوه ضربةً بضربة، و لا يُمَثَّلُ بالرجل، فإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إيّاكم و المُثلة و لو بالكلب العقور».[٤]

وروى ابن الصبّاغ المالكي في (الفصول المهمّة): لمّا جيء بابن ملجم في المسجد

---

١. أي افتقرت.

٢. سوره غافر، ٧١.

٣. شرح ابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٢٥٣.

٤. المصدر السابق، الكتاب ٤٧، الرياض النضرة، ج ٣، ص ٢٣٨.

نظر إليه عليّ ﷺ ثمّ قال: «النفس بالنفس، إن أنا متُّ فاقتلوه كما قتلني، و إن سلمت رأيت رأيي فيه».[١]

خاتمة

إذا أردنا التعرّض نماذج لعدالته ﷺ لا حتجنا إلى مجلّدات طوال، و إنّما نقول: إنّ العدالة كانت نصب عينه، و ملأت وجوده و كيانه. فقد كان الامام ﷺ يرى أنّه «في العدل صلاح البريّة».[٢]

و قال ﷺ: «في العدل الاقتداء بسنّة الله و ثبات الدول».[٣]

و قال ﷺ: «في العدل الاحسان».[٤]

و قال ﷺ: «العدل حياة و الجور هلاك».[٥]

لقد كان ﷺ يسدّ جوعته بكسرة خبز يابسة و يأتدم الملح ليكون مستوى معيشته كأضعف الناس، فإنّه يقول: «إنّ الله فرض على أئمّة العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعفه الناس كيلا يتبيّغ بالفقير فقرُهُ».[٦]

إنّ هذا السلوك لا يمكن أن يصدر من غير عليّ ﷺ ، فهو نتاج تربية الرّسول الأكرم ﷺ . قد أشار ﷺ إلى ذلك بأنّ الرّسول قد احتضنه طفلاً و ربّاه كما في خطبته ﷺ القاصعة.[٧]

---

١. الفصول المهمّة، ص ١٣٤.

٢. غرر الحكم، ج ٤، ص ٤٠٢، ح ٦٤٩١

٣. نفس المصدر، ج ٤، ص ٤٠٣، ح ٦٤٩٦.

٤. نفس المصدر، ج ٤، ص ٤٠١، ح ٦٤٨٢.

٥. نفس المصدر، ج ١، ص ٦٤ ـ ٥٧، ح ٢١٦ و ٢٤٦.

٦. نهج البلاغة، الخطبة ٢٠٠.

٧. المصدر السابق الخطبة ٢٣٤، المعروفة بالقاصعة و هي طويلة و محل الشاهد منها، ص ٨٠٢ من المصدر.

نعم إنّ عدالة عليّ عليه السلام الّتي نشأت من العدل الالهي وسعيه لتطبيقها، قد أصبحت نموذجاً واضحاً لكلّ القادة و طلاّب العدالة على مرّ القرون، و مصداقاً مُشرّفاً للانسان المسلم المتكامل الّذي يستطيع أن يكون قدوة في جميع المجالات و خاصّة في مجال الحكومة، و نرى ذلك القدوة العظيمة يعرّف نفسه بقوله: «إنّما مثلي بينكم مَثلُ السّراج في الظُّلمة يستضيء به مَن ولجها، فاسمعوا ـ أيّها النّاس ـ وعوا، و أحضروا آذان قُلوبكم تَفهمُوا».[1]

و أخيراً أشير إلى كلمة لجورج جُرادق يقول فيها: «ما ضرك أيّتها الأيام لو جمعت قواك و طاقاتك فأنجبت في كلّ زمان إنساناً كعليّ عليه السلام في عقله و روحه و نفسه، في كلامه و بيانه، و في قوّته و شجاعته».[2]

---

١. المصدر السابق، ص ٧٤٦، الخطبة ٢٢٩.

٢. الإمام عليّ صوت العدالة الانسانية، ج ١، ص ٤٩.

المساواة أمام القانون

الفرق بين القانون الإسلامي و غيره

إمتاز قانون الإسلام عن غيره بأنّه لا يفرّق بين أفراد المجتمع و الطبقات في القوانين الحقوقية والجزائية المترتّبة عليهم، و لا فرق فيه بين الرئيس و المرؤوس، و الراعي و الرعية، و القوي و الضعيف، و العربي و الأعجمي، و الأبيض و الأسود، و الغني و الفقير، بل القانون للجميع واحد، و الحاكم واحد و المحكمة أيضاً واحدة، نعم من كان متّقياً و رعاً فإنّه يتمتع بكرامة و قدسية و منزلة معنوية،إلاّ أنّ ذلك لا يؤثّر في سراية القانون عليه. قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ﴾.[1]

و في تفسير القرطبي عن أبي نضرة، قال: حدّثني من شهد خطبة رسول الله ﷺ بمنى في وسط أيّام التشريق و هو على بعير فقال: «يا أيّها النّاس، ألا إنّ ربّكم واحد، و إنّ أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، و لا لعجمي على عربي، و لا لأسودٍ على أحمر، و لا لأحمر على أسود إلاّ بالتقوى، ألا هل بلّغتُ؟» قالوا: نعم، قال: «ليبلّغ الشاهدُ الغائب».[2]

نعم المراكز و المناصب في الاسلام لا تنال إلاّ بالقابليّات، و لا تمنح جزافاً، و أمّا القوانين فإنّها شاملة للجميع على حدّ سواء، و لا يوجب الاختلاف في النسب أو اللّون أو الوطن أو اللغة أو المنصب تفاوتاً في المسؤولية أمامها.

قال رسول الله ﷺ: «لن تُقدّس أمّة لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القوي غير متعتع».[3]

---

١. حجرات، ١٣.

٢. تفسير القرطبي، ج ١٦، ص ٣٤٢.

٣. شرح نهج البلاغه الكتاب، ٥٣. التقديس: التطهير. غير متعتع: أي غير مضطرب.

و في صحيح البخاري: في كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحدّ بسنده: عن عروة عن عائشة: أنّ قريشاً أهمّتهم المرأة المخزومية الّتي سَرَقَت. فقالوا: مَن يُكَلّم رسول الله ﷺ وَمَن يَجتري، عليه إلاّ أُسامة حِبُّ[1] رسول الله ﷺ. فكلّم رسول الله ﷺ. فقال رسول الله: «أتشفع في حدٍّ من حدود الله؟» ثمّ قام فخطب، قالَ: «يا أيّها النّاسُ، إنّما ضلَّ مَنْ قَبلكُمْ إنّهم كانوا إذا سَرَق الشريف تَركوه، و إذا سرق الضّعيف فيهم أقاموا عليه الحدّ، و أيمُ الله لو أنَّ فاطمة بنت محمّد سَرَقَتْ لقطع محمّدٌ يدها».[2]

نماذج من مساواة عليّ عليه السلام مع الآخرين أمام القانون

بعد ما مرّ من المقدمة في امتياز قانون الإسلام عن سائر الفرق في المساواة أمام إجراءات القانون، نعطف الكلام في ما يظهر من عمل عليّ بن أبي طالب عليه السلام أمام القانون، الّذي يُعجب العدوّ و يعتزّ به الصديق، و في هذا المجال موارد كثيرة، و قد تعرضنا في البحث المتقدّم إلى ما يناسب هذا العنوان أيضاً، و نشير هنا إلى نماذج منها توخّياً للاختصار:

قصّة درعه الّذي كان عند النّصراني

قال العقاد في عبقرية الامام عليه السلام: وَجد دِرعه عند رجلٍ نصرانيّ، فأقبل به إلى شريح ـ قاضيه ـ يخاصمه مخاصمة رجل من عامّة رعاياه، و قال: «إنّها درعي، و لم أبع و لم أهب».

فسأل شريحٌ النصرانيَّ: ما تقول فيما يقول أميرالمؤمنين عليه السلام؟.

قال النصرانيّ: ما الدّرعُ إلاّ درعي، و ما أميرالمؤمنين عندي بكاذب. فالتفت

---

١. حِبّ بكسر الأول: حبيب.

٢. صحيح البخاري بشرح الكرماني، ج ٢٣، ص ١٨٩، ح ٦٣٨٦.

شريح إلى عليّ ﷺ يسأله: يا أميرالمؤمنين، هل من بيّنة؟! فضحك عليّ ﷺ و قال: «أصابَ شريح، مالي بيّنة!»... فقضى بالدّرع للنصرانيّ، فأخذها و مشى و أميرالمؤمنين يَنظر إليه، إلاّ أنّ النصرانيّ لم يخط خطوات حتّى عاد يقول: أما أنا فأشهدُ أنّ هذه أحكام أنبياء الله، أميرالمؤمنين يدينني إلى قاضيه يقضي عليه!!، أشهد أن لا إلهَ إلاّ الله و أنّ محمّداً رسول الله، و الدّرع و الله درعك يا أميرالمؤمنين، أتبعت الجيشَ و أنتَ منطلق إلى صفّين فسقطت من بعيرك الأورق.

فقال: أما إذا أسلمت فهي لك، و شهد النّاس هذا الرجل بعد ذلك و هو من أصدق الجند بلاءً في قتال الخوارج يوم النهروان.[1]

و روى نحوه مع تفاوت في بعض ألفاظه ابن الأثير في الكامل.[2]

اعتراضه على عمر لأنّه كنّاه و لم يكنّ خصمه

روى الموفق بن أحمد الخوارزمي بالاسناد عن عبدالله بن عباس، قال: استعدى رجل على عليّ بن أبي طالب ﷺ إلى عمر بن الخطاب، و كان علي جالساً في مجلس عمر بن الخطاب، فالتفت عمر إلى علي ﷺ فقال: قُم يا أباالحسن، فاجلس مع خصمك. فقام علي ﷺ فجلس مع خصمه فتناظرا، و انصرف الرجل و رجع علي ﷺ إلى مجلسه فجلس فيه، فتبيّن عمر التغيّر في وجهه، فقال له: يا أبا الحسن، مالي أراك متغيّراً، أكرهت ما كان؟ قال: نعم، قال: و لم ذاك؟ قال: لأنك كنّيتني بحضرة خصمي، فألا قلت: قم يا علي فاجلس مع خصمك؟ فأخذ عمر رأس علي ﷺ فقبّل بين عينيه، ثم قال: بأبي أنتم، بكم هدانا الله، و بكم أخرجنا من الظلمات إلى النور.[3]

---

١. عبقرية الإمام، ص ٤٦.

٢. الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٤٠١.

٣. المناقب: الفصل السابع، ص ٩٨، ح ٩٩.

و رواه ابن أبي الحديد في شرح النهج.[١]

خصم قيمة العسل من ابنته عليها السلام

روى المحبّ الطبري عن عمرو بن يحيى، عن أبيه، قال: أهدى أخي إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام أزقاق سمن و عسل فرآها قد نقصت، فسأل فقيل: بعثت أمّ كلثوم فأخذت منه، فبعث إلى المُقوِّمين، فَقَوَّمُوا خمسة دراهم، فبعث إلى أُمّ كلثوم: ابعثي لي بخمسة دراهم، و قال: أخرجه في الصفوة.[٢]

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ١٧، ص ٦٥.

٢. ذخائر العقبى، ١٠٨.

سيرته ﷺ في بيت المال

لمّا بايع الناس علياً بالخلافة، أعلن ما يمكن أن نسمّيه في عصرنا الحاضر بالثورة الشاملة ضِد الأوضاع الاجتماعية التي كانت على عهد عثمان، و عزمه الأكيد على تغيير الأوضاع الجديدة التي حيزت فيها الأموال بغير حق، و العودة إلى نظام المساواة الذي قرّره الإسلام، و طبّقه رسول الإسلام ﷺ، و من كلماته الشهيرة التي تُعبّر عن عزمه على ذلك قبل تولّيه الخلافة الظاهرية قوله:

«لَو قد أَستَوَتْ[1] قَدَمَاي مِن هَذِهِ المَدَاحِضِ[2] لَغَيَّرْتُ أشياءَ».[3]

هذه واحدة من كلماته ﷺ الملتهبة بالأسف على الإسلام و المسلمين حيث حرّفوا مجرى أحكام الدين، و غيّروا الحقائق باتّباع الهوى، أو بسبب الجهل بها، و هو يتحرّق لهذا الانحراف و الانعطاف الجاهلي الّذي يَرجع بالإسلام القهقرى، و يوقف سيره نحو الدّرجات العلى، فما لبث رويداً حتّى ظهر بأسهم بينهم، و تفرّقوا مذاهب شتّى، و في موقف آخر يبدي سخطه ﷺ لاحتكار بني أُميّة الثروة الإسلامية و يتوعّدهم قائلاً حين منعه سعيد بن العاص حقّه: «إنّ بني أُميّة لَيُفَوِّقُونَني[4] تُراثَ مُحَمَّدٍ ﷺ تفويقاً، و الله لَئن بَقيتُ لَهُم لأنفضَنَّهُمْ نَفْض اللَّحّام الوذامَ[5] التَّرِبَة».[6]

---

١. استوت قدماي: كناية عن تثبيت حكومته و دفع مخالفيه.

٢. المداحض: المزالق الّتي لا تثبت عليها القدم.

٣. نهج البلاغة، قصار الحكم ٢٦٤.

٤. ليفوقونني: يعطونني من المال قليلاً كفواق الناقة، و هو الحلبة الواحدة من لبنها.

٥. الوذام: و هي الحزة و القطعة من الكرش أو الكبد تقع في التراب فتنفض.

٦. نهج البلاغه، الخطبة ٧٦.

لقد كانت قطائع و أراضي جعلها عمر ملكاً خاصّاً لبيت المال، ثمّ جاء عثمان فأقطعها لأوليائه و أعوانه و ولاته و أهل بيته، فلمّا جاء عليّ عليه السلام ألغى تصرفات عثمان هذه، و قرّر ردّها إلى ملكيّة الدّولة الاسلامية و حوزة بيت المال، و قال: «و الله لو وجدته ـ المال ـ قد تُزوّج به النساء، و ملك به الإماء لرددتُه، فإنّ في العدل سعة، و من ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق».[1]

و في العطاء أحدث عليه السلام تغييراً ثوريّاً، لعلّه كان من أخطر التغييرات الثوريّة الّتي قرّرها، و الّتي أراد بها العودة بالمجتمع إلى روح التجربة الثورية الاسلامية الأُولى، و العطاء هو نظام قسمة الأموال العامّة بين النّاس جنوداً كانوا أم غيرهم، و سواء كانوا من أصل عربيّ أو كانوا من الموالي، أو غير ذلك.

و لمّا جاء عمر بن الخطاب ألغى نظام التسوية بين النّاس في العطاء، ثمّ كان عهد عثمان الّذي أقرّ القانون السابق، ثمّ سار على دربه أشواطاً و أشواطاً، حتّى أصبح الاختلاف الطبقي نظاماً بشعاً، بلغت بشاعته حدّاً جعل النّاس يثورون على عثمان، ثمّ انتهت ثورتهم بقتله و تولية أمير المؤمنين عليّ عليه السلام خليفةً للمسلمين.

و من هنا كان قرار عليّ عليه السلام بالعدول عن تمييز النّاس في العطاء و العودة إلى نظام المساواة قراراً من أخطر قراراته الثورية، و لذا اعترضوا على موقف عليّ عليه السلام.

و كان أوّل من اعترض عليه عليه السلام طلحةُ بن عبيدالله، و الزبير بنُ العوّام، و عبدالله بن عمر، و سعيد بن العاص، و مروان بن الحكم، و رجال من قريش و غيرها، و لقد بلغوا في معارضتهم لقرار التسوية هذا حدّ نقض بيعتهم لعليّ عليه السلام، و إعلان الحرب عليه تحت ستار الطلب بدم عثمان، مع أنّهم هم الذين تقدّموا النّاس في الثورة على عثمان؟!.

لكن عليّ عليه السلام ثبت على موقفه و لم يغيّر ما عزم عليه، و لذا لمّا عاتبه بعض أصحابه على التسوية في العطاء و طلبوا تمييزاً للبعض ارضاءً للخصوم، قال عليه السلام:

---

١. المصدر السابق، الخطبة ١٥.

«أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليّتُ عليه؟! و الله لا أطورُ به[١] ما سمر سميرٌ و ما أمّ نجمٌ في السماء نجماً، و لو كان المال لي لسوّيتُ بينهم، فكيف و إنّما المالُ مالُ الله؟!».

ثمّ قال ﷺ: «ألا و إنّ إعطاء المال في غير حقّه تبذيرٌو إسرافٌ، و هو يَرفع صاحبَهُ في الدّنيا، و يَضَعُهُ في الآخرة،و يُكرِمُه في النّاس، و يُهينُهُ عندَ الله، و لم يَضَع امرؤٌ مالَهُ في غيرِ حَقّه، و عند غيرِ أهلِهِ، إلاّ حَرَمَهُ الله شُكْرَهُمْ، و كان لِغَيرِهِ وُدُّهم، فإن زَلّتْ بِه النّعلُ يوماً فاحتاجَ إلى مَعُونَتِهم فشرُّ خَدينٍ و ألأم خليلٍ».[٢]

صور من سيرته ﷺ في حفظ بيت المال

و قد ورد في الحديث و الأثر بعض الأقوال عن سيرة عليّ ﷺ في حفظ بيت المال نذكر نماذج منها تكميلاً للبحث.

إذا أورد عليه مال، لم يبق منه شيئاً إلاّ قسّمه

في الاستيعاب لابن عبد البرّ المالكي: و إذا أورد عليه مال لم يبق منه شيئاً إلاّ قسّمه، و لا يترك في بيت المال منه إلاّ ما يعجز عن قسمته في يومه ذلك، و يقول: «يا دنيا غُرّي غيري».

و لم يكن يستأثر من الفيء بشيء، و لا يخصُّ به حَمِيماً و لا قريباً، و لا يخصّ بالولايات إلاّ أهل الدّيانات و الأمانات.

و إذا بلغه عن أحدهم خيانة كتب إليه: «﴿قد جاءتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِن ربّكُم[٣] فأوفُوا

---

١. أي لا أقربه و لا أفعله.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ١٢٦ و هذا البحث مستفاد من (دائرة المعارف الإسلامية الشيعية) للسيد حسن الأمين، ج ١، ص ١٣٦.

٣. يونس، ٥٧.

الْكَيْلَ و الميزانِ بالقِسْطِ[١] وَ لاَ تَبخَسُوا النّاس أشيَاءهم وَ لا تَـعْثوا في الأرْضِ مُـفْسِدينَ بَـقيَّةُ الله خيرٌ لكُم إن كُنتُم مؤمنين وَ مَا أنَا عَلَيكُم بحفِيظ﴾[٢]، إذا أتاك كتابي فاحتفظ بما في يدك من أعمالنا حتّى نبعث إليك من يتسلّمه»، ثمّ يرفع طرفه إلى السماء فيقول: «ألّلـهمّ إنّك تعلم أنّي لم آمرهم بظلم خلقك و لا بترك حقّك».[٣]

عليه خَلَقٌ قطيفة في فصل الشتاء

و في الكامل في التأريخ، عن هارون بن عنترة، عن أبيه، قال: دخلتُ على عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالخورنق و هو فصل شتاء و عليه خَلَقٌ قطيفة، و هو يرعد فيه، فقلت: يا أميرالمؤمنين، إنّ الله قد جعل لك و لأهلك في هـذا المـال نـصيباً، و أنتَ تفعل هذا بنفسك؟

فقال: «و الله ما أرزؤكم شيئاً، و ما هي إلاّ قطيفتي الّتي أخرجتها من المدينة».[٤]

بيعه سيفه ليشتري إزاراً

و في (تذكرة الخواص): خرج عليّ عليه السلام يوماً و معه سيفه ليبيعه، فقال عليه السلام: «مَن يشتري منّي هذا السيف، فو الذي فلَق الحبّة لطالما كشفت به الكـرب عـن وجـه رسول الله صلى الله عليه وآله، و لو كان عندي ثمن إزارٍ لما بعته».[٥]

و في الاستيعاب لابن عبدالبرّ المـالكي، روى الحـديث بعينه عـن أبي حـيان التيمي، عن أبيه، ثمّ زاد في آخره: فقام إليه رجـل فـقال: نسـلفك عـن إزار، قـال

---

١. الانعام، ١٥٢.

٢. هود، ٨٥ و ٨٦.

٣. الإستيعاب بهامش الإصابة، ج ٣، ص ٤٨.

٤. الكامل لابن الاثير، ج ٢، ص ٤٤٢؛ تذكرة الخواص، ص ١٠٨؛

٥. تذكرة الخواص، ص ١٠٩.

عبدالرّزاق: و كانت بيده الدّنيا كلّها، إلاّ ما كان من الشام.[١]

إذا أتاه مال يقسّمه و يقول: يا صفراء...

روى المحبّ الطبري، عن علي بن أبي ربيعة: أن علي بن أبي طالب جاءه ابن التياح، فقال: يا أميرالمؤمنين، امتلأ بيت المال من صفراء و بيضاء. قال: الله أكبر! فقام متوكّئاً على ابن التياح حتى قام على بيت المال، فنودي في الناس، فأعطى جميع ما في بيت المال للمسلمين، و هو يقول: يا صفراء يا بيضاء، غرّي غيري، هاوها، حتى ما بقي منه دينار و لا درهم، ثم أمر بنضحه، فصلّى فيه ركعتين. قال: أخرجه أحمد في المناقب، و المُلاّ و صاحب الصفوة.[٢]

إذا أتاه مال يكنس بيت المال و...

و في شرح ابن أبي الحديد، قال: و هو [عليّ ﷺ] الّذي كان يكنس بيوت الأموال و يصلّي فيها، و هو الّذي قال: «يا صفراء و يا بيضاء غُرّي غيري» و هو الّذي لم يخلّف ميراثاً، و كانت الدّنيا كلّها بيده إلاّ ما كان من الشام.[٣]

قسّم رغيفاً سبعَ كسر بين المستحقين

و في (الاستيعاب) لابن عبدالبرّ، عن عاصم بن كليب، عن أبيه، قال: أتى عليّاً ﷺ مال من أصفهان، فقسّمه سبعة أسباع، و وجد فيه رغيفاً فقسّمه سبع كسر، فجعل على كلّ جزء منه كسرة، ثمّ أقرع بينهم أيّهم يعطى أوّلاً. و كانت الكوفة يومئذ أسباعاً.[٤]

---

١. الإستيعاب بهامش الاصابة، ج ٣، ص ٥٠.

٢. ذخائر العقبى، ص ١٠١؛ الرياض النضرة، ج ٣ و ٤، ص ٢١١.

٣. شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٢.

٤. الإستيعاب بهامش الإصابة، ج ٣، ص ٤٩؛ الغارات، ج ١، ص ٥١؛ الكامل لابن الاثير، ج ٣، ص ٣٩٩ و لفظ الحديث من الاستيعاب.

و قال ابن عبد البرّ: و أخباره في مثل هذا من سيرته لا يحاط بها.

قصة الأترجّة

و عن أبي صالح، قال: دخلت على أمّ كلثوم بنت علي، و إذا هي تمتشط في سترٍ بينها و بيني، فجاء حسن و حسين فدخلا عليها و هي جالسة و هي تمتشط، فقالت: ألا تطعمون أبا صالح شيئاً؟ قال: فأخرجوا لي قصعة فيها مرق بحبوب، قال: فقلت: تطعمون هذا و أنتم أمراء! فقالت أمّ كلثوم: يا أباصالح، كيف لو رأيت أميرالمؤمنين ـ تعني علياً ـ و أُتي بأترجّ، فذهب حسين فأخذ أُوترجّة، فأخذها من يده، ثم أمر به فقسم بين الناس![1]

قلت: و هذا الخبر يدل على مساواته ﷺ بين أولاده و بين سائر الناس أمام القانون و الحقّ و العدل، إضافة إلى دلالته الواضحة على عدله في تقسيم ما يرد إلى بيت المال سالماً صحيحاً دون أدنى نقص أوخلل.

عجب معاوية بقصّة الحسين ﷺ و العسل

وفي‌شرح ابن‌أبي‌الحديد: سأل‌معاوية عقيلاً عن‌قصة الحديدة المُحماة المذكورة آنفا، فبكى، و قال: أنا أُحدّثك يا معاوية عنه، ثمّ أُحدّثك عمّا سألت، نزل بالحسين ابنه ضيفٌ، فاستسلف درهماً اشترى به خبزاً، و احتاج إلى الأدام، فطلب من قنبر خادمهم، أن يفتح له زِقّاً من زِقاق عسل جاءتهم من اليمن، فأخذ منه رطلاً، فلمّا طلبها ﷺ ليقسمها، قال: «يا قنبر، أظنّ أنّه حدث بهذا الزقّ حدثٌ؟!» فأخبره، فغضب ﷺ و قال: «عليّ بحسين!» فرفع عليه الدّرة، فقال حسين: «بحقّ عمّي جعفر» ـ و كان عليّ إذا سئل بحقّ جعفر سكَنَ، فقال له: «ما حملك أن أخذت منه قبل القسمة؟» قال: «إنّ لنا فيه حقّاً، فإذا أُعطيناهُ رددناهُ»، قال: «فداك أبوك! و إن

---

١. الرياض النضرة، ج ٣ و ٤، ص ٢٢١ ؛ ذخائر العقبى، ص ١٠٨ و ١٠٩.

كان لك فيه حقّ، فليس لك أن تنتفع بحقّك قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم، أما لو لا أنّي رأيتُ رسول الله ﷺ يقبّل ثَنيتك لأوجعتُك ضرباً»، ثمّ دفع إلى قنبر درهماً كان مصروراً في ردائه، و قال: «إشتر به خير عسل تقدر عليه».

قال عقيل: و الله لَكأنّي أنظر إلى يدي عليّ، و هي على فم الزقّ، و قنبر يقلب العسل فيه، ثمّ شدّه و جعل يبكي، و يقول: «أللّهمّ اغفر لحسين، فإنّه لم يعلم!».

فقال معاوية: ذكرت من لا يُنكر فضلُه، رحم الله أبا حسن، فلقد سبق من كان قبله، و أعجز مَن يأتي بعده! هلُمّ حديث الحديدة... .[1]

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ١١، ص ٣٦٥.

سيرته ﷺ مع معارضيه في الحكومة

كان عليّ ﷺ يمثّل نموذجاً حيّاً لحكومة العدل الإلهي، في كلّ المجالات، و على كلّ الأصعدة و الجبهات، إذ أنّ مراعاة العدالة لا تنحصر لديه ﷺ في تقسيم أموال بيت المال و حسب، كما لا تنحصر مع الأصدقاء دون غيرهم من النّاس، بل إنّه كان في الحرب و السلم، مع العدوّ و الصديق يسير بسيرة الرّسول ﷺ العادلة.

لم يكن عليّ ﷺ مستعداً لتجنّب مسير الحق لأجل هذه الدنيا الفانية حتّى مع ألدّ أعدائه و خصومه، فإنّه كان يقدّم رضا الله جلّ و علا على كلّ شيء، و يعمل وفقاً للموازين الإلهية العادلة، و كان في تعامله مع معارضيه و أعدائه يأخذ بنظر الاعتبار بقاء الإسلام و ديمومته لا بقاءه هو و حسب، و لو كان يريد البقاء لتعامل مع معارضيه كما تعاملوا هم معه و مع ذرّيته و أولاده ﷺ، و لو كان يريد البقاء لاستأصلهم و استخدم أقصى أساليب القمع و الإرهاب ضدّهم من نفي و طرد و إبعاد و سجن، و لخنق أصواتهم أو لأمالهم إليه بالمال و الترغيب... أبى ﷺ أن يعمل ذلك أو غيره، و ما تعامل معهم إلاّ بما أملته عليه مبادىء الإسلام، و لم ينحرف عن صراطه المستقيم قيد أنملة.

في هذا الفصل سنتطرّق إلى موقفه ﷺ مع معارضيه و أعداء حكومته ﷺ، ذلك الموقف الّذي نوّر صفحات التاريخ و وجه الإسلام، و إذا كان ثمّة سرّ لبقاء عليّ ﷺ على طول التاريخ فهو هذا الموقف، مضافاً إلى أنّه ﷺ ضحّى بنفسه من أجل الإسلام و العدل و الحقّ دون أن يحوز شيئاً لمنفعته و مصلحته.

إنّه ﷺ قبل أن تشرع حرب الجمل أبدى النصيحة لمخالفي حكومته، و حين لم تنفع معهم لم يبدأ الحرب حتّى بدؤوه بالقتال، و حين انتصر عليهم عفا عنهم و عن

أموالهم، و سيرّ عائشة معزّزة مكرّمة إلى المدينة.

و مرّة أُخرى تبرز عظمة عليّ ﷺ في موقفه مع أعدائه في صفّين حين ملك الماء عليهم و ما حرمهم منه، في الوقت الّذي كان قادراً على ذلك، ورغم أنّهم حرموه منه قريباً.

و تظهر عظمته ﷺ مرّة أُخرى في موقفه الرجولي مع أهل النهروان، إذ دعاهم إلى الكوفة مراراً، و أبلغ و جاهد في النصيحة لهم، رغم أنّهم قد قتلوا أصحابه ظلماً و عدواناً، كما أنّه لم يقطع عطاءهم من بيت المال، و حينما يواجهونه بالإهانة في مسجد الكوفة كان يبالغ في النصيحة.

و حينما تواقفوا للحرب لم يشرع في حربهم حتّى شرعوا في حربه ﷺ، و أمثال هذه المواقف كثيرة لا يبلغها الإحصاء.

فداك نفسي و أبي و أمّي و ولدي يا أبا الحسن... أين نجد مثلك في العدل و الإحسان و الحقّ؟ بل ليت الحكومات الإسلامية تطبق و لو ذرّة من أُسلوبك في الحكومة، ولم يسوّدوا وجه الإسلام الناصع بأعمالهم الشنيعة المخالفة لمبادئه الحقّة.

ما روي في سيرته ﷺ مع معارضيه في الحكومة

على رغم المحاولات الشتّى المبذولة من قبل أعداء عليّ ﷺ لطمس فضائله و مناقبه، و عدم السماح بتناقلها، ممّا أحال دون وصولها إلى أسماع النّاس، فبمجرّد إلقاء نظرة ـ و لو سريعة ـ على ما دوّنه المؤرخون و العلماء، سواء الموالي منهم أو المخالف، فإنّنا سنلاحظ فضائله و مناقبه ساطعة جليّة لا يغطّيها غبار النواصب الحاقدين.

و في هذا الباب سيبدو لنا عليّ ﷺ في سيرته مع مخالفيه بشكل لم يشهده عالم اليوم و لا في المستقبل، فلنسمع ذلك من أفواه المخالفين و رواياتهم لنطّلع على عظمة عليّ ﷺ:

قول الشارح المعتزلي

قال ابن أبي الحديد في شرحه: كان عليّ ﷺ لا يستعمل في حربه إلاّ ما وافق الكتاب و السنّة، و كان معاوية يستعمل خلاف الكتاب و السنّة كما يستعمل الكتاب و السنّة، و يستعمل جميع المكائد حلالها و حرامها، يسير في الحرب بسيرة ملك الهند إذا لاقى كسرى، و خاقان اذا لاقى رتبيل،[١] و عليّ ﷺ يقول: «لا تبدؤوهم بالقتال حتّى يبدؤوكم، و لا تتبعوا مدبراً، و لا تُجهزوا على جريح، و لا تفتحوا باباً مغلقاً» هذه سيرته في ذي الكلاع، و في أبي الأعور السُلّمي، و في عمرو بن العاص، و حبيب بن مسلمة، و في جميع الرؤساء، كسيرته في الحاشية و الحشو و الأتباع و السفلة و أصحاب الحروب. إلى أن قال: فعليٌّ ﷺ كان مُلجماً بالوَرع عن جميع القول إلاّ ما هو لله عزّوجلّ رضاً، و ممنوع اليدين من كلّ بطش إلاّ ما هو لله رضاً، و لا يرى الرضا إلاّ فيما يرضاه الله و يحبّه، و لا يرى الرضا إلاّ فيما دلّ عليه الكتاب و السنّة دون ما يعوّل عليه أصحاب الدهاء و النكراء و المكائد و الآراء، إلى آخر كلامه.[٢]

قول أبي منصور التيمي

قال العلاّمة أبو منصور التيمي البغدادي: و ما قاتل عليّ ﷺ أصحاب الجمل و أهل صفّين ليسلموا، و إنّما قاتلهم لبغيهم عليه ﷺ، لذلك قال لأصحابه: «لا تبدؤوهم بقتال حتّى يبدؤوكم» و نهى عن اتّباع من أدبر منهم، و عن أن يذفّف[٣] على جريح منهم.[٤]

---

١. رتبيل: صاحب الترك.

٢. شرح ابن أبي الحديد، ج ١٠، ص ٢٢٨.

٣. لا يذفّف على جريح: أي لا يسارع في قتله.

٤. أصول الدين لأبي منصور التيمي البغدادي، ص ٢٨٤؛ نقلاً عن الاحقاق، ج ٨، ص ٥٥٠.

قول القاضي أبي يوسف

و قال القاضي أبو يوسف في كتاب (الخراج): إنّ الصحيح عندنا من الأخبار عن عليّ بن أبي طالب ﷺ أنّه لم يقاتل قوماً قطّ من أهل القبلة ممّن خالفه حتّى يدعوهم، و أنّه لم يتعرّض بعد قتالهم و ظهوره عليهم لشيء من مواريثهم و لا لنسائهم و لا لذراريهم، و لم يقتل منهم أسيراً، و لم يذفّف منهم على جريح، و لم يتّبع منهم مدبراً.[1]

رواية البيهقي عن محمّد بن عمر بن عليّ

و روى البيهقي في (السنن الكبرى) بسنده عن محمّد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب: أنّ عليّاً ﷺ لم يقاتل أهل الجمل حتّى دعا النّاس ثلاثاً، حتّى إذا كان اليوم الثالث دخل عليه الحسن و الحسين ﷺ و عبدالله بن جعفر فقالوا: قد أكثروا فينا الجراح، فقال: «يا بن أخي، و الله ما جهلت شيئاً من أمرهم، إلاّ ما كانوا فيه» و قال: «صبّ لي ماء» فصبّ له ماء فتوضّأ به ثمّ صلّى ركعتين، حتّى إذا فرغ رفع يديه و دعا ربّه، و قال لهم: «إن ظهرتم على القوم فلا تطلبوا مدبراً، و لا تجهزوا على جريح، و انظروا ما حضرت به الحرب من آيته[2] فاقبضوه، و ما كان سوى ذلك فهو لورثته».

و قال: قال الدّاروردي: أخبرنا جعفر عن أبيه: أنّ عليّاً ﷺ كان لا يأخذ سلباً و أنّه كان يباشر القتال بنفسه، و أنّه كان لا يذفّف على جريح و لا يقتل مدبراً.[3]

---

١. الخراج للقاضي أبي يوسف، ص ٢١٥.

٢. في نسخة: من آنية.

٣. السنن الكبرى، ج ٨، ص ١٨١.

رواية الطبري عن محمد بن راشد

و في (تاريخ الطبري) بإسناده عن محمد بن راشد، عن أبيه، قال: كان من سيرة عليّ ﷺ أن لا يقتل مدبراً، و لا يذفّف على جريح، و لا يكشف ستراً، و لا يأخذ مالاً، فقال قوم يومئذٍ: ما يُحلّ لنا دماءهم، و يحرّم علينا أموالهم؟ فقال ﷺ: «القوم أمثالكم، من صفح عنّا فهو منّا و نحن منه، و من لجّ حتّى يصاب فقتاله منّي على الصّدر و النحر و أنّ لكم في خمسه لغنى» فيومئذ تكلّمت الخوارج.[1]

قول جورج جرداق المسيحي

قال جورج جرادق في كتاب (الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانية) في وصف أميرالمؤمنين ﷺ: و مروءة الإمام أندر من أن يكون لها مثل في التاريخ، و حوادث المروءة في سيرته أكثر من أن تعدّ.

منها: أنّه أبى على جنده ـ و هم في حال من النقمّة و السخطّ ـ أن يقتلوا عدّواً تراجع، و أن يتركوا عدوّاً جريحاً فلا يسعفوه، كما أبى عليهم أن يكشفوا ستراً أو أن يأخذوا مالاً.

و منها: أنّه صلّى في وقعة الجمل على القتلى من أعدائه و سأل لهم الغفران، و أنّه حين ظفر بألدّ أعدائه الذين يتحيّنون الفرص للتّخلص منه، و هم: عبدالله بن الزّبير، و مروان بن الحكم، و سعيد بن العاص، عفا عنهم و أحسن إليهم، و أبى على أنصاره أن يتعقّبوهم بسوء و هم على ذلك قادرون.

و من حوادث المروءة أنّ عليّاً ﷺ ظفر بعمرو بن العاص ـ و هو لا يقلّ خطراً عليه من معاوية بن أبي سفيان ـ فأعرض عنه و تركه ينجو بحياته و يستمر في مؤامراته ضدّه، لأنّ عَمْراً هذا رجاه على أسلوب خاصّ أن يعفو عنه، و قد أصبح

---

١. تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٥٤٥.

ذوالفقار فوق هامته، و لو قضى عليّ ﷺ على عمرو آنذاك لكان قضى على المكـر و الدّهاء و جيش معاوية.

و في معركة صفّين حاول معاوية و جماعته أن يميتوا عليّاً عطشاً، فحالوا بينه و بين الماء زمناً و هم يقولون له: و لا قطرة حتّى تموت عطشاً، و لكن ما كـان مـن أمره و أمر جيش معاوية بعد ذلك، كان أن حمل عليهم الفارس العظيم فأجـلاهم عن الماء ثمّ أتاح لهم أن يشربوا منه كما يشرب جنده، و لو منع عنهم الماء لانتصر عليهم، و اضطرّهم إلى التسليم خشية الموت ظمأً.

و عرف مرّة أنّ رجلين من أنصاره ينالان من عائشة في مـوقعة الجـمل الّـتي أدارتها عائشة للقضاء عليه، فأمر بجلدهما مائة جلدة، ثمّ أقبل على عـائشة بـعد انتصاره في هذه الموقعة و ودّعها أكرم وداع، و سار هو نفسه في ركابها أميالاً، ثمّ أوصى بها و أرسل من يخدمها و يحفّ بها و يوصلها إلى المدينة مكرّمة محترمة.

قيل: إنّه أرسل معها عشرين امرأة من نساء عبدالقيس عمّمهنّ بعمائم الرجال، و قلّدهنّ السيوف، فلمّا كانت عائشة ببعض الطريق ذكرت عليّاً بما لا يجوز أن يذكر به، و تأفّفت و قالت: هتك ستري برجاله و جنده الّذين و كلهم بي، فلمّا وصلت إلى المدينة ألقى النّسـاء عمائمهنّ، وقلن لها: نحن نسوة.[1]

و فيما يلي نورد بعض أخباره ﷺ مع مخالفيه في حرب الجمل:

رواية البيهقي عن جويرية

في (السنن الكبرى) للحافظ البيهقي بإسناده عن جويرية بـن أسماء، قـال: رواه عن يحى بن سعيد، قال: حدّثني عمّي أو عمّ لي، قال: لمّا تواقفنا يوم الجـمل و قد كان عليّ ﷺ حين صفّنا نادى في النّاس: لا يرمينّ رجل بسهم و لا يطعن برمح، و لا يضرب بسيف، و لا تبدؤوا القوم بالقتال، و كلّموهم بألطف الكلام».

---

١. الامام عليّ صوت العدالة الانسانية، ج ١، ص ٨٢.

و أظنّه قال: «فإنّ هذا مقام من فلج فيه، فلج[1] يوم القيامة».[2]

رواية أبي يوسف

و في الخراج لأبي يوسف، قال: حدثّنا بعض المشيخة عن جعفر بن محمّد، عن أبيه: «أنّ عليّاً عليه السلام، أمر مناديه فنادى يوم البصرة: لا يتّبع مدبر، و لا يذفّف على جريح، و لا يقتل أسير، و من أغلق بابه فهو آمن، و من ألق سلاحه فهو آمن، قال: و لم يأخذ من متاعهم شيئاً».[3]

شراء جملٍ لعائشة

في تاريخ الطبري بإسناده عن عاصم بن كليب، عن أبيه، قال: لمّا فرغوا يوم الجمل، أمرني الأشتر، فانطلقت فاشتريت له جملاً بسبعمائة درهم من رجل من مَهرة، فقال: انطلق به إلى عائشة فقل لها: بعث به إليك الأشتر مالك بن الحارث؟ و قال: هذا عوض من بعيرك، فانطلقت به إليها، فقلت: مالك يقرئك السّلام و يقول: انّ هذا البعير مكان بعيرك، قالت: لا سلم الله عليه، إذ قتل يعسوب العرب ـ تعني ابن طلحة ـ و صنع بابن أُختي ما صنع، قال: فرددته إلى الأشتر و أعلمته، قال: فأخرج ذراعين شعراوين، و قال: أرادوا قتلي فما أصنع.[4]

و ما بعثه الأشتر إلى عائشة إلاّ كان بإذن مولاه و إمامه أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

تجهيز عليّ عليه السلام عائشة من البصرة

و في (تاريخ الطبري) أيضاً عن محمّد و طلحة قالا: و جهّز عليّ عليه السلام عائشة

١. الفلج، بوزن الفلس: الفوز و الظفر.

٢. السنن الكبرى، ج ٨، ص ١٨٠.

٣. الخراج لأبي يوسف، ص ٢١٥.

٤. تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٥٤٥.

بكلّ شيء ينبغي لها من مركب أو زاد أو متاع، و أخرج معها كلّ من نجا ممّن خرج معها إلاّ من أحبّ المقام، و اختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات، و قال: تجهّز ـ يا محمّد[1] ـ فبلّغها، فلمّا كان اليوم الذي ترتحل فيه جاءها حتّى وقف لها و حضرت النّاس فخرجت على النّاس و ودّعوها و ودّعتهم، و قالت: يا بنيّ تعتّب بعضنا على بعض استبطاء و استزادة، فلا يعتدن أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنّه و الله ما كان بيني و بين عليّ في القديم إلاّ ما يكون بين المرأة و أحمائها، و إنّه عندي على معتبي من الأخيار[2] الحديث.

ندامة عائشة بعد رجوعها من البصرة

عن العلاّمة سبط ابن الجوزي في (التذكرة) قال: قال هشام بن محمّد: فجهّزها ـ أي عائشة ـ على أحسن الجهاز، و دفع لها مالاً كثيراً، و بعث معها أخاها عبدالرحمن في ثلاثين رجلاً و عشرين امرأة من أشراف البصرة و ذوات الدّين من همدان و عبد القيس، و ألبسهنّ العمائم، و قلّدهنّ السيوف بزيّ الرجال، و قال ﷺ لهنّ: «لا تعلمنها إنكنّ نسوة، و تلثّمن و كنّ حولها، و لا يقربنّها رجل».

و سرن معها على هذا الوصف، فلمّا وصلت إلى المدينة، قيل لها: كيف كان مسيرك؟ فقالت عائشة: بخير ـ و الله ـ لقد أعطى فأكثر، و لكنّه بعث رجالاً معي أنكرتهم، فبلغ ذلك النسوة، فجئن إليها و عرّفنها أنهنّ نسوة، فسجدت و قالت: و الله ـ يا ابن أبي طالب ـ ما ازددت إلاّ كرماً، و وددت أنّي لم أخرج هذا المخرج، و أنّي أصابني كيت و كيت.

قال ابن الكلبي: و كانت إذا ذكرت يوم الجمل بكت، حتّى تبلّ خمارها و تأخذ بحلقها كأنّها تختنق بنفسها، و كانت إذا ذكرت أمّ سلمة تذكر نهيها لها و تبكي.[3]

---

١. المراد أخوها محمد بن أبي بكر.

٢. تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٥٤٧.

٣. و كانت أم سلمة قد نصحت عائشة بعدم الخروج إلى عليّ ﷺ فخالفتها.

قال هشام بن محمّد: إنّما ردّ عليّ عائشة إلى المدينة امتثالاً لأمر رسول الله.[١]

و فيما يلي نورد بعض أخباره ﷺ مع مخالفيه في حرب صفين:

رواية عمرو بن العاص في غلبته ﷺ على الماء

عن ابن أبي الحديد، قال: قال عمرو بن العاص لمعاوية لمّا ملك أهل العراق الماء: ما ظنّك يا معاوية ـ بالقوم، إن منعوك اليوم الماء كما منعتهم أمس، أتراك تضاربهم عليه كما ضاربوك عليه؟ ما أغنى عنك أن تكشف لهم السّوءة!.

فقال معاوية: دع عنك ما مضى، فما ظنّك بعليّ؟

قال: ظنّي أنّه لا يستحلّ منك ما استحللت منه، و إنّ الّذي جاء له غير الماء. قال: فقال معاوية قولاً أغضبه، فقال عمرو:

أمرتك أمراً فسخّفته ... و خالفني ابن أبي سرحه[٢]

و أغمضت في الرأي إغماضةً ... و لم ترَ في الحرب كالفسحه

فكيف رأيت كِباش العراقِ ... ألم ينطحُوا جَمْعَنا نَطحَه

فإن ينطحونا غداً مثلها ... فكن كالزبيري أو طلحه

أظنّ لها اليومَ ما بعدَها ... و ميعاد ما بيننا صُبحَه

و إن أخّروها لِما بعدَها ... فقد قدّموا الخبطَ و النّفحَه

و قد شرب القوم ماء الفرات ... و قلّدك الأشتر الفَضحَه[٣]

رواية نصر بن محمّد في ذلك

و فيه أيضاً عن نصر بن محمّد بن عبدالله، قال: فقال أصحاب عليّ له: إمنعهم الماء ـ يا أميرالمؤمنين ـ كما منعوك.

---

١. التذكرة للعلامة سبط ابن الجوزي، ص ٨٠؛ و الإحقاق، ج ٨، ص ٦٥٧.

٢. يريد عبدالله بن سعد بن أبي سرح.

٣. شرح ابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٣٣٠.

فقال: «لا، خلّوا بينهم و بينه، لا أفعل ما فعله الجاهلون، سنعرض عليهم كتاب الله، و ندعوهم إلى الهدى، فإن أجابوا و إلاّ ففي حدّ السيف ما يغني إن شاء الله».[١]

قال نصر: فو الله ما أمسى النّاس حتّى رأوا سقاتهم و سقاة أهل الشّام ورَواياهم ورَوايا أهل الشّام يزدحمون على الماء ما يؤذي إنسانٌ إنساناً.[٢]

سيرته مع أُسارى صفّين

في (الكنى و الأسماء) للعلاّمة الدولابي: بسنده عن يزيد بن بلال، قال: شهدت مع عليّ ﷺ صفّين، فكان إذا أُتي بالأسير، قال ﷺ: «لن أقتلك صبراً، إنّي أخاف الله ربّ العالمين» و كان إذا أخذ الأسير أخذ سلاحه، و حلّفه أن لا يقاتله، و أعطاه دراهم، و يخلّي سبيله.[٣]

و روى الحديث العلاّمة المولى عليّ المتقيّ الهندي في كنز العمّال عن يزيد بن بلال بعين ما تقدّم عن الكنى و الاسماء إلاّ أنّه قال: و يعطيه أربعة دراهم.[٤]

و عن (سنن البيهقي) عن أبي فاختة: أنّ عليّاً ﷺ أُتي بأسير يوم صفّين، فقال: لا تقتلني صبراً.

فقال عليّ ﷺ: «لا أقتلنّك صبراً، إنّي أخاف الله ربّ العالمين» فخلّى سبيله، ثمّ قال: «أفيك خير تبايع؟!».

قال الشافعي: و الحرب يوم صفّين قائمة و معاوية يقاتل جادّاً في أيّامه كلّها منتصفاً أو مستعلياً[٥]، و عليّ ﷺ يقول لأسير من أصحاب معاوية: «لا أقتلك

---

١. المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٣٠.

٢. شرح ابن أبي الحديد، ج ٣، ص ٣٣١.

٣. الاحقاق، ج ٨، ص ٦٦٢.

٤. كنزل العمال، ج ٧، ص ٣٤٥، ح ٣١٧٠٣.

٥. في سنن البيهقي، ج ٨، ص ١٨٢، عن الشيخ: قول الشافعي: (ومعاوية يقاتل جاداً...) معناه أنّه كان يساويه ⇐

صبراً إنّي أخاف الله ربّ العالمين!».[1]

و فيما يلي نورد بعض أخباره عليه السلام مع مخالفيه من الخوارج:

سيرته عليه السلام مع الخوارج

إنّ بالإمكان الادّعاء بأنّ أيّة فئة لم تؤذ عليّاً عليه السلام بقدر ما آذته فئة الخوارج، إذ ملأوا قلبه قيحاً، و ذلك أنّهم كانوا من شيعته، و على جباههم آثار السجود، إلاّ أنّهم وقفوا بوجه الإمام و اتخذوا التحكيم الّذي أصرّوا على تنفيذه ذريعة للخروج على عليّ عليه السلام... .

لقد كان هؤلاء أناساً متعصّبين في دينهم غير أنّهم جهلاء، فلم يكونوا على اتصال بالأجانب، غاية ما هناك أنّهم فهموا الأُمور بغير وجهتها الصحيحة، و ظنّوا بأفكارهم الساذجة أنّهم يبتغون بهذا الخروج وجه الله تعالى!!!.

لقد أصرّ هؤلاء على عليّ عليه السلام أن يقرّ بأنّ التحكيم كان ذنباً، و عليه أن يتوب منه، و لم يكن عليّ عليه السلام ليعترف بأنّ هذا ذنب اقترفه، بل كان يراه خطأً سياسياً فُرِض عليه من قبل الخوارج في صفّين، و لم يرض الخوارج بهذا الرأي، و لذلك كانوا يعرّضون بعليّ عليه السلام و يُصلّون فرادى في المسجد الّذي كان يُصلّي فيه جماعة.

و كانوا يتحرّكون في المسجد حينما يخطب، و يثيرون الضّجة ليفسدوا مجالسة العلميّة، و إذا ما قرأ في الصلاة كانوا ينسبون إليه الكفر و الشرك من خلال قراءتهم لبعض آيات القرآن... .

غير أنّ عليّاً عليه السلام مثال الحقّ، و وارث علوم الأنبياء، و الحاكم بالعدل، كان يصبر أمام كلّ هذه التحدّيات و التعريضات، و مع أنّ السلطة و قدرتها كانت بيده إلاّ أنّه

⇐ مرّة في القتال ويعلوه أُخرى، فكان فئة لهذا الأسير، و مع ذلك لم يقتله علي عليه السلام، ولم يستجز قتله. و قيل: منتصفاً عند نفسه لدعواه أنّه يطلب دم عثمان، و مستعلياً غيره، لعلمهم بأنّ عليّاً عليه السلام كان بريئاً من دم عثمان.

١. السنن الكبرى للبيهقي، ج ٨، ص ١٨٢.

لم يبد أدنى ردّ فعل ضدّهم رجاء أن ينتبه هؤلاء من غفلتهم و يتركوا طريق الانحراف الّذي اختاروه، و يعودوا إلى الصواب، و لئلّا يراق دمٌ نتيجة هذه الأوضاع و لذلك، كان يَعظهم أحياناً، و يُجيبهم على اعتراضاتهم، و يبيّن لهم الحقيقة ولم يخرجهم من المساجد، و لا قطع عنهم عطاءهم، و لم يُجِد ذلك نفعاً مع هؤلاء، و بلغ بهم جهلهم و حمقهم أن يخرجوا على عليّ ﷺ في أربعة آلاف، فاجتمعوا عند النهروان، و شنّوا حرباً غير مدروسة ضد عليّ ﷺ. فاستأصلهم و لم ينجُ منهم إلاّ تسعة نفر. و لم يقتل من جيش عليّ ﷺ إلاّ تسعة شهداء على أشهر الروايات.[١]

فلمّا انتهى الأمر هنا، قال عليّ ﷺ «لا تقتلوا الخوارج بعدي...»[٢] و من أجل زيادة الإيضاح نورد نماذج من التّصرفات المشينة للخوارج مع عليّ ﷺ لتتجلّى عظمة عليّ ﷺ و صبره، و ليكون درساً و أُسوة للجميع.

مداراته ﷺ الخوارج حينما اجتمعوا في الكوفة

قال ابن أبي الحديد نقلاً عن الطبري في التاريخ: أنّ عليّاً ﷺ لمّا دخل الكوفة دخلها معه كثير من الخوارج، و تخلّف منهم بالنخيلة و غيرها خلق كثير لم يدخلوها، فدخل حُرقوص بن زهير السعدي، و زرعة بن البُرج الطائي ـ و هما من رؤوس الخوارج ـ على عليّ ﷺ فقال له حُرقوص: تُبْ من خطيئتك، و اخرج بنا إلى معاوية نجاهده.

فقال له عليّ ﷺ: «إنّي كنت نهيتكم عن الحكومة فأبيتم، ثمّ الآن تجعلونها ذنباً؟! أما إنّها ليست بمعصية و لكنّها عجز من الرأي، و ضعف في التدبير، و قد نهيتكم عنه».

فقال زرعة: أما و الله لئن لم تتب من تحكيمك الرجال لأقتُلنّك، أطلب بذلك

---

١. اقتباس من نهج البلاغة، الخطبة ٥٨.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٦١.

وجه الله و رضوانه؟!.

فقال له عليّ ﷺ: «بؤساً لك ما أشقاك! كأنّي بك قتيلاً تسفي عليك الرياح». قال زرعة: و ددت أنّه كان ذلك، الحديث.[1]

صورة أُخرى

روى أبوجعفر الطبري، عن أبي رزين، قال: لمّا وقع التحكيم و رجع عليّ من صفّين رجعوا مباينين له، فلمّا انتهوا إلى النهر أقاموا به، فدخل عليّ في النّاس الكوفة، و نزلوا بحروراء، فبعث إليهم عبدالله بن عبّاس و لم يصنع شيئاً، فخرج إليهم عليّ ﷺ فكلّمهم حتّى وقع الرضا بينه و بينهم، فدخلوا الكوفة، فأتاه رجل فقال: إنّ النّاس قد تحدّثوا أنك رجعت لهم عن كفرك، فخطب النّاس في صلاة الظهر، فذكر أمرهم فعابه، فوثبوا من نواحي المسجد يقولون: لا حكم إلاّ لله. و استقبله رجل منهم واضع إصبعه في أُذنيه، فقال: ﴿وَ لَقَد أُوحي إليك و إلى الّذين مِن قبلِك لَئِن أشركت ليحبطنّ عملك و لَتكوننّ مِنَ الخاسِرين﴾[2] فقال عليّ ﷺ: ﴿فاصبر إنَّ وعدَ الله حقٌّ وَ لاَ يَستَخفَنَّك الّذين لا يُوقِنُونَ﴾.[3]

سماحته ﷺ و مداراته لهم لمّا واقفهم بالنهروان

روى ابن أبي الحديد عن أبي العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد، في (الكامل)، قال: لمّا واقفهم عليّ ﷺ بالنهروان، قال: «لا تبدؤهم بقتال حتّى يبدؤوكم» فحمل منهم رجل على صفّ عليّ ﷺ فقتل منهم ثلاثة، ثمّ قال:

اقتلهم و لا أرى عليّاً ... و لو بدا أوجرته الخطّيا

---

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٦٨.

٢. الزمر، ٦٥.

٣. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٥٤؛ و الآية من الروم، ٦٠.

فخرج إليه عليّ ﷺ فضربه فقتله، فلمّا خالطه سيفه، قال: يا حبّذا الروحة إلى الجنّة، فقال عبدالله بن وهب: و الله ما أدري إلى الجنّة، أم إلى النار؟! فقال رجل منهم من بني سعد: إنّما حضرتُ اغتراراً بهذا الرجل ـ يعني عبدالله ـ و أراه قد شكّ و اعتزل عن الحرب بجماعة من النّاس، و مال ألفٌ منهم إلى جهة أبي أيّوب الأنصاري، و كان على ميمنة عليّ ﷺ.

فقال عليّ ﷺ لأصحابه: «احملوا عليهم، فو الله لا يُقتل منكم عشرة و لا يسلم منهم عشرة» فحمل عليهم فطحنهم طحناً، قُتل من أصحابه ﷺ تسعة، و أفلت من الخوارج ثمانية.[1]

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٧٢.

سيرته ﷺ مع أهل الذمّة

و فيما يلي نورد بعض النماذج من سيرته ﷺ مع المخالفين من أهل الذمّة: لقد كان عليّ ﷺ تلميذ دين الإسلام حقّاً و رضع من ثدي النبوّة علماً، و ربّي في حجر رسول الله ﷺ من الولادة إلى آخر حياة رسول الله ﷺ، و تعلم حقائق الإسلام منه ﷺ و هو وصيّه و خليفته و وارث علمه. فلا يتوقّع منه إلاّ أن يسير بسيرته ﷺ. و لذا كان من سيرته الرفق باليهود و النصارى من أهل الذمّة، و التعامل معهم كما يتعامل مع المسلمين تحت ظلّ حكومته بميزان الحقّ و العدل، و هذا هو منطق الشرع المبين الأنور، فعلينا و على حكام الإسلام أن يقتدوا بسيرته.

نبذة ممّا ظهر من سيرته مع أهل الذّمّة

ممّا لا ريب فيه أنّ صفحات التاريخ مشرقة بالحكاية عن مروءة عليّ ﷺ و رأفته و عفوه الذي يبديه لمخالفيه و معارضيه، و حتّى لأُولئك الّذين ناصبوه العداء، و قتلوا أصحابه و مقرّبيه، و جيّشوا الجيوش لمقاتلته، مستهدفين إضعاف حكومته و إسقاطها، إلى الحدّ الذي أثار اعتراض أصحابه و مؤيديه، و أذهل أعداءه و مخالفيه.

و لكنّه ﷺ كان يريد أن يفهم النّاس مبادىء الإسلام المحمّديّ الأصيل، و أنّه يقاتل لأجل هداية المجتمع وإصلاح النّاس وليس لطلب الحكم عليهم، ولهذا فإنّه ﷺ بلغ في مداراته لأعدائه حدّاً كلّفه التضحية بنفسه، فالمهمّ لديه بقاء الإسلام و العدالة وحسب لا بقاء نفسه، و سنشير أدناه إلى الموارد الظاهرة منه في الخصوص:

قوله في دخول رجل من جيش معاوية على ذمّيّة

قال عليّ ﷺ بعد ما انقضت وقعة صفين واستولى معاوية على البلاد، و أكثر

القتل و الغارة في الأطراف: «و لقد بلغني أنّ الرّجل منهم[١]، كان يدخل على المرأة المسلمة و الأُخرى المعاهدة[٢] فينتزع حِجلها[٣] و قُلُبَها[٤] و قلائدها و رعاثها[٥]، ما تمتنع منه إلاّ بالاسترجاع[٦] و الاسترحام[٧]، ثمّ أنصرفوا وافرين[٨] ما نال رجلاً منهم كَلْمٌ[٩] و لا أُريق لهم دمٌ، فلو أنّ امرءاً مسلماً مات من بعد هذا أسفاً، ما كان به ملوماً، بل كان به عندي جديراً».[١٠]

قال الشارح المعتزلي: هذه الخطبة من مشاهير خطبه ﷺ، قد ذكرها كثير من النّاس، و رواها أبو العباس المبرّد في أوّل (الكامل) و أسقط من هذه الرواية ألفاظاً و زاد فيها ألفاظاً، و قال في أوّلها:« إنّه انتهى إلى عليّ ﷺ أنّ خيلاً وردت الأنبار لمعاوية، فقتلوا عاملاً له يقال له: حسّان بن حسّان، فخرج ﷺ مغضباً يجرّ رداءه، حتّى أتى النخيلة،[١١] و اتّبعه النّاس، فرقى رُباوَةً[١٢] من الأرض، فحمد الله و أثنى عليه و صلّى على نبيّه ﷺ ثمّ قال: أمّا بعد فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة، فمن تركه رغبة عنه، ألبسه الله الذلّ، و سيم الخسف» الخطبة.[١٣]

---

١. الرجل منهم: أي من جيش معاوية.

٢. المعاهدة: الذمية.

٣. الحِجل بالكسر و بالفتح و بالكسرتين: الخلخال.

٤. القُلُب بضمتين جمع قلب بالضم و السكون: السوار المُصمت.

٥. الرعث بضم الراء و العين جمع رعاث، و رعاث جمع رعثة: و هو ضرب من الخرز.

٦. الاسترجاع: ترديد الصوت بالبكاء مع القول: إنّا لله و إنّا إليه راجعون.

٧. الاسترحام: أي تناشده الرحمة.

٨. وافرون: تامون على كثرتهم لم ينقص عددهم.

٩. الكلم بالفتح: الجرح.

١٠. شرح نهج البلاغة الخطبة ٢٧.

١١. النخيلة: اسم موضع خارج الكوفة.

١٢. الرباوة: اسم لكل ما ارتفع من الأرض.

١٣. شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٧٥.

احتكامه إلى القاضي مع اليهودي

و من أظهر مظاهر عدله و مساواته أنّه عليه السلام في عصر حكومته و ولايته، حضر مجلس القضاء، و جلس مع يهودي عند القاضي كما ذكرنا في الفصل الرابع من هذا الكتاب و نذكره هنا تتميماً للبحث.

روى ابن وكيع في (أخبار القضاة) بإسناده عن معاوية، عن ميسرة، عن شريح، قال: لمّا توجّه عليّ عليه السلام إلى قتال معاوية افتقد درعاً له، فلمّا رجع وجدها في يد يهوديّ يبيعها بسوق الكوفة، فقال عليه السلام «يا يهودي الدّرع درعي، لم أهب و لم أبع»؟ فقال اليهودي: درعي و في يدي، فقال عليه السلام: «بيني و بينك القاضي».

قال: فأتياني، فقعد عليّ عليه السلام إلى جنبي، و اليهوديّ بين يدي، و قال عليه السلام: «و لو لا أنّ خصمي ذمّي لا ستويت معه في المجلس، و لكنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:[1] «اصغروا بهم كما أصغر الله بهم»، ثمّ قال: «هذه الدرع درعي لم أبع و لم أهب»، فقال لليهوديّ: «ما تقول؟»، قال: درعي و في يدي، قال شريح: يا أمير المؤمنين، هل من بيّنة؟ قال: «نعم الحسن ابني و قنبر يشهدان أنّ الدّرع درعي».

قال شريح: يا أميرالمؤمنين، شهادة الابن للأب لا تجوز.

فقال عليّ عليه السلام: «سبحان الله، أرجل من أهل الجنّة لا تجوز شهادته؟! سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنّة».

فقال اليهوديّ: أميرالمؤمنين قدّمني إلى قاضيه، و قاضيه يقضي عليه، أشهد أنّ هذا الدّين على الحقّ، و أشهد أن لا إله إلاّ الله، و أنّ محمّداً عبده و رسوله، و أنّ الدّرع درعك يا أميرالمؤمنين ، سقطت منك ليلاً، و توجّه مع عليّ عليه السلام يقاتل معه

---

١. و في الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، ج ١٦، ص ٣٦. روى الحديث عن ابراهيم التيمي إلى أن قال: قال عليه السلام: «و لكنّي سمعت رسول الله يقول: لا تساووهم في المجلس، و لا تعودوا مرضاهم، و لا تشيعوا جنائزهم، واضطّروهم إلى ضيق الطرق، و إن سبقوكم فاضربوهم، و إن ضربوكم فاقتلوهم» ثمّ نقل نحو باقي الحديث.

بالنهروان فقتل.[١]

أقول: هذا العمل من عليّ بن أبي طالب ﷺ و هو حاكم المسلمين في ذلك العصر يدلّ على الدّيمقراطية الكاملة في حكومته، هل يمكن أن يُرى في عصرنا هذا في بلاد العالم المدّعي للديمقراطيّة مثل هذا ؟!.

رسالة توبيخ منه ﷺ

أرسل ﷺ كتاباً إلى عمر بن أبي سَلَمة الأرحبي يوبّخه فيه لشدّته مع أهل الذمّة من دهاقين[٢] فارس، جاء فيه:

«أمّا بَعْدُ، فإنّ دهاقين أهل بَلَدِك شَكَوا مِنك غِلْظَةً وَ قَسْوَةً، و احتقاراً وَ جَفْوَةً، و نَظَرْتُ فَلَمْ أرهم أهلاً لأنْ يُدْنَوا لِشِرْكِهِم، و لا أنْ يُقصَوا و يُجفوا لِعَهْدِهِم، فالبَس لهم جلباباً مِن اللّين تَشُوبهُ بِطَرَفٍ مِن الشِدَّةِ، و داوِلْ لَهم بَيْنَ القَسْوَةِ و الرَّأفَةِ، و امْزُجْ لَهم بَيْنَ التَّقريبِ و الإدناءِ، و الإبعاد و الإقصاء، إن شاء الله».[٣]

خلاصة القول إنّ أميرالمؤمنين ﷺ لم يغفل عن مراعاة حقوق أهل الذمّة من اليهود و النصارى و المجوس الّذين كانوا تحت ذمّة الإسلام رغم قصر فترة حكومته التي دامت خمس سنوات، انقضت بالاختلافات الداخليّة و المنازعات مع المارقين و القاسطين و الناكثين. و هذا يدّل على تصرّف ديمقراطي عادل لم تصله أو تطبّقه أرقى النظم التي تدّعي الديمقراطيّة في الوقت الحاضر، آملين من الحكومات الإسلامية و محبّي الإسلام العزيز أن يجعلوا من تصرّف أمير المؤمنين ﷺ في حكومته قدوةً لهم، لكي ينبّهوا غير المسلمين على عدالة و سماحة ديننا الحنيف، و عند ما يُدركون ذلك عملياً يتوجّهون بقلوب عاشقة ملؤها الحبّ و الإخلاص للإسلام العزيز.

---

١. أخبار القضاة، ج ٢، ص ٢٠٠.

٢. الدهاقين، جمع دهقان، رئيس القرية أو الأقليم، و تُطلق على التجّار و أرباب الأملاك.

٣. راجع شرح ابن أبي الحديد، ج ١٥، ص ١٣٧.

سيرته عليه السلام مع الغلاة

سبب نشأة الغلاة

كان عليّ عليه السلام مظهر العدالة، مظهر صفات الله، و كان جامعاً للصفات الحسنة، فهومغيث الفقراء وسندهم، و هو حاكم المجتمع العادل، كان يقسّم ما في بيت المال بالسّوية مساوياً بين أسودهم و أبيضهم، عربهم و عجمهم، ساداتهم و مواليهم.

كان عابد اللّيل و شجاع النهار... كان شجعان ذلك العصر يخضعون له و يركعون أمامه و يهابونه، و رغم شجاعته هذه فإنّه كان يئن لبكاء اليتيم، و لا يتمالك نفسه أمامه... .

كان عليّ عليه السلام ثابتاً على الصراط المستقيم، متفانياً في سبيل الله، و لا تأخذه في الله لومة لائم... .

لقد كانت كلّ صفات جلاله و عظمته هذه تبهر عيون الناظرين، و تسلب لباب المتفكّرين فيه، فشكّ فيه ضعاف الإيمان، و أوغل جماعة في الانحراف حيث لم يتحمّلوا هذه الصفات حتّى شهروا السّيوف بوجهه و قاتلوه، و أشعلوا نيران الحروب ضدّه، و غلا فيه آخرون، و لمّا كانوا لم يعرفوا الله حقّ معرفته اعتقدوا بأنّ عليّاً عليه السلام هو الله!.

لم يكن عليّ هو الله، و إنّما كان عبداً من عباد الله الصالحين، و إمام المسلمين، و حجة الله ربّ العالمين، عاملاً بكتاب الله المبين، و سنّة النبيّ صلى الله عليه وآله. لا يعصي الله و لا يخالفه طرفة عين، يكرم العباد الّذين اتّقوا، و يغلظ على المارق و الناكث و القاسط كما وصف القرآن النبيّ الأعظم و أصحابه المتّقين: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ فإذا رأى الغالي يقول فيه ما ليس فيه يستتيبه، فإن لم يتب عاقبه أشدّ العقوبة.

هكذا كان حاله مع الغلاة.

قال ابن أبي الحديد في سبب نشأة الغلاة: و بمقتضى ما شاهد النّاس من معجزاته و أحواله المنافية لقوى البشر غَلا فيه مَن غَلا، حتّى نُسِب إلى أنّ الجوهَر الإلهي حلّ في بدنه، كما قالت النصارى في عيسى ﷺ، و قد أخبره النبيّ ﷺ بذلك، فقال: «يهلك فيك رجلان: محبٌّ غالٍ، و مبغضٌ قالٍ».

و قال له تارة أُخرى: «و الّذي نفسي بيده، لو لا أنّي أُشفِق أن تقول طوائف من أمّتي فيك ما قالت النصارى في ابن مريم، لقلت فيك مقالاً لا تمرّ بملأ من النّاس إلاّ أخذوا التراب من تحت قدميك للبركة».[1]

أقول: لمّا أخبر الإمام ﷺ بملأ من أصحابه في الخوارج قبل وقوع الحرب و قال: «مَصَارِعُهُم دُونَ النُّطْفَةِ، و الله لا يُفلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ وَلا يَهلك مِنْكُمْ عَشَرَةٌ»[2] و وقع الأمر بعد الحرب بما قاله ﷺ من غير زيادة و نقصان، زاد ذلك من غلوّ بعض أصحابه، و لم يدركوا أنّ ذلك أمرٌ إلهيٌّ عرفه من جهة رسول الله ﷺ، و عرفه رسول الله ﷺ من جهة الله سبحانه، و القوّة البشريّة تقصر عن إدراك مثل هذا، و لقد كان له من هذا الباب ما لم يكن لغيره.

بدء ظهور الغلاة

قال الشارح المعتزلي: و أوّل من جهر بالغلّو في أيّامه ﷺ عبدُالله بن سبأ[3]، قام

---

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ٥، ص ٤، ذيل خطبته ﷺ، ٥٨.

٢. نهج البلاغة، الخطبة ٥٩.

٣. عبدالله بن سبأ: رأس الطائفة السبئية، نقل ابن حجر عن ابن عساكر الشافعي في تاريخه: كان أصله من اليمن و كان يهودياً فأظهر الإسلام، و طاف بالمسلمين ليلفتهم عن طاعة الأئمة ﷺ و يدخل بينهم الشرّ، و دخل دمشق لذلك. و سيأتي أنه شفعه عبدالله بن عباس و غيره فأطلقه ﷺ و نفاه إلى المدائن. لسان الميزان، ج ٢، ص ٢٨٤.

إليه و هو يخطب، فقال له: أنتَ، أنتَ، و جعل يكرّرها.

فقال له: «ويلك! مَن أنا»؟

فقال: أنت الله. فأمر بأخذه و أُخذَ قومٌ كانوا معه على رأيه.

و روى أبو العبّاس أحمد بن عبيدالله، عن عمّار الثقفي، عن عليّ بن محمّد بن سليمان النوفلي، عن أبيه و عن غيره من مشيخته، أنّ عليّاً عليه السلام قال: «يهلك فيّ رجلان، محبّ مُطرٍ يضعني غير موضعي و يمدحني بما ليس فيّ، و مبغض مفتر يرميني بما أنا منه بريء».

و قال أبو العبّاس: و هذا تأويل الحديث المروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله فيه، و هو قوله صلى الله عليه وآله: «إنّ فيك مثلاً من عيسى بن مريم، أحبّته النصارى فرفعته فوق قدره، و أبغضته اليهود حتّى بهتت أُمّه».[1]

ما فعله عليه السلام بأهل الغلوّ[2]

قال الشارح المعتزلي عن أبي العبّاس، قال: و قد كان عليّ عليه السلام عثر على قوم خرجوا من محبّته باستحواذ الشيطان عليهم، إلى أن كفروا بربّهم، و جحدوا ما جاء به نبيّهم، و اتخذوه ربّا و إلهاً. و قالوا: أنت خالقنا و رازقنا. فاستتابهم و توعّدهم، فأقاموا على قولهم، فحفر لهم حفراً دخّن عليهم فيها، طمعاً في رجوعهم فأبوا، فأحرقهم بالنّار، و قال:

---

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ٥، ص ٥.

٢. و في الوسائل، عن رجال الكشيّ، بإسناده عن عبدالله بن سنان، عن أبيه، عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إنّ عبدالله بن سبأ كان يدّعي النبوّة، و كان يزعم أنّ أميرالمؤمنين عليه السلام هو الله ـ تعالى عن ذلك ـ فبلغ أميرالمؤمنين عليه السلام فدعاه فسأله فأقرّ، و قال: نعم أنت هو، و قد كان أُلقي في روعي أنّك أنتَ الله و أنا نبيّ. فقال له أميرالمؤمنين عليه السلام: ويلك، قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا ـ ثكلتك أُمك ـ وتب» فأبى، فحبسه، و استتابه ثلاثة أيّام فلم يتب، فأخرجه فأحرقه بالنّار. الوسائل، ج ١٨، ص ٥٥٤.

ألا ترَوْنَ قَدْ حفَرْتُ حفْرا إنّي إذَا رَأيْتُ أمراً مُنْكَرا

أوقدت ناري و دعوتُ قنبرا

و روى أصحابنا في كتب المقالات: أنّه لمّا حرّقهم، صاحوا إليه: الآن ظهر لنا ظهوراً بيّنا أنّك أنت الإله، لأنّ ابن عمك الّذي أرسلته قال: «لا يُعذّب بالنار إلاّ ربُّ العالمين».[1]

و في شرح ابن أبي الحديد أيضاً، عن عليّ بن محمّد النوفلي، عن أبيه، عن مشيخته: أنّ علياً ﷺ مَرَّ بهم و هم يأكلون في شهر رمضان نهاراً، فقال: «أسفر أم مرضى؟» قالوا: و لا واحدة منها، قال: «أفمن أهل الكتاب أنتم؟»، قالوا: لا، قال: «فما بال الأكل في شهر رمضان نهاراً؟»

فقالوا: أنتَ، أنتَ! لم يزيدوه على ذلك، ففهم مرادهم، فنزل ﷺ عن فرسه فألصق خدّه بالتراب، ثمّ قال: «ويلكم! إنّما أنا عبدٌ من عبيد الله فاتقوا الله و ارجعوا إلى الإسلام» فأبوا، فدعاهم مراراً، فأقاموا على أمرهم، فنهض عنهم ثمّ قال: «شدّوهم وثاقاً، و عليّ بالفعلة و النّار و الحطب»، ثمّ أمر بحفر بئرين فحفرتا فجعل أحدهما سَرَباً[2] و الآخر مكشوفة، و ألقى الحَطب في المشكوفة، و فتح بينهما فتحاً، وألقى النّار في الحطب، فدخّن عليهم، و جعل يهتف بهم، و يناشدهم: «إرجعوا إلى الإسلام»، فأبوا، فأمر بالحطب و النّار، و ألقى عليهم، فاحترقوا، فقال الشاعر:

لِترَم بي المنيةُ حيثُ شاءت إذا لَمْ تَرمِ بي الحُفرتَين

إذا ما جُشّتا حطباً بنارٍ فذاك الموتُ نقداً غيرَ دَين

قال: فلم يبرح واقفاً عليهم حتى صاروا حُمَماً.[3]

روى العلاّمة محبّ الدين الطبري بسنده عن عبدالله بن شريك العامري، عن

---

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ٥، ص ٥.

٢. السرب، بفتحتين: الحفير تحت الأرض.

٣. شرح ابن أبي الحديد، ح ٥، ص ٦.

أبيه، قال: أُتي عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقيل له: إنّ ها هنا قوماً على باب المسجد يزعمون أنّك ربّهم، فدعاهم، فقال لهم: «ويلكم، ما تقولون»؟

قالوا: أنتَ ربّنا و خالقنا و رازقنا.

قال: «ويلكم، إنّما أنا عبد مثلكم، آكل الطعام كما تأكلون، و أشرب كما تشربون، إن أطعته أثابني إن شاء الله تعالى، و إن عصيت خشيت أن يعذّبني، فاتقوا الله و ارجعوا» فأبوا فطردهم، فلمّا كان من الغد غدوا عليه، فجاء قنبر، فقال: و الله رجعوا يقولون ذاك الكلام، قال: «أدخلهم عليَّ»، فقالوا له مثل ما قالوا، و قال لهم مثل ما قال، و قال لهم: «إنّكم ضالّون مفتونون» فأبوا.

فلمّا أن كان اليوم الثالث أتوه، فقالوا مثل ذلك القول، فقال: «و الله لئن قلتم ذلك لأقتلنّكم أخبث قتله» فأبوا إلاّ أن يموتوا على قولهم فخدّ لهم أخدوداً بين باب المسجد و القصر، و أوقد فيه ناراً، و قال: «إنّي طارحكم فيها أو ترجعون» فأبوا، فقذف بهم فيها.[1]

روى العلاّمة المقدسي في (البدء و التاريخ): فرقة تغلو غلوّاً شديداً، و تقول قولاً عظيماً، و هم أصحاب عبدالله بن سبأ، يقال لهم: السبائية، قالوا لعليّ عليه السلام: أنتَ إله العالمين، أنتَ خالقنا و رازقنا، و أنت محيينا و مميتنا، فاستعظم عليّ عليه السلام ذلك من قولهم و أمر بهم، فأحرقوا بالنّار، فدخلوا النّار و هم يضحكون و يقولون: الآن صحّ لنا أنّك إله إذ لا يعذّب بالنّار إلاّ رب النار، و زعم إخوانهم بعد ذلك أنّهم لم تمسّهم النّار، و إنّما صارت عليهم برداً و سلاماً، كما صارت على إبراهيم عليه السلام و عند ذلك قال:

«إنّي إذا رأيت أمراً منكرا — أجّجتُ ناراً و دعوت قنبرا»[2]

وفي فرائد السمطين، بسنده عن عثمان بن المغيرة، قال: كنت عند عليّ ابن أبي

١. ذخائر العقبى لمحب الدين الطبري، ص ٩٣.

٢. البدء و التاريخ، ج ٥، ص ١٢٥؛ نقلاً عن الاحقاق، ج ٨، ص ٦٤٦.

طالب ﷺ جالساً فجاءه قوم فقالوا: أنتَ هو.! قال: «من أنا»؟ فقالوا: أنت هو، قال: «من أنا؟»، قالوا: أنت ربّنا! فاستتابهم فأبوا و لم يتوبوا، فضرب أعناقهم و دعا بحطب و نار فأحرقهم و جعل يرتجز و يقول:

«إنّي إذا رأيت أمراً منكرا أوقدتُ ناري و دعوت قنبرا»[1]

ما جرى على عبدالله بن سبأ و نهاية أمر الغلاة

في شرح ابن أبي الحديد، عن أبي العبّاس، قال: ثمّ إنّ جماعة من أصحاب عليّ ﷺ، منهم عبدالله بن عبّاس شَفَعُوا في عبدالله بن سبأ خاصّة، و قالوا: يا أميرالمؤمنين، إنّه قد تاب فاعفُ عنه، فأطلقه بعد أن اشترط عليه ألّا يُقيمَ بالكوفة، فقال: أين أذهب؟ قال ﷺ: «المدائن»، فنفاه إلى المدائن.

فلمّا قُتل أميرالمؤمنين ﷺ أظهر مقالته، و صارت له طائفةٌ و فرقةٌ يُصدّقونه و يتّبعونه، و قال لمّا بلغه قتلُ عليّ ﷺ: و الله لو جئتمونا بدماغه في سبعين صُرّة، لعلمنا أنّه لم يمت، و لا يموت حتّى يسوق العربَ بعصاه، فلمّا بلغ ابن عبّاس ذلك، قال: لو علمنا أنّه يرجع لما تزوّجنا نساءه، و لا قَسَمْنا ميراثه.

قال أصحاب المقالات: و اجتمع إلى عبدالله بن سبأ بالمدائن جماعة على هذا القول، منهم: عبدالله بن صبرة الهمداني، و عبدالله بن عمرو بن حرب الكندي، و آخرون غيرهما، و تفاقم أمرهُم و شاع بين النّاس قولهم، و صار لهم دعوة يدعُون إليها، و شُبهة يرجعون إليها، و هي ما ظهر و شاع بين النّاس من إخباره بالمغيّبات حالاً بعد حال، فقالوا: إنّ ذلك لا يمكن أنْ يكون إلاّ من الله تعالى، أو من حَلّتْ ذاتُ الإله في جَسده.

و لعمري إنّه لا يقدر على ذلك إلاّ باقدار الله تعالى إيّاه عليه، و لكن لا يلزم من إقداره إيّاه عليه أن يكون هو الإله، أو تكون ذات الإله حالّة فيه، و تعلّق بعضُهم

---

١. فرائد السمطين، ج ١، ص ١٧٤، رقم ١٣٦.

بشبهة ضعيفة، نحو قول عمر، و قد فقأ عليّ عليه السلام عين إنسان ألحد في الحرم: ما أقول في يد الله فقأت عيناً في حرم الله! و نحو قول عليّ عليه السلام: «و الله ما قلعتُ باب خيبر بقوّة جسدانية، بل بقوّة إلهيّة».

و نحو قولِ رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا اله إلاّ الله و حدَهُ، صَدقَ و عدَه، و نصر عبدَه، و هزم الأحزاب و حدَه»، و الّذي هزم الأحزاب هو عليّ بن أبي طالب، لأنّه قتل شجاعهم و فارسَهم عَمراً، لما اقتحموا الخندق، فأصبحوا صبيحة تلك الليلة هاربين مفلولين، من غير حربٍ سوى قتل فارسهم.[1]

---

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ٥، ص ٦.

سيرته ﷺ مع عمّاله

كان عليّ ﷺ حاكماً بالحقّ عادلاً، و ما الحكومة لديه إلاّ أمانة و ليست مسرحاً للاستغلال و آلة لتحقيق المآرب، فهو يخاطب الأشعث بن قيس عامله على أذربايجان و يقول: «و إنّ عملك ليس لك بطعمة، و لكنّه في عنقك أمانة».[1]

و من المتيقّن أنّ عليّاً ﷺ كان ينصب الولاة من أجل خدمة المجتمع و إدارة النظام الإسلامي على أحسن وجه، و الرأفة بالرعيّة و تأمين الرفاه لهم، و لم يكن عليّ ﷺ ليأخذ القرابة بنظر الاعتبار، أو ينصب فلاناً بدافع العلاقات العائليّة و الرحميّة أبداً... .

لم يكن يتّبع الألا عيب السياسية وسيلة لبقائه في الحكم أطول مدّة ممكنة، و لم يكن يتأثّر بالشائعات و الأوضاع المفتعلة، و لم يستسلم أمام الضغوط، و إنّما كان يجعل الله نصب عينيه، و لا يفكّر إلاّ في مصلحة الرعيّة، فعندما يرى أنّ المصلحة تقتضي عزل معاوية فإنّه يصدر الأمر بعزله بالرغم من ممانعة من حوله و طلبهم منه إبقاءه في منصبه، فهو لم يرضخ لمطالبهم حتّى و إن أدّى الأمر إلى اشتعال نار الحرب و أدّى ذلك إلى مقتله.

عليّ مع الحقّ و الحقّ مع عليّ، فحيثما كان الحقّ كان عليّ، بل حيثما كان عليّ كان الحق، فلم يكن يرضى أن يظلم حاكم الرعيّة، و ما أن يعلم أنّ حاكماً قد ظلم في حكمه حتّى يعزله عن الولاية و الحكومة، و ربما وبّخه على فعله، و قد يحبسه و يعزّره ليعلم جميع الحكّام في البلاد الإسلامية أنّ عليّاً لا يرضى إلاّ برضى الله و بما يؤمّن مصلحة المجتمع و لا يحبّ غير ذلك.

---

١. نهج البلاغة، الكتاب ٥.

و ترى حاله يتغير في بعض الأحياء إذا ما سمع بأنّ أحد عمّاله قد ظلم، فيتوجّه إلى الله تعالى طالباً منه العفو و المغفرة، و أنّه لم يرسله ليظلم النّاس إنّما بعثه ليعدل بينهم.

كان عليّ عادلاً، و كان يتّخذ قراره بما يناسب حجم مخالفة عمّاله. فإذا رأى أنّ هذه المخالفة بسيطة قد يكفيها التذكير والموعظة فعل ذلك، كما فعل ذلك مع عثمان بن حنيف حيث اكتفى بإرسال كتاب له، و إن كان البعض يرى أنّه عزله عن منصبه.

و إذا ما اتّبعت الحكومات الإسلامية ـ الّتي تدّعي التزامها بالإسلام ـ سيرة عليّ عليه السلام مع المخالفين من عمّاله، فيثيبوا العامل المخدوم، و يعاقبوا المخالف المؤذي للنّاس، فإنّ المسلمين لا يبقون أسارى رتابة الدوائر، حيارى لا يعرفون ماذا عليهم أن يفعلوا، و ما هو الطريق الواجب اتّباعه لتتمّ معاملاتهم، و لما سارت أمورهم بهذا البطء.

يأمر عمّاله على البلاد بالرأفة و يحذّرهم من التعدّي

قال ابن عبدالبرّ في (الاستيعاب): و لا يخصّ عليه السلام بالولايات إلا أهل الديانات و الأمانات، و إذا بلغه عن أحدهم خيانة كتب إليه: «﴿قَدْ جاءَتْكُمْ مَوعِظَةٌ مِن رَبِّكُمْ فَأَوفُوا الكَيلَ و الميزانَ بِالْقِسْطِ وَ لا تَبْخَسوا النّاس أشياءَهُم وَ لا تَعثُوا في الأرضِ مُفسِدين. بَقِيَّةُ الله خَيرٌ لَكُمْ إنْ كُنتُمْ مُؤمِنين وَ ما أنا عَلَيكُم بِحفيظ﴾[1]. إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من أعمالنا حتّى نبعث إليك من يتسلّمه منك»، ثمّ يرفع طرفه إلى السّماء فيقول: «أللّهمّ إنّك تعلم أنّي لم آمرهم بظلم خلقك و لا بترك حقّك».[2]

روى العلامة الزمخشري في (ربيع الأبرار) قال: و قال عليّ عليه السلام لعامله: «انطلق على تقوى الله وحده لا شريك له، و لا تروّعنّ مسلماً، و لا تجتازنّ عليه كارهاً، و لا تأخذنّ منه أكثر من حقّ الله في ماله، فإذا قدمت على الحيّ فانزل بمائهم من غير

---

١. الآيات من يونس، ٥٧، الأعراف، ٨٥، الشعراء، ١٨٣، هود، ٨٦.

٢. الاستيعاب بهامش الاصابة، ج ٣، ص ٤٧ دار إحياء التراث العربي.

أن تخالط أبياتهم، ثمّ امض إليهم بالسكينة و الوقار حتّى تقوم بينهم فتسلّم عليهم، و لا تخدج التحيّة لهم، ثمّ تقول: عباد الله أرسلني إليكم وليّ الله و خليفته لآخذ منكم حقّ الله في أموالكم، فهل لله في أموالكم من حق فتؤدّوه إلى وليّه؟ فإن قال قائل: لا، فلا تراجعه، و إن أنعم لكم منعم، فانطلق معه من غير أن تخيفه أو تعسفه أو ترهقه، فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة، فإن كانت له ماشية أو إبل فلا تدخلها إلاّ بإذنه، فإنّ أكثرها له، فإذا أتيتها فلا تدخلها دخول تسلّط عليه و لا عنيف به، و لا تنفّرن بهيمة و لا تفزعنّها و لا تَسُوأنَّ صاحبها فيه».[1]

و فيه أيضاً: و قال ﷺ للأشتر حين ولّاه مصر:«و اجْعَل لِذَوي الحاجات مِنْك قسماً تفرغ لهم فيه شخصك، و تجلس لَهم مَجلِساً عاماً فتتواضع فيه لله الّذي خلقك و تقعد عنهم جُندَك و أعوانك من أحراسك و شرطك حتّى يكلّمك مُتكلّم غَيرمتَعْتع[2]، فإنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول في غير موطن: لَن تقدّس أُمّة لا يؤخذ لضعيف فيها حقّه من القوي غير متعتع، ثمّ احتمل الخرق منهم و العيّ[3]، و نحّ عنك الضيق[4] والأنفة[5]، يبسط الله عليك أكناف رحمته[6]، ويوجب لك ثواب طاعته».[7]

نبذة يسيرة من سيرته مع عمّاله

منها: توبيخ عثمان بن حنيف

في (نهج البلاغة): من كتاب له ﷺ إلى عثمان بن حنيف الأنصاري، و هو عامله

---

١. ربيع الأبرار ج ٣، ص ٧٧ وقوله: «لا تخدج التحية لهم» أي أتمّها ولا تنقصها.

٢. التعتعة في الكلام: التردد فيه من حصر أو عي، و المراد غير خائف.

٣. العي بالكسر: العجز عن النطق.

٤. الضيق: ضيق الصدر لسوء الخلق.

٥. الأَنَفَة: الاستنكاف و الاستكبار.

٦. أكناف الرحمة: أطرافها.

٧. ربيع الأبرار، ج ٣، ص ٧٨.

على البصرة، و قد بلغه أنّه دُعي إلى وليمة قومٍ من أهلها فمضى إليها: «أمّا بعد: يـا بن حنيف، فقد بلغني أنّ رجلاً من فِتية أهل البَصرة دَعَاك إلى مأدبَةٍ، فأسرعت إليها تستطاب لك الألوان، و تُنقل إليك الجفان، و ما ظننتُ أنّك تجيب إلى طـعام قـومٍ عَائِلُهم مجفوّ، و غنيُّهم مَدْعوٌّ. فانْظرإلى ما تَقضِمه مِن هذا المقضم، فما اشتبه عليك علمهُ فالفِظه، و ما أيقنتَ بطيب وَجهه فنَل منه.

ألا و إنَّ لكلّ مأموم إماماً يقتدي به، و يستضيء بنور علمه، ألا و إنّ إمامكم قد اكتفى مِن دنياه بِطمريه، و من طُعمِه بقُرصَيه، ألا و إنّكـم لا تـقدرون عـلى ذلك، ولكن أعينُوني بِورعٍ واجتهادٍ، وَ عِفّةٍ و سَداد، فَو الله ما كنزتُ من دنياكُم تِبراً، و لا ادّخرتُ من غَنائِمها وفراً، و لا أعددتُ لبالي ثَوبِي طمراً» إلى أن قال:

«و لو شِئتُ لاهتديتُ الطّريقَ إلى مُصفّى هذا العسَل، و لُـبابِ هـذا القـمح، و نَسَائِج هذا القزّ، و لكن هيهـات أن يَـغلبني هـوايَ و يـقودني جشَـعي إلى تَخَـيُّر الأطعمة، و لعلّ بالحجاز أو اليمامة من لا طَمع لهَ في القُرص و لا عَهْدَ له بالشِبع! أو أبيتَ مِبطاناً و حَولي بُطون غَرثىٰ و أكبادٌ حَرّى! أو أكون كما قال القائل:

وَ حَسبُك داءً أن تبيت ببطنة وَ حَولك أكبادٌ تحِنّ إلى القِـدّ

أأقنعُ من نفسي بأن يقال: أميرِ المؤمنين، و لا أُشـارِكهُم في مكـاره الدَّهـر، أو أكون أُسوة لهم في جشُوبَة العيش؟» الحديث.[١]

و في تعليقة (إحقاق الحقّ) روي عن الهمداني في (ذخيرة الملوك): أنّ عليّاً عليه السلام عزله عن الحكومة.[٢]

فتأمّل في هذا الكتاب الشريف، و انظر إلى سيرة أمير المؤمنين عليه السلام في مطعمه و ملبسه حينما كان متصدّياً للولاية العامة، و كانت في قبضته الأموال العامّة و بـيت مال المسلمين، و انظر إلى أنّه مع كون المسافة بين الكوفة و البصرة مسافة بعيدة، و

١. نهج البلاغة، الكتاب ٤٥.

٢. الإحقاق، ج ٨، ص ٥٤٩.

لم تكن توجد في تلك الأعصار ما يوجد اليوم من أجهزة الاتصالات، كيف كان أمير المؤمنين ﷺ يتطلع على أحوال أمرائه و عمّاله، و كيف كان يناقشهم في أُمور جزئيّة تبلغه عنهم.

و منها: قصة سودة بنت عمارة

في (الفصول المهمّة) لابن الصباغ المالكي: بسنده عن سودة بنت عمارة الهمدانية (رحمة الله عليها): أنّها قدمت على معاوية بعد موت عليّ ﷺ فجعل معاوية يؤنّبها على تعريضها[1] عليه في أيّام قتال صفّين، ثمّ أنّه قال لها: ما حاجتك؟

فقالت: إنّ الله تعال مسائلك عن أمرنا، و ما فرض عليك من حقّنا، و ما فوّض إليك من أمرنا، و لا يزال يقدم علينا من قبلك من يسمو بمقامك، و يبطش بسلطانك، فيحصدنا حصد السنبل، و يدوسنا دوس الحرمل، يسومنا الخسف، و يذيقنا الحتف، هذا بُسر بن أرطأه قد قدم علينا فقتل رجالنا، و أخذ أموالنا، و لولا الطاعة لكان فينا عزّ و منعة، فإن عزلته عنّا شكرناك، و إلاّ فإلى الله شكوانا.

فقال معاوية: إيّاي تعنين، و لي تهددين بقومك! لقد هممت يا سودة أن أحملك على قتب أشوس فأردّك إليه، فينفّذ حكمه فيك، فأطرقت سودة، ثمّ أنشأت تقول:

صلّى الإله على جسم تضمّنه ... قبر فأصبح فيه العدل مدفونا
قد حالف الحقّ لا يبغي به بدلاً ... فصار بالحق و الإيمان مقرونا

فقال معاوية: من هذا، يا سودة؟.

فقالت: هذا و الله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ، لقد جئته في رجل كان قد ولّاه صدقاتنا، فجار علينا، فصادفته قائماً يريد صلاة، فلمّا رآني انفتل من صلاته، ثمّ أقبل عليّ بوجه طلق، و رحمة و رفق، و قال: «لك حاجة» فقلت: نعم، و أخبرته بالأمر، فبكى، ثمّ قال: «أللّهمّ أنت الشاهد عليّ و عليهم أنّي لم آمرهم بظلم

---

١. كذا في المصدر و الظاهر أنّه: تحريضها.

حلقك و لا بترك حقّك» ثمّ أخرج من جيبه قطعة جلد و كتب فيها:

بسم الله الرّحمن الرّحيم ﴿قد جاءتكم بيّنةٌ مِن ربّكم فأوفوا الكيل و الميزان و لا تبخسُوا النّاس أشياءهم و لا تُفسدُوا في الأرضِ بعد إصلاحها ذلكم خيرٌ لكُم إن كُنتُم مؤمنين﴾[١]، و إذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملك حتّى نقدم عليك من يقبضه و السلام» ثمّ دفع إليّ الرقعة، فجئت بالرقعة إلى صاحبه، فانصرف عنّا معزولاً.

فقال معاوية: اكتبوا لها بما تريد، و اصرفوها إلى بلدها غير شاكية.[٢]

و منها :جعله هدايا أحد العمال في بيت المال

روى العلاّمة ابن وكيع في (أخبار القضاة) بسنده عن عليّ بن ربيعة: أنّ عليّاً عليه السلام استعمل رجلاً من أسد، يقال له: ضبيعة بن زهير، فلمّا قضى عمله أتى عليّاً عليه السلام بجراب فيه مال، فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ قوماً يهدون لي حتّى اجتمع منه مال، فها هوذا؟ قال: فإن كان لي حلال أكلته، و إن كان غير ذاك فقد أتيتك به؟ فقال عليّ عليه السلام: «لو أمسكته لكان غلولاً» فقبضه منه و جعله في بيت المال.[٣]

و منها : عزله أبا الأسود عن القضاء

قال العّلامة ابن الأخوة: يحكى أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام ولّى أبا الأسود الدؤلي القضاء ساعةً من نهار ثمّ عزله، فقال له: لِمَ عزلتني، فو الله ما خنت و لا خوّنت؟.

قال عليه السلام: «بلغني أنّ كلامك يعلو كلام الخصمين إذا تحاكما إليك».[٤]

---

١. الأعراف، ٨٥.

٢. الفصول المهمّة لابن الصباغ المالكي، ص ١٢٩.

٣. أخبار القضاة، ج ١، ص ٥٩؛ نقلاً عن الاحقاق، ج ٨، ص ٥٤٩

٤. معالم القربة في أحكام الحسبة، ص ٢٠٣؛ نقلاً عن الاحقاق، ج ٨، ص ٥٤٨.

سيرته ﷺ مع التجار و أصحاب الحرف

اعلم أنّ التجارة شغل شريف لكونها وسيلة لتبادل الموادّ الأوّلية و المنتجات الصناعية و المحاصيل الزراعية و الحيوانية، و هذا التبادل ركن الحياة الاجتماعية و نظام الحيويّة المدنيّة، و لذا وردت في مدحه أخبار كثيرة وحُثّ على مزاولتها في الشرع الإسلامي.

في (الخصال) بسنده عن عبدالمؤمن الأنصاري، عن أبي جعفر ﷺ، قال: «قال رسول الله ﷺ: البركة عشرة أجزاء، تسعة أعشارها في التجارة».[1]

وكفى في فضل التجارة أنّها كانت شغل النبيّ ﷺ قبل أن يبعث نبيّاً ﷺ، فقد سافر إلى الشام في التجارة مع عمّه أبي طالب، ثمّ صار يُتاجِرُ لخديجة بنت خويلد، و سافر إلى الشام للتجارة مرّة أخرى، وقد أعجبت بتجارته وأمانته، فطلبت منه أن يتزوّجها.

عهده إلى مالك الأشتر في أمر التجّار و أصحاب الحرف

حينما ولي عليّ ﷺ أمر الحكومة توجّه إلى أهل السوق و التّجار و ذوي الصناعات، يوصيهم بما هو من صحيح واجبهم وكذا يوصي ولاته برعاية حقوقهم، و المنع عن الخلاف، و في عهده ﷺ المعروف إلى مالك الأشتر النخعي، قال:

«ثمّ استَوصِ بالتُجّار وذوي الصّناعات، وأوصِ بهم خيراً، المُقيمِ مِنهُم والمُضطَرِبِ بمالِهِ[2] و المُتَرَفِّقِ[3] بِبدَنِه، فإنّهم مَوادُّ المَنافِعِ و أسبابُ المَرافقِ[4] و جُلّابُها من المَباعِدِ

---

١. الخصال، ج ٢، ص ٤٤٥، باب العشرة، ح ٤٤؛ و وسائل الشيعة، ج ١٢، ص ٣.

٢. المضطرب بماله: المتردّد به بين البلدان.

٣. المترفّق: المكتسب.

٤. المرافق: ما ينتفع به من الأدوات و الآنية.

و المطَارِحِ[١] في بَرِّك و بَحرِك، و سَهلِك و جبَلِكَ، و حَيثُ لا يَلتَئِمُ النَّاسُ لِمَواضِعِها[٢]، و لا يَجتَرِؤونَ عليها، فإنَّهُم سِلمٌ لا تُخافُ بائِقَتُهُ[٣]. و صُلحٌ لا تُخشىٰ غائلَتُه[٤]، و تَفقَّد أُمورَهُم بِحَضرَتِك و في حَواشي بِلادِك. و اعلَم مع ذلك أنّ في كَثيرٍ منهم ضِيقاً فاحِشاً، و شحّاً قبيحاً[٥] وَ احتِكاراً[٦] للمنافِعِ، و تَحكُّماً[٧] في البِياعات، و ذلك بابُ مضرّةٍ للعامّة، و عيبٌ على الوُلاة. فَامنَع مِن الاحتكار، فإنّ رسول الله ﷺ مَنَعَ منه، وَليَكُن البَيعُ بَيعاً سَمحاً[٨] بموازينِ عدلٍ، و أسعارٍ لا تُجحِفُ بالفَريقَين مِنَ البائِعِ و المُبتاعِ[٩]، فَمَن قَارَفَ[١٠] حُكرةً[١١] بعدَ نَهيِك إيّاهُ فَنَكِّل[١٢] به و عاقبهُ في غَيرِ إسرافٍ[١٣]»[١٤].

نظرة في عهده ﷺ إلى الأشتر النخعي

و قد وصف عَليٌّ ﷺ في عهده إلى الأشتر، التجار بما لا مزيد عليه من خدمتهم

---

١. المطارح: الأماكن البعيدة.

٢. أي لا يمكن التئام الناس و اجتماعهم في مواضع تلك المواقف من تلك الأمكنة.

٣. البائقة: الداهية.

٤. الغائلة: الشر.

٥. الضيق: عسر المعاملة، و الشحّ: البخل مع حرص، فهو أشدّ من البخل.

٦. الاحتكار: حبس الطعام و المنافع عن الناس عند الحاجة إليها، و لا يسمحون به إلاّ بأثمان فاحشة.

٧. التحكيم في البياعات: التطفيف في الوزن و الزيادة في السعر.

٨. المسامحة: المعاملة السهلة التي لا ضيق فيها و لا حرج.

٩. المبتاع: المشتري.

١٠. قارف: خالط. قارف الذنب و غيره: إذا داناه و لاصقه.

١١. الحُكرة، بالضمّ: الاحتكار.

١٢. فنكّل به: أي أوقع به النكال و العذاب، عقوبة له.

١٣. في غير إسراف: من غير تجاوز حدّ العدل.

١٤. نهج البلاغة، الكتاب ٥٣.

في المجتمع الإنساني، و حمايتهم للمدنيّة البشرية، فقال:

أوّلاً: «و المضطرب بماله» أي من يجعل ماله متاعاً يدور به في البلاد البعيدة، يقطع المفاوز و يعرّض نفسه للأخطار، ليوصل حوائج كلّ بلد إليه.

و قال ثانياً: «فإنّهم موادّ المنافع و أسباب المرافق» فقد اهتمّت الدول الراقية، و الشعوب المتقدّمة في هذه العصور بأمر التجارة و أدركوا حقيقة ما أفاده ﷺ في هذه الجملة القصيرة قبل قرون طويلة من أنّ التجارة موادّ المنافع. و قد أبلغ ﷺ في ما أفاده بما للتجارة من الأهمّية في أمر الاقتصاد، حيث جاء بكلمة المواد جمعاً مضافاً مفيداً للعموم، و بكلمة المنافع جمعاً معرّفاً باللام مفيداً للاستغراق، فأفاد أنّ كلّ مادّة لكلّ منفعة مندرجة في أمر التجارة. فالتجارة تحتاج إلى ما يتّجر به من الأمتعة، و إلى سوق تباع فيه تلك الأمتعة، ثمّ يؤخذ بدلها متاع آخر، و يبدّل بمتاع آخر فيستفاد من هذه المبادلات كلّها أرباحاً.

و قد بلغت أهمية التجارة في أعصارنا الحاضرة حدّاً بحيث صارت محوراً للسياسة العامّة للدول الكبيرة، و صار حمل مواردها من النّفط، و الذّهب، و الفضّة و المحاصيل الزراعية إلى البلاد الأخرى أساساً لسياستها و مثاراً للحروب الهائلة و مداراً للمعاملة مع الشعوب و سبباً للتسلّط على الشعوب المستضعفة.

و قد نبّه عليّ ﷺ في عهده على أنّ الروابط التجارية سبب استقرار السلم و الصلح بين أفراد الأمّة و المجتمع و بين الشعوب، فقال ﷺ: «فإنّهم سلم لا تخاف بائقته، و صلح لا تخشى غائلته» فيالها من جملة ذهبية حيّة في هذه القرون المعاصرة حيث يتعطّش العالم إلى استقرار السلم العالمي بين الشعوب، و لا يخفى أنّه فسّر البائقة بالداهية، و هذا يعني أنّ التجارة الحرّة السالمة ليس فيها دهاء و مكر و سوء قصد من قبيل الاستعمار و التسلّط، بل فيها صلح ليس وراءه مضرّة و هلاك.

و أمّا أمره ﷺ بتفقد أحوال التّجار و الإشراف عليهم بقوله: «تفقّد أُمورهم بحضرتك...» فهو تتمّة لوصيّته بهم بالخير، لحماية رؤوس أموالهم من التلف، و السرقة من قبل اللصوص، و هذه بوصيته بإقرار الأمن في البلاد و في طرق التجارة

بحراً و برّاً، و قد التفتت الأُمم الراقية إلى ذلك، فاهتموا باسقرار الأمن في البلاد و الطرق، و بحفظ رؤوس الأموال التجارية عن المكائد الدسائس المهكة لها.

ثمّ نبّه عليه السلام في عهده إلى خطر في أمر التجارة يتوجّه إلى عامّة الناس المحتاجين في معاشهم إلى شراء الأمتعة من الأسواق، و هو مرض الشحّ و البخل و طلب الادّخار و الاستكثار من المال، الكامن في طبع كثير من التجار، فإنّه يؤول إلى الاستعمار و التسلّط على أجور الزرّاع و العمّال، و قد ينتهي إلى أن يؤخذوا عبيداً و أسرى لأصحاب رؤوس الأموال، فوصفهم بقوله عليه السلام: «إنّ في كثير منهم ضيقاً فاحشاً» أي حبّاً عظيماً لجلب المنافع و ازدياد صيد الأموال المختصّة به، و ربما بلغ حدّ الجنون و لا يكتفي بالمليارات.

«و شحّاً قبيحاً» يمنع من بذل ما يزيد على حاجته، و لا يقدر على حفظه و حصره لعامّة الناس.

«و احتكاراً للمنافع» بلا حدّ و لا حساب، فيكون حاله كجهنم كلّما قيل لها: هل امتلأت؟ تقول: هل من مزيد؟

«و تحكّماً في البياعات» أي يؤول ذلك الحرص الجهنمي إلى تشكيل الشركات الجبّارة، فيجمعون حوائج الناس بمكائدهم و قوة رؤوس أموالهم و يبيعونها بأيّ سعرٍ أرادوا، و بأيّ شروط خبيثة تحفظ مزيد منافعهم، و تقهر الناس و تشدّد سلاسل مطامعهم و مظالمهم على أكتافهم، و لذا استنتج عليه السلام من ذلك مفسدتين مهلكتين:

الأُولى: قوله: «و ذلك باب مضرّة للعامّة» و أيّ مضرّة أعظم من الأسر الاقتصادي في أيدي أصحاب رؤوس الأموال مصّاصي دماء الناس.

الثانية: قوله: «و عيب على الولاة» و أيّ عيب أقبح من تسليم الأمّة إلى هذا الأسر المهلك؟

فشرع عليٌ ٧ في بيان كيفية محاربة هذه المفاسد بقوله: «فامنع من الاحتكار»

المنع من الاحتكار للمنافع و البضائع،[١] يعني كما لا يجوز احتكار البضائع طلباً لزيادة الربح، فكذا لا يجوز احتكار المنافع، المقصود منه الحرص على أخذ الأرباح و المنافع من التجارات زائداً عن المقدار المشروع، بحيث يؤدي هذا الحرص و الطمع إلى تشكيل الشركات و القيام بالاحتكارات التي شاعت في هذه العصور، و مال إليها أرباب رؤوس الأموال الهامّة في الشركات النفطية و المعدنية.

مراقبة السوق و نصيحة التّجار

في (الاستيعاب) عن أبجر بن جرموز، عن أبيه، قال: رأيت عليّ بن أبي طالب عليه السلام يخرج من مسجد الكوفة و عليه قطريتان متّزراً بالواحدة و مرتدياً بالأُخرى، و إزاره إلى نصف الساق، و هو يطوف في الأسواق، و معه درّة، يأمرهم بتقوى الله و صدق الحديث، و حسن البيع، و الوفاء بالكيل و الميزان.[٢]

و روى أبو إسحاق الثقفي الكوفي في(الغارات) عن أبي سعيد، قال: كان عليّ عليه السلام يأتي السوق فيقول:« يا أهل السوق، اتّقوا الله، و إيّاكم و الحلف، فإنّه ينفق السلعة، و يمحق البركة، فإنّ التاجر فاجر إلاّ من أخذ الحقّ و أعطاه، والسلام عليكم.»[٣]

و روى أيضاً، بسنده عن الحارث بن عبدالله الأعور الهمداني، عن عليّ بن أبي

١. الاحتكار في الفقه هو احتكار الأطعمة، و يبحث الفقه حرمته أو كراهته مطلقاً، أو في بعض البضائع و السلع و هو حكم خلافي، و احتكار المنافع الذي عبّر عنه الإمام عليه السلام في كلامه هو الحرص على تحصيل الأرباح و المنافع الزائدة عن الحدّ المشروع، إلى تشكيل الشركات و القيام بالاحتكارات، و ضرب الانحصارات التي شاعت في هذه العصور، فإنّه عليه السلام منع من هذا النوع من الاحتكار، فإنّه أقبح شيء في الأسواق كما شاهدنا اليوم في الدوّل الرّاقية.

٢. الاستيعاب لابن عبدالبر المالكي بهامش الاصابة، ج ٣، ص ٤٨.

٣. الغارات، ج ١، ص ١٠٩.

طالب عليه السلام أنّه دخل السوق فقال: «يا معشر اللّحّامين، من نفخ منكم[١] في اللحم فليس منّا» فإذا هو برجل مولّيه ظهره، فقال: كلاّ و الّذي احتجب بالسبع، فضربه عليّ عليه السلام على ظهره ثمّ قال: «يا لحّام، و من الّذي احتجب بالسبع؟»، قال: ربّ العالمين، يا أمير المؤمنين، فقال له: «أخطأت ثكلتك أمّك، إنّ الله ليس بينه و بين خلقه حجاب لأنّه معهم أينما كانوا»، فقال الرّجل: ما كفّارة ما قلت، يا أمير المؤمنين؟ قال: «أن تعلم أنّ الله معك حيث كنت»، قال: أُطعم المساكين؟ قال: «لا، إنّما حلفت بغير ربّك».[٢]

و رواه أيضاً:بسنده عن النعمان بن سعد،عن عليّ عليه السلام، قال: كان عليّ عليه السلام يخرج إلى السوق ومعه الدّرة فيقول: «اللهمّ إنّي أعوذ بك من الفسوق، ومن شرّ هذه السوق».[٣]

روى ابن حزم في (المحلّى) بسنده عن أبي حكم: أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام أحرق طعاماً احتكر بمائة ألف.[٤]

و روى فيه أيضاً: عن حُبيش، قال: أحرق لي عليّ بن أبي طالب عليه السلام بيادر بالسواد كنتُ احتكرتُها، لو تركها لربحتُ فيها مثل عطاء الكوفة[٥].

---

١. النفخ في اللّحم يحتمل وجهين الاول: ما هو الشائع من النفخ في الجلد لسهولة السلخ، و الثاني: التدليس الذي يفعله بعض الناس من النفخ في الجلد الرقيق الذي على اللحم ليرى سميناً و هذا أظهر.

٢. الغارات، ج ١، ص ١١١.

٣. المصدر السابق، ج ١، ص ١١٣

٤. المحلّى لابن حزم الاندلسي، ج ٦، ص ٦٥.

٥. المصدر السابق، ج ٦، ص ٦٥.

سيرته ﷺ في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

إنّ الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر من أهمّ الفرائض الّتي حثّ عليهما القرآن و السنّة، بل عليهما يبتني بقاء أساس الدّين و استمرار الرّسالة النّبوية و حفظ نظام المسلمين، و هذه الفريضة شُرّعت لجميع المسلمين و هي باقية إلى يوم القيامة. و قد اعتبر جميع المسلمين مسؤولين إجمالاً عن تطبيقها و نشرها و حفظها، و من هنا كان على الأمّة الاسلامية و خصوصاً إمامها و ممثّلها أن تراقب بكلّ وجودها أوضاع المجتمع، و أن تجدّ في نشر المعروف و بذر الخير، و تعمل على قلع جذور الشرّ و إنكاره.

و قد بلغت هذه الفريضة من الأهمية حدّاً جَعلها أمير المؤمنين ﷺ فوقَ الجهاد و جميع أعمال البِرّ بمراتب، فقال ﷺ في نهج البلاغة: «و ما أعمالُ البرّ كلّها و الجهادُ في سبيل الله عند الأمر بالمعروف و النهي عن المُنكر إلاّ كنفثةٍ[1] في بحرٍ لُجيٍّ[2]، و إنّ الأمر بالمعروف و النّهي عن المنكر لا يُقرّبان من أجل و لا ينقُصان من رزقٍ، و أفضل من ذلك كلّه كلمةُ عدلٍ عند إمامٍ جائرٍ».[3]

و عدّهما ﷺ في موضعٍ آخر من نهج البلاغة من شُعَب الجهاد. فعن أبي جُحيفة، قال: سمعتُ أمير المؤمنين ٧ يقول: «إنّ أوّل ما تُغلَبُونَ عليه من الجهاد، الجهادُ

---

١. النفثة كالنفخة: يراد ما يمازج النفس من الريق عند النفخ.

٢. بحرٍ لجي: كثير الموج.

٣. نهج البلاغة، قصار الحكم ٣٦٦.

بأيديكم، ثمّ بألسنتكم، ثمّ بقلوبكم، فمن لم يَعرف بقلبه مَعروفاً و لم يُنكر منكراً، قُلِبَ فَجُعل أعلاهُ أسفلَه و أسفلُهُ أعلاهُ».[1]

و السّر في ذلك أنّ قوام كلّ الفرائض و بقاءها رهينٌ بإقامة هاتين الفريضتين، مضافاً إلى أنّ الجهاد كفاح خارجيٌّ، و لا أثر له و لا أهميّة ما لم يصلح الداخل، فالواجب أوّلاً تطهير الداخل و إصلاحه، ثمّ الإقدام على إصلاح الخارج.[2]

صور من أمره ﷺ بالمَعروف و نهيه عن المنكر

في (التراتيب الإدارية) للكتّاني، عن مسند عبد بن حميد، عن مطرف، قال: خرجت من المسجد فإذا رجل ينادي من خلفي: «ارفع إزارك فانّه أنقى لثوبك و أبقى له» فمشيتُ خلفه و هو بين يديّ مؤتزر بإزارٍ، مرتدٍ برداءٍ و معه الدّرة كأنه أعرابيٌّ بدويّ، فقلت: من هذا؟.

فقال لي رجل: هذا عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين ﷺ، حتّى انتهى إلى الابل، فقال: «بيعوا و لا تحلفوا، فإنّ اليمين تُنفق السّلعة و تُمحق البركة»، ثمّ أتىٰ إلى أصحاب التمر فإذا خادمٌ يبكي فقال: «ما يُبكيك؟»، قال: باعني هذا الرجل تمراً بدرهم فردّه عليٌّ مولاي، فقال له عليّ ﷺ: «خذ تمرك و أعطه درهمه، فإنّه ليس له من الأمر شيء» فدفعه.[3]

و روى الحديث في الغارات، و كذا كنزالعمال في باب فضائل الصحابة عن أبي مطر مع تفاوت في بعض ألفاظه.[4]

عن العلاّمة المطرزي (المداخل في اللغة): قال ابن الأعرابي: و منه خبر عمر بن

١. المصدر السابق، ص ١٢٥٤، قصار الحكم ٣٦٧.

٢. أُنظر دراسات في ولاية الفقيه، ج ٢، ص ٢١٣ ـ ٢١٥.

٣. التراتيب الإدارية للشيخ عبدالحي الكتاني، ج ١، ص ٢٨٩.

٤. الغارات، ج ١، ص ١٠٤؛ كنزالعمال، ج ١٣، ص ١٨٣، ح ٣٦٥٤٧.

الخطّاب أنّه كان يطوف بالبيت فقال له رجل: يا أميرالمؤمنين إنّ عليّاً لطم عـيني؟ فوقف عمر حتّى جاءه عليّ ﷺ فقال: يا أبا الحسن ألطَمتَ عين هذا؟ قال: «نعم، يا أميرالمـؤمنين»، قال: و لِمَ، يا أبا الحسن، قال: «لأنّي رأيتهُ يَنظر إلى حرم المسـلمين في الطّواف»، فقال له عمر: أحسنت، ثمّ أقبل على الملطوم: فقال له: وقعت عـليك عينٌ من عيون الله تعالى.

قال أبو العبّاس ثعلب: فسألت ابن الأعرابي عنها، فقال: خاصّة من خواصّ الله تعالى، و وليٌّ من أوليائه، و حبيب من أحبّائه.[1]

١. المداخل في اللغة، ص ٦٩ للمطرزي؛ نقلاً عن الاحقاق.

عليّ ﷺ و إعانة المظلوم

لقد كان لعليّ ﷺ في أيام خلافته وباقي حايته المباركة من الصفات ما لم يكن في عالم الوجود إلاّ لرسول الله ﷺ، و إذا نظرنا إلى تاريخ النماذج البشريّة العُليا، و الحكومات العادلة في تاريخ الدّنيا، فلا يمكن أن نقف على من تمتّع بتلك الصفات الّتي تمتّع بها عليّ ﷺ في أيّام خلافته... نعم، يمكن أن نرى بعض الخصائص في بعض الحكّام العادلين، لكن لا يمكن أن نرى ما كان لعليّ ﷺ على مدى سنوات حكمه الخمس من كلّ تلك الفضائل و الآثار النفيسة الّتي تمثّلت في أُسلوب حياته و سلوكه، بحيث طغى نوره في كلّ خصلة حميدة، و من هنا كان عليّ ﷺ قدوة لكلّ إنسان عادل و حاكم مقسط.

و إنّ كون عليّ ﷺ مرجعاً للقضاء و الفصل في المنازعات الّتي كانت تقوم في أيّام حكومته إحدى خصائصه البارزة، فقد كان يأخذ بحقّ المظلومين بنفسه، و يتابع مشاكل النّاس، بل و قد يقوم بأعمال البعض بنفسه إنْ سمحت له الفرصة... ربما خرج يتمشّى جنب داره حيناً، و أُخرى يمشي في الأسواق ليعظ النّاس، و يجلس ثالثة في المسجد لينصُر مظلوماً و يأخذ بحقّه من الظالم، و قد يذهب بنفسه مع المظلوم من أجل حلّ معضلته، و لم يكن الحرّ و القرّ أو الليل و النهار ليقف عائقاً بوجه عليّ ﷺ، و هو يؤدّي أعماله هذه، فهل سنجد في زاوية في العالم أو على صفحة من صفحات التأريخ حاكماً كعليّ ﷺ نذر نفسه لخدمه النّاس و يرى في كلّ مكان من أماكن المجتمع، لا يخشى غدر الخائنين و كيد الأعداء، و يقف إلى جانب المظلوم ضدّ الظالم بكلّ قوّة؟ و لا عجب من ذلك، فهو الّذي يقول: «كونُوا للظالم خصماً، و للمظلوم عوناً». لا شك في أنّنا سوف لا نجد مثيلاً له، و لم ير التأريخ له نظيراً.

هيهات أن يأتي الزمان بمثله ... إنّ الزمـــان بمثله لعقيم

موارد ممّا ظهر من إعانة المظلوم و إغاثة الملهوف

كان عليّ ؑ في مدى حكومته و حين قدرته معيناً للمظلوم، مغيثاً للملهوف، و خصماً للظالم، و الموارد الّتي شهدت و تشهد بأفعال عليّ ؑ هذه، كثيرة، أُشيرَ إلى بعضها في طيّات الفصول المختلفة، و نحن نشير هنا إلى صورة منها كمثال لذلك.

وفود سودة بنت عمارة الهمدانية على معاوية

و قد ذكرنا آنفاً، كانت سودة شاعرة و ذات بيان، و فدت على معاوية و دخلت عليه، فقال لها معاوية: كيف أنتِ يا سودة؟ قالت: بخير يا أميرالمؤمنين.

قال لها: أنتِ القائلة لأخيك:

شمّــر كــفِعْل أبـيك يـابن عُـمارة ... يـومَ الطِّـعان و مُـلتقى الأقـرانِ
و انصُر عـليّاً و الحسـين و رَهْـطَه ... و اقــصِد لِهــندٍ و ابــنها بهـوانِ
إنّ الإمــام أخــو النــبيّ محــمّد ... عَـلَم الهُـدى و مَـنارة الإيمـانِ
فَــقُدِ الجـيوش و سِر أمـام لوائـه ... قُــدُماً بأبـيضَ صـارمٍ و سِـنانِ

قالت: نعم إي و الله، ما مثلي مَن رغب عن الحقّ، أو اعتذر بالكذب.

قال: ما حملك على ذلك؟ قالت: حبّ عليّ و اتّباع الحقّ.

قال: ماحاجتك؟ قالت: هذا بسر بن أرطاة قدم علينا من قِبَلِكَ، فقَتَل رجالنا، وأُخَذ ما لنا، و لولا الطّاعة لكان فينا عزّ و منعة، فإمّا عزلته عنّا فشكرناك، و إمّا لا، فعرفناك.

فقال معاوية: إيّاي تُهدِّدين بقومك! و الله لقد هممت أن أرُدَّك إليه عـلى قـتب أشرس[1]، فيُنفّذ حُكمه فيك، فسكتت ثمّ قالت:

صَلّى الإله عَلى جسمٍ تَـضَمَّنه ... قبرٌ فأصبح فيه العدل مـدفوناً
قد حالفَ الحقّ لا يبغي به ثمـناً ... فصار بالحقّ و الإيمـان مـقروناً

---

١. القتب: الإكاف الصغير على قدر سنام البعير، و أشرس: صفة لموصوف محذوف، و هو البعير. و الأشرس: الخشن الغليظ. و تكون صفة للقتب.

فقال معاوية: مَن ذلك، يا سودة؟ فقالت: و الله هُوَ عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

قال: و ما صنع بك حتّى صار عندك كذلك؟ قالت: قدمتُ عليه في رجل وَلّاه صَدَقاتنا، فكان بيني و بينه ما بينه الغثّ و السمين، فأتيتُ عَليّاً عليه السلام لأشكوه إليه، فوجدتُه قائماً يُصلي، فلمّا نظر إليّ، انفتل مِن الصلاة، ثمّ قال لي برأفةٍ و تعطّف «ألك حاجة».

فأخبرته الخبر، فبكى ثمّ قال: «اللّهمّ إنّك أنتَ الشاهد عليّ و عليهم أنّي لم آمرهم بظلم خلقك، و لا بترك حقّك»، ثمّ أخرج من جيبه قطعةً كهيئة طرف الجراب فكتب فيها: «بسم الله الرحمن الرحيم ﴿قد جاءتكم بيّنةٌ من ربّكم فأوفوا الكيل و الميزان بالقسط و لا تبخسوا الناس أشياءهم و لا تعثوا في الأرض مفسدين بقية الله خيرٌ لكم إن كنتم مؤمنين و ما أنا عليكم بحفيظ﴾[1] إذا أتاك كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتى يقدم عليك من يقبضه منك و السلام». فأخذته منه يا معاوية، ما خزمه بخزام و لا ختمه بختام.

فقال معاوية: اكتبوا لها بالانصاف لها و العدل عليها.

فقالت: أليّ خاصّة، أم لقومي عامّة؟

قال: و ما أنتِ و غيركِ؟ قالت: هي و الله إذن الفحشاء و اللؤم إن لم يكن عدلاً شاملاً، و إلّا أنا كسائر قومي. قال: هيهات، لَمَظكم[2] ابن أبي طالب الجرأة، و غرّكم قوله:

«فلو كنتُ بوّاباً على باب جنّة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام»

ثمّ قال معاوية: اكتبوا لها و لقومها بحاجتها.[3]

و كم له (صلوات الله عليه) من الآثار و الأخبار و المناقب التي لا تُستر، أو يُستروجه النهار؟! و المفاخر الّتي يتعلّم منها من فخر، و المآثر الّتي تعجز من بقي كما أعجزت من غبر.

---

١. الآيات في الأعراف، ٨٥. الشعراء، ١٨٣. هود، ٨٦.

٢. لمّظه الشيء: أذاقه إياه، يريد علّمكم الجرأة على الحكّام، أو ملأكم غيظاً عليهم.

٣. راجع، العقد الفريد، ج ٢، ص ١٠٢.

عليّ ﷺ و المروة و العفو

في مفهومي الانتقام و العفو

الانتقام: هو أن يأتي المرء بمثل ما فعل به أو بأزيد منه، و إن كان محرّماً ممنوعاً في الشريعة في بعض الأمور، إذ ليس كلّ انتقام بجائز، فلا يجوز مقابلة الغيبة بالغيبة، و البهتان بالبهتان، و الفحش بالفحش، و السعاية إلى الظلمة بمثلها، و هكذا في سائر المحرّمات.

و أمّا العفو فهو ضدّ الانتقام و هو: إسقاط ما يستحقّه من قصاص أو غرامة، أو دية، و الآيات و الأخبار في مدح العفو و حسنه كثيرة، و قد أُشير إليها في مظانّها.

في عفو عليّ ﷺ و مروءته

قال جورج جرداق المسيحي في مقتل أميرالمؤمنين علي ﷺ: كلّ ما في الطبيعة كان يعصف بالثورة إلاّ وجه عليّ بن أبي طالب ﷺ فقد انبسط لا يحدّث بانتقام، و لا يشير إلى اشتباك، فإنّ العوّاد وقفوا بباب الإمام و كلّهم جازع متألّم باك يدعو إلى الله أن يرحم أميرالمؤمنين فيشفيه، و يشفي به آلام النّاس، و كانوا قد شدّوا على ابن ملجم فأخذوه، فلمّا أدخلوه عليه قال: «أطيبوا طعامه، و ألينوا فراشه».[1]

و قال أيضاً: و مروءة الامام أندر من أن يكون لها مثل في التاريخ، و حوادث المروءة في سيرته أكثر من أن تعدّ.

منها: أنّه أبى على جنده ـ و هم في حال من النقمة و السخط ـ أن يقتلوا عدوّاً تراجع، و أن يتركوا عدوّاً جريحاً فلا يسعفوه، كما أبى عليهم أن يكشفوا ستراً، أو أن

---

١. الإمام عليّ صوت العدالة الانسانية، ج ٤، ص ١٠٠٤.

يأخذوا مالاً.

و منها: أنّه صلّى في وقعة الجمل على القتلى من أعدائه و سأل لهم الغفران، و أنّه حين ظفر بألدّ أعدائه الّذين يتحيّنون الفرص للتخلّص منه ـ و هم عبدالله بن الزّبير و مروان بن الحكم، و سعيد بن العاص ـ عفا عنهم و أحسن إليهم، و أبى على أنصاره أن يتعقّبوهم بسوء، و هم على ذلك قادرون...

و منها: أنّه ظفر بعمرو بن العاص، فأعرض عنه و تركه ينجو بحياته و يستمرّ في مؤامرته ضدّه، لأنّ عمْراً هذا رجاه على أسلوب خاصّ أن يعفو عنه، و قد أصبح ذوالفقار فوق هامته، إلى آخر كلامه.[1]

و قال العقّاد في بيان مروءته عليه السلام: و يزيدها تشريفاً أنّها ازدانت بأجمل الصفّات الّتي تزين شجاعة الشجعان الأقوياء، فلا يعرف النّاس حلية للشجاعة أجمل من تلك الصفّات الّتي طبع عليها عليّ عليه السلام بغير كلفة، و لا مجاهدة رأي، و هي التورّع عن البَغي، و المروءة مع الخصم، قويّاً أو ضعيفاً على السواء، و سلامة الصدر من الضغن على العدوّ بعد الفراغ من القتال.

فمن تورّعه عن البغي، مع قوّته البالغة و شجاعته النادرة، أنّه لم يبدأ أحداً قطّ بقتالٍ و له مندوحة عنه، و كان يقول لابنه الحسن: «لا تدعونّ إلى مبارزة، فإن دعيت إليها فأجب، فإنّ الدّاعي إليها باغ، و الباغي مصروع».

و علم أنّ جنود الخوارج يفارقون عسكره ليحاربوه، و قيل له: إنّهم خارجون عليك فبادرهم قبل أن يبادروك، فقال: «لا أُقاتلهم حتّى يقاتلوني... و سيفعلون».

و كذلك فعل قبل وقعة الجمل، و قبل وقعة صفّين، و قبل كلّ وقعة صغرت أو كبرت و وضح فيها عداءُ العدوّ أو غمُض... يدعوهم إلى السّلم، و ينهي رجاله عن المبادأة بالشرّ. فما رفع يده بالسّيف قطّ إلاّ و قد بسطها قبل ذلك للسلم؛ و ساق

---

١. المصدر السابق، ج ١، ص ٨٢.

الكلام إلى أن قال:

و أمّا مروءته في هذا الباب، فكانت أندر بين ذوي المروءة من شجاعته بين الشجعان، فأبى على جنده و هم نالون أن يقتلوا مُدبراً أو يجهزوا على جريح، أو يكشفوا ستراً، أو يأخذوا مالاً. و صلّى في وقعة الجمل على القتلى من أصحابه و من أعدائه على السواء، و ظَفر بعبدالله بن الزّبير، و مروان بن الحكم، و سعيد بن العاص، و هم ألدّ أعدائه المؤلّبين عليه، فعفا عنهم و لم يتعقّبهم بسوء، و ظفر بعمرو ابن العاص و هو أخطر عليه من جيش ذي عدّة، فأعرض عنه و تركه ينجو بحياته حين كشف عن سوأته إتّقاءً لضربته.

و حال جند معاوية بينه و بين الماء في معركة و هم يقولون له: و لا قطرة حتّى تموت عطشاً... فلمّا حمل عليهم و أجلاهم عنه سوّغ لهم أن يشربوا منه كما يشرب جنده.

و زار السيّدة عائشة بعد وقعة الجمل فصاحت به صفيّة أم طلحة الطلحات: أيتم الله منك أولادك كما أيتمتَ أولادي. فلم يردّ عليها شيئاً. ثمّ خرج فأعادت عليه ما استقبلته به فسكت و لم يردّ عليها. فقال رجل أغضبه مقالها: يا أميرالمؤمنين، أتسكت عن هذه المرأة و هي تقول ما تسمع؟ فانتهره و هو يقول: «ويحك، إنّا أُمرنا أن نكفّ عن النساء و هنّ مشركات، أفلا نكفّ عنهنّ و هنّ مسلمات؟»، ثمّ ودّع السيدة عائشة أكرم و داع و سار في ركابها أميالاً و أرسل معها من يخدمها و يخفّ بها.

إلى أن قال: و هذه المروءة كانت سنّته مع خصومه، من استحقّ منهم الكرامة و من لم يستحقّها، من كان في حرمة عائشة، و من لم تكن له قطّ حرمة، و هي أندر مروءة عرفت من مُقاتل في و غر القتال.[1]

و علينا أن نذكر موارد من عفوه و مروءته حين حكومته و قدرته حتّى تتضح

١. عبقرية الإمام ﷺ لعباس محمود العقاد، ص ١٨.

للقرّاء الكرام سيرة أُسوة التقوى و إمام الهدى في هذا المجال.

قال ابن أبي‌الحديد المعتزلي في (شرح نهج البلاغة): و حاربه أهل البصرة و ضربوا وجهه و وجوه أولاده بالسّيوف و شتموه و لعنوه، فلمّا ظفر بهم رفع السّيف عنهم، و نادى مناديه في أقطار العسكر: ألا لا يتبع مولّ، و لا يُجهز على جريح، و لا يقتل مستأسر، و من ألقى سلاحه فهو آمن، و من تحيّز إلى عسكر الإمام فهو آمن، و لم يأخذ أثقالهم و لا سبى ذراريهم و لا غنم شيئاً من أموالهم، و لو شاء أن يفعل كلّ ذلك لفعل، و لكنّه أبى إلاّ الصّفح و العفو و تقبّل سنّة رسول الله ﷺ يوم فتح مكّة، فإنّه عفا و الأحقاد لم تبرد، و الإساءة لم تنس.[١]

و قال ابن أبي الحديد أيضاً: و لمّا ملك عسكر معاوية عليه الماء و أحاطوا بشريعة الفرات، و قالت رؤساء الشام له: اقتلهم بالعطش كما قتلوا عثمان عطشاً، سألهم عليّ عليه السلام و أصحابه أن يسوّغوا لهم شرب الماء، فقالوا: لا و الله و لا قطرة حتّى تموت ظمأً كما مات ابن عفان. فلمّا رأى عليه السلام أنّه الموت لا محالة، تقدّم بأصحابه و حمل على عساكر معاوية حملات كثيفة حتّى أزالهم عن مراكزهم بعد قتل ذريع، سقطت منه الرؤوس و الأيدي، و ملكوا عليهم الماء، و صار أصحاب معاوية في الفلاة لا ماء لهم، فقال له أصحابه و شيعته: امنعهم الماء - يا أمير المؤمنين - كما منعوك، و لا تسقهم منه قطرة، و اقتلهم بسيوف العطش، و خذهم قبضاً بالأيدي فلا حاجة لك إلى الحرب، فقال: «لا و الله لا أُكافئهم بمثل فعلهم، افسحوا لهم عن بعض الشريعة، ففي حدّ السّيف ما يغني عن ذلك.»[٢]

ملكنا فكان العفو منا سجيّة | فلمّا ملكتم سال بالدم أبطح
فحسبكم هذا التفاوت بيننا | فكلّ إناء بالّذي فيه ينضح[٣]

---

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ٢٣.

٢. نفس المصدر.

٣. الإمام عليّ للرحماني، ص ٤٨٢.

عفوه ﷺ عن رجل من الخوارج رماه بالكفر

في نهج البلاغة: أنّه ﷺ كان جالساً في أصحابه لمرّت بهم امرأة جميلةٌ فرمقها القوم بأبصارهم. فقال أميرالمؤمنين ﷺ: «إنّ أبصار هذه الفحول طَوامِح[1]، و إنَّ ذلك سببُ هِبابِها[2]، فإذا نَظر أحدُكم إلى امرأةٍ تُعجِبُه فليلامس أهله. فإنّما هي امرأةٌ كامرأته».

فقال رجل من الخوارج: قاتَلَه الله كافراً ما أفقَهه! فوثَبَ القَومُ لِيقتلُوهُ فقال ﷺ: «رويداً إنّما هو سبٌّ بسبٍّ، أو عفوٌ عن ذَنبٍ».[3]

وصيّته بقاتله

روي أنّه لمّا ضربه ابن ملجم أوصى إلى الحسن و الحسين ﷺ وصية طويلة، في آخرها: يا بني عبدالمطلب، لا تخوضوا دماء المسلمين خوضاً، تقولون: قُتِل أمير المؤمنين! ألا لا تقتلنّ بي إلّا قاتلي، انظروا إذا أنامُتُّ من ضربته هذه فاضربوه ضربة، و لا تمثّلوا به، فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إياكم و المثلة و لو بالكلب العقور»

و عن هشيم مولى الفضل، قال: لما قَتَل ابن ملجم علياً ﷺ قال للحسن و الحسين ﷺ: عزمت عليكما لمّا حبستم الرجل، فان مُتّ فاقتلوه و لا تمثّلوا به.[4]

---

١. طواع: مرتفعات.

٢. الهباب: الهيجان.

٣. نهج البلاغة، قصار الحكم ٤١٢.

٤. الرياض النضرة، ج ٣ و ٤، ص ٢٣٨.

علي ﷺ والقضاء

كان عليّ ﷺ أقضى الأُمّة و أعلمها بغوامض أحكام الإسلام و أعرفها بالقرآن و السنّة و بحوادث زمانه بحيث أصبح متداولاً على ألسنة الأصحاب بأنّه أقضى الأُمّة: وأقضى الصحابة، وأقضى أهل المدينة.

و قد اختاره رسول الله ﷺ قاضياً و بعثه إلى اليمن في عهده ﷺ، و دعا له بالخير و أثنى عليه و أبان فضله في ذلك، فدلّ به على استحقاقه ﷺ الأمر من بعده ﷺ، و وجب تقدّمه ﷺ على من سواه في مقام الإمامة.

قال ابن الصبّاغ المالكي في (فصل) ذكر شيء من علومه: فمنها علم الفقه الّذي هو مرجع الأحكام و منبع الحلال و الحرام، فقد كان عليّ ﷺ مطّلعاً على غوامض أحكامه منقاداً جامعاً بزمامه، مشهوداً له فيه بعلوّ محلّه و مقامه، و لهذا خصّه رسول الله ﷺ بعلم القضاء كما نقله الإمام أبو محمّد الحسين بن مسعود البغوي في كتابه (المصابيح) مرويّاً عن أنس بن مالك أنّ رسول الله ﷺ خصّص جماعة من الصحابة كلّ واحد بفضيلة، و خصّص عليّاً بعلم القضاء، فقال ﷺ: «و أقضاكم عليّ».[1]

عليّ ﷺ أقضى الأُمّة

في الإحقاق عن (أخبار القضاة) و غيره بإسناده عن ابن عمر و جابر و شداد بن أوس قالوا: قال رسول الله ﷺ: «أقضى أُمّتي عليّ».[2]

و فيه أيضاً: عن كتاب (التبصير في الدّين) قال: قال النبيّ ﷺ: في صفة عليّ

---

١. الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، ص ٣٤.

٢. أخبار القضاة، ج ١، ص ٨٨؛ و المعجم الصغير للطبراني، ص ١١٥؛ نقلاً عن الاحقاق، ج ٤، ص ٣٢١.

ﷺ: «أقضاكم عليّ».[١]

و فيه أيضاً: عن (مصابيح السُنة) عن قتادة عن النبيّ ﷺ: «أقضاهم عليّ».[٢]

وروى ابن عساكر الشافعي: بإسناده عن سعيد بن جبير، عن ابن عبّاس، قال: خطبنا عمر على منبر رسول الله ﷺ فقال: عليّ أقضانا، و أُبيّ أقرأنا، و إنّا لندع من قول أُبيّ أشياء، الحديث.[٣]

و عنه أيضاً عن عبدالله بن مسعود، قال: كنّا نتحدّث أنّ أقضى أهل المدينة عليّ بن أبي طالب ﷺ.[٤]

و عنه أيضاً: عن أبي الأحوص، قال: قال عبدالله بن مسعود: أفرض أهل المدينة و أقضاهم عليّ بن أبي طالب ﷺ.[٥]

و عنه أيضاً: بإسناده عن مغيرة، عن الشعبي، قال: ليس منهم أحد أقوى قولاً في الفرائض من عليّ بن أبي طالب.[٦]

و روى ابن سعد في (الطبقات) بسنده عن أبي إسحاق: أنّ عبدالله بن مسعود كان يقول: أقضى أهل المدينة ابن أبي طالب.[٧]

و روى الحاكم بسنده، عن عبدالله بن مسعود، قال: كنّا نتحدّث أنّ أقضى أهل المدينة عليّ بن أبي طالب.

---

١. التبصير في الدين للاسفرايني، ص ١٦١ نقلاً عن المصدر السابق

٢. مصابيح السنة، ج ٢، ص ٢٠٣ نقلاً عن المصدر السابق.

٣. ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٣، و ص ٢٨، ح ١٠٥٤، ص ٣٢، ح ١٠٦٢.

٤. المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٥، ح ١٠٦٦.

٥. المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٥، ح ١٠٦٧.

٦. المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٨، ح ١٠٦٩.

٧. الطبقات لابن سعد، ج ٢، ص ٣٣٩.

قال الحاكم: هذا حديث صحيح.[١]

رسول الله ﷺ يعلّمه القضاء

في (السيرة النبويّة): بعث رسول الله ﷺ عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى اليمن[٢] في شهر رمضان سنة عشر، و عقد له لواء، و عمّمه بيده، و قال له: «امض و لا تلتفت».

فقال عليّ عليه السلام: «يا رسول الله، ما أصنع؟».

قال ﷺ: «إذا نزلت بساحتهم فلا تقاتلهم حتّى يقاتلوك، و ادعهم إلى قول لا إله إلاّ الله، فإن قالوا: نعم، فمُرهم بالصلاة، فإن أجابوا فلا تبغِ منهم غير ذلك، و الله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك ممّا طلعت عليه الشمس أو غربت».[٣]

و روى أبو داود و غيره من حديث عليّ عليه السلام قال: «بعثني النبيّ ﷺ إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله، تبعثني إلى قوم أسنّ منّي، و أنا حديث السنّ لا أبصر القضاء». قال: «فوضع يده في صدري و قال: اللّهمّ ثبّت لسانه و اهدِ قلبه، و قال: يا عليّ، إذا جلس إليك الخصمان فلا تقضِ بينهما حتّى تسمع من الآخر، فإنّك إذا فعلت ذلك تبيّن لك القضاء».

قال عليّ عليه السلام: «و الله ما شككت في قضاء بين اثنين» فخرج عليّ عليه السلام في ثلاثمائة فارس، الحديث.[٤]

---

١. المستدرك للحاكم النيشابوري، ج ٣، ص ٣٥.

٢. في هامش مسند زيد، ص ٢٦١، قال: في سيرة صنعاء، كان نزول عليّ عليه السلام في اليمن على أمّ سعيد ابنة بزرخ، و هي أوّل مَن أسلم من أهل اليمن، و بَنَتْ مسجداً و سمّته مسجد عليّ عليه السلام، و هذا المسجد موجود إلى يومنا هذا، مشهور في سوق الحلقة، و سمّي الحلقة لأنّ أهل اليمن اجتمعوا على عليّ بن أبي طالب عليه السلام في هذا المحل وحلقوا عليه. و لبث عليّ عليه السلام بصنعاء أربعين يوماً، و دخل أماكن اليمن منها عدن أبين و عدن لاعة من بلاد حجة.

٣. السيرة النبوية لزيني دحلان الشافعي بهامش السيرة الحلبية، ج ٢، ص ٣٤٥.

٤. سنن أبي داود، ج ٣، ص ٣٠١، ح ٣٥٨٢؛ وروى عنه المصدر السابق، ج ٢، ص ٣٤٦.

و روى النسائي في الخصائص و كذا أحمد في الفضائل نحوه.[١]

و في المناقب لابن المغازلي الشافعي: بإسناده عن أبي البختري، عن علي ﷺ، قال: «بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن لأقضي بينهم، قال: فقلت: يا رسول الله، إنّي لا علم لي بالقضاء، فضرب يده على صدري، و قال: أللّهمّ اهدِ قلبه، و ثبّت لسانه».

قال: «فما شككت في قضاء بين اثنين حتّى جلست مجلسي هذا».[٢]

موقف علي ﷺ من القضاة

لايخفى على من راجع تواريخ الأمم و الأجيال في العالم أنّ لأمر القضاء وفصل الخصومات مكانة خاصّة حسّاسة في جميع الأُمم و المجتمعات البشرية، إذ عليه و على سلامة نظامه تبتني سلامة المجتمع، و أمنه، و استقرار العدل فيه، و حفظ الحقوق و الحرمات.

و لو لم يكن القضاء سالماً أو فوّض أمره إلى غير أهله، فشا الجور و الفساد، و ضاعت الحقوق و ضعفت الدولة، بل ربّما أعقب ذلك سقوطها و زوالها.

و ذلك واضح لأنّ عالم الطبيعة عالم التزاحم و التصادم، و الإنسان في طبعه مجبول على الولع و الطمع، و قد زيّن له حبّ الشهوات من النساء و الأموال و المشاغل، فربما يستغل الشخص قوّته و قدرته أو غفلة الآخرين، فيتزو على أموال الناس و حقوقهم، و يستعقب ذلك التنازع و البغضاء، بل ربما ينتهي الأمر إلى القتال و إتلاف النّفوس و الأموال.

فلا محيص عن وجود سُلطة عالم عادل نافذ الأمر، تصلح بينهم أو تقضي بالحق و العدل فيرتفع النزاع و يجد كلّ ذي حقّ حقّه.

---

١. خصائص أميرالمؤمنين للنسائي، ص ٤٢، ح ٣٢؛ و فضائل أحمد، ص ١٥٢، ح ٢٨٠.

٢. المناقب لابن المغازلي، ص ٢٤٨، رقم ٢٩٨.

عهده إلى مالك الأشتر النخعي

قال السيد الرضيّ ﵀: من عهدٍ له ﵇ كتبه للأشتر النخعي[1] لمّا ولاّه على مصر و أعمالها حين اضطرب أمر أميرها محمّد بن أبي بكر، و هو أطول عهدٍ كتبه و أجمعه للمحاسن.

و في عهده هذا، قسّم ﵇ طبقات المجتمع إلى سبعة أقسام و ذلك وفقاً للعمل و الحرفة:

١ـ جنود الله.

٢ـ كُتّاب العامّة و الخاصّة.

٣ـ قضاة العدل.

٤ـ عمّال الإنصاف و الرفق.

٥ـ أهل الجزية و الخراج من أهل الذمّة و مسلمة النّاس.

٦ـ التّجار و أهل الصناعات.

٧ـ الطبقة السفلى من ذوي الحاجة و المسكنة.

---

١. و هو مالك بن الحارث بن عبد يغوث النخعي المعروف بالأشتر ـ و الشتر: استرخاء الجفن الأسفل. و لعلّ ذلك صفته (ره) ـ و الأشتر أمير من كبار الشجعان، و كان رئيس قومه، شهد اليرموك و ذهبت عينه فيها، و شهد الجمل و صفّين مع عليّ ﵇ و أبلى فيهما بلاءً حسناً، و ولاّه أمير المؤمنين ﵇ مصر فقصدها بعد اضطراب الأمر على و اليها. و قد اختاره الإمام ﵇ لحكومة مصر لماضي مصر العريق في العلم و الفلسفة سيّما الفلسفة اليونانية الّتي كانت تدرّس هناك، فهو الرجل المناسب لتطوّر المجتمع المصري آنذاك لأنه من العلماء الفصحاء. و قد سمّه في الطريق إلى مصر (نافع) غلام عثمان بتخطيط من معاوية، إذ أنّ استقرار حكومته في مصر يعني تصفية الحساب مع و الي الشام. قال عليّ ﵇ حينما بلغه خبر شهادته: «رحم الله مالكاً، فلقد كان لي كما كنت لرسول الله» و قال: «إنّا لله! مالك و ما مالك! و هل موجود مثل مالك؟ لو كان حديداً لكان قيداً، و لو كان حجراً لكان صلداً، على مثله فلتبك البواكي»... انظر: الإصابة، (٨٣٤٣)، تهذيب التهذيب، ١٠:١١.

و ممّا لا شك فيه أنّه ﷺ لم يفضّل أحداً على أحدٍ من حيث العمل، و ليس هو في معرض الترجيح بين الطبقات، إذ كلّهم يعملون و يكسبون ما يتناسب مع عملهم.

و يظهر من عهده ﷺ خصوصيّة للقُضاة و رؤساء القضاء في الحكومات الإسلامية، فنشير إليها في التالي:

القاضي في نظره ﷺ

و في عهده إلى مالك ﷺ أوضح أميرالمؤمنين ﷺ ما يجب أن يتحلّى به القاضي من صفات و فضائل، و سنبيّن باختصار ما جاء في هذا العهد بخصوص الطبقة الثالثة من طبقات الناس (قضاة العدل).

١ ـ قال ﷺ: «ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ».

لابدّ من اختيار أفضل النّاس للتصدّي للقضاء، لأنّ الناس لا يمكن أن يطيعوا شخصاً هم أفضل منه، حيث إنّ تقديم المفضول عل الفاضل خلاف العقل، كما أنّ حكم غير المتّق على المتّقي و كذلك حكم غير المتعلّم على المتعلّم ممنوع و قبيح عقلاً.

٢ ـ «مِمَّنْ لاَ تَضِيقُ بِهِ الأُمُورُ».

يجب أن يكون القاضي متعلّماً بحيث إنّه قادر على تحليل و تجزئة المسائل و أن لا يكون في حَرَج و ضيق ممّا يواجه من الحوادث.

٣ ـ «وَ لاَ تُمَحِّكُهُ الْخُصُومُ».

تمحكه من المحك و هو التجربة و الاختبار، يعني أنّ القاضي يجب أن يكون في الهيبة و الوقار بحيث لا يسمح للخصمين أن يحاولا اختباره فيما إذا كان يقبل الرشوة بالمال أو بإظهار المحبّة و الاحترام، و جاء في شرح ابن أبي الحديد: تجعله ماحكاً أي لجوجاً، محك الرجل: لجّ، ماحك زيد عمراً: لاجّه، يعني: يجب أن يكون عليه من صفات الهيبة و الوقار بحيث لم يجرؤ الطرفان المتخاصمان أن

يلجّا في حكمه أو يناقشاه.

٤ـ «و لا يَتَمَادَى فِي الزَّلَّة».

إذا أخطأ القاضي في حكمه و أحسّ بالخطأ فعليه أن لا يصرّ و لا يستمرّ عليه، بل عليه الاعتراف و عدم التمادي لأنّ ذلك يؤدّي به إلى مجانبة الحقّ و العدل.

٥ـ «و لا يحصرُ مِنَ الفيء إلى الحقّ إذا عَرَفَهُ».

يحصر: أي يعيا في المنطق، و الفيء: الرجوع إلى الحقّ، يعني يجب أن يكون القاضي صريحاً في عودته إلى الحقّ إذا عرفه دون تردّد أو شكّ كي يحقّ الحقّ و يبطل الباطل.

٦ـ «و لا تشرفُ نَفْسُه عَلى طَمَعٍ».

يجب أن لا يشغل نفسه بالنظر إلى ما في أيدي الناس، و أن لا يكون من أهل الطمع، فهو ذو مقام عالٍ استلهمه من الخالق العزيز للحكم بين النّاس، لذا يجب عليه الحفاظ على هذا المقام و أن لا ينزل به إلى مستوىً منحطّ، إلى المادة و طمع الدّنيا.

٧ـ «و لا يكتفي بأدْنَى فهم دُوْنَ أقصاه».

يجب على القاضي التروّي في الحكم و أن لا يقضي بسرعة و بأدنى فهم، لأنّ ذلك يؤدّي به إلى الخطأ و الزلل، فعليه أن يناقش القضيّة من كلّ جوانبها، و يسمع من الخصمين سماعاً دقيقاً، كي تتّضح المسألة لديه و يحكم على أساسها.

٨ـ «وَ أوْقَفَهُم فِي الشُّبُهاتِ».

الشبهات: ما لا يتضّح الحكم فيه بالنصّ، و فيها ينبغي الوقوف على القضاء حتّى يردّ الحادثة إلى أصل صحيح، فعلاوة على كون القاضي أفضل الرعيّة فعليه أيضاً أن يتوقّف عند الشبهة، و أن لا يأخذه الغرور بما لديه من المعلومات، و أن لا يعتبر السؤال و المشاورة عيباً و عاراً عليه، بل العيب و العار هو التكبّر و الغرور و الوقوع في مزالق الباطل.

٩ ـ «و آخذَهُم بالحُجَج».

أي عليه الاعتماد على الدليل و البرهان، و أن يحكم على أساس الحُجج و القوانين والأحكام و لا يكتفي بما يتصوره في ذهنه و حسب.

١٠ ـ «وَ أَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الخَصْمِ».

التبرّم: الملل و الضجر، حيث ينبغي أن يكون القاضي أقلّ النّاس تضجراً من الطرفين المتنازعين، و أن يكون متحمّلاً صبوراً في الإصغاء للخصمين حتّى تنتهي الدعوى و لا يملّ من كلامهما.

١١ ـ «وَ أَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الأمور».

يجب أن يكون القاضي أكثر النّاس صبراً، و ذلك لأجل كشف الحقائق و تجلّيها، و أن لا يقطع بالحكم حتّى تتبيّن له كلّ مطالب القضيّة، و لا يكتفي بتقرير إجمالي لها و حسب.

١٢ ـ «وَ أَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتّضاحِ الحُكْمِ».

أصرمهم: أي أقطعهم للخصومة و أمضاهم، فإن اتّضح الأمر، عليه أن يكون قاطعاً حاسماً في اتخاذ القرار، و أن لا يؤجّله و يسوّفه جاعلاً النّاس في حيرة.

١٣ ـ «مِمَّنْ لاَ يَزْدَهِيهِ إطْرَاءٌ».

لا يزدهيه إطراء: أي لا يستخفّه زيادة الثناء عليه، فعليه أن لا يشعر بالكبر و الزهو لما يسمعه من إطراء و مدح الآخرين.

١٤ ـ «و لاَ يَسْتَمِيلُهُ إغراءٌ».

على القاضي أن لا يحكم وفقاً للمغريات الّتي يقدمها أحد طرفي النزاع و لا تنطلي عليه حيلة أحد الطرفين بحيث يستهويه و يحكم له.

من الطبيعي أنّ وجود قاضٍ تتمثّل به هذه الصفات القيّمة يعدّ نادراً و قليلاً، و قد قال أمير المؤمنين عليه السلام: «و أُولئك قليل».[1]

---

١. انظر العهد كاملاً في نهج البلاغة، الكتاب ٥٣.

واجب رئيس القضاء تجاه القضاة في عهده ﷺ

ليس من وجهة نظر أميرالمؤمنين ﷺ أن يُترك القاضي بمجرّد تعيينه و حسب، و أن لا يخضع للمراقبة و الفحص و الاختيار من قبل رئيس القضاء أو رئيس الدولة، و في عهده ﷺ إلى مالك الأشتر ﷺ أوصاه بالقضاة من جانبين:

الأول: مراقبة القاضي من حيث الأحكام الصادرة.

الثاني: متابعة الوضع المادّي و المعنوي للقاضي، يقول ﷺ استمراراً لنفس العهد:

١ـ «ثمّ أكثِرْ تعاهُد قَضَائِه».

أي تتبّعه بالاستكشاف و التعرّف، فإنّك يا مالك بعد أن عيّنت القاضي، عليك أن تراقبه و تتابعه و تناقش قضاياه الّتي حكم بها، لأنّ القاضي قد يخطأ، فرئيس القضاء يجب أن يناقش القضيّة، و إن اكتشف أدنى خلاف فيها عليه إعادتها إلى القاضي ليستأنف الحكم.

٢ـ «وَ افْسح لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ».

أي أوسع له في العطاء بما يكفيه، و يسدّ حاجاته، و حاجات و متطلبات بيته و عائلته، كي لا يكون ممّن ينظر إلى ما في أيدي النّاس، و لا تغرّه الرشوة، و لكي تكون لك الحجّة عليه إذا ارتشى.

٣ـ «وَ تَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إلى النّاس».

فإذا أجزلت له العطاء الكافي كفيته من حاجة النّاس، حتّى لا يكون متحيّزاً في إصدار الحكم لأحد.

٤ـ «و أعْطِهِ مِنَ المَنْزِلَة لديك مَا لاَ يَطْمَعُ فِيْهِ غيرُهُ مِن خَاصَّتِك لِيَأمَنَ بذلِك اغتيالَ الرّجالِ لَهُ عِنْدكَ».

لا يتوقف الإمام ﷺ عند حدّ كفاية القاضي من الناحية المادّيّة فقط، بل يتعدّاه

إلى الناحية المعنوية، إذ يجب على رئيس الدولة أو رئيس القضاء أن يجعل للقاضي مكانة لديه، لكي لا يكون هدفاً لسعاية الآخرين، و لكي يتمكّن من تنفيذ الأحكام الحقّة، و لا يطمع الآخرون به، و إلاّ فإنّ المحيطين برئيس القضاء أو برئيس الدولة سيطلبون منه أن يحكم لصالحهم، و إنّه سيعمل ذلك من فرط الخوف.

ثمّ في نهاية هذه الفقرة الخاصّة في القضاء من هذا العهد قال: «فانظر في ذلك نَظَراً بليغاً، فإنَّ هذا الدينَ قدْ كَانَ أسيراً في أيْدي الأشرار يُعْمَلُ فيه بالهوى وَ تُطلَبُ بِهِ الدُّنيا».[1]

سيرته ﷺ مع القضاة

نذكر فيما يلي نبذة من مخالفات القضاة و موقف عليّ ﷺ تجاههم حتّى يعرف القرّاء الكرام أنّ علمه ﷺ كقوله سواء.

في (شرح ابن أبي الحديد) و في (فرائد السمطين) عن عبدالله بن عمر، قال: استعدى رجل على عليّ بن أبي طالب ﷺ عمر بن الخطّاب، و عليّ جالس، فالتفت عمر إليه، فقال: قم يا أبا الحسن، فاجلس مع خصمك، فقام فجلس معه و تناظرا، ثمّ انصرف الرجل و رجع عليّ ﷺ إلى محلّه فتبيّن عمر التغيّر في وجهه، فقال: يا أبا الحسن، مالي أراك متغيّراً، أكرهتَ ما كان؟ قال ﷺ: «نعم».

قال عمر: و ما ذاك.

قال ﷺ: «كنّيتني بحضرة خصمي، هلاّ قلت: قم يا عليّ، فاجلس مع خصمك» فاعتنق عمر عليّاً و جعل يقبّل وجهه، و قال: بأبي أنتم! بكم هدانا الله، و بكم أخرجنا من الظلمة إلى النور.[2]

و قال ابن الإخوة: يحكى أن عليّ بن أبي طالب ﷺ ولّى أبا الأسود الدؤلي القضاء ساعة من نهار ثمّ عزله، فقال له: لِمَ عزلتني فو الله ما خُنتُ و لا خوّنتُ؟.

---

١. انظر المصدر السابق.

٢. شرح ابن أبي الحديد، ج ١٧، ص ٦٥، و في فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٤٨، ح ٢٧٣ مع تفاوت في لفظه.

قال ﷺ: «بلغني أنّ كلامك يعلو كلام الخصمين إذا تحاكما إليك».[1]

فعلى الولاة و رؤساء القضاء في الحكومات الإسلامية الاقتداء بهَـدْي إمـامهم عليّ ﷺ و السير بسيرته، و أن يراقبوا جهاز القضاء مراقبة دقيقة، و يتحرّوا عـن القائمين عليه، كي لا يتعسّفوا في الحكم على المتخاصمين و لا يـرهبوا المـراجـعين أو يعنّفوهم، و إذا علموا بتخلّف مـوظّفيهم، و نحّـوهم أو عـزلوهم لكـي تحـافظ الحكومة على مسير الحقّ و العدل.

حكى الشعبي، قـال: اشـترى شريح القـاضي داراً بـثمانـين ديـناراً. فـبلغ ذلك علياًﷺ، فاستدعاه، فقال له: يابن الحارث، بلغني أنك اشتريت داراً بكذا و كذا، و أشهدت على نفسك شهوداً، و كتبت كتاباً؟

فقال: قد كان ذلك يا أميرالمؤمنين، فنظر إليه نظر المغضب، ثمّ قـال: يـا شريح، إنه سيأتيك من لا ينظر في كتابك حـتى يخـرجك مـنها شـاخصاً، و يسـلمك إلى قرارك خالصاً، فاحذر أن تكون ابتعت هذه الدار من غير مالك، أو نقدت الثمن من غير حلالك، فاذن خسرت الدنيا و الآخرة... الحديث.[2]

علي ﷺ و قضاياه في مدى عمره الشريف

لقد قضى عليّﷺ في مدى عمره الشريف الميمون بقضايا كثيرة و لم نشر إلاّإلى نزر منها، و لكي لا تختلط على القارىء الكريم، فقد سعينا إلى فصلها و تـقسيمها إلى أربعة مباحث:

١ ـ قضاؤه في حياة رسول الله ﷺ.

٢ ـ قضاؤه في عهد عمر بن الخطاب.

٣ ـ قضاؤه في عهد عثمان بن عفّان.

---

١. معالم القربة في أحكام الحسبة، ص ٢٠٣؛ نقلاً عن الإحقاق، ج ٨، ص ٥٤٨.

٢. تذكرة الخواص، ص ١٤٩.

٤ـ قضاؤه في خلافته.

قضاؤه في حياة رسول الله ﷺ

قضاؤه ؛ في حياة رسول الله ﷺ حتّى مع حضوره، من أدّل الشواهد على أنّ عليّاً ؛ مؤيّداً من عند الله، و أنّه يلحق بإمامة الأمّة بعد النبيّ ﷺ، بل إنّه ألحق من جميع الصحابة بالخلافة و الامامة بعد رسول الله ﷺ.

و قد روى العلاّمة محبّ الدّين الطبري و القندوزي و الأمر تسري، عن حميد بن عبدالله بن يزيد، قال: ذكر عند النبيّ ﷺ قضاء قضى به عليّ بن أبي طالب، فأعجب النبيّ ﷺ فقال: «الحمد لله الّذي جعل فينا الحكمة أهل البيت».[١]

و قد بعثه رسول الله ﷺ قاضياً على اليمن ثقةً في قضائه، لأنه أقضى الأمّة و أعلمها، ففي رواية ابن المغازلي باسناده عن عمرو بن حبشي، عن عليّ ؛، قال: «بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فقلت: يا رسول الله، تبعثني إلى قوم شيوخ ذوي أسنان، و إنّي أخاف أن لا أُصيب، فقال رسول الله ﷺ: إن الله يثبّت لسانك و يهدي قلبك».

و بالاسناد عن أبي البختري، عن عليّ ؛، قال: «بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن لأقضي بينهم. قال: فقلت: يا رسول الله، إني لا علم لي بالقضاء، فضرب يده على صدري و قال: اللهمّ اهدِ قلبه، وثبّت لسانه. قال: فما شككت في قضاءٍ بين اثنين حتى جلست مجلسي هذا».[٢]

إعجاب النبيّ ﷺ بقضاء عليّ

روى الطبراني في (المعجم الكبير) بالاسناد عن زيد بن أرقم، قال: كنت عند

---

١. ذخائر العقبى، ص ٨٥؛ و ينابيع المودة، ص ٧٥؛ و أرجح المطالب، ص ٣٢٨.

٢. المناقب لابن المغازلي، ص ٢٤٨، ح ٢٩٦ إلى ٢٩٨.

النبي ﷺ، إذ جاءه كتاب من علي ؑ فيه: أنّ ثلاثة نفر أتوني يختصمون في غلام وطئوا أُمّه في الجاهلية في طُهر واحد، كلّهم يدّعيه أنّه ابنه، فقضيت بينهم أن أقرعت بينهم، و جعلته للقارع منهم على أن يغرم للآخرين ثلثي الدية، فضحك النبي ﷺ حتى بدا ناجذاه، ثمّ قال: «لا أعلم فيها إلاّ ما قضى علي».[1]

قضاؤه في واقعة ثلاثة سقطوا عن الزبية[2]

روى أحمد بن حنبل في (المسند) و غيره، بالاسناد عن سماك، عن حنش، عن علي ؑ، قال: بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن، فانتهينا إلى قوم قد بنوا زُبية للأسد فبينا هم كذلك يتدافعون، إذ سقط رجل، فتعلّق بآخر، ثم تعلّق رجل بآخر، حتى صاروا فيها أربعة، فجرحهم الأسد، فانتدب له رجل بحربةٍ فقتله، و ماتوا من جراحتهم كلهم، فقام أولياء الأول إلى أولياء الآخر، فأخرجوا السلاح ليقتتلوا، فأتاهم علي ؑ فقال: تريدون أن تقاتلوا و رسول الله ﷺ حيّ! إني أقضي بينكم قضاءً إن رضيتم فهو القضاء، و إلاّ حجز بعضكم عن بعض حتى تأتوا النبي ﷺ فيكون هو الذي يقضي بينكم، فمن عدا بعد ذلك فلاحقّ له، اجمعوا من قبائل الذين حضروا البئر ربع الدية، و ثلث الدية، و نصف الدية، و الدية كاملة، فللأول الربع لأنه هلك من خوفه، و للثاني ثلث الدية، و للثالث نصف الدية، فأبوا أن يرضوا.

فأتوا النبي ﷺ و هو عند مقام إبراهيم، فقصّوا عليه القصّة، فقال: أنا أقضي بينكم، و احتبى. فقال رجل من القوم: إنّ علياً قضى فينا، فقصّوا عليه القصّة، فأجازه رسول الله ﷺ.[3]

---

١. المعجم الكبير، ج ٥، ص ١٩٣ ـ ١٩٤.

٢. الزُّبية: حُفرة في موضع عالٍ تغطّى فُوّهتها، فاذا وطئها الأسد وقع فيها.

٣. مسند أحمد، ج ١، ص ٧٧.

قضاؤه ﷺ في عهد عمر بن الخطاب

أما قضاياه ﷺ في عهد خلافة عمر بن الخطاب فكثيرة جدّاً، حيث كان عمر بن الخطاب يرجع إلى عليّ بن أبي طالب ﷺ عندما يصعب عليه القضاء على مدى حكومته، و كثيراً ما نراه بعد كشف المعضلة يرفع صوته: لو لا عليّ لهلك عمر، لو لا عليّ لافتضحنا.

روى ابن عساكر الشافعي في تاريخه، عن سعيد بن المسيب، قال: قال عمر بن الخطاب: أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن عليّ بن أبي طالب.[1]

و روى ابن عبد البرّ في (الاستيعاب) عن سعيد، نحوه.[2]

وروى عن أبي سعيدالخدري أنّه سمع عمر يقول لعليّ ﷺ، و قد سأله عن شيء فأجابه، فقال له عمر: نعوذ بالله من أن أعيش في قوم لست فيهم يا أبا الحسن.[3]

و فيما يلي بعض الموارد التي اخترناها كنماذج لقضائه ﷺ في عهد عمر، ولو جمعناها كلّها لأصبحت رسالةً مستقلة.

امرأة معتوهة زنت

روى أحمد بن حنبل في باب فضائل عليّ ﷺ ومحبّ الدّين الطبري في (ذخائر العقبى) بسنديهما عن أبي ظبيان الجنبي: أنّ عمر بن الخطاب أُتي بامرأة قد زنت، فأمر برجمها، فذهبوا ليرجموها، فرآهم عليّ في الطريق، فقال: «ما شأن هذه» فأخبروه فخلّى سبيلها، ثمّ جاء إلى عمر، فقال له عمر: لِمَ رددتها؟

فقال: «لأنّها معتوهة آل فلان[4]، و قد قال رسول الله ﷺ: رفع القلم عن ثلاث:

---

١. ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ۳، ص ۹۳، ح ۱۰۷۰ و ۱۰۷۱.

٢. الاستيعاب بهامش الاصابة، ج ۳، ص ۳۹.

۳. ترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق، ج ۳، ص ۹۳، ح ۱۰۷۰ و ۱۰۷۱

٤. معتوهة: مجنونة.

عن النائم حتّى يستيقظ، و الصبيّ حتّى يحتلم، و المجنون حتّى يفيق».

فقال عمر: لو لا عليّ لهلك عمر.[١]

و روى العلاّمة الهندي في (كنزالعمّال) عن ابن عباس، نحوه.[٢]

امرأة تعترف بالزنى خوفاً

روى الجويني و الخوارزمي بسندهما عن زيد بن عليّ، عن أبيه، عن جدّه عليّ بن أبي طالب عليه السلام، قال: لمّا كان في ولاية عمر، أُتي بامرأة حامل، سألها عمر عن ذلك، فاعترفت بالفجور، فأمر عمر أن ترجم، فلقيها عليّ بن أبي طالب، فقال: «ما بال هذه المرأة؟».

فقالوا: أمر بها عمر أن ترجم، فردّها عليّ عليه السلام فقال له: «أمرت بها أن ترجم»؟ فقال: نعم، اعترفت عندي بالفجور.

فقال: «هذا سلطانك عليها، فما سلطانك على ما في بطنها؟»

ثمّ قال له عليّ عليه السلام: «فلعلّك انتهرتها أو أخفتها؟». فقال عمر: قد كان ذلك.

قال عليّ عليه السلام «أو ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: لاحدّ على معترف بعد بلاء، إنّه من قيّدت أو حبست أو تهدّدت فلا إقرار لها» فخلّى عمر سبيلها، ثمّ قال: عجزت النساء أن يَلِدْنَ مثل عليّ بن أبي طالب، لو لا عليّ لهلك عمر.[٣]

امرأة زنت و هي حبلى

روى الحافظ محبّ الدّين الطبري، والكنجي: أنّه دخل عليّ على عمر و إذا امرأة

١. راجع ذخائر العقبى للطبري، ص ٨١؛ و الرياض النضرة، ج ٣، ص ١٦٤؛ فضائل الصحابة ـ لأحمد بن حنبل، ج ٢، ص ٧٠٧، ح ١٢٠٩.

٢. كنزالعمال، ج ٥، ص ٤٥١، ح ١٣٥٨٤.

٣. فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٥٠، رقم ٢٧٦؛ المناقب للخوارزمي، ص ٣٩؛ و في الغدير، ج ٦، ص ١١٠ ـ نقله بعينه عن (الرياض النضرة) و (ذخائر العقبى) و (مطالب السؤول) و (الأربعين) للفخر الرازي.

حبلى تقاد ترجم. فقال: «ما شأن هذه»، قالت: يذهبون بي ليرجموني.

فقال: «يا أميرالمؤمنين، لأيّ شيء ترجم؟ إن كان لك سلطان عليها، فما لك سلطان على ما في بطنها».

فقال عمر: كلّ أحد أفقه منّي ـ ثلاث مرّات ـ فضمنها عليّ ﷺ حتّى وضعت غلاماً، ثمّ ذهب بها إليه فرجمها.[1]

امرأة تحتال على شابّ من الأنصار

روى ابن القيم الجوزية بسنده: انّه أُتي عمر بن الخطّاب بامرأة قد تعلّقت بشابّ من الأنصار و كانت تهواه، فلمّا لم يساعدها احتالت عليه، فأخذت بيضة فألقت صفرتها، و صبّت البياض على ثوبها و بين فخذيها، ثم جاءت إلى عمر صارخة، فقالت: هذا الرّجل غلبني على نفسي و فضحني في أهلي، و هذا أثر فعاله.

فسأل عمر النّساء فقلن له: إنّ ببدنها و ثوبها أثر المني، فهمّ بعقوبة الشابّ، فجعل يستغيث و يقول: يا أميرالمؤمنين، تثبّت في أمري، فوالله ما أتيت فاحشة، و ما هممت بها، فلقد راودتني عن نفسي فاعتصمت.

فقال عمر: يا أبا الحسن، ما ترى في أمرهما؟ فنظر عليّ ﷺ إلى ما على الثوب، ثمّ دعا بماء حارّ شديد الغليان، فصبّ على الثوب فجمد ذلك البياض، ثمّ أخذه و اشتمّه و ذاقه، فعرف طعم البيض و زجر المرأة فاعترفت.[2]

امرأة زنت و هي مضطرّة

روى ابن القيم الجوزية: أنّ عمر بن الخطاب أُتي بامرأة زنت فأقرّت، فأمر برجمها، فقال عليّ ﷺ: «لعلّ بها عذراً»، ثمّ قال لها: «ما حملك على الزنا؟».

قالت: كان لي خليط و في إبله ماء و لبن، و لم يكن في إبلي ماء و لا لبن،

---

١. الرياض النضرة، ج ٣، ص ١٦٣ ؛ ذخائر العقبى، ص ٨١ ؛ الكفاية، ص ١٠٥.

٢. الطرق الحكمية لابن القيم، ص ٤٧، عن الغدير.

فظمئت فاستسقيته، فأبى أن يسقيني حتّى أعطيه نفسي، فأبيت عليه ثلاثاً. فلمّا ظمئت و ظننت أن نفسي ستخرج، أعطيته الّذي أراد. فسقاني.

فقال عليّ: «الله أكبر. فمن اضطرّ غير باغ و لا عاد فلا إثم عليه، إنّ الله غفور رحيم».[1]

و في (كنزالعمال) عن أمّ كلثوم ابنة أبي بكر، أنّ عمر بن الخطاب كان يعسّ[2] بالمدينة ذات ليلة، فرأى رجلاً وامرأةً على فاحشة، فلمّا أصبح، قال للنّاس: أرأيتم أنّ إماماً رأى رجلاً و امرأة على فاحشة، فأقام عليهما الحدّ. ما كنتم فاعلين؟، قالوا: إنّما أنت إمام، فقال عليّ بن أبي طالب عليه السلام: ليس ذلك لك، إذن يقام عليك الحدّ. إنّ الله لم يأمن على هذا الأمر أقلّ من أربعة شهداء. ثم تركهم ما شاء الله أن يتركهم ثمّ سألهم، فقال القوم مثل مقالتهم الأولى، و قال عليّ عليه السلام مثل مقالته.[3]

رجل أقطع اليد و الرجل وقد سرق

روى البيهقي والعلامة الهندي عن عبدالرحمن بن عائذ، قال: أُتي عمر بن الخطاب برجل أقطع اليد و الرجل قد سرق[4]، فأمر به عمر أن تقطع رجله.

فقال عليّ عليه السلام: «إنّما قال الله عزوجلّ: ﴿إنّما جزاءُ الذين يُحارِبُونَ الله و رسولَهُ وَ يَسْعَوْنَ في الأرضِ فساداً أن يُقتّلوا أو يُصلّبُوا أو تُقطّعَ أيديهِمْ و أرجُلُهُمْ مِن خِلافٍ﴾[5]، فقد قطعت يد هذا و رجله، فلا ينبغي أن تقطع رجله فتدعه ليس له قائمة يمشي عليها، و السّارق ليس أسوء حالاً من المرتدّ إمّا أن تعزّره و إمّا أن تستودعه السجن»

---

١. الطرق الحكمية، ص ٥٣؛ نقلاً عن الغدير، ج ٦، ص ١٢٠؛ رواه في كنزالعمال، ج ٥، ص ٤٥٧، ح ١٣٥٩٦ عن أبي الضحى مع اختلاف في بعض ألفاظه.

٢. يعسّ: يطوف بالليل يحرس النّاس و يكشف أهل الريبة.

٣. كنزالعمال، ج ٥، ص ٤٥٧، ح ١٣٥٩٧.

٤. (لعلّ هذه السّرقة في «مرّة» ثالثة).

٥. المائدة، ٣٣.

فاستودعه عمر السّجن.(١)

رجل أسود و امرأة سوداء و ولدهما أحمر

روى ابن القيم الجوزيّة بسنده: أنّه أُتي عمر بن الخطاب برجل أسود و معه امرأة سوداء، فقال: يا أميرالمؤمنين، إنّي أغرس غرساً أسود، و هذه سوداء على ما ترى، فقد أتتني بولد أحمر.

فقالت المرأة: و الله يا أميرالمؤمنين ما خنته، و إنّه لولده. فبقي عمر لا يدري ما يقول: فسأل عن ذلك عليّ بن أبي طالب ﷺ ، فقال للأسود: «إن سألتك عن شيء أتصدقني؟» قال: أجل، و الله.

قال: «هل واقعت امرأتك و هي حائض؟». قال: قد كان ذلك.

قال علي ﷺ: «الله أكبر، إنّ النطفة إذا خلطت بالدم فخلق الله عزّوجلّ منها خلقاً كان أحمر، فلا تنكر ولدك فأنت جنيت على نفسك».(٢)

أمانة رجلين عند امرأة

روى ابن الجوزي ومحبّ الدين الطّبري و سبط ابن الجوزي و الخوارزمي، عن حنش بن المعتمر، قال: إنّ رجلين أتيا امرأة من قريش، فاستودعاها مائة دينار، و قالا: لا تدفعيها إلى أحدٍ منّا دون صاحبه حتّى نجتمع، فلبثا حولاً، ثمّ جاء أحدهما إليها، و قال: إنّ صاحبي قد مات فادفعي إليّ الدنانير. فأبت، فثقل عليها بأهلها، فلم يزالوا بها حتّى دفعتها إليه، ثمّ لبثت حولاً آخر فجاء الآخر فقال: ادفعي إليّ الدنانير. فقالت: إنّ صاحبك جاءني، و زعم أنّك قد متّ فدفعتها إليه. فاختصما إلى عمر، فأراد أن يقضي عليها، و قال لها: ما أراك إلاّ ضامنة. فقالت: أنشدك الله أن

---

١. في المغني لابن قدامة، ج ١٠، ص ٢٧٣؛ سنن البيهقي، ج ٨، ص ٢٧٤؛ كنزالعمال، ج ٣، ص ١١٨ على ما في الغدير، ج ٦، ص ١٣٦.

٢. الطرق الحكمية، ص ٤٧؛ نقلاً عن الغدير، ج ٦، ص ١٢٠.

تقضي بيننا، ثمّ ارفعنا إلى عليّ بن أبي طالب، فرفعها إلى عليّ، و عرف أنّهما قد مكرا بها، فقال: «أليس قلتما: لا تدفعيها إلى واحد منّا دون صاحبه؟». قال: بلى.

قال: «فإنّ مالك عندنا، اذهب فجيء بصاحبك حتّى ندفعها إليكما» فبلغ ذلك عمر، فقال: لا أبقاني الله بعد ابن أبي طالب.[1]

إلحاق الولد بأبيه رغم ولادته لستّة أشهر

روى الجويني عن أبي الأسود الدؤلي: أنّ عمر أُتي بامرأة وضعت لستّة أشهر فهمّ برجمها، فبلغ ذلك عليّاً، فقال: ليس عليها رجم، فبلغ ذلك عمر، فأرسل إليه يسأله، فقال عليّ عليه السلام: ﴿و الوالداتُ يُرضِعنَ أولادَهُنَّ حَولَينِ كامِلَينِ لِمَن أرادَ أن يُتمَّ الرضاعَة﴾[2] و قال عزّوجلّ: ﴿وَ حَملُهُ وَ فِصالُه ثَلاثُونَ شَهراً﴾[3] فستّة أشهر حمله، و حولين[4] تمام الرضاع، لا حدّ عليها».

قال: فخلّى عنها، ثمّ ولدت بعد ذلك نساء لستّة أشهر.[5]

قضاؤه في عهد عثمان بن عفان

أخرج العاصمي من طريق شيخه أبي بكر محمّد بن إسحاق، يرفعه: أنّ رجلاً أتى عثمان بن عفان و هو أمير المؤمنين و بيده جمجمة إنسان ميتّ، فقال: إنّكم تزعمون أنّ النار تعرض على هذا، و أنّه يعذّب في القبر، و أنا قد وضعت عليها يدي فلا

---

١. الأذكياء لابن الجوزي، ص ١٨؛ أخبار الظّراف لابن الجوزي، ص ١٩؛ نقلاً عن الغدير، ج ٦، ص ١٢٦؛ الرياض النضرة، ج ٣، ص ١٦٥؛ ذخائر العقبى، ص ٨٠؛ تذكرة الخواص، ص ١٤٨؛ مناقب الخوارزمي، ص ٥٣

٢. البقرة، ٢٣٣.

٣. الأحقاف، ١٥.

٤. كذا و الصواب: حولان.

٥. فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٤٦، ح ٢٦٩؛ و روى في كنزالعمال، ج ٥، ص ٤٧٥، ح ١٣٥٩٨؛ نحوه.

أحسّ منها حرارة النّار؟ فسكت عنه عثمان، و أرسل إلى عليّ بن أبي طالب المرتضى يستحضره، فلمّا أتاه و هو في ملأ من أصحابه، قال للرجل: «أعد المسألة» فأعادها، ثمّ قال عثمان بن عفان: أجب الرّجل عنها يا أبا الحسن.

فقال عليّ ﷺ: «إئتوني بزند و حجر» و الرجل السائل و النّاس ينظرون إليه، فأُتي بهما فأخذهما و قدح منهما النار، ثمّ قال للرجل: «ضع يدك على الحجر» فوضعها عليه، ثمّ قال: «ضع يدك على الزّند» فوضعها عليه، فقال: «هل أحسست منها حرارة النّار» فبهت الرجل، فقال عثمان: لو لا عليّ لهلك عثمان.

قال العلاّمة الأميني (رحمة الله عليه): نحن لا نرقب من عثمان وليد بيت أميّة المحيطة بأمثال هذه العلوم الّتي هي من أسرار الكون، و قد تقاعست عنها معرفة من هو أرقى منه في العلم، فكيف به؟ و إنّما تقلّها عيبة العلوم الإلهيّة، المتلقّاة من المبدأ الأعلى منشىء الكون، و مُلقي أسراره فيه، و هو الّذي أفحم السائل هاهنا وفي كلّ معضلة أعوز القوم عرفانها.[1]

و أخرج الحفاظ عن بعجة بن عبدالله الجهني، قال: تزوج رجلٌ منّا امرأة من جهينة، فولدت له تماماً لستة أشهر، فانطلق زوجها إلى عثمان فأمر بها أن ترجم، فبلغ عليّاً ﷺ فأتاه، فقال: «ما تصنع؟ ليس ذلك عليها، قال الله تبارك تعالى: ﴿وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهراً﴾[2] و قال: ﴿وَ الوالِداتُ يُرضِعْنَ أَولادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ﴾[3] فالرضاعة أربعة و عشرون شهراً، و الحمل ستة أشهر».

فقال عثمان: و الله ما فطنت لهذا، فأمر بها عثمان أن تردّ، فوجدت قد رجمت، و كان من قولها لأُختها: يا أُخيّة لا تحزني فو الله ما كشف فرجي أحدٌ قطُّ غيره، قال: فشبّ الغلام بعدُ فاعترف الرجل به، وكان أشبه الناس به، و قال: فرأيت الرجل

---

١. زين الفتى في شرح هل أتى، للحافظ العاصمي نقلاً عن الغدير، ج ٨، ص ٢١٤.

٢. الاحقاف، ١٥.

٣. البقرة، ٢٣٣.

بعدُ يتساقط عضواً عضواً على فراشه.[١]

قضاياه في حكومته عليه السلام

قضاياه عليه السلام و أحكامه الغريبة الّتي قضى بها في أيام خلافته و الّتي لم يقض بها أحدٌ قبله، كثيرة جدّاً ذكرها علماء الشيعة و أهل السنة، نقتصر هنا على بعض ما ورد من طرق أهل السنة:

قصة الأرغفة (قضاء رياضي)

روى الحافظ ابن‌عبدالبرّ و كذا العلاّمة السيوطي و المولى علي المتقي الهندي و محبّ الدّين الطبري و العلامة الصفوري الشافعي و ابن حجر العسقلاني و المحدّث البدخشي و القندوزي كلّهم بسندهم عن زرّ بن حُبيش و كذا علماء الخاصّة في كتبهم رووا بأسانيدهم قالوا:

جلس رجلان يتغدّيان، مع أحدهما خمسة أرغفة خبز، و مع الآخر ثلاثة أرغفة، فلمّا وضعا الغداء بين أيديهما مرّ بهما رجل فسلّم، فقالا: اجلس للغداء، فجلس و أكل معهما، و استوَوا في أكلهم الأرغفة الثمانية، فقام الرجل و طرح إليهما ثمانية دراهم، و قال: خُذا هذا عوضاً ممّا أكلت، منكما، و نلت من طعامكما. فتنازعا فقال صاحب الأرغفة الخمسة: لي خمسة دراهم، و لك ثلاثة.

فقال صاحب الأرغفة الثلاثة: لا أرضى إلاّ أن تكون الدراهم بيننا نصفين، فارتفعا إلى أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقصّا عليه قصّتهما، فقال لصاحب الثلاثة الأرغفة: «قد عرض عليك صاحبك ما عرض، و خبزه أكثر من خبزك فارض بالثلاثة». فقال: لا و الله لا رضيت منه إلاّ بمرّ الحقّ.

---

١. أخرجه مالك في الموطأ، ج ٢، ص ١٧٦؛ البيهقي في السنن الكبرى، ج ٧، ص ٤٤٢؛ السيوطي في الدر المنثور، ج ٦، ص ٤٠.

فقال عليّ ﷺ: «ليس لك في مرّ الحقّ إلاّ درهم واحد و له سبعة».

فقال الرجل: سبحان الله ـ يا أميرالمؤمنين ـ هو يعرض عليّ ثلاثة فلم أرض، و أشرت عليّ بأخذها فلم أرض، و تقول لي الآن: «إنّه لا يجب لك في مرّ الحقّ إلاّ درهم واحد؟!»

فقال له عليّ ﷺ: «عرض عليك الثلاثة صلحاً، فقلت: لم أرض إلاّ بمرّ الحقّ، و لا يجب لك بمرّ الحقّ إلاّ واحد».

فقال الرجل: فعرّفني بالوجه في مرّ الحقّ حتّى أقبله.

فقال عليّ ﷺ: «أليس للثمانية الأرغفة أربعة و عشرين ثلثاً، أكلتموها و أنتم ثلاثة أنفس، و لا يُعلم الأكثر أكلاً منكم و لا الأقلّ، فتحملون في أكلكم على السّواء؟» قال: بلى.

قال: «فأكلت أنت ثمانية أثلاث، و إنّما لك تسعة أثلاث، و أكل صاحبك ثمانية أثلاث و له خمسة عشر ثلثاً، أكل منها ثمانية، و يبقى له سبعة، و أكل لك واحداً من تسعة، فلك واحد بواحدك، و له سبعة بسبعته».

فقال الرجل: رضيت الآن.[1]

فهذه المسألة لو أجاب عنها أمهر رجل في الحساب بعد طول الفكرة و الروية و أصاب فيها لكان له الفخر.

قضاؤه في مسألة رياضيّة أُخرى

فيكتاب (التكامل في الإسلام) لأحمد أمين: أنّ سبعة عشر جَملاً كانت مشتركة بين ثلاثة أشخاص، فجاؤوا عليّاً ﷺ و قالوا: إنّ نصف هذه الجمال لأحدنا، و ثلثها

١ ـ الإستيعاب بهامش الإصابة، ج ٣، ص ٤١؛ ذخائر العقبى للطبري، ص ٨٤؛ نزهة المجالس للصفوري، ج ٢، ص ٢١١؛ تاريخ الخلفاء للسيوطي، ص ١٤٢؛ كنزالعمال للعلامة الهندي، ج ٥، ص ٨٣٧، ح ١٤٥١٢ و غيرهم.

لآخر، و تسعها لثالثنا، و نريد أن تقسّمها بيننا على أن لا يبقى باق؟

فدعا عليّ عليه السلام بجمل له و أضافه إلى الجمال فكانت ١٨ جَملاً، فأعطى نصف الجمال: إلى من له النّصف، أي أعطاه ٩ جمال، و أعطى ثلث الثمانية عشر إلى من كان له الثلث، أي اعطاه ٦ جمال، و أعطى تسع الثمانية عشر إلى من كان له التسع، أي أعطاه جملين (٩+٦+٢=١٧) ثمّ أرجع الجمل الّذي أضافه إلى بيته.[١]

أقول: قد يستغرب الشخص لأوّل وهلة عندما يلاحظ هذا الحلّ، و ذلك لأنّ من كان له النصف يستحق $٨\frac{١}{٢}$ من الجمال. ومن كان له الثلث يستحقّ $٥\frac{٢}{٣}$ من الجمال. و من كان له التسع يستحقّ $١\frac{٨}{٩}$ من الجمال. و المجموع ١٦ جملاً و جزء من ثمانية عشر جزءاً من جمل: ($٨\frac{١}{٢}+٥\frac{٢}{٣}+١\frac{٨}{٩}=١٦\frac{١}{١٨}$) فبقي إذن $\frac{١٧}{١٨}$ من جمل واحد لم يوزّع بين الشركاء. ولايخفى وهو $\frac{١٧}{١٨}$ من جمل واحد ـ يجب أن يوزّع بين الشركاء أيضاً.[٢]

في تفريق المتّهمين

روى العلاّمة محمّد بن طلحة الشافعي، قال: إنّ سبعة أنفس خرجوا من الكوفة مسافرين، فغابوا مدّة، ثمّ عادوا و قد فقد منهم واحد، فجاءت امرأة إلى عليّ عليه السلام، فقالت: يا أميرالمؤمنين، إنّ زوجي سافر هو و جماعة و عادوا دونه، فأتيتهم، و سألتهم عنه فلم يخبروني بحاله، و قد اتّهمتهم بقتله، و أسألك إحضارهم و استكشاف حالهم، فاحضرهم عليه السلام و فرّقهم، و أقام كلّ واحد منهم إلى سارية من سواري المسجد، و وكّل به رجلاً يمنع أن يقرب منه أحد ليحادثه.

ثمّ استدعى واحداً فحدّثه و سأله عن حال الرجل فأنكر، فلمّا أنكر رفع

---

١. التكامل في الاسلام لاحمد أمين، ج ٤، ص ١٥٩.

٢. ثمّ أوضح الأستاذ أحمد أمين هذا البحث في ١١ صفحة من كتابه في سلسلة مسائل رياضيّة، و هي خارجة عن إطار الكتاب، و لذا أعرضنا عن توضيحها، و من أراده فليراجع (التكامل في الإسلام لأحمد أمين، ج ٤، ص ١٥٩ ـ ١٧١).

عليّ عليه السلام صوته بالتكبير، و قال: «الله أكبر». فلمّا سمع الباقون صوت عليّ عليه السلام مرتفعاً بالتكبير اعتقدوا أنّ رفيقهم قد أقرّ، و حكى لعليّ عليه السلام صورة الحال.

ثمّ استدعاهم واحداً واحداً فأقرّوا بقتله بناءً على أنّ صاحبهم قد أخبر عليّاً عليه السلام بما فعلوه، فلمّا أقرّوا بذلك، قال الأوّل: يا أميرالمؤمنين، هؤلاء قد أقرّوا و ما أنا أقررت.

قال له عليه السلام: «هؤلاء رفاقك قد شهدوا عليك، فما ينفعك إنكارك بعد شهادتهم» فاعترف أنّه شاركهم في قتله، فلمّا تكمّل اعترافهم أقام عليهم حكم الله تعالى و قتلهم به، فكان ذلك من عجائب فهمه و غرائب علمه.[1]

إلحاقه المرأة بالرجال

روى الخوارزمي و سبط ابن الجوزي و غيرهما بالاسناد عن شريح، قال: إنّه تقدّمت إليه أمرة فقالت، أيها القاضي، إني جئتك مخاصمة. فقال: فأين خصمك؟ قالت: أنت. فأخلى لها المجلس، و قال لها: تكلّمي. فقالت: أية امرأة لها إحليل و لها فرج؟

فقال: قد كان لأميرالمؤمنين عليه السلام في ذا قصة، و ورث من حيث جاء البول ـ و كان شريح قاضي علي بن أبي طالب عليه السلام ـ فقالت: إنّه يجيء منهما جميعاً؟

فقال لها: من أين يسبق البول؟ فقالت: ليس شيء منهما يسبق، يخرجان في وقت و ينقطعان في وقت واحد.

فقال: إنك تخبرني بعجبا! فقالت: أقول أعجب من ذلك، تزوّجني ابن عمّ لي، و أخدمني خادمة فوطئتها فأولدتها، و إنما جئتك لما أولدتها.

فقام شريح عن مجلس القضاء، فدخل على عليّ عليه السلام، فأخبره بما قالت المرأة، فأمر بها عليّ عليه السلام فأدخلت، فسألها عما قال القاضي، فقالت: يا أميرالمؤمنين، هو الذي

---

١. مطالب السؤول، ص ٢٩، طبع طهران نقلاً عن الاحقاق، ج ٨، ص ٧٨.

قال، فأحضر زوجها، فقال: هذه زوجتك و ابنة عمك؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين.

قال: أفعلمت ما كان؟ قال: نعم، أخدمتها خادماً فوطئتها فأولدتها، و وطئتها بعد ذلك.

فقال له عليّ عليه السلام: لأنت أجسر من الأسد، جيئوني بدينار الخادم[1] ـ و كان معدلاً ـ و امرأتين، فقال عليّ عليه السلام: خذوا هذه المرأة، فأدخلوها إلى بيت، فألبسوها ثياباً، و جرّدوها من ثيابها، و عدّوا أضلاع جنبيها.

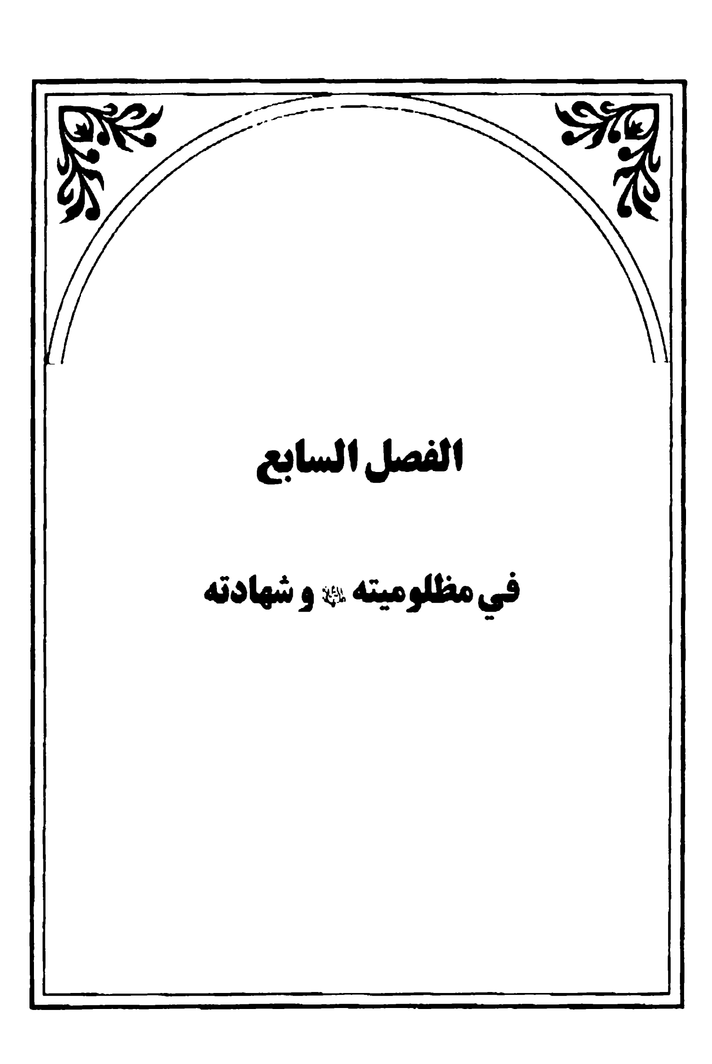
ففعلوا ذلك ثم خرجوا إليه، فقالوا: يا أميرالمؤمنين، عدد أضلاع الجانب الأيمن ثمانية عشر ضلعاً، و عدد الجانب الأيسر سبعة عشر ضلعاً، فدعا الحجام فأخذ شعرها، و أعطاها حذاء ورداءً، و ألحقها بالرجال.

فقال الزوج: يا أميرالمؤمنين، امرأتي ابنة عمي، ألحقتها بالرجال، ممّن أخذت هذه القضية؟ فقال له علي عليه السلام: إنّي ورثتها من أبي آدم، إنّ حواء خلقت من آدم، فأضلاع الرجال أقلّ من أضلاع النساء، و عدد أضلاعها أضلاع رجل، فاخرجوا.[2]

---

١. دينار الخادم: رجل صالح من أهل الكوفة و كان خصياً.

٢. المناقب للخوارزمي، ص ١٠١؛ تذكرة الخواص، ص ١٤٨؛ نور الأبصار، ص ٧١؛ الفصول المهمة، ص ٣٥.



الفصل السابع

في مظلوميته عليه السلام و شهادته

عناوين الفصل

مظلومية عليّ عليه السلام

لم يحدّثنا التاريخ عن مظلوم غُصب حقّه مثل عليّ بن أبي طالب عليه السلام، فرغم كلّ التوصيات الّتي أوصى بها النبيّ صلى الله عليه وآله أمّته و الّتي يحثّهم بها على الاقتداء بعليّ عليه السلام، حتّى أنّ ابن مردويه أخرج عن ابن مسعود، قال: كنّا نقرأ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا أيّها الرّسول بَلِّغ ما أُنزِلَ إليك مِنَ رَبّك أنّ علياً مولى المؤمنين و إن لم تَفعلْ فما بَلَّغتَ رسالَتَه و الله يَعصِمُك مِن النّاس».[1]

رغم هذا و غيره نجد القوم قد تألّبوا على الإمام (عليه السلام) بعد رحيل الرسول الأكرم و غصبوه حقّه و آذوا زوجته البتول (سلام الله عليها) و انتزعوا منها إرث النبيّ صلى الله عليه وآله. و هكذا أصبح أُسوة العلم و التقوى و الفضيلة و الكمال و هادي الأُمّة بعد نبيّها و دليلها إلى النور، جليس بيته لخمسٍ و عشرين سنة، و لم يسمحوا له أن ينير المجتمع البشري بنوره، و أن يُرسِّخ الإسلام المحمّدي الأصيل.

نعم، لقد صبر أمير المؤمنين عليه السلام لله، و تحمّل كل المظالم و المشاق لأجل بقاء الإسلام و القرآن، و الحفاظ على وحدة الأُمّة من التشتّت و التمزّق، فلنستمع إلى مظلوميته بلسان النبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله و لسانه عليه السلام:

روى الحافظ البخاري، عن ثعلبة بن يزيد الحماني، قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ: «إنّ الأُمّة ستغدر بك».[2]

روى الحاكم النيشابوري، عن حيّان الأسدي، قال: سمعت عليّاً يقول: «قال لي

---

١. تفسير الدر المنثور للسيوطي، ج ٢، ص ٢٩٨.

٢. التاريخ الكبير، ج ١، قسم ٢، ص ١٧٤.

رسول الله ﷺ: إنّ الأمّة ستغدر بك بعدي، و أنت تعيش على ملّتي، و تُقتل على سنتي، من أحبّك أحبّني، و من أبغضك أبغضني، و إنّ هذه ستخضب من هذا» يعني لحيته من رأسه.[١]

و عنه أيضاً بسنده عن زيد بن وهب، قال: قدم عَلَى عليّ ﷺ و فدٌ من أهل البصرة، و فيهم رجلٌ من الخوارج يُقال له: الجعد بن نعجة، فحمد الله و أثنى عليه و صلّى على النبيّ ﷺ، ثمّ قال: إتّق الله يا عليّا فإنك ميّتٌ. فقال عليّ ﷺ: «لا، و لكنّي مقتول ضربةٌ عَلَى هذا تخضب هذه ـ قال: و أشار عليّ إلى رأسه و لحيته بيده ـ قضاءٌ مقضيٌّ و عهدٌ معهودٌ، و قد خاب من افترى». ثمّ عاب عليّاً في لباسه، فقال: لو لبست لباساً خيراً من هذا. فقال ﷺ: «إنّ لباسي هذا أبعد لي من الكبر، و أجدر أن يقتدي بي المسلمون».[٢]

المنافقون يصبّون ما أضمروه من الضغائن أيّام النبيّ على عليّ

قال ابن أبي الحديد: و اعلم أنّ كلّ دم أراقه رسول الله ﷺ بسيف عليّ ﷺ و بسيف غيره، فإنّ العرب بعد وفاته عصبت تلك الدماء بعليّ بن أبي طالب ﷺ وحده، لأنّه لم يكن في رهطه من يستحقّ في شرعهم و سنّتهم و عادتهم أن تعصب به تلك الدماء إلاّ بعليّ وحده[٣]. وهذه عادة العرب إذا قُتل منها قتلى طالبت بتلك الدماء القاتل، فإن مات أو تعذّر عليها مطالبته، طالبت بها أمثل النّاس من أهله. إلى أن قال: سألت النقيب أبا جعفر يحيى بن أبي زيد فقلت له: إنّي لأعجبُ

---

١. المستدرك للحاكم، ج ٣، ص ١٤٢.

٢. المصدر السابق، ج ٣، ص ١٤٣.

٣. قال رسول الله ﷺ في خبر: «يا عليّ، اتق الضغائن التي في صدور من لا يظهرها إلاّ بعد موتي، أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاّعنون» ثمّ بكى النبيّ ﷺ فقيل: ممّ بكاؤك يا رسول الله؟ قال: «أخبرني جبرئيل أنّهم يظلمونه و يمنعونه حقّه، و يقاتلونه، و يقتلون ولده، و يظلمونهم بعده». بحار الأنوار، ج ٢٨، ص ٤٥.

من عليّ ﷺ كيف بقي تلك المدّة الطويلة بعد رسول الله ﷺ و كيف ما اغتيل و فتك به في جوف منزله، مع تلظّي الأكباد عليه؟!

فقال: لو لا أنّه أرغم أنفه بالتّراب، و وضع خدّه في حضيض الأرض لقتل، و لكنّه أخمل نفسه و اشتغل بالعبادة و الصلاة و النظر في القرآن، و خرج عن ذلك الزيّ الأوّل، و ذلك الشعار، و نسي السيف، و صار كالفاتك يتوب و يصير سائحاً في الأرض، أو راهباً في الجبال، و لمّا أطاع القوم الذّين ولّوا الأمر تركوه و سكتوا عنه، و لم تكن العرب لتقدم عليه إلاّ بمواطأةٍ من متولّي الأمر، و باطنٍ في السرّ منه، فلمّا لم يكن لوُلاة الأمر باعث وداعٍ إلى قتله وَقع الإمساك عنه، و لو لا ذلك لقُتل، ثمّ أجّل بعد معقل حصين.[1]

في تفصيل مظلوميّته ﷺ

قال ﷺ في خطبة له: «فَنَظرتُ فإذا لَيسَ لي مُعينٌ إلاّ أهلُ بَيتي، فضَننتُ بهم عَن الموت، و أغضَيتُ عَلى القذى، و شَربتُ عَلى الشجىٰ، و صَبرتُ على أخذ الكظمِ، و عَلى أمَرَّ مِن طَعْمِ العَلْقَمِ».[2]

إنّ هذه الفقرات من كلامه ﷺ حكاية لحاله الذّي كان هو عليه بعد رحلة الرسول ﷺ، و ما جرى عليه من الظلم والجور في اغتصاب الحقّ الذّي كان له ﷺ.

فأشار إلى أنّه فكّر في أمر المقاومة و الدفاع عن الحقّ الّذي يرى أنّه أولى به، فرآى أنّه لا ناصر له إلاّ أهل بيته، و هم قليلون بالنسبة إلى من لا يعينه، بل ويعين مخالفه.

فإنّه لم يكن له إلاّ بنو هاشم كالعبّاس و بنيه، و أبي سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب و من يخصّهم، و ضعفهم و قلّتهم عن مقاومة جمهور الصحابة ظاهر،

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ١٣، ص ٣٠٠.

٢. نهج البلاغة، ص ٨٣، الخطبة ٢٦؛ العلقم: شجر بالغ المرارة، و يطلق عند العرب على كل مُرّ.

فضنّ بهم عن الموت، لعلمه أنّه لو قاوم بهم لقتلوا، ثمّ لا يحصل على مراده، و لذا قال ما قال في الخطبة.

مظلوميته ﷺ بعد رحلة رسول الله ﷺ

قال الشارح المعتزلي: إختلفت الروايات في قصّة السقيفة، فالّذي تقوله الشيعة ـ و قد قال قوم من المحدثين بعضه و رووا كثيراً منه ـ: إنّ عليّاً ﷺ امتنع من البيعة حتّى أُخرج كرهاً، و إنّ الزّبير بن العوام امتنع من البيعة، و قال: لا أُبايع إلاّ عليّاً ﷺ، و كذلك أبوسفيان بن حرب، و خالد بن سعيد بن العاص بن أُميّة بن عبد شمس، و العبّاس بن عبد المطلب و بنوه، و أبوسفيان بن الحارث بن عبدالمطلب و جميع بني هاشم.

و قالوا: إنّ الزّبير شهر سيفه، فلمّا جاء عمر و معه جماعة من الأنصار و غيرهم، قال في جملة ما قال: خذوا سيف هذا، فاضربوا به الحجر.

و يقال: إنّه أخذ السيف من يد الزّبير فضرب به حجراً فكسره، و ساقهم كلّهم بين يديه إلى أبي بكر، فحملهم على بيعته، و لم يتخلّف إلاّ عليّ ﷺ وحده، فإنّه اعتصم ببيت فاطمة ﷺ، فتحاموا إخراجه منه قسراً، و قامت فاطمة إلى باب البيت فأسمعت من جاء يطلبه، فتفرّقوا و علموا أنّه بمفرده لا يضرّ شيئاً، فتركوه.

و قيل: إنّهم أخرجوه فيمن أُخرج و حمل إلى أبي بكر فبايعه، إلى أن قال: فأمّا حديث التحريق و ما جرى مجراه من الأُمور الفظيعة، و قول من قال: إنّهم أخذوا عليّاً ﷺ يُقاد بعمامته و النّاس حوله، فأمر بعيدٌ، و الشيعة تنفرد به، على أنّ جماعة من أهل الحديث قد رووه و سنذكر ذلك.[١]

و قال في موضع آخر من كتابه: فأمّا الأُمور الشنيعة المستهجنة الّتي يذكرها الشيعة من إرسال قنفذ إلى بيت فاطمة، و إنّه ضربها بالسوط فصار في عضدها

---

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢١.

كالدُملج، و بقي أثره إلى أن ماتت، و إنّ عمر ضغطها بين الباب و الجدار فصاحت: «يا أبتاه، يا رسول الله» و ألقت جنيناً ميّتاً، و جعل في عنق عليّ ﷺ حبلٌ يُقاد به، و هو يعتل، و فاطمة خلفه تصرخ و تنادي بالويل و الثبور، و ابناه حسن و حسين معهما يبكيان، و إنّ عليّاً لمّا أُحضر سلموه البيعة، فامتنع، فتهدّد بالقتل، فقال: «إذن تقتلون عبد الله، و أخا رسول الله!!».

فقالوا: أمّا عبد الله فنعم، و أمّا أخو رسول الله فلا، و إنّه طعن في أوجههم بالنفاق، و سطر صحيفة الغدر الّتي اجتمعوا عليها، و بأنّهم أرادوا أن ينفّروا ناقة رسول الله ﷺ ليلة العقبة.

قال ابن أبي الحديد: فكلّه لا أصل له عند أصحابنا، و لا يثبته أحد منهم، و لا رواه أهل الحديث و لا يعرفونه، و إنّما هو شيٌ تنفرد الشيعة بنقله.[1]

أقول: العجب من ابن أبي الحديد كيف ينكر حديث التحريق و ما بعده، ويزعم أنّه مّما انفردت به الشيعة، مع رواية الجوهري له، و كونه من الثقات المأمونين عند ابن أبي الحديد[2]، و رواه غير واحد من رواتهم أيضاً مطابقاً لما روته الشيعة.

فمن رواه عن أحمد بن عبدالعزيز الجوهري، قال: لّما بُويع لأبي بكر كان الزّبير و المقداد يختلفان في جماعة من النّاس إلى عليّ ﷺ، و هو في بيت فاطمة، فيتشاورون و يتراجعون أمورهم، فخرج عمر حتّى دخل على فاطمة ﷺ و قال: يا بنت رسول الله، ما من أحد من الخلق أحبُّ إلينا منك بعد أبيك، و ايم الله ما ذاك بمانعي إن اجتمع هؤلاء النفر عندك أن آمر بتحريق البيت عليهم.

فلمّا خرج عمر جاؤوها، فقالت: «تعلمون أنّ عمر جاءني، و حلف لي بالله إن عُدتم ليحرقنّ عليكم البيت، و ايم الله ليمضينّ لما حلف له، فانصرفوا عنّا راشدين»

١. المصدر السابق، ج ٢، ص ٦٠.

٢. المصدر السابق ج ٢ ص ٦٠.

فلم يرجعوا إلى بيتها، و ذهبوا فبايعوا لأبي بكر.[١]

و روى ابن أبي الحديد عن أحمد بن عبدالعزيز الجوهري أيضاً، قال: و كثر الناسُ على أبي بكر، فبايعه معظمُ المسلمين في ذلك اليوم؛ و اجتمعت بنو هاشم إلى بيت عليّ بن أبي طالب، و معهم الزبير، و كان يعدّ نفسَه رجلاً من بني هاشم؛ كان عليّ يقول: «ما زال الزُّبير مِنّا أهلَ البيت؛ حتى نشأ بنوهُ، فصرفُوه عنّا».

و اجتمعتْ بنو أميّة إلى عثمان بن عفّان، و اجتمعت بنو زُهْرة إلى سعد و عبدالرحمن؛ فأقبل عمر إليهم و أبوعبيدة، فقال: مالي أراكم ملتاثِين؟ قوموا فبايعوا أبابكر؛ فقد بايع له الناس، و بايعه الأنصار. فقام عثمان و من معه، و قام سعد و عبدالرحمن و مَنْ معهما، فبايعوا أبابكر.

و ذهب عمر و معه عِصابة إلى بيت فاطمة، منهم أسيد بن حُضير و سلمة بن أسلم، فقال لهم: انطلقوا فبايِعوا، فأبَوا عليه؛ و خرج إليهم الزُّبَير بسيفِه، فقال عمر: عليكم الكلْب، فوثب عليه سلمة بن أسلم، فأخذَ السيفَ من يدِه فضرب به الجِدار، ثم انطلقوا به و بعليّ و معهما بنوهاشم. و عليّ يقول: أنا عبدالله و أخو رسول الله ﷺ؛ حتّى انتهوْا به إلى أبي بكر، فقيل له: بايعْ، فقال: أنا أحقُّ بهذا الأمر منكم، لا أُبايعكم و أنتم أوْلى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار، و احْتَجَجْتُم عليهم بالقرابة من رسول الله، فأعطوْكم المقادَة، و سلَّموا إليكم الإمارة، و أنا أحتجُّ عليكم بمثل ما احتججتُم به على الأنصار. فأنصفونا إن كنتم تخافُون الله من أنفسِكم، و اعرفوا لَنا من الأمر مثل ما عرفت الأنصار لكم، و إلاّ فَبوْءوا بالظلم و أنتم تعلمون.

فقال عمر: إنّك لستَ متروكاً حتى تبايع. فقال له عليّ: احلب يا عمر حلباً لك شطرُه! اشدُد له اليوم أمرَه ليردّ عليك غَداً! ألا و الله لا أقبل قولَك و لا أُبايعه. إلى

---

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٤٥.

أن قال: فقال عليّ: يا معشرَ المهاجرين، الله الله! لا تخرجوا سلطانَ محمد عن داره و بيته إلى بيوتكم و دوركم، و لا تدفعوا أهلَه عن مقامه في الناس و حَقّه؛ فوالله يا معشرَ المهاجرين، لَنَحْنُ ـ أهلَ البيت ـ أحقُّ بهذا الأمر منكم. أمَا كان منّا القارىء لكتابِ الله، الفقيه في دين الله، العالم بالسنّة، المضطلع بأمر الرعية! و الله إنـه لفـينا، فلا تتبعوا الهوى، فتزدادوا من الحقّ بعداً.

فقال بشير بن سعد: لو كان هذا الكلامُ سمعتهُ منك الأنصار يا عليّ قبل بيعتِهم لأبي بكر؛ ما اختلف عليك اثنان؛ و لكنّهم قد بايعوا.

و انصرف عليّ إلى منزله، و لم يبايع، و لزم بيتَه حتى ماتت فاطمة فبايَع[1].

وروى عن أحمد بن‌العزيز الجوهريّ‌أيضاً: حدّثنا أحمد و قال: حدثنا ابن‌عفير، قال: حدّثنا أبو عوف‌عبدالله بن‌عبدالرحمن، عن أبي جعفر محمد بن عليّ رضي‌الله عنهما، أنّ عليّاً حَمَل فاطمة على حمار، و سار بها ليلاً إلى بيوت الأنصار؛ يسألهـم النصرة، و تسألهم فاطمة الانتصار له، فكانوا يقولون: يا بنتَ رسول الله، قد مضت بيعتُنا لهذا الرجل؛ لو كان ابنُ عمّك سبق إلينا أبابكر ما عَدَلْنا به؛ فقال عليّ: أكنت أتركُ رسولَ الله ميّتاً في بيته لا أُجهّزه، و أخرجُ إلى الناس أُنازعهم في سلطانه!

و قالت فاطمة: ما صنع أبوحسن إلا ما كان يـنبغي له، و صـنعوا هـم مـا الله حسيبهم عليه[2].

و قال ابن عبد ربّه في (العقد الفريد) في الذين تخلفوا عن بيعة أبي بكر: علي، و العباس، و الزبير، و سعد بن عبادة. فأمّا علي و العباس و الزبير، فقعدوا في بـيت فاطمة حتى بعث إليهم أبوبكر عمربن الخطاب ليُخرجهم من بيت فاطمة و قال له: إن أبوا فقاتِلهم. فأقبل بقبسٍ من نار على أن يُضرم عليهـم الدار. فـلقيته فـاطمة،

---

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ٦، ص ١١ ـ ١٢.

٢. شرح ابن أبي الحديد، ج ٦، ص ١٣.

فقالت: «يابن الخطاب، أجئت لتُحرق دارنا؟»، قال: نعم، أو تدخلوا فيما دخلت فيه الأمة... الحديث[١] ثمّ نقل ابن عبد ربه، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، قالت: لم يُبايع عليٌّ ﷺ أبابكر حتى ماتت فاطمة، و ذلك بعد ستة أشهر من موت أبيها ﷺ[٢].

و قال ابن قتيبة الدينوري: و خرج عليّ ﷺ يحمل فاطمة بنت رسول الله ﷺ على دابة ليلاً في مجالس الأنصار تسألهم النصرة، و كانوا يقولون: يا بنت رسول الله، قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، و لو أنّ زوجك و ابن عمك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به.

فيقول عليّ ﷺ: «أفكنت أدع رسول الله ﷺ في بيته لم أدفنه و أخرج أنازع الناس سلطانه؟!».

فقالت فاطمة: «ما صنع أبو الحسن إلاّ ما كان ينبغي له، و لقد صنعوا ما الله حسيبهم و طالبهم» و ساق الكلام إلى أن قال ـ بعد ذكر عدم بيعة عليّ ﷺ ـ: فأتى عمر أبابكر، فقال له: ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة؟

فقال أبوبكر لقنفذ[٣] ـ و هو مولى له ـ: اذهب فادع لي عليّاً.

قال: فذهب إلى عليّ ﷺ فقال له: «ما حاجتك».

فقال (قنفذ): يدعوك خليفة رسول الله.

فقال عليّ ﷺ: «لسريع ما كذبتم على رسول الله» فرجع فأبلغ الرّسالة، قال: فبكى أبوبكر طويلاً، فقال عمر الثانية: لا تمهل هذا المتخلّف عنك بالبيعة.

فقال أبوبكر لقُنفذ: عُد إليه، فقل له: خليفة رسول الله يدعوك لتبايع، فجاءه قنفذ، فأدّى ما أمر به، فرفع عليّ ﷺ صوته فقال: «سُبحان الله! لقد ادّعى ما ليس

---

١ راجع العقد الفريد، ج ٤، ص ٢٥٩.

٢. المصدر السابق.

٣. قُنفُذ: رجل فظٌّ غليظ، جاف، من الطلقاء، أحد بني عدي بن كعب ـ كتاب سليم بن قيس، ص ٣٥.

له» فرجع قنفذ فأبلغ الرسالة. فبكى أبوبكر طويلاً. ثمّ قام عمر فمشى و معه جماعة حتّى أتوا باب فاطمة ﷺ فدقّوا الباب. فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: «يا أبت، يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطّاب، و ابن أبي قحافة».

فلمّا سمع القوم صوتها و بكاءها انصرفوا باكين، و كادت قلوبهم تنصدع و أكبادهم تنفطر، و بقي عمر و معه قوم، فأخرجوا عليّاً ﷺ فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع، فقال: «إن أنا لم أفعل فمه؟».

قالوا: إذاً و الله الّذي لا إله إلاّ هو نضرب عنقك. فقال: «إذاً تقتلون عبدالله، و أخا رسوله!!».

قال عمر: أمّا عبدالله، فنعم، و أمّا أخو رسوله فلا، و أبوبكر ساكت لا يتكلّم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟

فقال: لا أكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه. فلحق عليّ ﷺ بقبر رسول الله ﷺ يصيح و يبكي و ينادي: «يا ابن أمّ، إنّ القوم استضعفوني و كادوا يقتلونني».[1]

إذن فما رواه الشيعة لم ينفردوا به، بل هو مطابق لما رواه كثير من المؤرخين، هذا و لو استعرضنا جميع أقوالهم في هذا المجال لطال بنا المقام، لذا نكتفي بما ذكرناه، و نحيل القاري الكريم إلى المظانّ التاريخية التي تكفّلت بذكر تلك الأحداث العظيمة من تاريخنا الاسلامي.[2]

مظلوميّته ﷺ في الشورى

إنّ مظلوميّة الإمام عليّ ﷺ و شدّة تأثّره بعد عمر بن الخطاب في قضيّة الشورى

---

١. الإمامة و السياسة، ج ١، ص ١٣.

٢. راجع كتاب الغدير للشيخ الأميني، و كتاب إحراق بيت فاطمة ﷺ للشيخ حسين غيب غلامي الذي يحتوي على دراسة مفصلة في مصادر و اسناد قضية احراق بيت الزهراء ﷺ من الكتب المعتبرة عند أهل السنة.

يظهر جليّاً في كلمات خطبته الشقشقية، حيث يقول: «أما و الله لقد تقمّصها ابنُ أبي قُحافة، و إنّه ليَعلَمُ أنّ محلّيَ منها محَلُّ القُطبِ مِنَ الرَّحى، يَنحدِرُ عَنّي السَّيل، وَ لا يَرْقَى إلَيّ الطـير»، إلى أن قال: «فَصَبَرْتُ عَلى طُولِ المُدّةِ و شِدّة المِحنَة حتّى إذا مَضَى لِسبيله، جَعَلها في جَماعَةٍ زَعَمَ أنّي أحَدُهُم، فَيالله و لِلشُورى! مَتَى اعتَرض الرّيبُ فيَّ مَعَ الأوّلِ مِنهُم؟ حتّى صِرْتُ أُقرَنُ إلى هذهِ النَّظائِر. لكنّي أسفَفْتُ إذْ أسفّوا، و طِرْتُ إذ طاروا. فَصَغا رَجلٌ مِنهم لضغنه، وَ مَالَ الآخرُ لِصهره مع هَنٍ وَهنٍ إلى أنْ قامَ ثالثُ القَوم نافِجاً حِضْنيهِ» الخطبة.[1]

وعلى هذا المنوال قال أيضاً ـ على ما نسب إليه ﷺ من الحكم في شرح ابن أبي الحديد: ـ «كنتُ في أيّام رسول الله ﷺ كجزء من رسول الله ﷺ، يُنظَر إليَّ النّاس كما ينظر إلى الكواكب في أُفقِ السّماء، ثمّ غضّ الدّهر منّي، فقرن بي فلان و فلان، ثمّ قرنت بخمسة أمثلهم عثمان، فقلتُ: واذفراه[2]، ثمّ لم يَرْضَ الدّهر لي بذلك، حتّى أرذلني، فجعلني نظيراً لابن هند و ابن النابغة! لَقد استنَّت الفصال حتّى القرعى».[3]

و في رسالته ﷺ إلى معاوية بن أبي سفيان: «فياعجباً للدّهر، إذ صرتُ يُقرن بي مَن لم يَسْعَ بقَدَمي، و لم تكن له كسابقتي الّتي لا يُدلي أحدٌ بمثلها، إلاّ أن يدّعي مُدَّعٍ ما لا أعرفه، و لا أظنّ الله يَعرفه، و الحمد لله على كلّ حال».[4]

و فيما يلي قصة الشورى التي تظهر فيها مظلومية عليّ ﷺ جليّة.

قال ابن أبي الحديد في شرحه: إنّ عمر لمّا طعنه أبو لؤلؤة و علم أنّه ميّت، استشار فيمن يولّيه الأمر بعده، فأُشير عليه بابنه عبدالله. فقال: لاها الله إذاً لا يليها رجلان من ولد الخطّاب، حسب عمر ما حُمّل! حسب عمر ما احتقب[5]، لاها الله!

---

١. الخطبة المعروفة بالشقشقية، نهج البلاغة، الخطبة ٣

٢. الذفر: الرائحة الخبيثة.

٣. شرح ابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ٣٢٦.

٤. نهج البلاغه، الكتاب ٩.

٥. احتقب الاثم: جمعه، واحتقب الشي: حمله خلفه.

لا أتحمّلها حيّاً و ميّتاً!.

ثمّ قال: إنّ رسول الله ﷺ مات و هو راضٍ عن هذه السّتة من قريش: عليّ، و عثمان، و طلحة، و الزّبير، و سعد، و عبدالرحمن بن عوف، و قد رأيت أن أجعلها شورى بينهم ليختاروا لأنفسهم.

ثمّ قال: أُدعوهم لي، فدعوهم، فدخلوا عليه و هو ملقىً على فراشه يجود بنفسه، فنظر إليهم، فقال: أكلّكم يطمع في الخلافة بعدي، فوجموا[1] فقال لهم ثانية، فأجابه الزّبير، و قال: و ما الّذي يُبعدنا منها! وليتها أنت فقمتَ بها، و لسنا دونك في قريش، و لا في السابقة، و لا في القرابة.

قال الشيخ أبوعثمان الجاحظ: و الله لولا عِلْمه أنّ عمر يموت في مجلسه ذلك، لم يُقدم على أن يفوّه من هذا الكلام بكلمة، و لا أن تنفّس منه بلفظه، فقال عمر: أفلا أُخبركُم عن أنْفُسكِم؟! قال: قل، فإنّا لو استعفيناك لم تُعفنا.

ثمّ أقبل عمر إلى كلّ واحد من السّتّة الحاضرين بين يديه، و خاطب القوم بكلمات جارحة، و ذمّهم ذمّاً شديداً إلاّ عليّ بن أبي طالب ؑ سوى قوله: لله أنت (يا عليّ) لولا دُعابة[2] فيك![3] أما و الله لئن وليتّهم لتحملنّهم على الحقّ الواضح و المحجّةالبيضاء ـ إلى أن قال ـ : أُدعوا إليَّ أباطلحةالأنصاري، فدعوه له، فقال: انظر يا أبا طلحة، اذا عدتم من حُفرتي، فكنُ في خمسين رجلاً من الأنصار حاملي سيوفكم، فخذ هؤلاء النفر بإمضاء الأمر و تعجيله، و اجمعهم في بيت، وقف بأصحابك على باب البيت ليتشاوروا و يختاروا واحداً منهم، فإن اتّفق خمسة و أبى واحد فاضرب عنقه، و إن اتّفق أربعة و أبى أثنان فاضرب أعناقهما، و إن اتّفق ثلاثة و خالف ثلاثة، فانظر الثلاثة الّتي فيها عبدالرحمن، فارجع إلى ما قد اتّفقت

---

١. وجم وجماً و وجوماً: سكت على غيظ.

٢. الدعابة بالضم: المزاح و اللعب.

٣. من أراد تفصيل الحديث فليلاحظه في شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٨٥.

عليه، فإن أصرّت الثلاثة الأُخرى على خلافها فاضرب أعناقها، و إن مضت ثلاثة أيّام و لم يتفقوا على أمر، فاضرب أعناق الستّة، ودع المسلمين يختاروا لأنفسهم.

فلمّا دُفنَ عمر، جمَعَهم أبو طلحة، ووقف على باب البيت بالسيف في خمسين من الأنصار، حاملي سيوفهم، ثمّ تكلّم القوم و تنازعوا، فأوّل ما عمل طلحة أنّه أشهدَهم على نفسه أنّه قد وهبَ حقّه من الشورى لعثمان، و ذلك لعلمه أنّ النّاس لا يَعدِلون به عليّاً و عثمان، و أن الخلافة لا تخلُص له و هذان موجودان، فأراد تقوية أمر عثمان وإضعاف جانب عليّ ﷺ بهبة أمر لا انتفاع له به، و لا تمكّن له منه.

فقال الزّبير في معارضته: و أنا أشهدكم على نفسي أنّي و قد وهبتُ حقّي من الشورى لعليّ، و إنّما فعل ذلك لأنّه لمّا رأى عليّاً قد ضعُف و انخزل بهبة طلحة حقّه لعثمان، دخلته حميّة النّسب، لأنّه ابن عمّة أميرالمؤمنين ﷺ و هي صفيّة بنت عبدالمطلب، و أبوطالب خالُه.

و إنّما مال طلحةُ إلى عثمان لانحرافه عن عليّ ﷺ باعتبار أنّه تيميّ و ابن عمّ أبي بكر، و قد كان حصلَ في نفوس بني‌هاشم من بني تيم حنق شديد لأجل الخلافة، و كذلك صار في صدور تيم على بني‌هاشم، و هذا أمرٌ مركوز في طبيعة البشر، و خصوصاً طينة العرب و طباعها و التجربة إلى الآن تحقّق ذلك، فبقي من الستة أربعة.

فقال سعد بن أبي وقاص: و أنا قد وهبتُ حقّي من الشّورى لابن عمّي عبدالرّحمن، و ذلك لأنّهما من بني زهرة، و لعلم سعد أنّ الأمر لا يتمّ له، فلمّا لم يبق إلاّ الثلاثة، قال عبدالرحمن لعليّ و عثمان: أيكمّا يُخرج نفسه من الخلافة، و يكون إليه الاختيار في الاثنين الباقيين؟

فلم يتكلّم منهما أحد، فقال عبدالرحمن: أُشهدِكم أنّي قد أخرجتُ نفسي من الخلافة، على أن أختار أحدهما، فأمسكا، فبدأ بعليّ ﷺ و قال له: أُبايعك على كتاب الله، و سنّة رسول الله، و سيرة الشيخين: أبي بكر و عمر.

فقال: «بل على كتاب الله، و سنّة رسوله، و اجتهاد رأيي» فعدل عنه إلى عثمان، فعرض ذلك، عليه، فقال: نعم: فعاد إلى عليّ ﷺ فأعاد قوله، فعل ذلك عبدالرحمن ثلاثاً، فلمّا رأى أنّ عليّاً ﷺ غير راجع عمّا قاله، و أنّ عثمان يُنعم له[١] بالاجابة، صفّق على يد عثمان، و قال: السّلام عليك يا أميرالمؤمنين، فيقال: إنّ عليّاً ﷺ قال له: «و الله ما فعلتها إلاّ لأنّك رجوت منه ما رجا صاحبُكما من صاحبه، دقّ الله بينكما عِطر مَنشِم[٢]».

قيل: ففسد بعد ذلك (بدعاء علي ﷺ) بين عثمان و عبدالرحمن، فلم يكلّم أحدهما صاحبه حتى مات عبدالرحمن.[٣]

قصّة التحكيم و ظهور أمر الخوارج

و من أمرّ المظلوميّة أن يقف أعوان المرء في وجهه و هو على أعتاب الانتصار على العدوّ، و كان هذا ما واجهه عليّ ﷺ. فلمّا أن أشرف على النّصر يوم صفّين أحدث معاوية خديعته برفع المصاحف، فوقف أصحاب الإمام عليّ ﷺ يعارضون أميرهم.

قال الشارح المعتزلي: إنّ الّذي دعا إليه طلب أهل الشام له و اعتصامهم به من سيوف أهل العراق، فقد كانت أمارات القهر و الغلبة لاحت، و دلائل النّصر و الظفر وضحت، فعدل أهل الشام عن القِراع إلى الخداع، و كان ذلك برأي عمرو بن العاص، و هذه الحال وقعت عقيب ليلة الهرير[٤]، و هي الليلة العظيمة الّتي يُضرب

---

١. أنعم له . إذا قال مجيباً «نعم».

٢. منشم بكسر الشين : اسم امرأة كانت بمكّة عطارة، و كانت خزاعة و جُرهم إذا أرادوا القتال تطيّبوا من طيبها، و كانوا إذا فعلوا ذلك كثرت القتلى فيما بينهم، فكان يقال : أشأم من عطر مَنشم، فصار مثلاً.

٣. شرح ابن أبي الحديد، ج ١، ص ١٨٨ : و راجع الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٢١٩، و تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٢٩٢.

٤. من هرير الفرسان بعضهم على بعض كما تهر السباع، و هو صوت دون النباح.

بها المَثل.[١]

قال ابن أبي الحديد في موضع آخر من شرحه على نهج البلاغة: لما بلغ معاوية أمارات القهر و الغلبة لجيش علي عليه السلام، فدعا عمرو بن العاص و قال: يا عمرو، إنّما هي الليلة حتّى يغدُوَ عليّ علينا بالفيصَل، فما ترى؟

قال: إنّ رجالك لا يقومون لرجاله، و لستَ مِثله، هو يقاتلك على أمر و أنت تقاتِله على غيره، أنت تريد البقاء، و هو يريد الفناء، و أهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم، و أهل الشام لا يخافون عليّاً إن ظفر بهم، و لكن ألقِ إلى القوم أمراً إن قَبلوه أختلفُوا، و إن ردّوه اختلفوا، اُدعهُم إلى كتاب الله حَكَماً فيما بينك و بينهم، فإنّك بالغٌ به حاجتك في القوم، و إنّي لم أزل أؤخّر هذا الأمر لوقت حاجتك إليه. فعرف معاوية ذلك، و قال له: صدقت.[٢]

رفع المصاحف

روى نصر بإسناده عن جابر، قال: سمعت تميم بن حُذيم يقول: لمّا أصبحنا من ليله الهرّير، نظرنا، فإذا أشباهُ الرايات أمام أهل الشام في وسط الفَيلق حيال موقف عليّ عليه السلام و معاوية، فلمّا أسفرنا إذا هي المصاحف قد رُبطت في أطراف الرّماح، و هي عظام مصاحف العَسكر، و قد شدّوا ثلاثة أرماح جميعاً، و رَبطوا عليها مصحف المسجد الأعظم يمسكه عشرة رهط.

و قال أبو جعفر و أبو الطفيل: استقبلوا عليّاً بمائة مصحف، و وضعوا في كلّ مُجنّبة[٣] مائتي مصحف، فكان جميعها خمسمائة مصحف.[٤]

---

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٠٦.

٢. المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٠٩.

٣. المجنبة بكسر النون المشددة: ميمنة الجيش أو ميسرته.

٤. المصدر السابق، ج ٢، ص ٢١١.

بداية الخلاف في جيش عليّ ﷺ

قال الشارح المعتزلي، عن أبي جعفر: ثمّ قام الطفيل بن أدهم حيال عليّ ﷺ و قام أبو شريح الجذامي حيال الميمنة، و قام و رقاء بن المعمّر حيال الميسرة، ثمّ نادوا: يا معشر العرب، الله الله في النساء و البنات و الأبناء من الرّوم و الأتراك و أهل فارس غداً إذا فنيتم، الله الله في دينكم! هذا كتابُ الله بيننا و بينكم.

فقال عليّ ﷺ: «أللّهمّ إنّك تعلم أنّهم ما الكتاب يريدون، فاحكم بيننا و بينهم إنّك أنت الحَكم الحقّ المُبين».

فاختلف أصحاب عليّ ﷺ في الرأي، فطائفة قالت: القتال، و طائفة قالت: المحاكمة إلى الكتاب، و لا يحلّ لنا الحرب، و قد دُعينا إلى حُكم الكتاب، فعند ذلك بطلت الحرب و وضعت أوزارها.[1]

عَليّ ﷺ يُطلع جيشه على المؤامرة لكنّه يُهدَّد بالقتل

فقال عليّ ﷺ: «أيّها النّاس، إنّي أحقّ مَن أجابَ إلى كتاب الله، و لكنّ معاوية، و عمرو بن العاص، و ابن أبي مُعيط، و ابن أبي سرح، و ابن مَسلمة ليسوا بأصحاب دين و لا قرآن، إنّي أعرفُ بهم منكم، صحبتهم صغاراً و رجالاً، فكانوا شَرّ صِغار و شَرّ رجال، وَيحكُم إنّها كلمةُ حقّ يُراد بها باطل! ما رَفعوها أنّهم يعرفونها و يعملون بها، و لكنّها الخديعة و الوهن و المكيدة! أعيروني سواعدَكُم و جَماجمكم ساعة واحدة، فقد بلغ الحقّ مقطعه، و لم يبق إلاّ أن يُقطعَ دابرُ الّذين ظلموا».

فجاءه من أصحابه زُهاء عشرين ألفاً مُقنّعين في الحديد، شاكي سيُوفهم على عواتقهم، و قد اسودَّت جباهم من السّجود، يتقدّمهم مِسعَر بن فَدَكيّ، و زيد بن حُصين، و عِصابةٌ من القُرّاء الّذين صاروا خوارج من بعد، فنادوه باسمه لا بإمرة

---

١. المصدر السابق، ج ٢، ص ٢١٢.

المؤمنين: يا عليّ، أجب القوم إلى كتاب الله إذا دُعيتَ إليه، و إلاّ قتلناك كما قتلنا ابن عفّان، فو الله لنفعلّنها إن لم تُجبهم!.

فقال لهم: «وَيحكم! أنَا أوّلُ من دَعا إلى كتاب الله، و أوّل مَن أجابَ إليه، و ليس يَحلُّ لي، و لا يَسعني في ديني أن أُدعَى إلى كتاب الله فلا أقبلُه. إنّي إنّما قاتلتُهم ليدينوا بحكم القرآن، فإنّهم قد عصوا الله فيما أمرهم، و نقضوا عهده، و نبذوا كتابه، و لكنّي قد أعلمتكم أنّهم قد كادوكم، و أنّهم ليس العمل بالقرآن يُريدون».

قالوا: فابعث إلى الأشتر ليأتينّك، و قد كان الأشتر صبيحة ليلة الهرير أشرف على عسكر معاوية ليدخله.[1]

إنتخاب الحَكَمَين

و انصرف الأشعث إلى عليّ ﷺ فأخبره [بما اتّفق عليه مع معاوية في أن يبعث أهل العراق رجلاً يرضون به، و يبعث أهل الشام رجلاً]، فبعث عليّ ﷺ قُرّاءً من أهل العراق، و بعث معاوية قرّاءً من أهل الشام، فاجتمعوا بين الصَّفَّين و معهم المُصحف، فنظروا فيه و تدارسوا، و اجتمعوا على أن يحيوا ما أحيا القرآن، و يُميتوا ما أمات القرآن، و رجع كلّ فريق إلى صاحبه، فقال أهل الشام: إنّا قد رَضينا و اخترنا عمرو بن العاص، و قال الأشعث و القُرّاء الّذين صاروا خوارج فيما بعد: قد رَضينا نحن و اخترنا أبا موسى الأشعري.

فقال لهم عليّ ﷺ: «فإنّي لا أرضى بأبي موسى، و لا أرى أن أولّيه».

فقال الأشعث، و زيد بن حُصين، و مِسعر بن فَدَكيّ في عصابة من القُرّاء: إنّا لا نرضى إلاّ به، فإنّه قد كان حذّرنا ما وقعنا فيه.

فقال عليّ ﷺ: «فإنّه ليس لي برضى، و قد فارقني و خذّل النّاس عنّي، و هرب منّي حتّى أمّنتُه بعد أشهر، و لكن هذا ابن عبّاس أولّيه ذلك».

---

١. المصدر السابق، ج ٢، ص ٢١٦.

قالوا: و الله ما نُبالي، أكنت أنت أو ابن عبّاس، و لا نُريد إلاّ رجلاً هو منك و من معاوية سواء، ليس إلى واحد منكما بأدنى من الآخر.

قال عليّ ﷺ: «فإنّي أجعل الأشتر».

فقال الأشعث: و هل سعَّر الأرض علينا إلاّ الأشتر! و هل نحن إلاّ في حُكم الأشتر.

قال عليّ ﷺ: «و ما حكمه؟».

قال: حكمه أن يضرب بعضنا بعضاً بالسيف حتّى يكون ما أردتَ و ما أراد. و ساق الكلام إلى قوله: قال نصر: فقال عليّ ﷺ:« قد أبيتُم إلاّ أبا موسى!»

قالوا: نعم.

قال: «فاصنعوا ما شئتُم» فبعثوا إلى أبي موسى ـ و هو بأرض من أرض الشام، يقال لها عُرض[1]، قد اعتزل القتال ـ فأتاه مولىً له، فقال: إنّ النّاس قد اصطلحوا. فقال: الحمد لله ربّ العالمين. قال: و قد جعلوك حكماً. فقال: إنّا لله و إنّا إليه راجعون.[2]

قال نصر بن مزاحم: فلمّا رَضي أهل الشام بعمرو بن العاص، و أهل العراق بأبي موسى، أخذوا في سطر كتاب الموادعة... و كُتب الكتاب يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من صفر سنة سبع و ثلاثين، و اتفقوا على أن يوافي أميرالمؤمنين عليّ ﷺ موضع الحكمين بدومة الجندل أو بأذرح في شهر رمضان، الحديث.[3]

اجتماع الحَكَمَين

و لمّا جاء وقت اجتماع الحكمين، أرسل عليّ ﷺ أربعمائة رجل عليهم شريح بن

---

١. عُرْض: بلد بين تدمر و رصافة الشام.

٢. راجع المصدر السابق، ج ٢، ص ٢٢٨.

٣. و تفصيلها في شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٣٢؛ الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣٨٩؛ تاريخ الطبري، ج ٣، ص ٥٦٢.

هاني الحارثي، و بعث معهم عبدالله بن عباس و هو يصلّي بهم ويلي أُمورهم و معهم أبوموسى الأشعري.

و كذا أرسل معاوية، عمرو بن العاص في أربعمائة من أهل الشام حتّى توافوا بدومة الجندل بأذرح في شهر رمضان.

فلمّا اجتمع الحكمان و جرى بينهما ما جرى، و أخذ عمرو يقدّم أبا موسى في الكلام، و كان مكراً و خديعة، حيث خلع أبوموسى علياً ﷺ و معاوية، و أخلّ ابن العاص بالاتفاق فخلع علياً ﷺ و أثبت معاوية، فقال له ابن عباس: ويحك! و الله إنّي لأظنّه قد خدعك؟ أمّا أبوموسى فكان مغفّلاً، فقال: إنّا قد اتّفقنا.[1]

و قال المسعودي في (مروج الذهب): و وجدت في وجه آخر من الروايات أنّهما اتّفقا على خلع عليّ و معاوية، و أن يجعلا الأمر بعد ذلك شورى، يختار النّاس رجلاً يصلح لهم أمرهم فقدّم عمرو أبا موسى.[2]

وفيه أيضاً: قال عمرو: أما إذا رأيت الصلاح في هذا الأمر و الخير للمسلمين فاخطُب النّاس، و اخلع صاحبينا [معاً] و تكلّم باسم هذا الرجل الّذي تستخلفه، فقال أبوموسى: بل أنت قم فاخطُب، فأنت أحقّ بذلك، قال عمرو: ما أُحبّ أن أتقدّمك، و ما قولي و قولك للنّاس إلاّ قول واحد، فقم راشداً.

فقام أبوموسى، فحمد الله و أثنى عليه، و صَلّى عَلَىَ نبيّه ﷺ، ثمّ قال:

أيّها النّاس، إنّا قد نظرنا في أمرنا، فرأينا أقرب ما يحضرنا من الأمن والصلاح و لَمّ الشعث و حَقن الدماء و جمع الأُلفة، خلعنا عليّاً و معاوية، و قد خَلعتُ عليّاً كما خلعتُ عمامتي هذه ـ ثمّ أهوى إلى عمامته فخلعها ـ و استخلفنا رجلاً قد صحب رسول الله ﷺ بنفسه، و صحب أبوه النبيّ ﷺ، فبرّز في سابقته ـ و هو عبدالله بن

---

١. راجع تاريخ الطبري، ج ٤، ص ٩٤؛ الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٣٩٤؛ شرح ابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٤٤.

٢. مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٠٩.

عمر ـ و أطراه، و رغّب النّاس فيه، ثمّ نزل.

فقام عمرو بن العاص، فحمد الله و أثنى عليه، و صلّى على رسول الله ﷺ، ثمّ قال: أيّها النّاس، إنّ أبا موسى عبدالله بن قيس قد خلع عليّاً و أخرجه من هذا الأمر الّذي يطلب و هو أعلم به، ألا و إنّي قد خلعتُ عليّاً معه، و أثبتُّ معاوية عليّ و عليكم، و إنّ أبا موسى قد كتب في الصحيفة إنّ عثمان قد قُتل مظلوماً شهيداً، و إنّ لوليّه (سلطاناً) أن يطلب بدمه حيث كان، و قد صَحب معاوية، رسول الله بنفسه، و صحب أبوه النبيّ ﷺ (و أطراه، و رغّب النّاس فيه، و قال): هو الخليفة علينا، و له طاعتنا و بيعتنا على الطلب بدم عثمان.

فقال أبو موسى: كذب عمرو، لم نستخلف معاوية و لكنّا خَلعنا معاوية و عليّاً معاً، فقال عمرو: بل كذب عبدالله بن قيس، قد خلع عليّاً و لم أخلع معاوية.[١]

و فيه أيضاً: و انخزل أبوموسى فاستوى عَلى راحلته و لَحق بمكّة، و لم يَعد إلى الكوفة، و قد كانت خطّته و أهله و ولده بها، وآلى أن لاينظر إلى وجه عليّ ﷺ ما بقي، و مضى ابن عمر و سعد إلى بيت المقدس، (فأحرما).[٢]

خطبة الإمام عليّ ﷺ بعد التحكيم

روي أنّ عمرو بن العاص و أبا موسى الأشعري لمّا التقيا بدومة الجندل و قد حكما في أمر النّاس، كان أميرالمؤمنين ﷺ يومئذٍ قد دخل الكوفة ينتظر ما يحكمان به، فلما تمّت خدعة عمرو لأبي موسى، و بلغه ﷺ ذلك، اغتمّ له غمّاً شديداً و وجم منه، و قام فخطب النّاس، فقال:

«الحمدُلله، و إن أتى الدّهر بالخطبِ الفادِح، و الحَدثِ الجليل، و أشهدُ أنْ لا إله إلاّ الله وحدهُ لا شريك لهُ، لَيس مَعَهُ إلهٌ غيرهُ، و أنّ محمّداً عبدُهُ و رسوله.

---

١. المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٠٨.

٢. المصدر السابق، ج ٢، ص ٤١٠.

أمّا بعد:

فإنّ معصيةَ النّاصِحِ الشّفيق العالِمِ المُجرب تُورثُ الحَيرةَ و تُعقِبُ الندامة. و قد كنتُ أمرتُكم في هذهِ الحُكومة أمري، و نَخلتُ لكُم مَخزُونَ رأيي، لو كان يُطاعُ لقصير أمر. فأبيتُم عليَّ إباءَ المُخالفين الجُفاةِ، و المُنابِذينَ العُصاةِ حتّى ارتابَ الناصِحُ بنُصحه، و ضَنَّ الزَّند بقَدْحِه. فَكُنتُ أنا و إيّاكُم كما قالَ أخو هَوازِن:

أمرتُكُم أمري بمُنعَرجِ اللِّوى فلم تَستَبِينُوا النُّصحَ إلاّ ضُحى الغدِ»[1]

و هذه الألفاظ من خطبة خطبها ﷺ بعد خديعة ابن العاص لأبي موسى و افتراقهما، لكاشفة عن مظلوميّته في هذه الواقعة المؤلمة.

تثاقل أصحابه عن النُّصرة

إنّ المقصود بالخطبة الشريفة التالية ذمّ أصحابه ﷺ و توبيخهم على تثاقلهم من جهاد معاوية و أصحابه. فقال: «و لئن أمْهَلَ الله الظالمَ و متعه في دار الدنيا فلن يفوته أخذه، و هو له بالمرصادِ على مَجازِ طريقِه، و بموضِع الشجى مِن مَساغِ ريقِه. أما و الّذي نفسي بيده لَيَظْهَرن هؤلاءِ القومِ عليكم، ليس لأنّهم أولى بالحقّ مِنكم. و لكن لإسراعِهم إلى باطل صاحِبِهم، و إبطائكم عن حقّي. وَ لَقَدْ أصبحت الأُمم تَخافُ ظُلم رُعاتِها. و أصبحتُ أخافُ ظُلمَ رَعيّتي. أستَنفَرتُكم لِلجهادِ فلم تنفروا، و أسمَعتُكم فلَم تَسمَعوا. و دعَوتُكم سِرّاً وَ جَهراً فلَم تَستَجيبُوا، وَ نَصَحْتُ لكُمْ فلم تَقبَلُوا» إلى أن قال ـ:

«أيّها الشّاهدةُ أبدانُهم، الغائبة عَنهُم عُقولُهُم، المُختَلِفَة أهواؤهم، المُبتَلى بِهِم أُمراؤهم، صاحِبُكُم يُطيعُ الله و أنتُم تَعصُونَه. وَ صاحِبُ أهل الشام يَعصي الله وَ هُمْ يُطيعونه. لَوددْتُ و الله أنّ مُعاوية صارَفَنِيَ بِكُم صَرف الدّينارِ بالدّرهم، فأخَذَ مِنّي عَشرةً مِنكُم وَ أعطاني رَجُلاً مِنهُم» الخطبة.[2]

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٣٥.

٢. المصدر السابق، الخطبة ٩٦.

الحث عَلَى الجهاد و ذمّ المتقاعسين

الخطبة التالية من مشاهير خطبه ﷺ قد ذكرها كثير من المؤرخين و الرواة، و رواها أبو العباس المبرّد، و أسقط من هذه الرواية ألفاظاً: و زاد فيها ألفاظاً، قال: فانتهى إلى عليّ ﷺ أنّ خيلاً وردت الأنبار لمعاوية، فقتلوا عاملاً له يقال له: حسّان بن حسّان، فخرج ﷺ مغضباً يجرّ رداءه. حتّى أتى النخيلة، و أتبعه النّاس، فرقى ربوة من الأرض، فحمد الله و أثنى عليه و صلّى على نبيّه ﷺ ثمّ قال: «أمّا بعد فإنّ الجهاد بابٌ من أبواب الجنّة، فمن تركه رغبة عنه، ألبسه الله الذّل وسيم الخسف» إلى أن قال: «ألا و إنّي قد دَعوتُكم إلى قتالِ هَؤلاءِ القَوم لَيلاً و نهاراً، و سرّاً و إعلاناً، و قُلتُ لَكُم أغزوُهُم قَبلَ أنْ يغزوكُم، فَو الله ما غُزي قَومٌ قطّ في عُقر دارِهِم إلاّ ذَلُّوا، فَتواكَلتُم و تَخاذَلتُم، حَتّى شُنّت[1] عَلَيكُم الغاراتُ و مُلِكَت عَلَيكُم الأوطانُ.

وَ هذا أخوُ غامِدٍ، قَدْ وَرَدَتْ خَيله الأنبار، و قَد قَتَلَ حَسّانَ بن حسّان البَكريّ، و أزالَ خَيلَكُم عن مَسالحها[2]، و لقد بَلَغني أنّ الرّجلَ مِنهُم كانَ يَدخُل على المَرأة المُسلِمة و الأُخرى المُعاهدة[3] فَينْتَزِع حِجلَها[4] و قُلبَها[5] و قلائِدها و رعاثها، ما تَمتَنع مِنهُ إلاّ بِالإسترجاع[6] و الإسترحام، ثمّ انصرفُوا وافرين، ما نالَ رَجلاً مِنهُم كلمٌ[7]، و لا أُريقَ لَهُم دَمٌ، لَو أنَّ امرءاً مُسلِماً ماتَ مِن بَعد هذا أَسفاً ما كان به مَلُوماً، بَلْ كانَ به عِندي جدَيراً.

---

١. شُنّت عليكم الغارات . فرّقت.

٢. المسالح : جمع مسلحة و هي كالثغر و المَرقب.

٣. المعاهدة : الذمية.

٤. الحجل : الخلخال.

٥. القلب : السوار المصمت.

٦. أي بقولها : إنا لله و إنّا إليه راجعون.

٧. الكلم : الجراح .

إلى أن قال: إذا أمرتكم بالسير إليهم في أيّام الحرّ قُلتُم: هـذه حمـارّة القَـيظ[١] أمهلنا يُسبَّخ عنّا الحرّ[٢]، و إذا أمرتُكم بالسَّير إليهم في الشّتاءِ قُلتُم: هذه صبارّة[٣] القُرّ[٤] أمهلنا يَنسلخ عنّا البَرد، كُلُّ هذا فِراراً مِنَ الحرّ و القُرّ، فإذا كُنتُم مِنَ الحرّ و القُرّ تَفِرّون، فأنتم و الله من السيف أفرّ.

يا أشباه الرّجال وَ لا رجال، حُلومُ الأطفال، وَ عُقولُ رَبّاتِ الحِجال[٥]، لَوددتُ أنّي لَم أرَكُم وَ لَم أعرِفكُم مَعرِفة ـ و الله ـ جَرَّتْ نَدَماً و أعقبت سَدَماً، قاتَلَكُمُ الله، لَقدَ مَلأتُم قَلبي قَيحاً، و شَحنتُم صَدري غَيظاً، وَ جَرَّعتُموني نُغَبَ التّهام أنفاساً، و أفسَدتُم عليَّ رأيي بِالعصيانِ و الخذلان، حتّى قالَت قريش: إنَّ ابن أبي طالبٍ رجلٌ شجاعٌ وَ لكن لا عِلم لَهُ بالحَربِ، لله أبوهُم، وَ هَلْ أحَدٌ مِنهم أشدُّ لها مِراساً وَ أقدمُ فِيها مقاماً منّي؟ لقد نهضت فيها وَ ما بَلَغتُ العِشرين، و ها أنا ذا قَد ذَرّفتُ على السِتّين، وَ لكن لا رأيَ لِمن لا يُطاعُ».[٦]

لقد خطب هذه الخطبة الشريفة في أواخر عمره الشريف، و ذلك بعد ما انقضت وقعة صفّين، و استولى معاوية عَلى البلاد، و أكثر القتل و الغارة في الأطراف، و أمر سفيان بن عوف الغامديّ بالمسير إلى الأنبار، و قتل أهلها.

و تفصيل ذلك رواه ابن أبي الحديد المعتزلي عن كتاب الغارات لإبراهيم بن محمّد الثقفي بسنده عن أبي الكنود، فراجعه.[٧]

---

١. يُسبّخ عنّا الحرّ: يخفّ.

٢. يُسبّخ عنّا الحرّ: يخفّ.

٣. صبارّة الشتاء: شدّة برده.

٤. القرّ: البرد.

٥. ربات الحجال: النساء.

٦. نهج البلاغة، الخطبة ٢٧.

٧. شرح ابن أبي الحديد ج ٢، ص ٨٥ الى ٨٧.

مظلوميّته ﷺ بعد شهادته

و أجلى صور المظلوميّة أنّه صارت المنابر في الشرق و الغرب في حكومة الأمويين عَلى مدى أربعين سنة محلّاً لشتمه و سبّه، و معرضاً لإهانته و لعنه حتّى صار ذلك سُنّةً جاريةً بينهم، و قد أخبر ﷺ بذلك حيث قال لأصحابه:

«أما إنّه سَيظهرُ[1] عليكم بَعدي رَجلٌ رحبُ البلعوم[2] مندحق[3] البطن، يأكلُ ما يجد، و يَطلبُ ما لا يَجد، فاقتلوه و لن تقتلوه، ألا و إنّه سَيأمُركم بسبّي و البراءة منّي، فأمّا السّبّ فسبّوني، فإنّه لي زكاةٌ و لكم نجاةٌ، و أما البراءة فلا تتبرّؤوا منّي، فإنّي وُلدتُ عَلى الفِطرة، وَ سبقتُ إلى الإيمانِ و الهِجرة».[4]

في تسخير العملاء و شراء الذمم

لقد سخّر معاوية عدداً من العملاء ممّن أعمت قلوبهم المادّة و تمسّكوا بحطام الدُّنيا و آثروه على رضا الخالق العزيز، و قد بذل لهم معاوية الأموال الطائلة و المناصب العالية، مستغلاً كونهم ممّن أدرك عصر الرّسول الأكرم ﷺ أو أنّهم مقرّبون لأحد صحابته، و ذلك لكي يختلقوا الأحاديث و ينتحلوها على رسول الله ﷺ مدّعين أنه ﷺ قالها ذمّاً لعليّ ﷺ.

و إنّما عمل معاوية لعنه الله ذلك كي يدوم حكمه لبضعة أيّام أُخرى، و لكي يتقرّب إلى قلوب النّاس، لأنّ ماضيّه الّذي لا يحسد عليه ليس فيه ميزة أو خصلة تجذب الجماهير إليه، كما أنّه لم يسجّل ولاموقفاً واحداً في عصر الرّسول الأكرم ﷺ

---

١. سيظهر عليكم: سيغلب.

٢. رحبُ البلعوم: واسعه

٣. مندحق البطن: عظيم البطن، بارزه.

٤. نهج البلاغة، الخطبة ٥٦.

يجعله ذا بال أو ممّن يشار إليه بالبنان، بل إنّه كـان و أبـوه مـن رؤوس الكـفر و الإلحاد. لذا لم يجد له ما يقرّبه إلى قلوب النّاس سوى هذه الفعلة الّتي بقيت لعنة له و لمن تمسّك به على طول التاريخ.

لقد كانت القلوب متوجّهة صوب عـليّ ﷺ سـيّما بـعد الثـورة الّـتي أطـاحت بعثمان، و ذلك لأنّ فضائل عليّ ﷺ و مناقبه كانت قد ملأت العـيون و المشـاهد و الأسماع و ثبتت في قلوب المؤمنين قبل أن تسـجّلها أقـلامهم. لذا لم يجـد مـعاوية بدّاً إلاّ أن يسعى لأجل انتزاع هذا التوجّه و هذه المحـبّة من قـلوب النّـاس، و أن يجـعل مـن نـفسه رجـلاً محـبوباً مـقرّباً إلى نـفوس الجـماهير بشـتّى الوسـائل و الأساليب.

نقل الشارح المعتزلي عن شيخه أبي جعفر الإسكـافي[١] أنّـه قـال: إنّ مـعاوية وضع قوماً من الصحابة و قوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في عـليّ ﷺ تقتضي الطعن فيه و البراءة منه، و جـعل لهـم عـلى ذلك جـعلاً يُـرغَبُ في مـثله، فاختلقوا ما أرضاه، منهم أبو هريرة، و عمرو بن العاص، و المغيرة بن شعبة، و من التابعين عروة بن الزبير.[٢]

أقول: لكنّ الشمس لا تُحجب بغربال، فشمس عليّ ﷺ أبت إلاّ أن تخرج مـن الظلام الّذي اصـطنعه النـواصب عَـلى مـدىٰ التـاريخ، و بـقيت أشـعّة فـضائله و مناقبه ﷺ تشرق على الدُّنـيا في كـلّ العـصور لتـغطّيها بمكـارم الأخـلاق، و لعـلّ المقارنة بين قبره ﷺ و قبر معاوية خير شاهد على ما نقول.

و سنشير إلى نماذج من الأخبار الموضوعة من قبل معاوية و أتباعه لنتبيّن من خلالها عَلى مَظلوميّة أمير المؤمنين عليّ ﷺ.

---

١. من متكلمي المعتزلة و أحد أئمّتهم.

٢. شرح ابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٦٣.

جملة من الوضّاعين و أخبارهم

ما رواه أبو هريرة

روى أبو هريرة الحديث الّذي معناه أنّ عليّاً ﷺ خطب ابنة أبي جهل في حياة رسول الله ﷺ، فأسخطه، فخطب عَلى المنبر، و قال: «لاها الله! لا تجتمع ابنة وليّ الله، و ابنة عدوّ الله أبي جهل، إنّ فاطمة بضعة منّي، يؤذيني ما يؤذيها، فإن كان عليّ يُريد ابنة أبي جهل فليفارق ابنتي و ليفعل ما يُريد؟!» أو كلاماً هذا معناه.[١]

عن الأعمش، قال: لمّا قدم أبو هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة، جاء إلى مسجد الكوفة، فلمّا رأى كثرة مَن استقبله من النّاس جثا على ركبتيه، ثمّ ضرب صلعته مراراً، و قال: يا أهل العراق، أتزعمون أنّي أكذبُ عَلى الله و على رسوله، و أحرق نفسي بالنّار! و الله لقد سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنّ لكلّ نبيّ حرماً، و إنّ حرمي بالمدينة، ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثاً فعليه لعنة الله و الملائكة و النّاس أجمعين» و أشهد بالله أنّ عليّاً أحدث فيها؛ فلمّا بلغ معاوية قوله أجازه و أكرمه، و وَلّاه إمارة المدينة.[٢]

قال الشارح المعتزلي: فأمّا قول أبي هريرة: إنّ عليّاً ﷺ (أحدث في المدينة) فحاش لله! كان عليّ ﷺ أتقىٰ لله من ذلك، و الله لقد نصر عثمان نصراً لو كان المحصور جعفر بن أبي طالب لم يبذل له إلاّ مثله.[٣]

وقال أبوجعفر الإسكافي: أبو هريرة مدخول عند شيوخنا غير مرضيّ الرواية، ضربه عمر بن الخطاب بالدرة، و قال: قد أكثرت من الرّواية و أُحْرِ بك أن تكون كاذباً على رسول الله ﷺ[٤].

---

١. المصدر السابق، ص ٦٤.

٢. المصدر السابق، ص ٦٧.

٣. شرح ابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٦٧.

٤. المصدر السابق، ص ٦٨.

رواية عمرو بن العاص

قال عمرو: سمعت رسول‌الله ﷺ يقول: «إنّ آل أبي طالب ليسوا لي بأولياء، إنّما وليّي الله و صالح المؤمنين»![1]

رواية عروة بن الزّبير

روى الزهريّ أنّ عروة بن الزّبير قال: حدثتني عائشة، قالت: كنتُ عند رسول الله ﷺ إذ أقبل العبّاس و عليّ ﷺ، فقال ﷺ: «يا عائشة، إنّ هذين يموتان على غير ملّتي - أو قال: على غير ديني»؟![2]

رواية ﷺ سمرة بن جُندب

قال أبو جعفر الاسكافي: و قد روي أنّ معاوية بذل لسمرة بن جُندب مائة ألف درهم حتّى يروي أنّ هذه الآية نزلت في عليّ بن أبي طالب: ﴿وَ مِنَ النّاس من يُعجبُك قولُهُ في الحياةِ الدُّنيا و يُشهِدُ الله عَلَى ما في قلبه وَ هُوَ أَلَدُّ الخِصام وَ إذا تَوَلّى سَعَى في الأرض لِيُفسِدَ فيها و يُهلك الحَرثَ و النَّسلَ وَ الله لا يُحبّ الفَساد﴾.[3]

و أنّ الآية الثانية نزلت في ابن مُلجم، و هي قوله تعالى: ﴿وَ مِنَ النّاس مَن يَشري نَفسَهُ ابتغاءَ مَرضاتِ الله﴾[4]. فلم يقبل، فبذل مائتي ألف درهم، فلم يقبل، فبذل له ثلثمائة ألف فلم يقبل، فبذل له أربعمائة ألف، فقبل.[5]

و قد صارت - أي سبّة أمير المؤمنين ﷺ - سنّةً جاريةً، و كانت في أيّام

---

١. المصدر السابق، ص ٦٤.

٢. المصدر السابق، ص ٦٣.

٣. البقرة، ٢٠٤ و ٢٠٥.

٤. البقرة، ٢٠٧.

٥. شرح ابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٧٣.

الأمويين سبعون ألف منبر يُلعن عليها أمير المؤمنين ﷺ[1] و اتّخذوا ذلك كعقيدة راسخةٍ، أو فريضةٍ ثابتةٍ، أو سنّةٍ متّبعةٍ يُرغَّبُ فيها بكلّ شوق و توقٍ حتّى أنّ عمر بن عبدالعزيز لمّا منع عنها لحكمة عملية أو لسياسة وقتية، حسبوه كأنّه جاء بطامّة كبرى أو اقترف إثماً عظيماً.

روى ابن الأثير في (أُسد الغابة) عن شهر بن حوشب، أنّه قال: أقام فلان خطباء يشتمون عليّاً ﷺ و يقعون فيه حتّى كان آخرهم رجل من الأنصار أو غيرهم، يقال له: أنيس، فحمد الله و أثنى عليه، ثمّ قال: إنّكم قد أكثرتم اليوم في سبّ هذا الرّجل و شتمه، و إنّي أُقسم بالله إنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنّي لأشفعُ يومَ القِيامة لأكثر ممّا على الأرض من مدرٍ و شجرٍ» و أُقسم بالله ما أحد أوصل لرحمه منه، أفترون شفاعته تصل إليكم و تعجز عن أهل بيته ؟!.[2]

سبب منع عمر بن عبدالعزيز عن سبّ عليّ ﷺ

قال الشارح المعتزلي: فأمّا عمر بن عبدالعزيز فإنّه قال: كنتُ غلاماً أقرأ القرآن على بعض وُلد عُتبة بن مسعود، فمرّ بي يوماً و أنا ألعب مع الصبيان، و نحن نلعن عليّاً، فكره ذلك و دخل المسجد، فتركتُ الصبيان و جئتُ إليه لأدرس عليه وردي، فلمّا رآني قام فصلّى و أطال في الصلاة - شبه المُعرض عنّي - حتّى أحسستُ منه بذلك، فلمّا انفتَل مِن صلاته كلَح في وجهي فقلتُ له: ما بالُ الشيخ؟ فقال لي: يا بُنيّ، أنتَ اللاعن عَليّاً منذ اليوم؟! قلتُ: نعم.

قال: فمتى علمتَ أنّ الله سخط عَلى أهل بدر بعد أن رَضي عنهم؟ فقلتُ: يا أبتِ، و هل كان عليّ ﷺ من أهل بدر؟

فقال: و يحك! و هل كانت بدر كلّها إلاّ له. فقلتُ: لا أعود.

---

١. راجع الغدير، ج ٢، ص ١٠٣ و ١٠٢.

٢. أُسد الغابة، ج ١، ص ١٣٤.

فقال: و الله إنّك لا تعودا قلتُ: نعم، فلم ألعنه بعدها. ثمّ كنتُ أحضر تحت منبر المدينة و أبي يخطب يوم الجمعة، و هو حينئذ أمير المدينة. فكنتُ أسمع أبي يمرُّ في خُطبه تهدر شقاشقه، حتّى يأتي إلى لعن عليّ ﷺ فيجمجِم، و يَعرض له من الفهاهة و الحصر ما الله عالم به، فكنتُ أعجبت من ذلك، فقلتُ له يوماً: يا أبتِ، أنت أفصَحُ النّاس و أخطبُهم، فما بالي أراك أفصحَ خطيب يوم حفلك، حتّى إذا مررتَ بلعن هذا الرّجل، صِرتَ ألكن عَيياً؟!

فقال: يا بُنَيّ، إنّ مَن تَرىٰ تحت منبرنا من أهل الشام و غيرهم، لو علموا من فضل هذا الرّجل ما يعلمه أبوك لم يتبعنا منهم أحد. فوقرت كلمتُه في صَدري، مع ما كان قاله لي معلّمي أيّام صِغري، فأعطيتُ الله عهداً، لئن كان لي في هذا الأمر نصيب لأُغيّرَنّه. فلمّا مَنَّ الله عَلَيّ بالخلافة أسقطتُ ذلك و جعَلتُ مكانَه ﴿إنّ الله يأمرُ بالعَدلِ و الإحسان و إيتاء ذي القُربىٰ و يَنهىٰ عن الفَحشاء و المُنكرِ و البَغي يَعِظُكُمْ لعلّكُمْ تَذكّرون﴾[١] و كتبتُ به إلى الآفاق فصار سنّة.[٢]

وصيته بإخفاء قبره

و كلّ في مظلوميته ﷺ وصيته بإخفاء قبره عن النـاس حـذراً مـن أن يهـتك الخوارج لعنهم الله حرمته مع كونه أمير المؤمنين و سيد الوصيّين، و لم يزل مخفياً إلى زمان هارون العباسي حيث دلّ عليه أهل البيت ﷺ.

١. النحل، ٩٠.

٢. شرح ابن أبي الحديد، ج ٤، ص ٥٨.

شهادته ﷺ

كلمة في تاريخ شهادته ﷺ و عمره المبارك

من الوقائع المسلّمة تاريخياً، أنّ عبدالرحمن بن ملجم المرادي لعنه الله ضرب أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب ﷺ في محراب الصلاة بمسجد الكوفة، و كان ﷺ صائماً يصلّي الصبح، ممّا أدى إلى شقّ هامته ﷺ. و قد التحقت روحه المقدّسة بالرفيق الأعلى، إلى جوار الرسول الأكرم ﷺ بعد يومين من الضربة.

قال ابن الأثير: و في هذه السنة (سنة ٤٠) قُتل عليٌّ في شهر رمضان لسبع عشرة خلت منه، و قيل: لإحدى عشرة، و قيل: لثلاث عشرة بقيت منه، و قيل: في شهر ربيع الآخر سنة أربعين، و الأوّل أصحّ.[1]

و روى الطبري بسنده عن محمد بن عمر قال: قتل علي ﷺ و هو ابن ثلاث و ستين سنة، صبيحة ليلة خلت من شهر رمضان سنة (٤٠)، و دفن عند مسجد الجماعة في قصر الإمارة.[2]

و روى ابن عساكر الشافعي، عن محمّد بن عثمان، قال: قال أبي: و ولي عليّ بن أبي طالب خمس سنين، و قُبض هو ابن سبع و خمسين، قال أبي: و أهل بيته يقولون: قُبض و هو ابن ثلاث و ستين.[3]

وروى الكليني في الكافي، ج ١، ص ٤٥٢: ولد أميرالمؤمنين ﷺ بعد عام الفيل بثلاثين سنة، و قُتل في شهر رمضان لتسع بقين منه، ليلة الأحد و قيل: الجمعة سنة

---

١. الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٣٢.

٢. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١١٦.

٣. ترجمة الامام عليّ من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٣١٨، ح ١٤٢٩.

أربعين من الهجرة، و هو ابن ثلاث و ستين سنة، بقي بعد قبض النبيّ ﷺ ثلاثين سنة، و أمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبدمناف.

و روى الشيخ المفيد في الارشاد الفصل ٢ من باب ٢، ص ١٣ : و كانت وفاة أميرالمؤمنين ﷺ قبل الفجر ليلة الجمعة إحدى و عشرين من شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة و مضى ﷺ قتيلاً بالسيف، قتله ابن ملجم المرادي لعنه الله في مسجد الكوفة، و قد خرج ﷺ يوقظ النّاس لصلاة الصبح ليلة تاسع عشر من شهر رمضان، و قد كان ارتصده من أوّل الليل لذلك، فلمّا مرّ به في المسجد و هو مستخفٍ بأمره، مُماكر بإظهار النوم في جملة النّيام، ثار إليه فضربه على أمّ رأسه بالسّيف و كان مسموماً، فمكث يوم تسعة عشر و ليلة عشرين و يومها و ليلة إحدى و عشرين إلى نحو الثلث الأوّل من اللّيل، ثمّ قضى نحبه ﷺ شهيداً و لقي ربّه تعالى مظلوماً، و قد كان ﷺ يعلم ذلك قبل أوانه، و يخبر به النّاس قبل زمانه، و تولّى غسله و تكفينه و دفنه ابناه الحسن و الحسين ﷺ بأمره، و حملاه إلى الغريّ من نجف الكوفة، فدفناه هناك، و عفيا موضع قبره بوصيّة كانت منه إليهما في ذلك، لما كان يعلمه من دولة بني أُميّة بعده.

مداراته ابن ملجم قبل شهادته ﷺ

روى الحافظ ابن عبدالبرّ المالكي، في (الاستيعاب) عن ابن سيرين بن عبيدة، قال: كان عليّ ﷺ إذا رأى ابن ملجم، قال:

«أُريدُ حياته و يُريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد»

و كان عليّ ﷺ: كثيراً ما يقول: «ما يمنع أشقاها ـ أو ما ينتظر أشقاها ـ أن يخضب هذه من دم هذا» . يقول : «و الله لتخضبنّ هذه من دم هذا» و يشير إلى لحيته و رأسه[1].

---

١. الاستيعاب بهامش الاصابة، ج ٢، ص ١٠.

و روى فيه عن سكين بن عبد العزيز العبدي، أنه سمع أباه يقول: جاء عبدالرّحمن بن ملجم يستحمل عليّاً ﷺ فحمله، ثمّ قال:

«أُريدُ حياته و يُريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

أما إنّ هذا قاتلي»، قيل: فما يمنعك منه؟ قال: «إنّه لم يقتلني بعدُ».[1]

قال: و أتى عليّ ﷺ فقيل له: إنّ ابن ملجم يسمّ سيفه، و يقول: إنّه سيفتك بك فتكة يتحدّث بها العرب، فبعث عليّ ﷺ إليه، فقال له: «لِمَ تسمّ سيفك؟» قال: لعدوّي و عدوّك، فخلّى عنه و قال: «ما قتلني بعدُ» .

ما جاء في سبب قتله ﷺ

في سنة أربعين من الهجرة اجتمع بمكّة جماعة من الخوارج فتذاكروا النّاس، وما هم فيه من الحرب و القتل و الفتنة، فعابوا ذاك على ولاتهم، ثمّ أنّهم ذكروا أهل النهروان و ترحّموا عليهم، فقال بعضهم لبعض: ما نصنع بالحياة بعدهم، أُولئك كانوا دعُاة النّاس إلى ربّهم لا يخافون في الله لومة لائم! فلو شرينا أنفسنا قاتلنا أئمة الضّلال، فالتمسنا قتلهم، فأرحنا منهم البلاد و العباد، و ثأرنا بهم إخواننا الشهداء بالنهروان، فتعاقدوا على ذلك عند انقضاء الحج.

فقال عبدالرّحمن بن ملجم لعنه الله: أنا أكفيكم عليّاً. و قال البرك ابن عبدالله التميمي: أنا أكفيكم معاوية. و قال عمرو بن بكر التميمي: أنا أكفيكم عمرو بن العاص، فتعاهدوا و تعاقدوا و تواثقوا على الوفاء، و ألّا ينكل واحد منهم عن صاحبه الّذي يتوجّه إليه حتّى يقتله أو يموت دونه، فاتّعدوا بينهم ليلة تسع عشرة من شهر رمضان، فأخذوا سيوفهم فشحذوها، ثمّ سقوها السّم، و توجّه كلّ واحد منهم إلى جهة صاحبه الّذي تكفّل به، و تواعدوا على أن يكون وثوبهم عليهم في

---

١. المصدرالسابق.

ليلة واحدة.[١]

تواطؤ ابن ملجم و قطام

روى أبو الفرج في المقاتل: فأقبل ابن ملجم حتّى قدم الكوفة، فلقي بها جماعة من أصحابه ـ أهل النهروان ـ و كتمهم أمره، و طوى عنهم ما تعاقد هو و أصحابه عليه بمكّة من قتل أمراء المسلمين، مخافة أن ينتشر منه شيء، و إنّه زار رجلاً من أصحابه ذات يوم من تيم الرباب، فصادف عنده قطام بنت الأخضر بن شجنة من تيم الرباب، و كان عليّ ﷺ قتل أباها و أخاها بالنهروان، و كانت من أجمل نساء أهل زمانها، فلمّا رآها ابن ملجم لعنه الله شغف بها و اشتدّ إعجابها، فخبر خبرها فخطبها، فقالت له: ما الّذي تسمّي لي من الصداق؟ فقال لها: احتكمي ما بدا لك، فقالت: أنا محتكمة عليك ثلاثة آلاف درهم، و وصيفاً و خادماً، و قتل عليّ بن أبي طالب!!

فقال لها: لك جميع ما سألتِ، فأمّا قتل عليّ بن أبي طالب، فأنّى لي بذلك؟ فقالت: تلتمس غرّته، فإن أنت قتلته شفيت نفسي و هنأك العيش معي، و إن قُتِلتَ فما عند الله خير لك من الدنيا؟!»[٢].

و في الفصول المهمة: فمرّ في بعض الأيام بدار من دور الكوفة فيها عرس، فخرج منها نسوة، فرأى فيهنّ امرأة جميلة فائقة في حسنها، يقال لها: قطام بنت الأصبغ التميمي لعنها الله، فهواها و وقعت في قلبه محبّتها، فقال لها: يا جارية، أيم أنت أم ذات بعل؟ فقالت: بل أيم.

---

١. انظر الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٣٤؛ تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١١٠؛ مروج الذهب للمسعودي، ج ٢، ص ٤٢٣؛ الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي، ص ١٣٢؛ مقاتل الطالبيين، ص ١٧؛ شرح ابن أبي الحديد، ج ٦، ص ١١٣.

٢. مقاتل الطالبيين، ص ١٩؛ رواه عنه ابن أبي الحديد في الشرح، ج ٦، ص ١١٥.

فقال لها: هل لك في زوج لا تـذمّ خـلائقه. فـقالت: نـعم، و لكـن لي أوليـاء أشاورهم. فتبعها فدخلت داراً ثمّ خرجت إليه، فقالت: يا هذا، إنّ أوليائي أبـوا أن يزوّجوني إلاّ على ثلاثة آلاف درهم و عبدٍ وقينةٍ.[1] قال: لك ذلك.

قالت: و شريطة أُخرى. قال: و ما هي؟ قالت: قَتل عليّ بن أبي طالب، فإنّه قتل أبي و أخي يوم النهروان!! قال: ويحك و من يـقدر عـلى قـتل عـليّ و هـو فارس الفرسان و واحد الشجعان! فقالت: لا تكثر، فذلك أحبّ إلينا من المال، إن كـنتَ تفعل ذلك و تقدر عليه، و إلاّ فاذهب إلى سبيلك؟

فقال لها: أمّا عليّ بن أبي طالب ﷺ فلا، و لكن إن رضيتي ضَربتُه بسيفي ضربةً واحدةً و انظري ماذا يكون؟

قالت: رضيتُ، و لكن التمس غرّته لضربتك، فإن أصبته، انتفعت بنفسك و بي، و إن هلكت، فما عند الله خير و أبقى من الدّنيا و زينة أهلها؟!

فقال لها: و الله ما جاءني إلى هذا المصر إلاّ قتل عليّ بن أبي طالب!!

قالت: فإذا كان الأمر على ما ذكرت، دعـني أطـلب لك مـن يشـدّ ظـهرك و يساعدك؟ فقال لها: افعلي.

فبعثت إلى رجل من أهلها يقال له: وِردان، من تيم الرباب، فكلّمته فأجابها، و خرج ابن ملجم من عندها و هو يقول:

ثـلاثة آلاف و عـبدٌ وَقـينةٌ ... و قـتلُ عـليّ بـالحسام المـصمّم

فلا مهر أغلى مـن عـليّ و إن غـلا ... و لا فتك إلاّ دون فتك ابن ملجم[2]

و جاء ابن ملجم إلى رجل من أشجع، يقال له: شبيب بن بجرة من الخـوارج، فقال له: هل لك في شرف الدّنيا و الآخرة؟ قال: و كيف ذلك، قال: قتل عليّ بن أبي طالب، فقال له: ثكلتك أُمّك لقد جئتَ شيئاً إدّاً، كيف تقدر على ذلك؟

---

١. القينة: الأمة.

٢. البيتان في مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٢٣.

قال: أكمنُ له في المسجد، فإذا خرج لصلاة الغداة شددنا عليه فقتلناه، فإن نجينا شفينا أنفسنا و أدركنا ثأرنا، و إن قُتِلنا فما عند الله خير من الدّنيا و ما فيها، و لنا أُسوة في أصحابنا الّذين سبقونا.

فقال له: ويحك لو كان غير عليّ، و قد عرفت بلاءه في الإسلام و سابقته مع النبيّ ﷺ، و ما أجدُ نفسي تنشرح لقتله.

قال: ألم تعلم أنّه قتل أهل النهروان العبّاد المصلّين؟ قال بلى، قال: فنقتله بمن قتل من إخواننا، فأجابه إلى ذلك، فجاءوا إلى قطام و هي في المسجد الأعظم معتكفة، و كان ذلك في شهر رمضان، فقالوا لها: قد صمّمنا، أجمع رأينا على قتل عليّ بن أبي طالب.[١]

قال أبو الفرج: فقالت قطام لهما: فإذا أردتما ذلك فالقياني في هذا الموضع، فانصرفا من عندها فلبثا أيّاماً، ثمّ أتياها ليلة الجمعة لتسع عشرة خلت من شهر رمضان سنة أربعين.[٢]

و قال المسعودي في تاريخه: فدعت قطام لهما بحرير فعصبتهما، و أخذوا أسيافهم و قعدوا مقابلين لباب السُدّة الّتي يخرج منها عليّ ﷺ للمسجد، و كان عليّ ﷺ يخرج كلّ غداة أوّل الأذان يوقظ النّاس للصّلاة، و كان ابن ملجم مرّ به الأشعث و هو في المسجد، فقال له: فضحك الصبح، فسمعها حجر ابن عديّ، فقال: قتلته يا أعور قتلك الله.[٣]

وفي (شرح ابن أبي الحديد) عن أبي مخنف، عن عبدالله بن محمّد الأزدي، قال: إنّي لأصلّي تلك اللّيلة في المسجد الأعظم مع رجال من أهل المصر، كانوا يصلّون في ذلك الشهر من أوّل الليل إلى آخره، إذ نظرتُ إلى رجالٍ يصلّون قريباً من

١. الفصول المهمة، ص ١٣٣.

٢. مقاتل الطالبيين، ص ١٩.

٣. مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٢٤.

السُّدة قياماً و قعوداً، و ركوعاً، و سجوداً، ما يسأمون، إذ خرج عليهم عليّ بن أبي طالب عليه السلام الفجر، فأقبل ينادي: «الصلاة الصلاة»، فرأيت بريقَ السيف، و سمعتُ قائلاً يقول: الحكم لله يا عليّ لا لك. ثم رأيتُ بريقَ سيفٍ آخر، و سمعت صوت عليّ عليه السلام يقول: «لا يفوتنّكُم الرجل».[1]

فزتُ و ربِّ الكعبة

روى كثير من المؤرخين أنه عليه السلام لمّا ضربه ابن ملجم لعنه الله قال: «فزتُ و ربِّ الكعبة».

قال ابن‌عبدالبرّ ـ في حديث ـ قال: فضربه عبدالرّحمن بن ملجم على رأسه عليه السلام و قال: الحُكم لله يا عليّ، لا لكَ، و لا لأصحابك. فقال عليّ عليه السلام: «فُزْت وَ ربِّ الكعبة، لا يفوتنّكم الكلب» فشدّ النّاس من كلّ جانب فأخذوه.[2]

و عن ابن عساكر و ابن الأثير، بسندهما عن هارون بن أبي يحيى، عن شيخ من قريش: أنّ عليّاً عليه السلام لمّا ضربه ابن ملجم قال: «فُزتُ و ربِّ الكعبة».[3]

و عن الدينوري في (الإمامة و السياسة) قال: و ضربه عَلى قرنه بالسيف، فقال عليّ عليه السلام «فُزتُ وَ رَبِّ الكعبة».[4]

وصيّة عليّ عليه السلام بالرفق بقاتله

في (شرح ابن أبي الحديد) و (مقاتل الطالبيين) باسناده عن عبدالله بن محمد الأزدي، قال: فلمّا دخل ابن ملجم على أميرالمؤمنين عليه السلام، نظر إليه ثم قال: «النّفسُ

---

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ٦، ص ١١٧.

٢. الاستيعاب لابن عبدالبرّ المالكي بهامش الاصابة، ج ٣، ص ٥٩.

٣. أُسد الغابة، ج ٤، ص ٣٨؛ ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٣٠٣.

٤. الامامة و السياسة، ج ١، ص ١٦٠.

بالنّفس، فإن أنا مُتّ فاقتلوه كما قَتلني، و إن أنا عِشتُ رأيت فيه رأيي».

فقال ابن ملجم لعنه الله: و الله و الله لقد ابتعته ـ يعني سيفه ـ بألف، و سمّمته بألف، فإن خانني فأبعده الله.

قال: و نادته أمّ كلثوم: يا عدوّ الله، قتلتَ أميرالمؤمنين؟ قال: إنّما قتلتُ أباكِ.

قالت: يا عدوّ الله، إنّي لأرجو أن لا يكون عليه بأس، قال لها: فأراك إنّما تبكين عليّ إذن؟ لقد و الله ضربتُه ضربةً لو قُسّمت على أهل الأرض لأهلكتهم.[1]

قال أبو الفرج: و أُخرج ابن ملجم من بين يديه ﷺ و انصرف النّاس من صلاة الصبح، فأحدقوا بابن ملجم، ينهشون لحمه بأسنانهم كأنّهم سباع، و هم يقولون: يا عدوّ الله، ماذا فعلت؟ أهلكتَ أمّة محمّد، و قتلت خير النّاس، و إنّه لصامت ما ينطق، فذهب به إلى الحبس؟.[2]

و روى ابن الصبّاغ المالكي: قال عليّ ﷺ للحسن: «يا حسن، أبصروا ضاربي، أطعموه من طعامي، و اسقوه من شرابي، فإن أنا عشتُ فأنا أولى بحقّي و إن مُت فاضربوه ضربةً، و لا تمثّلوا به، فإنّي سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: إيّاكم و المُثلة و لو بالكلب العقور».

ثمّ قال: «يا بني عبدالمطلب، لا ألفينّكم تريقون دماء المسلمين بعدي، تقولون: قتلتم أميرالمؤمنين، ألا لا يقتلنّ بي إلّا قاتلي» ثمّ لم ينطق إلاّ بلا إله إلاّ الله حتّى قُبض.[3]

وصيّته للحسن ﷺ

روى ابن عساكر الشافعي، بسنده عن عقبة بن أبي الصهباء، قال: لمّا ضرب ابن

---

١. شرح ابن أبي الحديد، ج ٦، ص ١١٨؛ مقاتل الطالبيين، ص ٢٢.

٢. مقاتل الطالبيين، ص ٢٢.

٣. الفصول المهمة، ص ١٣٦.

ملجم عليّاً ﷺ دخل عليه الحسن و هو باك، فقال له: «ما يبكيك، يا بُنيّ؟»
قال: «و مالي لا أبكي و أنتَ في أوّل يوم من الآخرة، و آخر يوم من الدّنيا».
فقال: «يا بنيّ احفظ أربعاً و أربعاً، لا يضرّك ما عملتَ معهنّ».
قال: «و ما هنّ، يا أبه؟».
قال: «إنّ أغنى الغنى العقل، و أكبر الفقر الحُمق، و أوحشَ الوحشة العُجب، و أكرم الحسب الكرَم (و) حسن الخلق».
قال الحسن: «قلتُ: يا أبه، هذه الأربع، فأعطني الأربع الأُخر».
قال: «إيّاك و مصادقة الأحمق، فإنّه يُريد أن ينفعك فيضرُّك، و إيّاك و مصادقة الكذّاب، فإنّه يقرّب إليك البعيد، و يبعّد عليك القريب، و إيّاك و مصادقة البخيل، فإنّه يقعد عنك أحوج ماتكون إليه، وإيّاك ومصادقة الفاجر، فإنّه يبيعك بالتافه».[1]

مع الطبيب المعالج

أخرج أبو الفرج الأصفهاني في (مقاتل الطالبين) بإسناده عن أبي مخنف، قال: حدّثني عطيّة بن الحرب، عن عمر بن تميم، و عمرو بن أبي بكار، قالا: إنّ عليّاً ﷺ لمّا ضُرِب جمع له أطبّاء الكوفة، فلم يكن منهم أحد أعلم بجرحه من أثير بن عمرو ابن هاني السكوني، و كان متطبّباً صاحب كرسيّ يعالج الجراحات، و كان من الأربعين غلاماً الذّين كان خالد بن الوليد أصابهم في عين التمر فسباهم، و إنّ أثيراً لمّا نظر إلى جرح أمير المؤمنين ﷺ، دعا برئة شاة حارة، و استخرج عِرقاً منها فأدخله في الجرح، ثمّ استخرجه، فإذا عليه بياض الدّماغ، فقال له: يا أمير المؤمنين، اعهد عهدك، فإنّ عدوّ الله قد وصلتْ ضربته إلى أمّ رأسك، فدعا عليّ ﷺ عند ذلك بصحيفة و دواة وكَتَبَ وصيّته[2].

١. ترجمة الامام عليّ من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٣٠٤، ح ١٤٠٤.
٢. مقاتل الطالبين ص ٢٣، و شرح ابن أبي الحديد ج ٦، ص ١١٩ مع اختلاف يسير.

آخر وصيّته عليه السلام

فيما يلي آخر وصية كتبها أميرالمؤمنين عليه السلام قبل شهادته، و قد ذكرها أبو الفرج الأصفهاني في (مقاتل الطالبيين) و كذا الطبري في (تأريخه) وثقة الإسلام الكليني(رحمة الله عليه) في (الكافي) مع اختلاف يسير في بعض ألفاظها، و نحن نذكر عين ما رواه أبو الفرج في (مقاتل الطالبيين):

«بسم الله الرّحمن الرّحيم: هذا ما أوصى به أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب، أوصى بأنّه يشهد أن لا إله إلاّ الله وحَدهُ لا شريك لَه، و أنّ محمّداً عبدهُ و رسولُه، أرسلَه بالهُدى و دين الحقّ لِيظهره على الدّين كلّه و لو كره المشركون، صلوات الله و بركاته عليه، إنّ صلاتي و نُسكي و محياي و مماتي لله ربّ العالمين لا شريك له، و بذلك أُمرتُ و أنا أوّل المسلمين.

أُوصيك يا حسن، و جميع وُلدي و أهل بيتي، و من بلغه كتابي هذا، بتقوى الله ربّنا و لا تموتنّ إلاّ و أنتم مسلمون، و اعتصموا بحبل الله جميعاً و لا تَفرّقوا، فإنّي سمعتُ رسولَ الله يقول: إصلاحُ ذاتِ البين أفضل من عامّة الصّلاة و الصّيام، و إنّ المبيدة الحالقة للدّين فساد ذات البين، و لا حول و لا قوّةَ إلاّ بالله العليّ العظيم . أُنظروا إلى ذوي أرحامكم فصلوهم يهوّن الله عليكم الحساب.

الله الله في الأيتام، فلا تغبّوا أفواههم بجفوتكم.

و الله الله في جيرانكم، فإنّها وصيّة رسول الله صلى الله عليه وآله، فما زال يوصينا بهم حتّى ظننّا أنّه سيورثهم.

و الله الله في القرآن، فلا يسبقنّكم إلى العمل به غيركم.

و الله الله في الصلاة، فإنّها عماد دينكم.

و الله الله في بيت ربّكم فلا يَخلُونّ منكم ما بقيتم، فإنّه إن ترك لم تناظروا، و إنّه إن خلا منكم لم تنظروا.

و الله الله في صيام شهر رمضان، فإنّه جُنّة من النّار.

و الله الله في الجهاد في سبيل الله بأموالكم و أنفسكم.
و الله الله في زكاة أموالكم، فإنّها تطفىء غضب ربّكم.
و الله الله في أمّة نبيّكم، فلا يظلمنّ بين أظهركم.
و الله الله في أصحاب (أمّة) نبيّكم، فإنّ رسول الله ﷺ أوصى بهم.
و الله الله في الفقراء و المساكين، فأشركوهم في معائشكم.
و الله الله في ما ملكت أيمانكم، فإنّها كانت آخر وصيّة رسول الله ﷺ إذ قال: أوصيكم بالضعيفين فيما ملكت أيمانكم».

ثمّ قال: «الصّلاة الصّلاة، لاتخافوا في الله لومة لائم، فإنّه يكفيكم من بغى عليكم و أرادكم بسوء، قولوا للنّاس حُسناً كما أمركم الله، و لا تتركوا الأمر بالمعروف و النهيّ عن المنكر، فيولّي الأمر عنكم[1] و تدعون فلا يُستجاب لكم، عليكم بالتواضع و التباذل و التبارّ، و إيّاكم و التقاطع و التفرّق و التدابر ﴿وَ تَعَاوَنُوا على البرّ وَ التقوى وَ لا تَعاوَنوا عَلى الإثم وَ العُدوانِ و اتّقوا الله إنّ الله شَدِيدُ العِقاب﴾.[2]

حفظكم الله من أهل بيت و حفظ فيكم نبيّه، استودعكم الله خير مستودع، و أقرأ عليكم سلام الله و رحمته».[3]

في الآية الّتي ظهرت صباح شهادته ﷺ

في (فرائد السمطين) بسنده عن ابن شهاب، قال: قدمتُ دمشق و أنا أُريد الغزو، فأتيت عبدالملك بن مروان لأُسلّم عليه، قال: فوجدتُه في قُبّة على عرش يقرب القائم ـ أو يفوق القائم ـ و النّاس تحته سماطين، فسلّمتُ ثمّ جلستُ، فقال لي: يا ابن شهاب، أتعلم ما كان في بيت المقدس صباح قتل عليّ بن أبي طالب ﷺ؟

فقلت: نعم، فقال: هلمّ، فقمتُ من وراء النّاس حتّى أتيتُ خلف القُبّة فحوّل إليّ

١. في تاريخ الطبري «فيولّى الأمر شراركم ثمّ تدعون فلا يستجاب لكم».

٢. المائدة، ٢.

٣. مقاتل الطالبين، ص ٢٤؛ تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١١٣؛ شرح ابن أبي الحديد، ج ٦، ص ١٢٠.

وجهه فأحنى[١] عليٌّ، فقال: ما كان؟ فقلتُ: لم يرفع حجر في بيت المقدس إلاّ وجدتحته دم!! فقال: لم يبق أحد يعلم هذا غيري و غيرك و لا يسمعنّ منك أحد[٢].

و روى في مستدرك الصحيحين بسنده عن ابن شهاب مثله إلاّ أنّه زاد في ذيله فما حدّثتُ به حتّى توفّي[٣].

و في (تاريخ دمشق) روى هذا الحديث مع اختلاف في اللّفظ[٤].

و في (فرائد السمطين) أيضاً بسنده عن الزّهري: أنّ أسماء الأنصارية قالت: ما رفع حجر بإيليا ـ يعني حين قتل عليّ بن أبي طالب ـ إلاّ وجد تحته دم عبيط[٥].

معاوية يشهد بفضله ﷺ

في (تاريخ دمشق) عن المغيرة، قال: جاء نعي عليّ بن أبي طالب إلى معاوية، و هو نائم مع امرأته فاختة بنت قرظة، فقعد باكياً مسترجعاً!!! فقالت له فاختة: أنتَ بالأمس تَطعن عليه و اليوم تبكي عليه؟ فقال: ويحكِ أنا أبكي لما فقد النّاس من حلمه و علمه!![٦].

و فيه أيضاً عن المغيرة قال: لمّا جيء معاوية بنعي عليّ ﷺ و هو قائلٌ مع امرأته بنت قرظة في يوم صائف قال: إنّا لله و إنّا إليه راجعون، ماذا فقدوا من العلم و الحلم و الفضل و الفقه، فقالت امرأته: أنت بالأمس تطعن في عينيه، و تسترجع اليوم عليه؟ قال: ويلك لا تدرين ماذا فقدوا من علمه و فضله و سوابقه[٧].

---

١. في بعض النسخ (فانحنى).

٢. فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٨٩، رقم ٣٢٥

٣. مستدرك الصحيحين، ج ٣، ص ١١٣

٤. ترجمة الامام عليّ من تاريخ دمشق، ج، ص ٣١٦، رقم ١٤٢٤.

٥. فرائد السمطين، ج ١، ص ٣٨٩، رقم ٣٣٦.

٦. ترجمة الامام عليّ من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٣٣٦، ح ١٤٨٣.

٧. المصدر السابق، ج ٣، ص ٣٣٩، رقم ١٤٨٤.

في رثاؤه ﷺ

قالت سودة بنت عمارة في رثاء مولاها أميرالمؤمنين ﷺ:

صلّى الإله على جسم تضمّنه ... قبرٌ فأصبح فيه الجود مدفونا
قد حالف الحقّ لا يبغي به بدلاً ... فصار بالحقّ و الإيمان مقرونا[1]

و ممّن رثاه في ذلك الوقت أبو الأسود الدؤلي، قال:

ألا أبلغ معاوية بن حرب ... فلا قرّت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتمونا ... بخير النّاس طرّاً أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا ... و ذلّلها و من ركب السفينا
و من لبس النعال و من حذاها ... و من قرأ المثاني والمبينا
إذا استقبلت وجه أبي حسين ... رأيت النور فوق الناظرينا
لقد علمت قريشٌ حيث كانت ... بأنّك خيرهم حسباً و دينا[2]

في كيفيته قتل ابن ملجم

في تاريخ الطبري، و كذا الكامل في التاريخ: فلمّا قبض أميرالمؤمنين ﷺ، بعث الحسن إلى ابن ملجم فقال للحسن: هل لك فيَّ خصلة؟ إنّي و الله ما أعطيتُ الله عهداً إلاّ وفيتُ به، إنّي كنتُ قد أعطيتُ الله عهداً عند الحطيم[3] أن أقتل عليّاً و معاوية، أو أموت دونهما، فإن شئت خلّيتَ بيني و بينه، و لك الله عليَّ إن لم أقتله أو

---

١. ترجمة الامام عليّ من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٣٤٥، رقم ١٠٥٣.

٢. تاريخ مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٢٨؛ روى في الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٣٨؛ و تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١١٦ نحوه.

٣. الحطيم: جدار حجر الكعبة، و قيل: ما بين الركن و زمزم و المقام، سُمّي بذلك لانحطام النّاس عليه، أي لازدحامهم.

قتلته ثم بقيتُ أن آتيك حتّى أضع يدي في يدك. فقال له الحسن: «أما و الله حتّى تعاين النار، فلا»، ثم قدّمه فقتله[1].

خطبة الحسن ﷺ بعد شهادة أمير المؤمنين ﷺ

روى ابن عساكر عن عمرو بن حُبشيّ، قال: خطبنا الحسن بن عليّ ﷺ بعد قتل عليّ ﷺ، فقال: «لقد فارقكُم رجلٌ بالأمس ما سبقه الأوّلون بعلم، و لا أدركه الآخرون، إن كان [رسول الله ﷺ] ليبعثه و يعطيه الراية فلا ينصرف حتّى يفتح له، ما ترك من صفراء و لا بيضاء إلاّ سبعمائة درهم، فضلت من عطائه، كان يرصدها لخادم لأهله».[2]

و عنه أيضاً: عن هبيرة بن يريم مثله، إلاّ أنّه قال: «و إنّ جبرئيل عن يمينه و ميكائيل عن شماله، ما ترك صفراء و لا بيضاء إلاّ سبعمائة درهم فضلت من عطائه، أراد أن يشتري بها خادماً».[3]

قال ابن عبد البرّ في (الاستيعاب): إنّه ثبت عن الحسن بن عليّ ﷺ من وجوه، أنّه ﷺ قال: «لم يترك أبي إلاّ ثمانمائة درهم - أو سبعمائة درهم - فضلت من عطائه، كان يعدّها لخادم يشتريه لأهله».[4]

و قال المسعودي في (تاريخه): قال الحسن ﷺ: «و الله لقد قبض فيكم الليلة رجل ما سبقه الأوّلون إلاّ بفضل النبوّة، و لا يدركه الآخرون، و إنّ رسول الله ﷺ كان يبعثه المبعث فيكتنفه جبرئيل عن يمينه، و ميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتّى يفتح الله عليه».[5]

---

١. تاريخ الطبري، ج ٤، ص ١١٤؛ الكامل في التاريخ، ج ٢، ص ٤٣٦.

٢. ترجمة الامام عليّ من تاريخ دمشق، ج ٣، ص ٣٣٠، رقم ١٤٧٤.

٣. المصدر السابق، ص ٣٣١، رقم ١٤٧٥.

٤. الاستيعاب لابن عبدالبرّ المالكي بهامش الإصابة، ج ٣، ص ٤٨.

٥. مروج الذهب، ج ٢، ص ٤٢٦.

ثمّ قال المسعودي: و لم يترك صفراء و لا بيضاء إلاّ سبعمائة درهم بقيت من عطائه، أراد أن يشتري بها خادماً لأهله.

و قال بعضهم: ترك لأهله مائتين و خمسين درهماً و مصحفه و سيفه.[1]

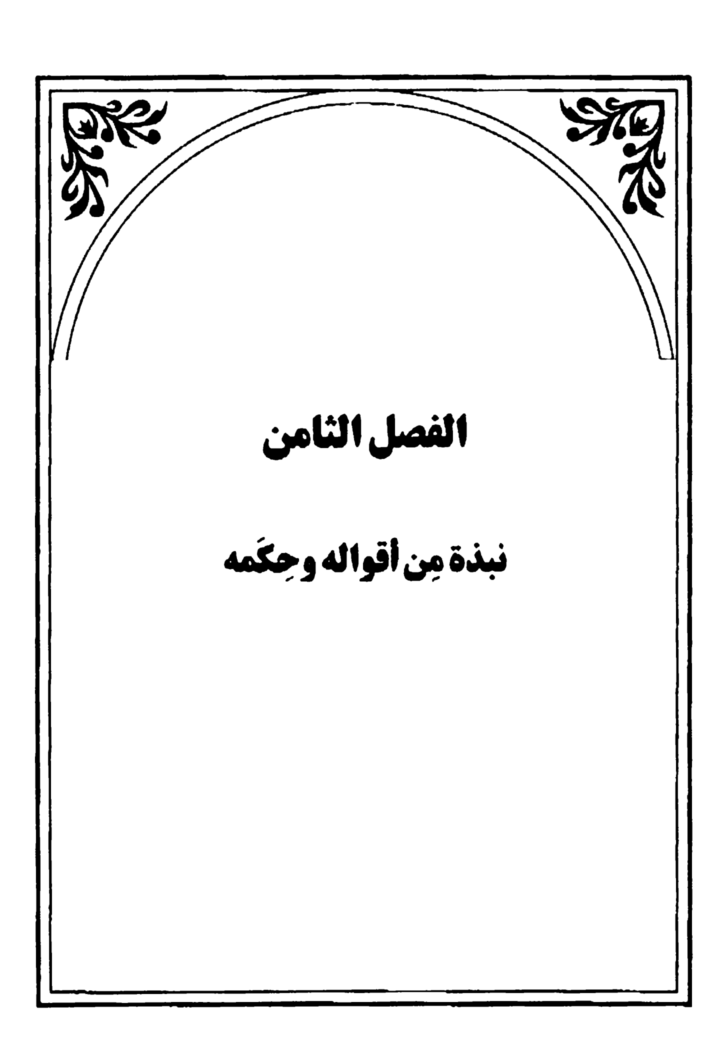
و روى أبو الفرج الأصفهاني في (المقاتل)، قال: خطب الحسن بن عليّ بعد وفاة أميرالمؤمنين عليّ ﷺ، فقال: «لقد قبض في هذه الليلة رجلٌ لم يسبقه الأوّلون بعمل، و لا يدركه الآخرون بعمل، و لقد كان يجاهد مع رسول الله ﷺ فيقيه بنفسه، و لقد كان يوجّهه برايته، فيكتنفه جبرئيل عن يمينه، و ميكائيل عن يساره، فلا يرجع حتّى يفتح الله عليه، و لقد توّفي في هذه الليلة الّتي عرج فيها بعيسى بن مريم، و لقد توفّي فيها يوشع بن نون وصيّ موسى، و ما خلّف صفراء و لا بيضاء إلاّ سبعمائة درهم بقيت من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله» ثمّ خنقته العبرة فبكى، و بكى النّاس معه، ثمّ قال: «أيّها النّاس، من عرفني فقد عرفني، و من لم يعرفني فأنا الحسن بن محمّد ﷺ أنا ابن البشير، أنا ابن النذير، أنا ابن الداعي إلى الله عزّوجلّ بإذنه، و أنا ابن السراج المنير، و أنا من أهل البيت الّذين أذهب الله عنهم الرّجس و طهّرهم تطهيراً، و الّذين افترض الله مودّتهم في كتابه إذ يقول: ﴿وَ مَنْ يَقتَرِف حسنةً نَزِدْ لَهُ فيها حسناً﴾ فاقتراف الحسنة مودّتنا أهل البيت».[2]

قال أبو مخنف عن رجاله: ثم قام ابن عباس بين يديه، فدعا النـاس إلى بيعته فاستجابوا له و قالوا: ما أحبّه إلينا و أحقه بالخلافة فبايعوه، ثم نزل عن المنبر.

---

١. المصدر السابق.

٢. مقاتل الطالبين، ص ٣٢.



الفصل الثامن

نبذة مِن أقواله وحِكَمه

عنوان الفصل

كلمات من نور

إنّ فصاحة أميرالمؤمنين ﷺ و قوّة بيانه هي فيض من العناية الإلهية التي خصّ بها تعالى أولياءه المنتجبين، و هي أيضاً فيض من العناية النبوية، فقد درج علي ﷺ في حجر الرسالة و تغذى بلبان النبوة منذ نعومة أظفاره.

يقول السيد الرضي(ره): كان أميرالمؤمنين ﷺ مشرع الفصاحة و موردها، و منشأ البلاغة و مولدها، و منه ﷺ ظهر مكنونها، و عنه أخذت قوانينها، و على أمثلته حذا كل قائل خطيب، و بكلامه استعان كلّ واعظ بليغ، و مع ذلك فقد سبق و قصّروا، و قد تقدّم و تأخّروا، لأنّ كلامَهُ الكلامُ الذي عليه مسحة من العلم الالهي، و فيه عبقة من الكلام النبوي.[1]

فيما يلي نقدم نخبة من كلام أميرالمؤمنين ﷺ في الحكم والمواعظ. لما لهذه الحكم من أهمية بالغة في تهذيب الأخلاق و النفوس و توجيه الخلق إلى المعارف الالهية والسنن النبوية با قصر كلام وأوفر معنى، و لقد قال ﷺ: «المواعظ حياة القلوب».[2]

أولاً: ما نقلناه من كتاب الاعجاز و الايجاز لأبي منصور الثعالبي المتوفى سنة ٤٢٩ هـ[3]

قال عليه السلام:

١ـ قيمة كلّ امرىء ما يحسن.

٢ـ استغنِ عمّن شئت تكن نظيره، و احتج إلى من شئت فأنت أسيره، و أحسن

---

١. مقدمة النهج، ص ٣٤، صبحي الصالح.

٢. غرر الحكم، ج ١، ص ٢٣، ح ٣٧٣.

٣. نشر دار الفصون، بيروت، ص ٢٧ الى ٣٦.

إلى من شئت تكن أميره.

٣ـ لا ترجونّ إلّا ربك، و لا تخافنّ إلّا ذنبك.

٤ـ لو كُشِف الغطاء ما ازددت يقيناً.

٥ـ الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا.

٦ـ بشّر مال البخيل بحادث أو وارث.

٧ـ رحم الله امرأ عرف قدره، و لم يتعدّ طوره.

٨ـ إذا تمّ العقل نقص الكلام.

٩ـ الجزع أتعب من الصبر.

١٠ـ الاحسان يقطع اللسان.

١١ـ الشرف بالعقل و الأدب، لا بالأصل و النسب.

١٢ـ أكثر مصارع العقول تحت بروق الأطماع.

١٣ـ قلب الأحمق و راء لسانه، و لسان العاقل وراء قلبه.

١٤ـ من جرى في عنان أمله عثر بأجله.

١٥ـ إذا تواصلت إليكم أطراف النعم، فلا تنفّروها بقلة الشكر.

١٦ـ إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه.

١٧ـ ما أضمر الانسان شيئاً إلاّ ظهر منه في صفحات وجهه و فلتات لسانه.

١٨ـ كل نعيم دون الجنة محقور، و كل بلاء دون النار عافية.

١٩ـ من أبصر عيب نفسه شغل عن غيره.

٢٠ـ من سلّ سيف البغي قُتِل به.

٢١ـ من أُعجب برأيه ضلّ، و من استغنى بعقله زل، و من تكبّر على النّاس ذلّ.

٢٢ـ العافية عشرة أجزاء، تسعة منها في الصمت إلاّ بذكر الله تعالى، و واحدة في ترك مجالسة السفهاء.

٢٣ـ من كنوز الايمان الصبر على المصائب.

٢٤ـ من كثر كلامه كثر خطؤه، و من كثر خطؤه قلّ حياؤه، و من قلّ حياؤه قلّ

ورعه، و من قلّ ورعه مات قلبه، و من مات قلبه دخل النار.

٢٥ ـ بئس الزاد للمعاد العدوان على العباد.

ثانياً: ما نقلناه من كتاب المناقب للخطيب الخوارزمي المتوفى سنة ٥٦٨ هـ[1]

قال ﷺ:

٣٦ ـ ألا إن الدنيا قدولت مدبرة، و الآخرة أتت مقبلة، و لكل واحدة منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، و لا تكونوا من أبناء الدنيا، فان اليوم عمل و لا حساب، و غداً حساب و لا عمل.

٢٧ ـ إن للنكبات نهايات لابدّ لأحدٍ إذا نُكِب من أن ينتهي إليها، فينبغي للعاقل إذا أصابته نكبة أن ينام لها حتى تنقضي مدتها، فان في دفعها قبل انقضاء مدتها زيادة في مكروهها.

٢٨ ـ التوفيق خير قائد و حسن الخلق خير قرين، و العقل خير صاحب، و الأدب٢٩ ـ التوفيق خير قائد و حسن الخلق خير قرين، و العقل خير صاحبه و الأدب خير ميراثه و لا وحشة أشدّ من العجب.

٣٠ ـ أحبب حبيبك هوناً ما، فعسى أن يكون بغيضك يوماً ما، و ابغض بغيضك هوناً ما ، فعسى أن يكون حبيبك يوماً ما.

٣١ ـ قوام الدين بأربعة: عالم مستعمل لعلمه، و جاهل لا يستنكف أن يتعلمه و غنيّ جواد بمعروفه، و فقير لا يبيع آخرته بدنياه؛ فاذا عطّل العالم علمه، استنكف الجاهل أن يتعلّمه، و إذا بخل الغني بمعروفه، باع الفقير آخرته بدنياه، و إذا كان ذلك فالويل ثم الويل.

٣٢ ـ لا يستحي من لا يعلم أن يتعلم، و لا يستحيي من يعلم إذا سُئل عمّا لا يعلم أن يقول: الله أعلم.

٣٣ ـ إن الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد، إذا ذهب الصبر ذهب

---

١. نشر جماعة المدرسين، قم، ص ٣٦٣ الى ٣٧٧.

الايمان، و إذا ذهب الرأس ذهب الجسد.

٣٤ـ إذا أتاك الله في الدنيا شيئاً فلا تكثرن به فرحاً، و إذا فاتك منها شيء فلا تكثرن عليه حزناً، و ليكن همك لما بعد الموت.

٣٥ـ الجزع عند البلاء تمام المحنة.

٣٦ـ لا صواب مع ترك المشورة.

٣٧ـ لا شرف أعزّ من الاسلام.

٣٨ـ لا معقل أحرز من الورع.

٣٩ـ لا شفيع أنجح من التوبة.

٤٠ـ لا لباس أجمل من السلامة.

٤١ـ لا داء أعياء من الجهل.

٤٢ـ لا حرض أضنى من قلّة العقل.

٤٣ـ إعادة الاعتذار تذكير للذنب.

٤٤ـ النُّصح بين الملأ تقريع.

٤٥ـ أكبر الأعداء أخفاهم مكيدة.

٤٦ـ من طلب ما لا يعنيه فاته ما يعنيه.

٤٧ـ السامع للغيبة أحد المغتابين.

٤٨ـ الذل مع الطمع.

٤٩ـ الراحة مع اليأس.

٥٠ـ الحرمان مع الحرص.

٥١ـ عبد الشهوة أذلّ من عبد الرق.

ثالثاً: ما نقلناه عن سبط ابن الجوزي المتوفى سنة ٦٥٤هـ في التذكرة[1]، قال ﷺ:

---

١. طبع و إصدار نينوى الحديثة، طهران، ص ١٣١ إلى ١٣٧.

٥٢ ـ ليس الخير أن يكثر مالك و ولدك، و لكن الخير أن يكثر علمك، و يعظم حلمك، فلا خير في الدنيا إلاّ لأحد رجلين: رجل أذنب ذنوباً فهو يتدراك ذلك بتوبة، و رجل يسارع في الخيرات.

٥٣ ـ الدنيا دار ممرّ، و الأخرى دار مقرّ، فخذوا من ممرّكم لمقرّكم.

٥٤ ـ لا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم.

٥٥ ـ أخرجوا من الدنيا قلوبكم قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها اختُبِرتم، و لغيرها خُلِقتم.

٥٦ ـ إن الجنازة إذا حُمِلت قال الناس: ما ترك، و قالت الملائكة: ما قدّم، فقدّموا بعضاً يكن لكم، و لا تؤخّروا كلاً يكُن عليكم.

٥٧ ـ إذا رأيتم الله تعالى يتابع نعمه عليكم و أنتم تعصونه فاحذروه.

٥٨ ـ من كفارة الذنوب العظام إغاثه الملهوف و التنفيس عن المكروب.

٥٩ ـ إذا كنت في إدبار، و الموت في إقبال، فما أسرع الملتقى!

٦٠ ـ من أطال الأمل أساء العمل.

٦١ ـ سيئة تسؤوك خير من حسنة تسرّك و تعجبك.

٦٢ ـ الدهر يخلق الأبدان، و يجدد الامال، و يقرب المنية، و يباعد الأُمنية، من ظفر به تعب، و من فاته نصب.

٦٣ ـ عجبت لمن يقنط و معه الاستغفار.

٦٤ ـ من أصلح ما بينه و بين الله، أصلح الله ما بينه و بين الناس، و من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه، و من كان له من نفسه واعظ كان عليه من الله حافظ.

٦٥ ـ كم من مستدرج بالاحسان إليه، و مغرور بالستر عليه، و مفتون بحسن القول فيه.

٦٦ ـ شتّان بين عملين: عمل تذهب لذّته و تبقى تبعته، و عمل تذهب مؤنته و يبقى أجره.

٦٧ ـ استنزلوا الرزق بالصدقة، فمن أيقن بالخلف جاد بالعطاء.

٦٨ـ من أعطي أربعاً لم يحرم أربعاً، من أعطي الدعاء لم يحرم الاجابة، و من أعطي التوبة لم يحرم القبول، و من أعطي الاستغفار لم يحرم المغفرة، و من أعطي الشكر لم يحرم الزيادة.

٦٩ـ لا تكن ممن يريد الآخرة بغير عمل، و يؤخر التوبة بطول الأمل، يقول في الدنيا قول الزاهدين، و يعمل فيها عمل الراغبين، إن أعطي منها القليل لم يشبع و إن ملك الكثير لم يقنع.

٧٠ـ من أصبح يشكو مصيبة نزلت به إلى مخلوق مثله، فانما يشكو ربه.

٧١ـ من أتى غنياً يتواضع لأجل دنياه ذهب ثلثا دينه.

٧٢ـ إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، و إن قوماً عبدوه رهبه فتلك عبادة العبيد، و إن قوماً عبدوه شكراً فتلك عبادة الأحرار.

٧٣ـ أفضل الأعمال ما أكرهت عليه نفسك.

٧٤ـ ما أكثر العبر و ما أقلّ المعتبر.

٧٥ـ أقلّ ما يلزمكم لله تعالى أن تستعينوا بنعمه على معاصيه.

٧٦ـ اتقوا معاصي الله في الخلوات، فان الشاهد هو الحاكم.

* * *

هذا قبس من نور عظاته و حكمه ﷺ، و لو أوردنا المزيد لطال بنا المقام، وفي ذلك كفاية للمعتبر، و قد قال ﷺ: «من لم ينفعه اليسير لم ينفعه الكثير».

تمّ الكتاب بتوفيق الله تعالى وحسن منّه في العشرين من

شهر رمضان سنة ١٤١٨ هـ. ق الموافق ١٣٧٦ هـ. ش

في بلدة قم المقدسة وآخر دعوانا أن الحمد لله

رب العالمين وأفضل الصلوات وأتمّ

التسليم على حبيبه المصطفى

وآله الطيبين الطاهرين ﷺ

* * *

فهرس الأعلام

ويشتمل على

- فهرس أسماء الأنبياء والملائكة عليهم السلام
- فهرس أسماء الأئمة عليهم السلام
- فهرس الأعلام

فهرس اسماء الأنبياء والملائكة عليهم السلام

فهرس أسماء المعصومين عليهم السلام

فهرس الأعلام

فهرس القبائل والجماعات

فهرس الأديان والفِرق والمذاهب

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الأيّام والوقائع والغزوات

فهرس المنابع والمصادر

١ ـ القرآن الكريم

٢ ـ إحقاق الحق وإزهاق الباطل. للسيد القاضي نور الله الحسيني التستري ، مكتبة السيد المرعشي ـ قم.

٣ ـ الأحكام السلطانية ، لأبي الحسن الماوردي الشافعي ، بيروت

٤ ـ أخبار اصبهان ، لأبي نعيم ـ نقلنا منه بواسطة إحقاق الحقّ .

٥ ـ أخبار القضاة، للقاضي أبي بكر محمّد بن خلف بن حيان الضبي ، مطبعة السعادة ـ القاهرة .

٦ ـ أرجح المطالب ، للعلامة أبي عبدالله الرازي ـ نقلنا منه بواسطة إحقاق الحقّ.

٧ ـ أسباب النزول ، للواحدي ، عالم الكتب ـ بيروت .

٨ ـ الاستيعاب ، لابن عبدالبرّ المالكي ، مطبوع بهامش الاصابة لابن الحجر .

٩ ـ أُسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير ، دار إحياء التراث العربي .

١٠ ـ أسنى المطالب في مناقب سيدنا علي بن أبي طالب، للحافظ الجزري الشافعي، تحقيق الدكتور محمد هادي الأميني .

١١ ـ الاعجاز والايجاز ، لأبي منصور الثعالبي ، دار الغصون ـ بيروت .

١٢ ـ أعلام النساء ، لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة ـ الطبعة الخامسة ١٤٠٤ هـ

١٣ ـ **الأغاني**، لأبي الفرج الأصفهاني، مؤسسة عزّالدين ـ بيروت.

١٤ ـ **الألفين**، للعلامة الحلي، دارالهجرة ـ قم.

١٥ ـ **الالهيات**، للشيخ جعفر السبحاني، الدار الاسلامية ـ بيروت.

١٦ ـ **الإمام عليّ بن أبي‌طالب** عليه السلام، للرحماني، مكتبة الصدوق ـ طبع تهران.

١٧ ـ **الإمام عليّ** عليه السلام **صوت العدالة الانسانية**، جورج جورداق.

١٨ ـ **الإمامة والسياسة**، لابن قتيبة الدينوري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر.

١٩ ـ **أنساب الأشراف**، للبلاذري، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

٢٠ ـ **البداية والنهاية**، لابن كثير الدمشقي، دارالكتب العلمية، طبع ٤، ١٤٠٨ هـ

٢١ ـ **بلاغات النساء**، لابن طيفور، دارالحداثة ـ بيروت.

٢٢ ـ **تاريخ بغداد**، للخطيب البغدادي، مطبعة السعادة ـ مصر، ١٣٤٩ هـ.

٢٣ ـ **تاريخ الخلفاء**، للسيوطي، دارالكتب العلمية ـ بيروت، ١٤٠٨ هـ.

٢٤ ـ **تاريخ الطبري «الأمم والملوك»**، لأبي جعفر محمّد بن جرير الطبري، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، ط ٤.

٢٥ ـ **التاريخ الكبير**، للبخاري، دارالكتب العلمية ـ بيروت.

٢٦ ـ **التاريخ اليعقوبي**، لأحمد بن أبي يعقوب، دارصادر ـ بيروت، و مؤسسه نشر فرهنگ أهل بيت ـ قم.

٢٧ ـ **تذكرة الحفاظ**، للذهبي، داراحياء التراث العربي.

٢٨ ـ **تذكرة الخواص**، لسبط ابن الجوزي، طهران ـ نينوى الحديثة.

٢٩ ـ التراتيب الادارية ، للشيخ الكتاني .

٣٠ ـ ترجمة الإمام علي عليه السلام من تاريخ دمشق، لابن عساكر الشافعي ، تحقيق: محمد باقر محمودي، دارالتعارف للمطبوعات ـ بيروت .

٣١ ـ تفسير الآلوسي (روح المعاني) ، إدارة الطباعة المنيرية ، دارإحياء التراث العربي، ١٤٠٥ هـ.

٣٢ ـ تفسير ابن كثير الدمشقي ، دارالمعرفة ـ بيروت .

٣٣ ـ تفسير أبي السعود ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

٣٤ ـ تفسير الدر المنثور ، للسيوطي ، دارالفكر ـ بيروت ، ط ١ ـ ١٤٠٣ هـ.

٣٥ ـ تفسير الرازي (التفسير الكبير) ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

٣٦ ـ تفسير الطبري (جامع البيان) ، دارالمعرفة ـ ١٤٠٣ هـ.

٣٧ ـ تفسير القرآن ، محيي الدين بن عربي ، نشر ناصر خسرو ـ طهران .

٣٨ ـ تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ، دار إحياء التراث العربي .

٣٩ ـ تفسير الكشاف ، للزمخشري ، الطبعة الأُولى .

٤٠ ـ تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم)، لمحمّد رشيد رضا ـ دارالمعرفة ـ بيروت .

٤١ ـ التكامل في الاسلام ، لأحمد أمين المصري.

٤٢ ـ تلخيص الشافي ، للشيخ الطوسي ، نشر عزيزي ـ قم .

٤٣ ـ تهذيب التهذيب ، لابن حجر، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

٤٤ ـ جامع الأصول ، لابن الأثير الجزري ، دار إحياء التراث العربي ، ط ٤ ، ١٤٠٤ هـ.

٤٥ ـ **الجامع الصغير**، للسيوطي، دارالفكر ـ بيروت.

٤٦ ـ **حلية الأولياء و طبقات الأصفياء**، للحافظ أبي نعيم الأصفهاني، دارالكتب العلمية ـ بيروت، ط ١ ـ ١٤٠٩ هـ.

٤٧ ـ **الخراج**، للقاضي أبي يوسف القرشي ـ نقلنا عنه بواسطة إحقاق الحقّ.

٤٨ ـ **خصائص أميرالمؤمنين** عليه السلام، للحافظ النسائي، مطبعة التقدم ـ مصر.

٤٩ ـ **الخصائص الكبرى**، للسيوطي، دارالكتب العلمية ـ بيروت، ط ١ ـ ١٤٠٥ هـ.

٥٠ ـ **الخصال**، للشيخ الصدوق، مؤسسة النشر الاسلامي ـ قم.

٥١ ـ **دائرة المعارف الشيعية**، للسيد حسن الأمين العاملي ـ دارالتعارف بيروت.

٥٢ ـ **دراسات في ولاية الفقيه**، للاستاذ حسينعلي المنتظري، منشورات المركز العالمي للدراسات الاسلامية ـ قم ـ ايران.

٥٣ ـ **دلائل النبوة**، للبيهقي، دارالكتب العلمية، ط ١ ـ ١٤٠٥ هـ.

٥٤ ـ **ديوان أبي طالب**، لأبي هفّان المهزمي ـ نشر دارالثقافة ـ قم.

٥٥ ـ **ديوان أميرالمؤمنين** عليه السلام، دار ابن زيدون ـ بيروت.

٥٦ ـ **ديوان الشافعي**، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت.

٥٧ ـ **ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى**، لمحبّ الدين الطبري، دارالمعرفة ـ بيروت.

٥٨ ـ **ذيل اللآلئ**، للحافظ جلال الدين السيوطي، نقلنا عنه بواسطة إحقاق الحقّ.

٥٩ ـ **ربيع الأبرار**، للعلامة الزمخشري، نشر ديوان الأوقاف ـ بغداد، ١٩٧٦ م.

٦٠ ـ **رشفة الصادي**، لأبي بكر الحضرمي، طبعة القاهرة ـ ١٣٠٣ هـ.

٦١ـ **الرياض النضرة**، للمحبّ الطبري، دارالكتب العلمية ـ بيروت.

٦٢ـ **سفينة البحار**، للشيخ عباس القمي، انتشارات فراهاني ـ ايران.

٦٣ـ **سنن ابن ماجة**، دارالفكر ـ بيروت، تحقيق: محمّد فؤاد عبدالباقي.

٦٤ـ **سنن أبي داود**، داراحياء السنة النبوية ـ تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد.

٦٥ـ **سنن الترمذي (الجامع الصحيح)**، دارإحياء التراث العربي ـ بيروت.

٦٦ـ **سنن الدارقطني**، دارالمحاسن ـ القاهرة.

٦٧ـ **السنن الكبرى**، للبيهقي، دارالمعرفة ـ بيروت.

٦٨ـ **سير أعلام النبلاء**، للذهبي، مؤسسة الرسالة ـ بيروت، ط ٣ـ ١٤٠٥ هـ.

٦٩ـ **السيرة الحلبية (انسان العيون)**، للحلبي، دارالمعرفة، بيروت.

٧٠ـ **السيرة النبوية**، لزيني دحلان.

٧١ـ **السيرة النبوية**، لابن هشام، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر.

٧٢ـ **شرح الباب الحادي عشر**، للمقداد السيوري، دار نشر الكتاب ايران، ١٣٧٠ هـ.

٧٣ـ **شرح التجريد**، لعلاء الدين القوشجي.

٧٤ـ **شرح نهج البلاغة**، لابن أبي الحديد، دار إحياء الكتب العربية ـ قم، ط ١، تحقيق: محمد بن أبوالفضل ابراهيم.

٧٥ـ **شمس الأخبار**، لعلي بن محمد القرشي، نقلنا عنه بواسطة الغدير.

٧٦ـ **شواهد التنزيل**، للحافظ الحسكاني الحنفي، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت.

٧٧ـ **صحيح البخاري**، عالم الكتب ـ بيروت، ١٤٠٦ هـ و طبع دارالقلم ط ١.

٧٨ـ صحيح البخاري بشرح الكرماني ،

٧٩ـ صحيح مسلم ، دارالفكر ـ بيروت ، ط ٢ ـ ١٣٩٨ هـ و ط دار الكتب العملية .

٨٠ـ الصراط المستقيم إلى مستحقي التقديم . للعلامة علي بن يونس البياضي ، المكتبة المرتضوية ـ ايران ، ط ١ ـ ١٣٨٤ .

٨١ـ صفة الصفوة ، لأبي الفرج ابن الجوزي ، دارالمعرفة ـ بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٦ هـ .

٨٢ـ الصواعق المحرقة ، لابن حجر الهيثمي، مكتبة القاهرة ، ط ٢ ـ ١٣٨٥ هـ .

٨٣ـ طبقات الحنابلة . لابن أبي يعلى ، القاهرة ـ مصر

٨٤ـ الطبقات الكبرى، لابن سعد الزهري ، دار صادر ـ بيروت .

٨٥ـ عبقرية الإمام عليّ عليه السلام ، لعباس محمّد العقاد ، دار الكتاب ، ط ١ .

٨٦ـ العقد الفريد ، لابن عبد ربه الأندلسي ، مطبعة دائرة المعارف قرن العشرين ، ط ٤ .

٨٧ـ علي ونبوة ، لطه حسين .

٨٨ـ عيون الأخبار ، لابن قتيبة الدينوري ، دارالكتاب العربي ، بيروت .

٨٩ـ الغارات ، لابراهيم الثقفي .

٩٠ـ الغدير ، للشيخ عبدالحسين الاميني ، دارالكتب الاسلامية ـ طهران ، ١٣٦٦ .

٩١ـ غرر الحكم ودرر الكلم ، للآمدي ، مؤسسة الأعلمي ، ط ١ ـ ١٤٠٧ هـ .

٩٢ـ فتح القدير (تفسير الشوكاني) ، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .

٩٣ـ فرائد السمطين ، للجويني ، مؤسسة المحمودي ـ بيروت ، ١٣٩٨ هـ .

٩٤ـ الفردوس بمأثور الخطاب ، للديلمي ـ دارالكتب العلمية ـ بيروت .

٩٥ ـ **الفصول المهمة** ، لابن الصباغ المالكي ، دارالكتب التجارية ـ النجف الأشرف.

٩٦ ـ **فضائل الصحابة** ، لأحمد بن حنبل ، مركز البحث العلمي ـ مكة المكرمة ، ط ١ .

٩٧ ـ **الكافي** ، للشيخ الكليني ، منشورات المكتبة الصدوق ـ تهران .

٩٨ ـ **الكامل في التاريخ** ، لابن الأثير ، دارإحياء التراث العربي ـ بيروت ، ط ١ .

٩٩ ـ **كفاية الطالب في مناقب عليّ بن أبي طالب** ، للكنجي الشافعي ، دارالإحياء التراث الاسلامية ـ تهران .

١٠٠ ـ **كنزالعمّال** ، للمتقي الهندي ، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ، ط ٥ ـ ١٤٠٥ هـ .

١٠١ ـ **لباب النقول** ، للسيوطي ، داراحياء العلوم ـ بيروت ، ط ٤ ، ١٤٠٣ هـ.

١٠٢ ـ **لسان العرب**، لابن منظور ، نشر أدب الحوزة ـ قم .

١٠٣ ـ **لسان الميزان** ، لابن حجر ، مؤسسة الأعلمي ـ بيروت .

١٠٤ ـ **مجمع البحرين** ، للشيخ الطريحي ، دفتر نشر فرهنگ اسلامي .

١٠٥ ـ **مجمع الزوائد** ، للهيثمي ، دارالكتاب العربي ـ بيروت ، ط ٣ ـ ١٤٠٢ هـ

١٠٦ ـ **المحلّى** ، لابن حزم الأندلسي ، نقلنا عنه بواسطة إحقاق الحقّ .

١٠٧ ـ **مروج الذهب و معادن الجوهر** ، للمسعودي ، دارالفكر ـ بيروت ، ط ٥ .

١٠٨ ـ **المستدرك على الصحيحين**، للحاكم النيسابوري ، دارالكتب العلمية ـ بيروت ، ط ١ و طبع حيدرآباد .

١٠٩ ـ **مسند أبي يعلى** ، دارالمأمون للتراث ، ط ٢ ـ ١٤١٠ هـ.

١١٠ ـ **مسند أحمد** ، دارالفكر ـ بيروت .

١١١ ـ مسند زيد . دارالكتب العلمية ـ بيروت .

١١٢ ـ مصابيح السنة . للبغوني ، دارالمعرفة ـ بيروت ، ط ١ ـ ١٤٠٧ هـ.

١١٣ ـ المصنف ، لابن أبي شيبة ، دارالفكر ـ بيروت ، ١٤٠٩ هـ.

١١٤ ـ مطالب السؤول . لكمال الدين محمّد بن طلحة الشافعي ـ طهران .

١١٥ ـ المعارف ، لابن قتيبة الدينوري ، دارالكتب العلمية ، ط ١ ـ ١٤٠٧ .

١١٦ ـ معالم التنزيل . للبغوي ، دارالفكر ـ بيروت ، ١٤٠٥ .

١١٧ ـ المعجم الكبير . للطبراني ، داراحياء التراث العربي ـ بيروت .

١١٨ ـ المغازي . للواقدي ، عالم الكتب ، ط ٣ ـ ١٤٠٤ هـ.

١١٩ ـ مقاتل الطالبيين . لأبي الفرج الأصفهاني ، المطبعة الحيدرية ـ النجف الأشرف.

١٢٠ ـ المقدمة . لابن خلدون ، تحقيق الاستاذ خليل شحاوة وسهيل ذكار ،

١٢١ ـ ملحمة الشمس . لهادي دستباز .

١٢٢ ـ الملل والنحل . للشهرستاني ، مكتبة الانجلو مصرية ـ القاهرة .

١٢٣ ـ مناقب آل أبي طالب . لابن شهر آشوب ، دارالاضواء ـ بيروت ، وطبع مصطفوى ـ قم

١٢٤ ـ مناقب علي عليه السلام ، لابن المغازلي الشافعي ، المكتبة الاسلامية ـ طهران ، ١٤٠٢ هـ.

١٢٥ ـ مناقب علي عليه السلام ، للخطيب الخوارزمي ، مكتبة نينوى الحديثة ـ طهران

١٢٦ ـ المناقب المرتضوية . لمحمد صالح الكشفي الحنفي ، طبع بومبئي ـ الهند .

١٢٧ ـ منتخب كنزالعمّال ، للمتقي الهندي ، مطبوع بهامش مسند أحمد ، دارالفكر ـ بيروت.

١٢٨ ـ المفردات، للراغب الاصفهاني، المكتبة المرتضوية ـ ط ٢.

١٢٩ ـ المنجد في اللغة والأعلام، المطبعة الكاثوليكية ـ لبنان ـ ١٩٨٢ م.

١٣٠ ـ الموطأ، لمالك بن أنس، دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٦ هـ.

١٣١ ـ ميزان الاعتدال، للذهبي ـ دار الفكر ـ بيروت.

١٣٢ ـ نزهة المجالس، للصفوري، نشر المكتبة الشعبية ـ بيروت.

١٣٣ ـ النهاية في غريب الحديث، لابن الأثير الجزري، المكتبة الاسلامية، ط ١ ـ ١٣٨٣ هـ

١٣٤ ـ نهج البلاغة، تحقيق الدكتور صبحي الصالح، منشورات دار الهجرة ـ قم

١٣٥ ـ نظم درر السمطين، لمحمّد بن يوسف الزرندي، منشورات مخزن الأميني ـ النجف الأشرف، ١٣٧٧ هـ.

١٣٦ ـ نور الأبصار، للشبلنجي، دار الكتب العلمية ـ بيروت

١٣٧ ـ وسائل الشيعة، للشيخ الحر العاملي، المكتبة الاسلامية ـ طهران، ط ٢.

١٣٨ ـ وسيلة المآل في عدّ مناقب الآل عليهم السلام، لأحمد بن الفضل باكثير الدمشقي ـ مخطوط.

١٣٩ ـ وسيلة المتعبدين (سيرة الملا)، دائرة المعارف العثمانية ـ الهند، ١٤٠٠ هـ

١٤٠ ـ ينابيع المودّة، للقندوزي الحنفي، طبع اسطنبول، ١٣٠٢ هـ.

فهرس الموضوعات

الفصل الأوّل: ملامح من شخصيته عليه السلام

الفصل الثاني: موضع عليّ عليه السلام في الغزوات

الفصل الثالث: عليّ عليه السلام في القرآن والسنّة

الفصل الرابع: مناقبه و مكارم أخلاقه عليه السلام

الفصل الخامس: معجزاته و إخباره بالمغيبات

الفصل السادس: في الإمامة و الحكومة

الفصل السابع: في مظلوميته عليه السلام و شهادته

الفصل الثامن: نبذة مِن أقواله وحِكَمه

الفهارس

ما تمّ نشره للمؤلّف

١. الفصول المائة في حياة ابي الأئمّة عليه السلام، في ٥ مجلدات(عربي).

٢. مظهر ولايت على عليه السلام از دامن مادر تا رحلت خاتم (فارسي).

٣. على عليه السلام آينه عرفان (فارسي).

٤. تجلّى امامت (دراسة حول حكومة الإمام علي عليه السلام) (فارسي).

٥. جلوه هاى حكمت (بحث موضوعيّ لكلمات الإمام على عليه السلام مع الترجمة باللغة الفارسية) (فارسي).

يمكنكم حصول وشراء هذه الكتب من مركز النشر التابع لمكتب الإعلام الإسلامي في الحوزة العلميّة ـ قم، ساحة الشهداء، «بوستان كتاب» رقم الهاتف: ٧٤٣٣٢٦